

اتحاد الجامعات العربية



الجمعية العلمية لكليات الآداب

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

المجلد السابع العدد الثالث 1432هـ/2010م

تنضيد واخراج: مجدي الشناق

هيئة التحرير

اللجنة الاستشارية

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب
مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

القواعد الناظمة للمجلة

- **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب** مجلة علمية نصف سنوية محكَّمة معتمدة تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية.
- يقدم البحث للنشر باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية، ويجوز أن يقدم بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أجنبية أخرى تتيسر طباعتها بموافقة هيئة التحرير مع تقديم ملخص له باللغة العربية.
- تنشر المجلة البحوث العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، والتي تراعى فيها الإشارات الدقيقة إلى المصادر والمراجع، ولم تقدم للنشر في أي مكان آخر، ويجوز نشر نقد متخصص أو مراجعة لأحد المؤلفات العلمية الصادرة في الوطن العربي أو خارجه بالإضافة لنشر تقارير عن الندوات والمؤتمرات التخصصية العربية والعالمية، وتعد البحوث التي تقبل للنشر بحوثاً معتمدة لأغراض الترقية.
- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها في مجالات الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام.
- أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب وبمسافة مزدوجة بين السطور، وتقدم أربع نسخ منه مع قرص مرن قياس 3.5 انش، متوافق مع أنظمة (IBM (Ms Word.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة.
- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئيا على محكمين اثنين في الأقل من ذوي الاختصاص، يتم اختيارهما بسرية مطلقة من رئيس التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في الطلب من المؤلف أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر .
- لا تدفع المجلة مكافأة عن البحوث التي تنشر فيها.
- تهدي المجلة لمؤلف البحث بعد نشره نسخة العدد الذي نشر فيه.

- ترسل البحوث على العنوان التالي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الإنسانية

كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن

هاتف :00962 2 7211111

فاكس :00962 2 7211137

البريد الإلكتروني: e-mail: saufa@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني:website: http://saufa.yu.edu.jo

التوثيق

ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين( )

وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو التالي، في حالة أن يكون المصدر أو المرجع كتاباً:

إسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر،الناشر، السنة، الصفحة.

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص 24.

وفي حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو التالي:

إسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **إسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.

مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه حسب التسلسل الألف بائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك في المجلة

الاشتراك السنوي للأفراد: ثلاثة دنانير داخل الأردن وسبعة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن وللمؤسسات خمسة دنانير داخل الأردن وعشرة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن.

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد:

تحرص هذه المجلة العلمية المحكمة التي تم تأسيسها عام 2001م على توفير المناخ العلمي الأكاديمي المناسب لنشر البحوث والدراسات المتنوعة فيها، وقد جاءت تلبية لاحتياجات أعضاء الهيئة التدريسية في كليات الآداب في جامعات الوطن العربي، لتزويدهم بالمعرفة العلمية في المجالات الإنسانية والاجتماعية، ونشر أبحاثهم العلمية الرصينة، وهذا العمل بحد ذاته أمانه ومسؤولية، وهو التزام أدبي وعلمي، ويمثل استراتيجية هامة وأساسية لمجلة اتحاد الجامعات العربية ولهيئة التحرير فيها.

وهيئة التحرير في المجلة إذ تنشر هذا العدد الجديد من المجلة لتأكد على ترحيبها بمساهمات الباحثين الأصيلة والمتنوعة التي تغطي حقول المعرفة المتنوعة، كما أنها تتطلع دائماً إلى تلقي المزيد من الأبحاث التي تهتم بدراسة الموضوعات الأدبية والإنسانية والاجتماعية مثل اللغة العربية وآدابها والتاريخ والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والسياسية والفلسفة والجغرافيا واللغات الأجنبية.

وأنني أحيي أسرة هيئة تحرير المجلة الذين يتداولون دائماً في تطوير المجلة من خلال الاهتمام بالبحوث المنفردة والباحثين المتميزين الذين تنشر لهم المجلة أبحاثاً علمية رائدة في موضوعها ومنهجها، إضافة إلى حرصهم على السمعة العلمية للمجلة لتكون دائماً نموذجاً رائداً بين المجلات العلمية الأخرى محلياً وعربياً ودولياً ولجميع الباحثين الذين أثروا هذه المجلة بأفكارهم وآرائهم كل الشكر والتقدير وأننا نتطلع دائماً إلى تلقي المزيد من البحوث والدراسات التي تنطق بالمكانة العلمية العالية.

ونعدكم أن نقدم دائماً الأفضل من حيث جودة البحوث وتنوعها وتميزها وما هو مفيد.

ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للجميع.

أ.د. سليمان خرابشة
رئيس التحرير
الأمين العام للجمعية العلمية لكليات الآداب للجامعات
في اتحاد الجامعات العربية
جامعة اليرموك - الأردن

Subscription Form

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

Name: .... :الاسم

Address: .... :العنوان

P.O. Box: .... :ص.ب.

City & Postal Code: .... :المدينة والرمز البريدي

Country: .... :الدولة

Phone: .... :هاتف

Fax: .... :فاكس

E-mail: .... :البريد الإلكتروني

No. of Copies: .... :عدد النسخ

Payment: .... :طريقة الدفع

Signature: .... :التوقيع

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

قسيمة اشتراك

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة

For — لمدة

- One Year — سنة واحدة
- Two Years — سنتان
- Three Years — ثلاث سنوات

أسعار الاشتراك السنوي
One Year Subscription Rates

	خارج الأردن Outside Jordan	داخل الأردن Inside Jordan
الأفراد Individuals	7 دولار أمريكي US $ 7	3 دنانير JD 3.00
المؤسسات Institutions	10 دولار أمريكي US $ 10	5 دنانير JD 5

سعر النسخة الواحدة (دينار أردني)
One Issue Price

سعر البيع العادي 2.000 ديناران — Standard Price JD 2.000

سعر البيع للطلبة 1.300 دينار — Students JD 1.300

خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع — 40% Discount for Bookshops

Correspondence

Subscriptions and Sales:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in -Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111 Ext. 3555
Fax. 00962 2 7211137

المراسلات

مراسلات البيع والاشتراكات:

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب.
رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب"
كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
هاتف: 00962 2 7211111 فرعي 3555
فاكس : 00962 2 7211137

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب　　المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 269- 298

الأغنية

ودورها في أعمال إبراهيم الكونيّ الروائيّة

مهى المبيضين *

ملخص

تدرس هذه الورقة ثيمة الغناء في رواية إبراهيم الكونيّ، بوصفها مكوّنًا رئيسًا من مكوّنات الثقافة في مجتمع الطوارق، ولمّا كان الكونيّ معنيًا بالتأريخ لهذا الشعب في أعماله الروائيّة العديدة، فقد حفلت رواياته تلك عن ثقافة أهل الصحراء بطقوسهم المختلفة، ولعلّ طقس الغناء تحديدًا كان من أبرز المكوّنات الثقافيّة لدى الطوارق، وقد كان الكونيّ أمينًا على تصويره بوضوح، وحفيًا به في أعماله عنهم ليعرب عن مدى اهتمامه بهم، فلم تكد رواية من رواياته، أو قصّة من قصصه تغفل ذكر هذا الموضوع بشكل من الأشكال، فالطوارق -كما يراهم الكونيّ- من أكثر الأمم اهتمامًا بالغناء، وحفظًا للأشعار، ولا توجد أمّة على الأرض تعبد الإبداع كما يعبده الطوارق، ولا توجد قبيلة في التاريخ يمكن أن تفوقهم في عدد الشعراء أو المغنّين؛ لأنّهم كلّهم تقريبًا شعراء وأهل غناء.

تطمح هذه الورقة إلى قراءة نصّ إبراهيم الكونيّ الروائيّ والقصصيّ بوصفه خطاباً ثقافيّاً يؤرّخ للنتاج الفكري والمعرفي لدى الطوارق، حيث تُحيل نصوص الكونيّ القارئ إلى معاينة ما هو ثقافيّ للشريحة التي يكتب عنها، ويرصد في قصصه ورواياته تجليات النتاج الفكري بعامة لما يمكن وصفه بـ (أدب الصحراء)، ولمّا كان للخلاء والليل، على سبيل المثال، أثرهما في قضاء وقت الصحراء وتمزيقه، فقد شكّل الغناء رواية تكتنز بأنساق فنون الصحراء البدائيّة.

وحين تعنى هذه الدراسة بفنّ الغناء الطارقيّ في روايات الكونيّ وقصصه -حيث أبدع الكاتب في إدهاش القارئ وإدخاله في ملكوت الصحراء الطارقيّة- فإنّها بذلك تجعل القارئ يعي أبعاد المنجز الثقافيّ لديه، ويرصد الجمالي في أعماله، ولعل القراءة الثقافيّة في هذا السياق تفصح عن دواعي استخدام الأغنية في النصّ الروائيّ إذ تكشف "عن الأفق المتحرّك للثقافة داخل النصّ (...) وتفتح النصّ على معارف مختلفة ومتنوّعة، وتفسره في إطار علاقته بغيره من الأجناس الثقافيّة والعلوم المختلفة، ولا تكتفي بتفسيره في حدود نفسه، وذلك عن طريق مقارنات،

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

ومقاربات، ومراجعات، لمعارف شموليّة متعدّدة تستوعب الجماليّ والثقافيّ بوصفها شرطًا أساسيًا لاستراتيجياتها في الكشف عن الرصيد الثقافيّ للنصّ الأدبيّ"[1].

فهل يمكن للغناء، حقًا، أن يكشف الرصيد الثقافيّ لنصّ " الكونيّ " الطارقيّ؟ وهل للغناء في رواياته علاقة بالثقافة المنتجة له؟ فما وسائل هذا الكاتب في تقديم الأغنية الطارقيّة في الرواية؟ وما أثر ذلك على المتلقّي؟ وهل ساهمت تلك الأغاني في إثراء النصّ الروائيّ؟ وما آليات تحويل ذلك الخطاب الثقافيّ الجماليّ إلى منتج أدبيّ؟ وهل يمكن عدّ استرجاع الغناء الطارقيّ في الرواية تمازجًا بين الفنون السبعة يستمدّ جوهر تعبيره من الأدب؟ وهل يطمح "الكونيّ" إلى إدخال قارئه بوصفه شريكًا في العمليّة الإبداعيّة للنصّ إلى جوهر الحياة الطارقيّة وتقاليدها عبر تقاليد الكتابة الروائيّة؟ وهل أوصل "الكونيّ" قارئه لتمثّل حياة الصحراء عبر الغناء؟ وهل الغناء مكوّن أساس من مكوّنات الثقافة الطارقيّة؟

ولعلّ النقد الثقافيّ بمفهومه العام هو الكفيل بالإجابة عن هذه الأسئلة جميعها، لأنّ هذا النقد "كما يوحي اسمه، نشاط فكري يتّخذ من الثقافة بشموليتها موضوعًا لبحثه وتفكيره ويعبّر عن مواقف إزاء تطوّراتها وسماتها"[2]. فكلّ تلك الأسئلة، وغيرها هي من أسئلة هي أسئلة مشروعة. وإذ تقف هذه الورقة عند هذه الجزئيّة فذلك لأنّ سابر النصّ الكونيّ -بعد أن تأخذه أصوات رياح الصحراء، ويتلفّع باللثام الأزرق، ويدخل في شعاب (تمبكتو)، وينحسر قلبه على (ودّان) معلّق، أو يفرح برؤية (الكمأة) عبر الكلمة، وتتسرّب إلى روحه صورة مشعوذ طارقيّ، أو يعتمل في صدره كُرْهُ دفين للمرأة، ويتربّع أخيرًا زعيمًا في جنّة الكونيّ والكتابة عن صحرائه- يطرب لسماع أغنية طارقيّة بثّها بين ثنايا رواياته، ليكتمل طقس ارتهانه للنصّ، فيأسره لمقدرته المذهلة على تقديم كلّ ما هو حياتيّ عبر نصّه الروائيّ، فتصبح تلك الروايات مرجعًا خصبًا لفنّ الغناء الطارقيّ بداية، ثم تُصبح تمهيدًا لإحياء لغة الطوارق، وتؤسّس بهدوء لتعليمها لقارئ لا يستطيع الوصول إليها في غير هذا السياق الفنّيّ الفريد، ومن هنا يمكن القول إنّ النقد الثقافيّ يجعلنا نعاين الظاهرة في أبعادها المتشابكة لأنّه فتح "النظر النقديّ إلى آفاق أوسع وأعمق من مجرّد النظر الجماليّ للنصوص"[3]. فإبراهيم الكونيّ حمّل الرواية بعامّة، والأغنية فيها بخاصّة، وظائف عديدة، فعلاوة على الوظيفة الفنّيّة أو الجماليّة، صارت الأغنية جزءًا مهمًا في بنية النصّ الروائيّ، بحيث نهضت بحمل أبعاد دلاليّة ونفسيّة وثقافيّة، وهذا ما سيكشف عنه البحث في تفصيلاته الآتية.

لقد شدّ انتباهي ما قاله الكونيّ نفسه في مقابلة له مع الإذاعة السويسريّة "بأنّ الطوارق من أكثر الأمم اهتمامًا بالغناء وحفظًا للأشعار، إنّه لا توجد أمّة على الأرض تعبد الإبداع كما يعبده الطوارق، ولا توجد قبيلة في التاريخ يمكن أن تفوقهم في عدد الشعراء أو المغنّين لأنّهم كُلّهم تقريبًا شعراء وأهل غناء"[4]. ولعلّ الناقد يقبل من الكونيّ هذا القول على اعتبار أنّه يتبنّى قضيّة

الطوارق، بوصفهم جماعة محليّة أو أصليّة تعاني من التهميش، أو تعاني من خطر التذويب في الوسط الاجتماعيّ الأوسع، أو تعاني من خطر التلاشي ضمن تحوّلات اجتماعيّة حديثة، قد تطمس معالم ثقافتهم الخاصّة، فيأتي نصّه الروائيّ مدافعًا عن ثقافتهم تلك، في عالم بات يؤمن كثير من نقّاده وفلاسفته ومفكّريه وفنّانيه بضرورة احترام التعدديّة الثقافيّة، أسوة بالمجتمع الأمريكي الذي التفت منظرو النقد الثقافيّ فيه إلى هذه الظاهرة، ورفضوا التعامل مع ثقافة مركزيّة مقابل ثقافات هامشيّة في المجتمع نفسه[(5)].

فإذا كانت الحالة التي خبرها عنهم هي تلك من كثرة المغنّين والشعراء؛ فإنّ النصّ الروائيّ الذي يُدوّن المنتج الثقافيّ لا بدّ وأن يفرد للغناء حيّزًا واسعًا فيه، إذا أريد منه تأكيد تلك العلاقة بين الأدب والثقافة المنتجة له؛ بُغية إثراء النصّ الروائيّ وتحويل ذلك المنتج الثقافيّ المنسيّ إلى منتج أدبيّ يستشفّه قارئ قد يتبادر إلى ذهنه خلوّ حياة تلك القبائل الصحراوية من فنّ الغناء، بسبب عدم معرفة هذا القارئ أو العالم بذلك، على حدّ تعبير الكونيّ الذي يقول: "فإذا شاءت ظروف عزلتهم في القارّة الصحراويّة أن تحجب هذه الحقيقة عن العالم فهذا ليس ذنب القبائل"[(6)]. وهذا الفهم لوظيفة الأغنية في الرواية مثلا لدى الكونيّ يؤكّد مقول الجماليات الثقافيّة التي يذهب أصحابها إلى أن العمل الأدبي لا بدّ له من أن يركّز على البعد الجمعيّ للتجربة الجماليّة، فتغدو مهمّة الناقد أن "يسعى للكشف عن الأساليب التي بها تتشكّل القناعات والخبرات الجماعيّة، وكيف يتنقّل التعبير عنها من أداة تعبيريّة إلى أخرى، ومتى تصبح خطابًا فنّيًا قابلًا للتداول،... كبديل عن التصوّر الذي يتّخذ من المبدع الفرد أو النصّ المفرد أساسًا وجوهرًا، هذا التصوّر الذي تبدو معه الثقافات وكأنما هي مجرّد هبة فنّيّة لمبدع فرد نفث فيها من روح فنّه وعبقريّته، وليس للثقافة من أحلام ووجدانات وحكايات إلا ما تفتقت عنه مواهبه، وما تناثر من هباته. وهذا التوجه نحو البعد الجمعيّ مرتبط بالمفهوم النصوصيّ من كون اللغة ذاتها ذات قيمة جمعيّة"[(7)]. لذلك سيختلط على القارئ الوصول إلى حقيقة الفصل بين ما هو من صناعة الروائيّ في العمل الفنّيّ وما هو من المنجز الثقافيّ الجمعيّ، وبذلك تتكلّل مهمّة الكاتب المؤرّخ لجماعته الخاصّة بالنجاح، ليصير الإبداع الروائيّ منجزًا فرديًا وجماعيًا وفعلًا تاريخيًا في آن واحد معًا.

لقد مهّد الكونيّ ببثّ الأغنية الطارقيّة في الروايات والقصص منذ البداية لدعم مشروعه الأكبر في "*ملحمة المفاهيم*" التي اتكأ فيها على اللغة الطارقيّة البدئيّة بوصفها الأقدم بين اللغات الحيّة، حتّى لكأنّه يريد لهذه الثقافة أن تنتقل من الأطراف إلى المركز، لذا فقد جعل هذا اللسان الطارقي أصلًا من أصول اللغات، بحيث أمكن لهذا الأصل أن يحلّ لغزي الفراعنة بلغتهم الهيروغليفيّة والسومريّين بلغتهم القديمة[(8)]، وقد شغف هذا الروائيّ بالمقارنات الكثيرة بين لسان الطوارق وهاتين اللغتين إضافة إلى العربية واللاتينيّة القديمة، فأسّس -بمهارة أستاذ لغة حاذق،

وباجتهادات غريبة ومثيرة حقًا- للالتفات إلى اللغة الطارقيّة عبر هذه المقارنات، وعبر أغانٍ وضعها بلغة الطوراق تلك على صفحات رواياته. وهو يؤكّد ذلك في درج حديثه السابق حين يقول: "وإذا شاءت ظروف لغتهم الأقدم في تاريخ اللغات الحيّة أن تخنق صوتهم؛ فإنّ هذا لا يعني أنّهم لا يُتقنون الأشعار أو الغناء"[9]. فالأغنية صارت بذلك ذات معنى دلاليّ وبنيويّ في الرواية، وصارت أشبه بالثيمة الموظّفة تاريخيًا وأيديولوجيًا، علاوة على وظيفتها الفنّيّة الجماليّة في سياق النصّ السرديّ أو الروائيّ.

لعلّ الكونيّ، في قوله السابق، قد لخّص مسوّغات اهتمامه بالغناء في رواياته، فهو يطمح -علاوة على إثراء نصّه الروائيّ- إلى إيصال صوت الطوارق عبر لغتهم، ولمّا لم يكن بالإمكان إيصال هذه اللغة متنًا روائيًا؛ لجهل القارئ بها، والانحراف عنها كُلِّيًّة إلى اللغة العربيّة، فقد كان لا بدّ من تضمينها عبر الرواية، وهو بذلك يخلّد تلك اللغة، حتّى وإن ترجمت رواياته إلى أيّة لغة أخرى، فإنّ متن الرواية المترجمة سيحفظ الأغنية بلغة الطوارق، ويعطي ترجمة لمعناها في الهامش. ناهيك عن أنّه يضمن أن تغدو الرواية حاملة لثقافة الطوارق الفعليّة إن هي تحوّلت إلى إنتاج تلفزيونيّ أو سينمائيّ، لأنّ الروائيّ بات يعي سلطة الوسائل التكنولوجيّة الحديثة في التقليل من فرصة قراءة الأدب المكتوب، الذي بدأ يفقد سلطته[10]، والاحتفاء بالأدب ذاته إن هو ترجم إلى أعمال فنّيّة مشاهدة ومسموعة. علاوة على أنّ الكونيّ بذلك يؤكّد فكرته الأساسيّة عن لغة الطوارق بأنّها بدئيّة، أو أصل من أصول اللغات في هذا العالم، وما يعقبها هامش عليها، فهو بذلك يمنحها قداسة ما؛ لأنّها لغة اللاهوت[11] – على حدّ قوله-، في الوقت الذي يعبّر فيه عن رغبته العارمة بنشرها على نطاق واسع إن استطاع ذلك، في حالة القراءة للأعمال الروائيّة المكتوبة، أو في حال إعادة إنتاجها ضمن وسائل الإعلام الحديثة المرئيّة والمسموعة.

إنّ استخدام تقنيّة تدوين الأغاني والأشعار في الروايات -علاوة على كونها تقنيّة في تمازج النوع الأدبي، وتفاعلاً بين الكتابة والفنون الأخرى، من مثل المزج بين الرواية واللوحة، الرواية والشعر، الرواية والأغنية المدوّنة، الرواية والسينما- هي إضافة تقنيّة بارعة؛ لأنّها في الوقت ذاته تنقل ثقافة البيئة المنتجة للنصّ وتؤرّخ لها، وتؤكّد كما ذكر الكونيّ أن هؤلاء البداة يتقنون الأشعار والغناء، ويفتنّون بهما. بل إنّ للمغنّين والشعراء درجة ما أو منزلة في القبيلة لا يمكن إغفالها، إضافة إلى ما تنمُّ عليه تلك الأشعار والأغاني من حسّ ذوقيّ خلّاب يأسر متلقّيه.

وربما تنبّه الكونيّ إلى هذا متأسيًا بكثيرين التفتوا إلى أهميّة الغناء ودوره في المجتمعات قديمها وحديثها، وبخاصّة الشفويّة منها تحديدًا، وإلى أساليب توظيفه في الشعر والنثر على حدّ سواء، فلقد استرعت هذه الظاهرة أبا الفرج الأصفهاني فكتب كتابه الشهير "الأغاني"، كما كتب ناصر الدين الأسد رسالته لنيل درجة الماجستير في الأدب العربيّ القديم، في جامعة القاهرة

منتصف القرن الماضي، تحت عنوان "القيان والغناء في العصر الجاهليّ"، وقد ذكر فيه أنّ بعض المصادر الأدبيّة القديمة أفرد مؤلّفوها فصلًا عن الغناء والقيان من مثل: عيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسيّ ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمريّ ونهاية الأرب للنويريّ[12]. ولمّا كان اهتمام الأسد منصبًّا على المرحلة الجاهليّة من حياة العرب، فكأنّه يؤكّد بذلك أن الشعوب الصحراويّة، وهي شفويّة الثقافة في الغالب، تهتم بالغناء منذ أقدم الأزمان، وتُعنى بالسماع بصورة طبيعيّة، وفي كتابه فضل بيان لهذا الأمر، بحيث تزول دهشة الكونيّ من أنّ الطوارق يشكّلون ظاهرة فريدة بين الشعوب الصحراويّة في ذلك، وقديمًا حدّثنا ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" قائلًا: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس"[13]. وفي هذا الخبر بيان صريح يعرض لأهمّيّة الغناء ومناسباته وأدواته منذ القدم، وفيه ربط ظاهر بين الغناء والشعر، وقد قال ابن رشيق نفسه في موطن آخر من كتابه "والغناء حلّة الشعر إن لم يلبسها طويت"[14]. فهل يمكن القول بعد هذا إنّ الغناء في رواية الكونيّ سيكون بابًا لها لولوج عالم الشعريّة؟ أي أنّ الرواية لديه ستكون محمّلة بكثير من عناصر الشعريّة، وتقف الأغنية فيها على رأس تلك العناصر؟

وحديثًا نعثر على توظيف للأغنية في الرواية، ومنها رواية الصحراء، ولعلّ خماسيّة عبد الرحمن منيف "مدن الملح" تعدّ شاهدًا على ذلك، فقد وظّف فيها الأغنية بغنى وغزارة، وجعلها تلتحم بالمكان وتشفّ عن جماليّاته، وتقدم طرفًا من الثقافة السائدة، للكشف عن مجمل الثقافة التي تميّز المجتمع الروائيّ لديه، وتستحق خماسيته تلك أن تفرد لها دراسة مستقلّة في هذا الباب.

لعلّ الرجوع إلى الغناء وانتشاره في البيئات الطارقيّة كان له الأثر الأكبر في تقبّل الطرائق الصوفيّة التي يذكرها الكونيّ مراراً في رواياته، وتتعامل شخوص الروايات، في غير موضع، مع الآيات القرآنيّة تلاوة وتجويداً؛ لإحلالها بديلاً عن شغفها بالغناء-كما يبدو –، فقد استخدم أبطاله الرُقية بالآيات في غير موضع في بابي الخير والشر، ممّا يؤكّد فكرة نقله ثقافة الطوارق بكلّ ما تحمل من مجوسيّة أو وثنيّة أو مفاهيم دينيّة إسلاميّة عبر متن روائيّ ساحر، كما أنّ الغناء في هذه الروايات جاء أنموذجًا من نماذج الثقافة المغاربيّة في بعض من مكوّناتها.

يرد الغناء في رواية الكونيّ تعبيرًا عن انسجام الإنسان الطارقيّ مع طبيعته الصحراويّة، حتى إذا دخل إلى الصحراء من يلوّثها أو ما يلوّثها، أو ارتحل الطارقيّ عنها إلى مجتمع آخر، تمزّق ذلك الانسجام وضاعت مغناة الطارقيّ، ففي قصّة "إلى أين أيّها البدويُّ؟ إلى أين؟"[15] يُشير الكونيّ إلى أمور عديدة؛ أوّلها: غناء الطارقيّ خمسين عاماً منسجماً مع صحرائه حتّى إذا ارتحل

عنها إلى المدينة قطع الغناء؛ دلالة على ضياع صوته فيها، فإذا ما عاد إلى صحرائه، لا يعرف أيّ منّا إن كان يستطيع الغناء أم لا!! في إشارة إلى تلوّثه الذي حدث في المدينة، يقول سعيد الغانمي في تعليقه على القصّة: "إذا خرج رجل مجتمع الضرورة إلى مجتمع الترف أحسّ بالفرق بين المجتمعين. في الصحراء تأتي المفارقة في المكان والطبيعة، وفي المدينة تأتي من الإنسان والثقافة. في قصّة "إلى أين أيّها البدوي؟" يدهم الجفاف الصحراء، فيقطع البدوي غناءه بعد نصف قرن، ليُقرّر السفر إلى المدينة"[16]. ولعلّ الأغنية - وإن لم يفصح الراوي عن فحواها ومعانيها وكلماتها- حَمَلت في هذا السياق وظيفة أنثروبولوجية وثقافيّة عالية، فصارت علامة على مدى انسجام الإنسان مع واقعه، أو انفصاله عنه. أي أنّها تحمل بعدًا دلاليًا وبنيويًا خاصًا في تكوين الإنسان الصحراويّ، وتعبّر في الآن ذاته عن انسجامه النفسي مع محيطه.

فالغناء، هنا، أصبح رمزًا للصحراء، وانقطاع ذلك الغناء بعد خمسين عامًا سبّب جفاف هذه الصحراء، وهو السبب الذي يبطنه الكونيّ لارتحال الطارقيّ إلى المدينة بعد هذا الزمن الطويل من العيش فيها، مُعقّبًا على سلوك ذلك البدويّ الذي باع جمله في المدينة متخلّيًا عن أهم رابط يربطه بالصحراء، فلم يكن من السهل التأقلم مع المدينة، إنّ "للمدينة أخلاقًا أخرى لا يعرفها البدويّ. فهو بعد أن يبيع جمله، وكلّ ما يملك، يجلس على الطريق، ويصادف مرور موكب الملك الذي لا يعبأ به البدويّ لأنّه يجهله، يستوقفه رجال الأمن ويجرون تحقيقاً معه، وبعد ليلتين من التعذيب يطلقون سراحه، فيقرّر العودة إلى الصحراء، وهو يفكّر باسترداد قدرته على الغناء، خالياً من كل شيء إلا عشرة جنيهات هي ما تبقّى من ثمن جمله وناقته، يمزّقها دون أن يعلم أنّه مزّق صورة الملك"[17] لذا فقد "كان يعلم فقط أنّه يغادر المدينة إلى الأبد.. إلى الصحراء إلى السراب. خرج البدويّ من المدينة بعد ظهر ذلك اليوم.. ولكن هل يستطيع أن يُغنّي مرة أخرى؟!"[18].

إنّ التعبير عن استعادة البدويّ صوته، وتقطيعه الجنيهات العشرة، وذكر تقطيع صورة الملك، هي صورة لبتر كل ملوّث ثقافيّ آخر غير الصحراء التي يستطيع الطارقيّ الغناء فيها حسب، فالغناء دالٌ ثقافيّ على ذلك التصالح التامّ ما بين أبطال القصص وصحرائهم، ورصد ثقافيّ لمكوّن الطوارق الفنّيّ عبر النصّ الروائيّ، يقول الراوي: "اقترب حتّى وجد أنّه يسمع الأغنية، نفس الأغنية التي كانت له يومًا أرضًا، أمًا، وطنًا.... "[19]. إذًا يؤكّد الكونيّ في هذا السياق رأي (أدورنو) الذي "يرى في الفنّ مشخّصًا لأمراض الحضارة المعاصرة، وتقديم الدواء لها، لأنّ الفنّ هو قوة الاحتجاج الإنسانيّ ضدّ قمع المؤسّسات، التي تمثّل الهيمنة الاستبداديّة"[20]. وهذا الأمر ينطبق على الفنّ الروائيّ ذاته في الوقت الذي ينطبق فيه على الغناء في بنية النصّ وفي الواقع، ولعلّه يكشف كذلك عن المأزق التاريخي الذي يعاني منه الإنسان الطارقي، الذي يبدو كما لو أنّه

عاجز عن الاندماج في الحضارة الحديثة، أو العيش في واقع المدينة المعاصرة على أقلّ تقدير. وربّما انسحب جزء من هذا السلوك على الكونيّ ذاته الذي انشغل بمجتمع الطوارق حتّى كاد لا يناقش في جلّ أعماله الروائيّة - على كثرة عددها -، قضيّة غير قضيّة شعبه ذاك، وإن كان يمضي أغلب سنوات حياته في الألب السويسريّ بعيدًا عن الصحراء وحياتها. فهل أدب إبراهيم الكونيّ أو فنّه حنين إلى فردوسه المفقود؟ أم هو قضيّة مبدئيّة يتمسّك بها الفنّان ويكرّس نفسه وأعماله الأدبيّة والفنيّة والفكريّة للانتصار لها؟

الأمثلة على تضمين الغناء في روايات الكونيّ كثيرة، تتكرّر في دلالاتها بما يتناسب مع حياة الضرورة في الصحراء التي تتكرّر مفرداتها عادةً، وهي رتيبة في موقعها من نصوص الكونيّ، وتأتي ضمن أنساق أسلوبيّة في الصياغة، إذ غالباً ما تأتي في نهاية الفقرات، ولعلّ في توقيتها- في حفلات السمر الليليّة لدى الطوارق، كما بدا من النصوص، وانتهاء مجالسهم بالأشعار والغناء،- سبباً وجيهاً لتأخيرها في فيزياء الورقة في الرواية، وليس ذلك باطّراد تام في كلّ الروايات، ولكنّه يقع على الأغلب في حلقات سمرهم. أمّا في الأفراح فقد يعبّر عنه في وسط الصفحة من الرواية، وكذلك في طقس الختان، لكنّه في غالبيّته في نهاية المعنى المراد أو في نهاية الفقرات أو في نهاية الجلسات. أما ذلك الذي يغنّي في الصحراء منفرداً فهو الذي يشكّل فيزياء ورقة الرواية ويعطي بداية فقرة أو سطر، فهو ذلك الذي يغنّي منفردًا على الأغلب. فالأغنية تحتلّ موقعًا مركزيًا في ثقافة الطوارق، وهي لذلك تحتلّ موقعًا مماثلًا في العمل الروائيّ؛ للدلالة على فاعليّتها ومركزيّتها البنيويّة في السياق الإبداعيّ، وتفاعل ما بين الشكل والمضمون من وجهة نظر نقديّة حديثة.

ترد الأغاني لدى الكونيّ بأشكال عدّة؛ فهو يسمّي المغنّي، ويصف النساء المغنيّات والآلات، واللذة المتحصّلة من الغناء، وسلوك المغنّين، كما أنّه قد يتحدّث عن الغناء بشكل عامّ، أو يذكر كلمات الأغنية، وقد صار في رواياته المتأخّرة يضع الأغنية بشكل أطول في اللغة الطارقيّة مع ترجمتها في الهامش، أو يضع أغنية طارقيّة ضمن ما يمكن تسميته بعتبات النصّ، أي قبل البدء بالسرد، بعد عنوان من العنوانات الرئيسة أو الفرعيّة. وبحسب منظور النقد الثقافيّ يمكن لنا أن نستشفّ من صنيع الكونيّ هذا رغبته في جعل اللغة الطارقيّة في موقع مركزيّ في النصّ مع علمه بعدم قدرة القارئ العربي على فهمها، لذا يضع الترجمة العربيّة في الهامش، ليبادل الأدوار بين اللغتين. فهل يرغب الروائيّ بأن يجعل "تماهق" وهي لغة الطوارق مركزًا لا تحظى اللغة العربية بأكثر من هامش له؟

نماذج تحليلية:

- في قصّة الحمّى في مجموعة *شجرة الرتم* يُتّهم (شناني) بالزنا مع أخت الغرنوق التي "لم يحدث أن عاملها كامرأة قط! شاهدها في الأفراح والأعراس والأعياد ومناسبات الختان..." (21)

فالأفراح مكان مفتوح للطارقيّ لمعرفة الأنثى، وهذه المناسبات وما فيها من غناء تكون سببًا للمعرفة بين الرجل والمرأة لدى الطوارق. فالأغنية لها وظيفة اجتماعيّة ظاهرة، تتيح التلاقي والاختلاط، وتعزّز الطبيعة الاحتفاليّة للمناسبات التي ترد فيها. وحيث تكون الأغاني قد تنمو بعض العلاقات مع النساء المغويات، ففي أثناء هذه الاحتفالات، وربّما بسبب ما أتاحته الأغاني، اصطادته تلك الفتاة "نعم. لم يحدث أن عاملها كامرأة برغم.. برغم أنّها حاولت أن تؤكّد له أنوثتها مرارًا. تبادله نظرات ذات معنى.. وتتعمّد أن تقع تحت بصره دائمًا، أكثر من ذلك حدث أن غمزته غمزة واضحة يا لها من فاجرة!" [22].

- في رواية *البحث عن المكان الضائع* تصبح الألحان أيضًا باعثًا على معرفة الآخر ومفتتح اللقاء، يقول البطل للحسناء في خلوتهما: "هذه ليلة الأشعار، أسمِعيني لحناً من لحون الشجن"[23]. اللحن الذي يطلبه الفارس من المرأة هو الأشعار المغنّاة، لذا طلب إليها ذلك لأنّه لا يريد أن يتحدّث معها في أمور عقليّة صارمة، فوجد في الغناء وقول الشعر البديل عن ذلك، وصارت الأغنية موظّفة توظيفًا اجتماعيًا لتكون فاتحة طبيعيّة للّقاء العاطفيّ بين الرجل والمرأة، وهكذا يصبح اللحن طريقًا لإغواء الفارس: "روّضت لحناً من لحون الحنين القديمة، روّضته دمدمة في صدرها، ثم كفّت"[24]. ثمّ كانت خاتمة اللقاء بينهما، التحام النار بالماء، فالفارس هو النار؛ لأنّه "سليل القبليّ الذي صنع الصحراء"، والحسناء هي الماء؛ لأنّها عرّفته بنفسها قائلة: "نحن سلالة الماء التي أغوت فرسان الصحراء لينجبوا من أرحامهنّ أبناءً إنقاذاً للذرّيّة"، وختم المشهد بعد انتهاء الغناء بأن "سقطت بين ذراعيه، فحملها..." [25].

- يشكّل الغناء احتفالية التحالف بين القبائل كما في *فتنة الزؤان* التي حفلت بالغناء بأنماطه سابقة الذكر يقول الراوي: "وبرغم قناعة الجميع بأنّ الحدث يستحقّ أن ترقص له مهارى الفرسان فرحًا في الخلاء الممتدّ بين القبيلتين وتغنّي له الشاعرات ألحان الأشجان الخالدة..."[26]. فوظيفة الأغنية في هذا السياق اجتماعيّة سياسيّة إلى حدّ ما، تعبّر عن حالتي السلم والحرب، فالتحالف القبليّ يشكّل فرحًا للقبيلتين معًا، وخير وسيلة للتعبير عن الفرح هي الغناء، والنساء هنّ من يصدحن بهذه الأشعار والشجن الخالد، فيصير الغناء رابطًا للعلاقة بين القبيلتين، وقد كان من قبل الرابط بين أفراد القبيلة الواحدة نفسها، حين كانت تصدح به النساء بلسان جماعيّ.

- يكشف الغناء السرّ أحيانًا كثيرة؛ لذلك نجد الزعيم يحرّم الغناء حتّى لا ينكشف السر "... ويمنع المغنّيات أن يتغنّين به في أمسيات اللحون"[27]. ولعلّ الأغاني هي الثقافة السائدة والجوّالة في مجتمع الصحراء، وهي الأسلوب الأمثل لتناقل المعلومات، وإفشاء الأسرار وإذاعة الأخبار، أي

أنّها من أهم الوسائل الإعلاميّة في نطاق مجتمع الضرورة البدويّ، وليس يخفى على القارئ أهميّة الصوت في الصحراء وفي سياق الثقافة الشفويّة.

- يرتبط الغناء بالجن، فالصوت الحسن قادر على سلب الشبّان، وَشَلِّ أبدانهم، وجعلهم يقعون صرعى لحالات الوجد، هذا ما يشير إليه الراوي كذلك في *فتنة الزؤان* حين يقول: "ثم احتضنت الطبل، وقرعت لحنًا غامضًا، أطلقت الصوت بأغنية لم تسمعها صحراء الشمال، لا من جنّها ولا من إنسها، أغنية نالت سرًا فاق سرّ بسمتها التي أعجز وصفها أكبر الشعراء، وشلّت أبدان عشّاق الغناء وألهتهم عن الانطلاق والجذب. بل إنّ القبيلة تذكر أنّ أغنية الجن أصابت شرع الوجد لأوّل مرّة، فتاه عُبّاد الجذب في المجهول، ولم يقعوا صرعى الوجد إلاّ بعد أن غاب صوت الساحرة، وانتهت فتاة الأغراب من الأغنية"[28]. الأغنية هنا تشتبك مع جملة قضايا في الثقافة لدى الطوارق، فهي قد تبلغ درجة عالية من التأثير يوازي السحر، وقد تنسب لجمالها وروعتها إلى الجن، الذين يفوقون البشر في كلّ صناعة بحسب فهم أهل الصحراء، وهي صوت الغريب الذي يحسّ بالأنس من خلالها، ويؤثّر بالسامعين بسبب الشجن الذي تمتلئ به نفسه، وأخيرًا يربط الراوي بين الطرب في حال سماع الأغاني وحالات الجذب الصوفي الذي شاع وذاع في الشمال الأفريقيّ على أيدي أصحاب الطرق من الدراويش المتصوّفة، ولاقى هوًى في نفوس الصحراويّين.

- وقد تلهي المغنّيةُ الساحرةُ القبيلةَ، وقد ورد في القول التالي في حسناء الأغراب التي "استطاعت أن تلهي القبيلة وتنسيها غرابة أطوارها عندما وجدها الفرسان تتقن الغناء. فتحوّل العراء الممتدّ أمام بيتها ساحة للسمر كلّ ليلة (...) ويتسلّون بسماع "أمزاد" ويرافقون هذه الآلة العجيبة"[29]، فالأغنية تتّصل بالسحر كما اتّصلت بالجن، وما تزال المرأة هي الأبرع في الغناء والإغواء من خلال الأغاني، ولما كان الفرسان الصحراويون بحاجة إلى هذا اللون من اللهو أو الراحة، فإنّهم قد يفتنون به، وعلى الأخصّ إذا كان على لسان امرأة ساحرة، وسحرها ينبع من حسنها أولاً، ومن أنها غريبة وصاحبة صوت ساحر ثانيًا، وربما كانت هي كذلك العازفة على آلة العزف أمزاد أخيرًا. فالأغنية تصير أسلوبًا لاندماج الغريبة في المجتمع القبليّ، والتأثير البالغ فيه، بما يوازي حالة السحر، فقد جعل الغناء هؤلاء الفرسان ينسون غرابة أطوار هذه المغنية حتّى فعلت فيهم فعل السحر.

- وقد يلجأ العاشق إلى الغناء فيُغنّي "الليل كلّه" إلى أن يمنعه شخص آخر "عليك أن توقف الغناء في الحال (...) تعلّم أن تتجنّب الغناء إلى حين، أهل العقل لا يداوون الجراح بحفنة الملح"[30] -إشارة إلى لجوء المحب إلى الغناء لإدامة حالة العشق-، فالغناء يؤدّي وظيفة نفسيّة على درجة عالية من الأهميّة، لأنّه يوازي حالة العشق ويبقيها حاضرة، ممّا يجعل المغنّي غائبًا عن عقله، فكأنّما هو غارق في حالة العشق ذاتها، ويرتفع صوت الآخر ليوقفه عن الغناء ويعيده إلى

رشده، ويصرفه عن حالة غياب العقل. وقد يصف الكونيّ الألحان ويعاملها معاملة (الودّان) وهو يستخدم لفظة "يروّض اللحن" للتعبير عن إتقان الشخص الألحان، أو يصف لحناً بأنّه مميت[31]، للدلالة على أثر اللحن؛ ليشرك القارئ في الحزن أو ما شابه، وفي ذلك إشارة إلى فاعليّة ذلك اللحن ودور الغناء وأهميّته بوصفه مهارة فرديّة بالغة التأثير على صاحبها وعلى مجتمعه في الآن ذاته.

- وقد يأتي الغناء تعبيرًا عن طقوس الاستسقاء الغائرة في عمق التاريخ الدينيّ والاجتماعيّ للجماعة، فتكون الأغنية التالية:

"أمطري أمطري
بيتنا قد خوى
ما بقي من طعام لنا
غير حَبِّ النّوى"

ويرقص الصبيان عراة في العراء. يرفعون الخطاب القديم إلى السماء. وصيّة الأسلاف، تميمة النجوع والجوع، رجاء البطون ونداء الأرض الجدباء"[32] وهو بذلك ينقل طقس الاستسقاء خصوصاً عندما يكمل وصفه بعري الأطفال، ويكرّر الأطفال تلك الأغنية، فتنهمل الأمطار معبّرة عن استجابة السماء بفعل تلك الأغنية الطقسيّة الاجتماعيّة والدينيّة الدالّة على أبرز خصائص المجتمع وعاداته وطقوسه ومعتقداته، والواصفة حالاته وحاجاته الطبيعيّة، وكيفيّة التصرّف لتلبيتها في الطقس الشعائريّ.

- في رواية *مراثي أوليس المريد* يفرد المؤلّف جزءاً تحت عنوان "اللحون" مقدّمًا هذا الجزء بعتبة نصّ مقتبسة من (هنري برغسون) تصوّر انعكاس نواح الإنسانيّة أو فرحها على ألحانها "عندما تنوح اللحون، تنوح مع نواحها الإنسانيّة كلّها، تنوح مع نواحها الطبيعة كلّها"[33]. هنا يتخذ اللحن بعدًا وجوديًا وإنسانيًا عالي القيمة وتصير الأغنية أشبه بنداء طبيعيّ يعبّر عن الحزن الإنسانيّ العامّ، والأسى الوجوديّ الكبير الذي استمدّه الإنسان من الطبيعة ذاتها، وهذا الأمر يفصح عن الدور الذي تنهض به الأغنية وما فيها من اللحن في النصّ الروائيّ برمّته، فيصير المحور الرئيس فيه رهيناً بما تقدّمه الأغنية، أو يفصح عنه اللحن، ممّا يعزّز تواشج شكل النصّ الروائيّ مع مضمونه.

ويرد في الرواية على لسان امرأة أنّ "الشعر معجزة لم تُخلق للنساء... وأنّ المرأة ربما أتقنت الغناء"[34]. وفي ذلك تخصيص لأثر غناء المرأة في الرجل، ومقدار الغواية التي يمكن للمرأة أن تمتلكها من خلال سر الأغنية وما يرافقها من اللحن، ولعلّ سحرها يزداد عندما تغنّي

المرأة شعر الرجل الذي يفوقها هو في نظمه وقوله، لكنّها هي من تكون الأقدر على إسماعه إياه بصورة سحريّة عالية التأثير، وقديمًا ألف العرب أن يُسمعوا الرجل شعره مغنًى على لسان المرأة حتى يعيد النظر فيه من جديد، فقد سمع النابغة الذبيانيّ شعره على لسان القينة المغنية، فعرف ما فيه من إقواء، فقد روى ابن قتيبة في الشعر والشعراء "أنّ النابغة الذبيانيّ وبشر بن أبي خازم كانا يقويان، فأمّا النابغة فدخل يثرب فغُنِّيَ بشعره ففطُنَ فلم يعد للإقواء"[35].

- ويشير الكونيّ على لسان أحد أبطاله إلى أهميّة الغناء، ويمنحه جانبًا كبيرًا لأن يعيش الإنسان من أجله فيقول: "أيقنت أنّه إذا كان ثمة شيء في دنياكم يستحقّ أن يحيا الإنسان من أجلة فهو الغناء!"[36]. فهذا الفنّ لا يبقى نافلة من الفعل، إنّه يغدو ضرورة من ضرورات العيش، وقيمة تستحقّ أن يقف المرء حياته عليها، ففي هذا يكون الغناء قيمة إنسانيّة سامية، أو مهنة عالية الخطورة في الحياة، وربما نُظر إليها على أنّها رسالة إنسانيّة من نوع ما. وهكذا تَغْنَى الروايةُ بفنّ أصيل في حياة الإنسان ليتجاور البعد القرائيّ المنظور مع البعد الغنائيّ المسموع، فتتداخل الفنون بأكثر من نوع من أنواعها في العمل الروائيّ الذي يغدو مناظرًا للحياة الواقعيّة، وشبيهًا بالاحتفالية الكاملة للعمل الروائيّ، وتدخل الرواية باب الشعر أو الشعريّة من جرّاء هذا التلازم فيها بين الغناء والكتابة، ولعلنا نعي أنّ الشعر شفوي الطابع في أصل وجوده، بينما الرواية مرهونة بعصر الكتابة والثقافة الجماهيريّة القائمة على الطباعة واقتناء الكتاب والقراءة فيه، وهكذا تغدو الرواية باحتفالها بالغناء جامعة بين الثقافيّ الشفويّ القريب من الطبيعيّ والمنبثق عنه، والثقافيّ الحادث المتمثّل في الكتابة، وهو العمل الروائيّ المتطوّر عن القصّ الشفويّ، وهذا ما يجعل الرواية تحوي جانبًا عظيمًا من الشعريّة المأمولة أو المبتغاة.

- وقد يستخدم لفظة أغنية للتعبير عن عذاب البطل وأنينه كما في رواية *الفزّاعة*: "وعاد إلى أغنيته الموجعة التي لم يدرك لها أحد سرًا:... آ... آ... آ... آ"[37]، فالأغنية من أبرز الأفعال الإنسانيّة القادرة على تفريج الكرب بوصفها فعلًا وجوديًا تطهيريًا، فعلى الرغم من الوجع المصاحب للنفث بها إلاّ أنّها تؤدّي في نهاية المطاف إلى التفريج عن الكرب الذي يسيطر على المرء ويجتاحه.

- وتختزن بعض الأغنيات إضافة إلى البطولات والعشق "أحزان الباحثين عن "واو" وعن الحنين الذي يفترس قلوب كل الصحراويّين"[38]، وتغدو الأغنيات سجلًا لعذابات الناس وأشواقهم وحنينهم، وهي بذلك تصير حاملاً ثقافيًا لكثير من ملامح حياة الصحراويّين وأساطيرهم وأشواقهم القلبيّة والعقليّة وأخيلتهم ورغباتهم التي كونتها ثقافة الصحراء عبر الزمن الطويل، وليس غريبًا أن تغدو الرواية بهذا سجلًا صادقًا لحياة الجماعة الأصليّة، وحافظًا أمينًا لكلّ تحوّلاتها، فالرواية في

بعض صورها هي ملحمة للعصر الحديث، وليس بدعًا أن تحمل روح الشعب الذي تؤرّخ له، كما في حالة الكونيّ الذي يؤرّخ للطوارق.

- وفي التعبير عن الفرح ترد عبارة "واستوت أنساق اللحون في حناجر الصبايا، وبلغ الفرح ذروته"[39] نقيضًا لاستخدام روّض لحنًا في سياق غناء الأحزان، فالأغنية تعبّر عن الفرح كما تعبّر عن الحزن، وتصير ملمحًا ضروريًا من ملامح المجتمع الصحراوي في حالاته جميعها.

- وقد تستخدم الشخصيّة في الرواية الترنّم بالألحان لقطع الحوار بينها وبين شخصيّة أخرى، بديلاً عن سكوتها برهة أو صمتها "...فلا تسمعيني أقوال تلك الحطبة اليابسة! تترنّم بلحن قديم. تقاطعها عمدًا: كل القبيلة تقول إنّ الحكيم بكلّ شيء عليم. تسكت، فتضيف قولًا جديدًا..."[40]، فالوظيفة التي تنهض بها الأغنية، أو التي يقوم بها اللحن، هنا هي وظيفة مزدوجة؛ تتّصل بالمنجز الثقافيّ على صعيد المضمون في الفرح أو الحزن، في البعد النفسيّ أو الاجتماعيّ. وفي الوقت ذاته تقوم بوظيفة تقنيّة في السرد حين تكون بديلاً عن الوقفة في الحوار لغاية في نفس السارد أو في مخيّلة المؤلّف الضمني الذي يريد أن يمنح الشخصيّة الروائيّة وقفة في أثناء الحوار ليعبّر للطرف المقابل عن رأي ما من خلال التحول من الخطاب المباشر إلى نمط من التواصل والانقطاع من خلال الأغنية أو اللحن، فاللحن الذي يصدر في هذا السياق يقطع الحوار لكنّه في الآن ذاته يصله بأسلوب ما، هو الغناء الذي يؤكّد أنّ التواصل من خلاله أبلغ من استمرار الحوار واتّصاله.

- كما أنّ الغناء قد يستخدم في تمجيد "حسن الخلاسيّات والسوداوات"[41]، أي يقوم بدور اجتماعيّ ظاهر بتعداد المناقب والمآثر لهذه الفئة أو تلك من المجتمع، فالحديث هنا يغدو عن مضمون الأغنية التي تعرّف بخصائص هؤلاء النساء وصفاتهن، وقد لا يكون مسوّغًا أن يتناقل الناس تلك الخصائص دون التماس اللحن والأغنية للإفصاح عن ذلك.

- أو قد يستخدم تعبيرًا عن التصحّر، فيصير غناء فجائعيًّا، وذلك نقلًا عن الشاعر الرومانيّ (أفيدوس) "ليبيا تصحّرت، القيظ اختلس الرطوبة، فناحت الحوريّات"[42]، وهذا النواح الوجوديّ الصادر عن الحوريّات أشبه بالثيمة التي تؤسطر الغناء لما فيه من أبعاد ميتافيزيقيّة، فهو يصدر عن مخلوقات بحريّة أو سماويّة راقدة في مخيّلة الإنسان الصحراويّ وغير الصحراويّ، فالوظيفة المنشودة من الأغنية هنا هي وظيفة اجتماعيّة ونفسيّة ووجوديّة وتحمل طابعًا أسطوريًّا لا يمكن نكران ظلاله في نفس السامع؛ سامع العبارة، أو سامع الأغنية بصوت النواح العجيب.

- أما في رواية *الخسوف /1- البئر* فالغناء طقس أشبة بالطقس الوثنيّ يرتبط بأسطورة (تخليص القمر من أعدائه)، حيث يسرد الراوي طقس الطوارق عند حدوث الخسوف، ويبدأ الجميع بالطبل والموسيقى والغناء الجماعيّ، بما يشبه التراتيل الوثنيّة.

"يا قمر أنت حبيبنا

هل تخوننا؟

الصحراء قدرنا

العطش مصيرنا

أنت ملك النجوم

قاهر الكواكب

نصيرنا...

استمرّ الغناء حزينًا، صوفيًا، كالصلاة، يفضح فجيعة.

استمرّ حتّى الفجر عندما وقع أخنوخن في الوجد.

سقط كالمصروع، ثمّ تدحرج حتّى بلغ سور البئر حيث تتجمّع النساء." [(43)].

فالكاتب بهذا ينقل ثقافة الطوارق في حلّهم أو في مواجهتهم لمظهر كوني، ولمّا كان غريبًا تمّت مواجهته بما هو غريب أيضاً، ومخاطبة القمر بلغة رقيقة شفّافة.

- وقد يوصف اللون عن طريق اللحن في بعض الروايات:

"السواد، أسير الدينونة،

ولكنه يرتوي من لحون الديمومة.

والبياض أسير الديمومة،

ولكنّه يرتوي من لحون الدينونة."[(44)]

اللحن هنا هو جوهر السماع، واللون بصريّ بطابع إدراكه، والوظيفة التي يمكن للحن أن يقوم بها في هذا السياق هي أنّ حواس الإنسان تتراسل فيما بينها، فتغدو الألوان مدركة من خلال الألحان، والألحان مدركة من خلال الألوان، ليس غرامًا بالجناس الماثل في اللحن واللون ولكن إدراكًا لوحدة الكون وانسجام موجوداته، ولعل اللحن والغناء في أسّ وظيفتهما يستثمران هذه الظاهرة الوجوديّة استثمارًا عجيبًا، ففي الأغنية نحن نبحث عن سرّ المعنى الذي يبوح به جمال الصوت المجرّد في الكلمة وتلحينها.

- ولاكتمال طقوس الغناء والتعبير عنها باهتمام نجد الكونيّ يصف بعض آلاته من مثل "البندير": "نقر العم سليمان حافة "البندير" بأطراف أصابعه فعلا صوت الطبل، تكلّمت قطعة الجلد المحبوكة حول الخشبة.." [45]، وفي ذلك تعريف بآلات العزف والغناء لدى الطوارق، وبيان لعناصر الثقافة الخاصّة بهم.

- ويصف أيضاً (أمزاد) الآلة الوتريّة في وصف مشهد الأعراس فيقرن صوت المغنّية بالصوت الذي تحدثه رياح الشمال، فالغناء المتعالي الصوت للنساء، وراء خيمة العريسين، أو خلف خبائهما، يشكّل إخفاء لصوت العريسين في اكتشافهما سرّ الوجود الأبدي[46].

- وكما أنّ للإنسان أغنية وللصحراء كذلك، فإنّ حيوانات الصحراء وطيورها يُعَبِّرُ عن أصواتها بلفظة الغناء؛ فغناء الوقواق "غناء بعيد ملحاح وغامض، غناء الوقواق يزيد صمت الغابة غموضًا وسحرًا"[47]، وهذا نوع آخر من الغناء الوجوديّ أو الكونيّ، وفيه يضفي الروائيّ المعنى الثقافيّ على الموجود الطبيعيّ، فيجعل الوقواق حاملًا للبعد الإنسانيّ من الفرح أو الحزن من خلال ما يسبغ على صوته ولحنه الشجيّ من المعنى، وما يمنحه من الدلالات، وقد جعل الكونيّ عنوان الكتاب الرابع من رباعيّة الخسوف تحت عنوان *نداء الوقواق* إمعانًا منه في أنسنة هذا النداء وما فيه من لحن وغناء.

- ويشير الكونيّ في *الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية*، إلى مركزيّة الغناء في أعماله، فيورد العنوان: "واحة كبيرة تضجّ بالغناء"[48]، ثمّ يذكر نعيه لبطل القصّة، مشيرًا إلى حرمان البطل (جبران) من الغناء حيث يأسى على مصيره؛ لأنّه "لم يسعد برؤية الواحة الكبيرة... والمزامير والرقص، والغناء"[49]؛ لأنّ الغناء لدى هؤلاء القوم يشكّل جوهر الحياة، ولأنّه يعبّر بصدق عمّا فيها من متع أو معاناة.

- في الوقت ذاته تشير عتبة النصّ للمجموعة المعنونة بـ (واحة تعجّ بالغناء) إلى النهاية الحتميّة لبطله الذي لم يسعد بالغناء بوصفه تعبيرًا عن الحياة، كذلك يأتي التقديم لها ليصبح الغناء رمزاً للحرية في ليبيا حين يشير في عتبة النص إلى حوار "غراسياني مع عمر المختار قبل تنفيذ حكم الإعدام"[50]، فبعد استشهاد عمر المختار، علت الزغاريد والأغاني لكنّه لم يسمعها، وكذا كان بطله (جبران) في القصّة.

أما الإشارات إلى الغناء تقنية وفناً ضمن العمل الروائيّ فجاء مكثّفًا في روايتي *السحرة والمجوس*. وليس بعيدًا أن يوحي العنوان في الروايتين بأنّهما ستشكّلان مرتعًا خصبًا لفنّ الغناء.

في رواية *المجوس* نعثر على ثيمة الغناء في مواضع مختلفة ومتنوعة، وكذا تحفل رواية *السحرة* بكمّ هائل من الإشارات القائمة على التنوّع في الغناء والتطوّر في استخدام آلاته، واشتراك الرجال والنساء فيه على حدٍ سواء، واستخداماته المتعدّدة في الاستسقاء أو استقبال الفرسان أو في الأعراس أو في التعبير عن جمال امرأة أو رشاقتها[51]. والملفت في الروايتين إثبات نصّ الأغنية باللغة الطارقيّة (تماهق) ما بين هامش إلى متن، وذلك تأسيساً لملحمة المفاهيم مشروع (الكونيّ) الأكبر.

في هاتين الروايتين تنوّع هائل لاستخدام الغناء سواء في التقنية أو في دواعي الغناء ومسبّباته، فالنساء يستقبلن الرجال بعد النصر مرتديات أجمل الثياب، منتظرات الأزواج بغناء "الحنين الحزين"[52].

وكما سلبت المدينة صوت المغنّي في قصة "إلى أين أيّها البدويُّ؟ إلى أين؟" فإنّ الحب قد أفقد (أوداد) صوته لتعلّقه بمعشوقته، فقد أقيم للبطل حفل زفاف "ينازع أعراس النبلاء... ولكنّه في ليلة الدخلة عجز عن الغناء وفقد صوته"[53].

واستمر عجزه عن الغناء "في الليل جلس فوق عرش الرمل بجوار الركيزة مهمومًا، وحتّى عندما انتصف الليل ووضعوا يد حوريّته العاشقة في يده لم يفق من عاره. من أين له أن يعرف أنّ طائر الفردوس يتخلّى عن عاشق رهن قلبه في يد معشوق آخر؟"[54]. فلقد استخدم الغناء بديلًا استعاريًا للتعبير عن العجز في ديمومة الأبديّة بين الرجل والمرأة.

ويمكن وصف رواية *المجوس* بأنّها نصّ (الغناء والفنون) فنجد إشارات كثيرة إلى "مباراة الغناء" بوصف الجوّ الكلّيّ لطقس المباراة وتفوّق "حكماء آزجر" حيث يربطون "سرّ الفعاليّة في سحرهم إلى تفوّقهم في الموسيقى والطرب والأشعار" بل يصف الكونيّ تأثير غنائهم بأنّه "يجعل الحجر الأخرس يجذب ويطرب ويقع في الوجد"[55] أو يصف أصوات المغنّيات أو مهارة حدادة (آير) في صناعة آلة الطرب (أمزاد) ويصفها وصفًا دقيقًا لأهمّيّتها، ويورد مقطعًا: (من قصيدة قديمة لشاعر مجهول) على صيغة الأغنية بلغة (تماهق) كما هي، مترجمًا النصّ في الهامش:

"أدّران ويلني طيلمين د مناس

أدّران وونلي آر تيغراس

الرّزغن ديدغ آسوغدن دونفاس"[56]

ويثبت ترجمته الآتية في الهامش:

أحياء أولئك الذين لا يملكون القطعان والإبل.

أحياء أولئك الذين لا يملكون سوى الأنفاس.
لأنّ الرزق سيسعى للإنسان طالما بقت روح في بدن.

ثم يذكر مقطعًا آخر على لسان أوداد البطل:
"الدونيان – تزيديرت ات كرّاس
وديسيقيم آر ايدينان غاس
وساس كور يرى آضو يغلا ياس
اد كومبت سابده تكرّاس فولاّس"[57].

ويُلحق الراوي في *السحرة* أثر ذلك الصوت والغناء بعامّة في الجميع حيث ينشد "الدرويش" ويتوسل للبطل أن يعلّمه الغناء، ففي الحديث عن أثر الغناء يقول: "ولم يعرف أحد في الصحراء لماذا يستطيع الغناء وحده أن ينفرد بالمعجزات فيطيح بوقار النبلاء ويذيب خجل العذارى"[58].

ويشكّل الغناء في رواية *المجوس* سرًا من أسرارهم، وفنًّا وسحرًا يُقابله ما قام به الدراويش أو شيوخ الطريقة القادريّة، حيث يطلب (الدرويش) -الذي يُمثّل صفة الداعية الذي ينشر الدين والمساواة- من البطل أن يُعلّمه الغناء ويأخذه إلى الجبال ويتنازل له الدرويش عن كلّ شيء مقابل ذلك، لكنّ الغناء والجبال هي بديل ثرثرة الدراويش وما يلحق بها، فيعلّق الراوي بجملة تشكّل الموقف جُلَّه: "هيهات أن يسمع ثرثرة الدراويش من دخل بوابة المجهول ونَهَل من ينبوع السرّ"[59].

وإذا كانت تتّصف أغاني الطارقيّ بالحزن والتحسّر، فإنّها في جلّها تحسّر أبدي على "مَنفيٍّ شَقيٍّ عاش في الصحراء طلباً لـ "واو" ولكنّه مات دون أن تفتح له أبوابها"[60]. وتشكّل الأغاني بنظر الطارقيّ، الذي يسرد الكاتب قصّة حياته، طريقة للتلاقي والتعارف بين شبان الجهات الأربع في الصحراء لكي يوردوا إبلَهم الماء، فالغناء يشكّل حلقة الاتصال بين الطوارق جميعاً، وهي رابط أساس؛ إذ يتّفق جميعهم عبر الأغنية الحزينة في الحنين إلى (واو) المفقودة، فالأغنية هي التي توحّد همّهم وتذكّرهم بهدفهم الأسمى وهم متأكّدون من تحقيق هدفهم في الوصول إلى (واو) فكما يعود كلّ جَمَل تائه إلى "بئر السهل في آزجر الذي تردّه الإبل المفقودة" فانّ الوصول إلى (واو) قائم إلى أن يعثر عليها. وهذا ما يظهر في أغنياتهم، وممّا يجعل النغم الحزين مسيطراً عليها وخصوصاً أغاني (أساهغ) و(مواويل المهاجرين) [61].

ونجد في غير موضع من الروايات كيف يخلّص الغناء من الخلاف ويؤدّي إلى الوئام، أو كيف تشترك الجنيّات أو المردة في الغناء مع البطل كما حدث مع (موسى) في رواية *المجوس*[62]. أو كيف يجري من خلال الأغاني تدليل الأطفال[63]، أو ما يقوم به (الراعي) مع القطيع من الغناء للحيوانات[64]، ويصل التجلّي بالغناء إلى الوقوع في حالة الوجد، وكيف دخلت الصوفيّة إلى الطوارق، وكانت أداة تعبيرهم الأكثر هي الغناء.

يقول صاحب الطريقة القادريّة: "هزّتني أغنية آيريّة مرّة وأحسستُ بقلبي يحترق ورأسي يفور، نزفت عرقًا كثيرًا ولكنّي لم أقع...... "[65].

شكّلت مقاطع وصف أثر الغناء مفتتحًا لحالات الوجد والتطرّق إلى مقولة النفّريّ "كلّما اتّسعت الرؤية ضاقت العبارة"[66]، ومقولات المتصوّفة في غير موضع، وتتحوّل رؤية الرواية في الحديث عن الصوفيّة مقابل الصحراء بكلّ معتقداتها إلى نقاش يبدأ أصله بسماع البطل الغناء، "عزفتْ لحنًا شجنيًا وردّدت وراءها الحسناء أغنية جديدة لم يسمع أحد كلماتها من قبل، يقول المقطع الأول:

"لا أحد يعلم لماذا هي مشبوهة دومًا المرأة الوحيدة،

لا أحد يعلم لماذا هو قدّيس دوماً الرجل الوحيد".

ختمت القصيدة بالبيتين الفاجعين اللذين أصبحا تعويذة العابرين منذ ذلك اليوم:

أوكلان مان. ن _ مان، ن _ مانين

إدّمتغ إد - أوماسغ غاسين"[67]

[مسكين، مسكين، أنا، سأموت، وأصبح وحيدًا، أنا]

ويدخل البطل جرّاء هذا الغناء في حالة من الوجد، إنّ ما يُريد أن يشير إليه الكونيّ هو أنّ الغناء يؤثّر في الإنسان تأثيرًا بالغًا، والحالة التي يسعى إليها الدراويش من الوجد أو ما يسمّى بلغة تماهق (آجولل) وهي (حالة وجدية شامانيّة يؤدّي إليها الغناء)[68]؟ قد تخلقها أغنية طارقيّة قديمة أو حديثة كتلك الحالة التي توصلها أغنية صوفيّة. وإنّ أثر الصوت يخلق تلك الحالة، ليس فقط أغاني الدرويش أو كما يصف هذر الدراويش في أكثر من موضع، ولأنّ هذه النتيجة المتحصّلة واحدة فقد عبّر الكونيّ عنها بدمج اللغتين؛ العربية بوصفها تعبيراً عن لغة الدرويش و(تماهق) بوصفها لغة الصحراء. فدمج بين اللغتين في مقطع واحد. وفي الرواية إشارات كثيرة متكرّرة عن الغناء، وقد اكتفيت بأخذ أكثر النماذج دلالة وغنى.

في رواية السحرة التي تفيض بالغناء ووصفه ووصف أثره، وجِدّة الألحان به، وأغانٍ جديدة تؤرّخ لفنّ الغناء الطارقيّ، والآت جديدة، وكيف يتدرّب الطارقيّ، ويتعلّم الغناء، إذ يسير يدندن ألحانًا في صحرائه مع القطعان، ثمّ يقوم بتلحينها وفق لحون معروفة من مثل (اساهغ)، ويُعيد ذلك مرارًا حتى يستقيم له لحن من اللحون، وبهذا فكلّ طارقيّ يُجيد الغناء كما يذكر، تصديقًا لمقولة الكونيّ.

في رواية *السحرة* يضع الكونيّ نصوص الغناء كاملة بلغة "تماهق" متناً، ويقابل كل نص غناء منها نصّ آخر بالعربيّة، هو هامش ترجمة له، وبالإضافة إلى ما تُضفيه اللغة المغايرة لقارئ دخل في أجواء التميمة والسحر، فقد جاءت الأغاني كذلك سرًا أو تميمة ساحرة، ولا أحد يُنكر تأثير ذلك على متلقي النص عند قراءة الرواية، فهو سيحاول جاهدًا معرفة طبيعة هذه اللغة الغريبة، المكتوبة بحروف العربيّة وما هي منها، فإذا لم يستطع القراءة لجأ إلى الهامش العربيّ.

فمن تلك الأغاني:

"بورو آغزّارام

بورو ايمستغ

بورو آغرارام

بورو آبسغ

بورو آوارا"

ويظل يُعيد (بورو آوارا) بأعلى صوته، يخرجها من نسق: (هلى – هلى) ليُدخلها في لحن (أساهغ)، وهي أغنية يعيدها الراعي يتحدّث فيها عن ضبّ وسنونو وطلحة وحوار[69]، وهي المفردات الصحراوية التي يعيها ابن الصحراء منذ البداية. والطارقي يتعلّم الغناء "من أفواه الكهوف ونواح الرياح"[70].

ولعلّ أجمل ما يصف الغناء وأثره هي مناسبته، وهذا ما يذكره الكونيّ في رواية *السحرة* حول الزفاف، فهو يقدّم "مراسيم الزفاف" بدءًا من التحلّق حول "تهيجالت (وهو) طبل محبوك من جلد الجمل يستعمل في مناسبات الزفاف"[71] أو هو "طبل لا يُقرع إلاّ في الأفراح"[72]، وصولاً إلى تجمّع الناس، وحالة الوجد والرقص الذي يصيبهم جرّاء الغناء؛ "ليسافروا في الزمان البكر الذي لم يعرف الزوال إلى سدنته طريقًا ليقسمه إلى الثالوث الفاجع: الماضي، الحاضر، المستقبل، سافروا ليسبقوا إلى أعتاب الأسلاف"[73].

فاستمع إليهم حين يتلقّون خبر البشارة عن عذريّة العروس، عبر الأغنية الآتية:

"وتزغشّم انكتماس

وترزري ايغسان دغماس

وتفرين تمارت ايتيس

وتنزيف تيعرين اينغاس"

وترجمتها في الهامش:

"لم تخجل الخال

لم تكسر عظمًا في بطن الأم

لم تكشف لثاماً عن رأس الأب

لم ترفع صوتاً في حضور الأخ "[74].

فالأغنية تذكّر بأهم ما يجب أن تكون عليه المرأة، في الوقت الذي تقدّم فيه أهميّة الرباعيّ المقدس في حياة المرأة، المكوّن من (الخال، الأم، الأب، الأخ).

يعلّق الكونيّ بلسان الراوي على ما يحدثه الغناء من أثر في غير موضع، ولكن من أجمل ما يقوله، هو ما يرد في المقطع الآتي: "في تراتيل الغناء تخفّي (؟) توسّل، صلاة، حنين، فجيعة. هرع جبابرة إلى الأسرى الذين يرتجفون شوقًا للسفر بالبشارة، مرّر الجبابرة على أجسادهم مُدًى صنعها سحرة الواحات من أخلاط المعادن السحريّة، نحروا الجنّ ومزّقوا عن المجذومين الأغلال"[75]. ويُكمل الكونيّ بقيّة مراسيم الزفاف وما يُصاحبها من غناء على (إمزاد). ويتحدّث عن عروس تُغنّي لها النسوة بلغة (الهوسا) لكنّه لا يذكر شيئاً منها[76].

وهناك إشارة إلى أنّ أنغام الصحراء قد فتنت الجبال والصحراء، وأخذتها بل توضّح كيف جعلتها تنهار "وتركع وتنسى الكبرياء.... بهذه المكيدة قضت الرحلة على الفردوس الأول وابتلعت "واو الكبرى"[77]. وحالة وجد الصحراء هي تلك التي أفقدت الكون "واو الكبرى" وأطاحت بها كما يُطيح الرقص والغناء بالنبلاء.

في موضع آخر يمكن للأشعار أو للغناء أن يكون سلطاناً يوقع العار بشخص ما في القبيلة، إذ تجد الشاعرات والمغنّيات "الفرصة لِلَعن الخونة بالأشعار وأشعار الشاعرات الموهوبات هو ما يخشاه (الخَوَنة) في القبيلة أكثر من خشيتهم للعار نفسه... الخوف من الأشعار هو سبب هلاك ذلك (الخائن)" [78].

وفي هذه الرواية نجد الراوي أو المؤلّف الضمنيّ، أو قُل الكونيّ نفسه حيث يصنع أسطورته الشخصيّة متّحدًا مع البطل (بوروا)، ويأتي جزء من الرواية تحت عنوان (القِران) يتغنّى به قبل البدء بالحديث؛ أي في صفحة التقديم أو التمهيد فيقول:

"نكْ آمان

نك الهين

نك تزوليت

نك آمَضَال

نك، كيّونان، إيلَلْ

وترجمتها العربيّة في الهامش:

"أنا الماء

أنا الجان

أنا المعدن

أنا التراب

أنا، هو أنت، أيّها السراب"[79].

وكما يتضح فإنّ التكرار هو نغم الصحراء بعامّة، وهو في الأغاني لازم كذلك، ووجود الأغنية متنًا طارقيًا، والترجمة هامشًا عربيًا، له دلالة ثقافيّة وتاريخيّة هامّة فيما يخصّ هذا الشعب وعلاقة الكونيّ به، وقد سبقت الإشارة إليه، وتمّ تحليل طرف من دلالته.

أمّا الحديث عن لحظات تحريم الأشعار والغناء في الصحراء، فقد أشير إليه وجاء ذكره في مواطن عديدة، حيث قام "الكهنة باستئصال ألسنة عشرات الشاعرات فجرّ ذلك على القبيلة الخسران"[80]. هذا ما يصفه راوي الكونيّ تحت عنوان (الأغاني) في رواية *السحرة*، "خلال الزمان الرهيب الذي خضع فيه أهل الصحراء لشرائع السحرة، وتوقّفوا عن الغناء، فقدوا من الخلق أكثر من ممّا فقدوه في ظلّ إرهاب الجنّ، وأكثر ممّا فقدوه زمن طغيان الأسقام والأوبئة، وأكثر ممّا فقدوه في صدّ الغزوات عن الصحراء، أو في زمن شنّ الحملات على قبائل الأدغال لاستجلاب العبيد والسبايا"[81].

ويصبح الصوت فقط هو اللغة التي توحّد كلّ موجودات الصحراء دون حاجة إلى ترجمان. ويشير إلى سر الحزن والحنين في الأغاني الطارقيّة، فبعد هذا الأسر أو الاختطاف طافت الأغاني و"ارتوت من ينابيع (هرو) وتحمّمت بأنفاس (أمناي) وعرفت معنى العشق في وطن (تانّيت) فنزلت

في حناجر العذارى،وسكنت أصوات الشاعرات، ترنيمة إلهيّة، وابتهالًا سماويًا، وتلاوة لأوجاع المنفى الأرضيّ"[82]. فأصبحت الأغاني تمجّد الآلهه، وصارت الآلهة تأخذ نصيبها من كلّ شيء (والأغنية في النهاية). فالغناء يمجّد (هرو: إله المطر) و(أمناي: إله الريح القبليّ) و(تانّيت: إلهة الجمال والعشق والإخصاب).

وفي رواية *السحرة* يصير الرجوع إلى الغناء تصالحًا بين السماء والأرض، ويرد وصف الغناء المطلوب كالآتي: "يستوجب تطعيم الألحان بأصوات لا تدين بميلادها لناموس الزمان، ولكن لسلطان الإلهام"[83].

لذلك لم يكن سهلاً العودة إلى الغناء بعد تحريم السحرة له، وقطع الألسنة. ويشير في خاتمة الرواية "واسّوفغ، واهيد إيجمضن سناتت تيكّال"[84] ومعناها (أحبهم إليّ من خرج منّي مرتين)، وفيها أيضًا يمكن للّحن أن يكون "ترياقًا للسقم، أو بلسمًا ضدّ الوجع"، لكنّه لشدّة ألم البطل لم يكن كذلك.

ويقوم الكونيّ من خلال المؤلّف الضمنيّ أو الراوي أو الشخصيّات الروائيّة العديدة والمتباينة بالتعبير والإفصاح عبر الأغنية عن كلّ ما هو طارقيّ بامتياز، ذاكرًا الأغاني بلغة (تماهق) ومؤكّدًا مقدرة الأغنية على صناعة كلّ شيء[85]. وعلى التأثير في كلّ شيء، كما يصف أدوات الغناء وأثره، أو الإشارة إلى عدم التمكّن من الغناء لانشغال البطل في مراسم دفن الجدّة (تامغارت) وكأنّ الغناء حدث يوميّ هامّ يجب القيام به[86]. والإشارات كثيرة أيضًا إلى ترديد الأبطال لحوناً في حياتهم[87].

ويلخّص الكونيّ أعلى حالات التأثّر بالغناء، وهي حالة الوجد، التي لا تتحقّق إلاّ للمعتزلين، ولأنّ الحفاظ على السر غير ممكن؛ فإنّ البطل قد يقوم بقطع لسانه حتى لا يبوح بأغنية تدلّ على السرّ، كما في رواية *السحرة*. وفي الوقت ذاته توصل الأغاني -بما فيها من فاعليّة وتأثير، حسبما تبوح به الروايات والقصص- الواحد من أبناء الطوارق إلى حالة الوجد للعثور على (واو الصغرى) أو (واو الكبرى) ورؤيتهما والعيش فيهما، بنوع من تماهي الأزمان وتداخلها من جرّاء تلك الحالة.

خاتمة

لقد احتفى الكونيّ بالغناء في كلّ أعماله، ولقد أكثر من ذكر فنون الطوارق جميعها، حتى صار كلّ شيء في صحرائه دالاً على فنّ من فنونهم. وكاد كل فعل يسبّب بالغناء، أو بضياع الغناء. فالوصول إلى ما يتمناه الطارقيّ يكون تحقيقه عبر الدخول فيما يوقعه الغناء بالفرد، مقابل

ذلك قد يأتي تحريم الغناء أو قطع الألسن للحدّ من الأثر السلبيّ الذي يصنعه الغناء في حالات أخرى.

ولمّا كان لورود الغناء في رواياته الأثر الأكبر في تأكيد الصورة الواقعيّة لمجتمع الطوارق، وإعطاء صورة حقيقيّة عن تاريخهم، والمساهمة في بث صورة المخزون الثقافيّ والعملي والفنّيّ لهم عبر الغناء فقد تفنّن في ذكر آلاته، وأدواته، ووصف المغنّين، وحالاتهم، وأسباب الغناء، وكان معنيًّا أيضًا ببث اللغة الطارقيّة (تماهق) عبر الأغنية باللغة ذاتها متنًا وهامشًا، وإيصالها إلى القارئ؛ إحياءً للغة من أقدم اللغات، بإيجاد الرغبة في تعلّمها، وإعلاناً منه للتأسيس لمشروعه الأكبر الذي تبلور في *ملحمة المفاهيم* وغيرها من الكتابات حول لغة تماهق البدئيّة.

ولأنّ الغناء في الصحراء ينطلق من حياة الضرورة، ولا بدّ للمجتمعات منه، فانّ تعلّم الغناء قد ارتبط بالرعي، وبسماع أصوات نواح الرياح في الكهوف وشقوق الصحراء وتضاريسها الخرساء الناطقة، وترديد تلك الأصوات، وتبديد وقت الرعي بمقطوعات مختلفة متكرّرة كحياة الطارقيّ التي تعتمد التكرار في كلّ شيء.

ولعلّ ما قدّمه الكونيّ في هذا الباب يعدّ مساهمة عظيمة في بثّ الأغنية الطارقيّة ومن ثمّ اللغة الطارقيّة، التي لم يكن من السهل وصولها إلى العالم، بسبب انعزال أصحابها في الصحراء، وشفويّة لغتهم، التي يخشى عليها من الانقراض.

ويمكن ربط مناسبات الغناء بالحنين إلى "واو" وحفلات الزفاف والاستمطار والاستسقاء وطقوس الختان وغناء الجنّيّات واستقبال الفرسان وأغاني الأطفال وغيرها من المظاهر والحالات التي من شأنها نشر المفاهيم العديدة حول ميثولوجيا الطوارق.

ويكفي أن نُشير إلى أنّ تعلّم الغناء كان من محاكاة طبيعة الصحراء والعيش في ظلّ معاناتها القاسية، ترحًا وفرحًا، إذ به صار يصل الإنسان إلى مرتقاه، وإنّ الحزن الذي يسيطر على أغانيهم لم يكن إلاّ بسبب أغنية الصحراء للجبال حتّى ضاعت واوهم الكبرى، وليس من مجال للوصول إليها من جديد إلا عبر طقسه؛ أي طقس الغناء المقدّس. أمّا أثر الغناء في الفرد فإنّه يطيح بأنبل النبلاء، والصوت الشجيّ قادر على الإحياء والموت لولا اقتسام الآلهة فيما بينهم جزءاً من الأغنية.

The Song in Ibrahim Al-Koni Novel

Maha Abdel-Qader Al-Mubeidin, *Department of Arabic Language and Literature, Al-al-Bayt University, Mafraq, Jordan.*

Abstract

This paper studies the song as a theme in Ibrahim Al-Koni Novel, for it is interpreted as a main Constituent of the cultural ingredients in (Al-Tawareq) Tarja Society, and since Al-Koni was concerned in dating the history of this people in his numerous novels. His novels were mostly engaged in writing depicting the culture of desert people in their different rituals. The singing ritual specifically was one of the most remarkable cultural constituents to (Al-Tawareq) Tarja. Al-Koni was very honest in clearly depicting their lives. In his works about them he showed his care and interest in his writings about them. None of all his novels or stories he wrote, tried to ignore this specific subject. (Al-Tawareq) Tarja as seen by Al-Koni, are the most among other people who really care, and very much interested in singing, and memorizing poetry by heart. No one nation lives on the planet adores innovation as (Al-Tawareq) do. And there is no any tribe in history may exceed them in the number of poets and singers, because they all are nearly poets and singers.

قدم البحث للنشر في 2008/12/16 وقبل في 2009/6/16

الهوامش

(1) استراتيجيّات القراءة في النقد الثقافيّ، عبد الفتّاح أحمد يوسف، عالم الفكر، المجلّد 36 العدد1 المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2007، ص164.

(2) دليل الناقد الأدبيّ: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا، ميجان الرويليّ وسعد البازعيّ، المركز الثقافيّ العربيّ، ط3، الدار البيضاء – بيروت، 2002، ص 305.

(3) النقد الثقافيّ: قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة، عبد الله الغذامي، المركز الثقافيّ العربيّ، ط1، الدار البيضاء- بيروت 2000، ص 13.

(4) تجلّيات الواقع والأسطورة في النتاج الروائيّ لإبراهيم الكونيّ، عوني الفاعوري، وزارة الثقافة، عمّان 2002، ص 20.

(5) انظر: النقد الثقافيّ: تمهيد مبدئيّ للمفاهيم الرئيسيّة، أرثر أيزابرجر، ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة 2003، ص195-198.

(6) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(7) النقد الثقافيّ: قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة، عبد الله الغذامي، ص 49.

(8) انظر: ملحمة المفاهيم: لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر، بيان في لغة اللاهوت، إبراهيم الكونيّ، بأجزائه الثلاثة الصادرة عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2004؛ 2005؛ 2006، فالفكرة الرئيسة المسيطرة على هذه الملحمة – بحسب المؤلّف – هي إثبات أنّ اللغة الطارقيّة هي اللغة البدئيّة أو اللغة الأمّ التي لا تقلّ أهمّيّة عن لغة الفراعنة والسومريّين والعربيّة القديمة واللغة الإغريقيّة ثم اللاتينيّة القديمة.

(9) تجلّيات الواقع والأسطورة، ص20.

(10) تحوّلات النقد الثقافيّ، عبد القادر الرباعي، دار جرير، ط1، عمان 2007، ص31.

(11) "بيان في لغة اللاهوت" هذه العبارة هي العنوان الفرعيّ لملحمة المفاهيم بأجزائه الثلاثة.

(12) القيان والغناء في العصر الجاهليّ، ناصر الدين الأسد، دار الجيل، ط3، بيروت 1988، ص10.

(13) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيروانيّ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، 1981، 65/1.

(14) المصدر السابق، 39/1.

(15) الخروج الأوّل إلى وطن الرؤى السماويّة، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1992، ص52-58.

(16) ملحمة الحدود القصوى، الخيال الصحراويّ في أدب إبراهيم الكونيّ، سعيد الغانمي، المركز الثقافيّ، ط1، الدار البيضاء-بيروت 2000، ص16.

(17) المرجع السابق، ص17.

(18) الخروج الأوّل، ص58.

(19) فتنة الزؤان، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1999، ص60.

(20) مدخل في النقد الثقافيّ المقارن، حفناوي بعلي، الدار العربيّة للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، بيروت 2007، ص 39.

(21) شجرة الرتم(قصص)، إبراهيم الكونيّ، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، آفاق عربية 78، الطبعة الثانية، القاهرة 2004، ص 81.

(22) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(23) البحث عن المكان الضائع، إبراهيم الكونيّ، ط1، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت 2003، ص138.

(24) المصدر السابق، ص139.

(25) المصدر نفسه، ص 142.

(26) فتنة الزؤان، ص9.

(27) المصدر السابق، ص9-10.

(28) المصدر نفسه، ص13.

(29) المصدر نفسه، ص41.

(30) المصدر نفسه، ص60.

(31) فتنة الزؤان، ص84.

(32) ديوان النثر البرّي، إبراهيم الكونيّ، دار التنوير، ط1، بيروت 1991، ص147.

(33) مراثي أوليس (المريد)، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1، بيروت 2004، ص127.

(34) المصدر السابق، ص187.

(35) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوريّ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1982، (مصور عن ط1، 1958) 95/1.

(36) ملكوت طفلة الربّ، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1، بيروت 2005، ص32.

(37) الفزاعة،، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1، بيروت 1998، ص101.

(38) عشب الليل، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1، بيروت 1997، ص144.

(39) المصدر السابق، ص145.

(40) المصدر نفسه، ص103.

(41) المصدر نفسه، ص59.

(42) نزيف الحجر، إبراهيم الكونيّ، دار التنوير، ط3، بيروت 1992، ص141.

(43) الخسوف/1- البئر، إبراهيم الكونيّ، دار التنوير، ط 2، بيروت 1991، ص9-10.

(44) لون اللعنة، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2005، ص36.

(45) في مكان نسكنه... في زمان يسكننا، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2006، ص124-125.

(46) الخسوف/4- نداء الوقواق، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط2، بيروت 1991، ص143.

(47) المصدر السابق، ص 291.

(48) الخروج الأوّل إلى وطن الرؤى السماويّة، ص85.

(49)المصدر السابق ، ص94.

(50) المصدر نفسه، ص85.

(51) المجوس، ج2، إبراهيم الكونيّ، دار التنوير، ط2، بيروت 1992، ص253.

(52) المصدر السابق، ص26.

(53) المصدر نفسه، ص67.

(54) المجوس، ج1، ص67.

(55) المصدر السابق، ص122.

(56) المصدر نفسه، ص123.

(57) المصدر نفسه، ص124.

(58) المصدر نفسه، ص125.

(59) المصدر نفسه، ص125.

(60) المصدر نفسه، ص237.

(61) المصدر نفسه، ص237.

(62) المصدر نفسه، ص280 وما بعدها.

(63) المصدر نفسه، ص284.

(64) المصدر نفسه، ص295.

(65) المجوس ج2، ص80.

(66) المصدر السابق، ص80.

(67) المصدر نفسه، ص175.

(68) المجوس، ج1، ص95.

(69) السحرة، ج1، إبراهيم الكونيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1994، ص27-28.

(70) المجوس، ج1، ص187.

(71) المصدر السابق، ص94.

(72) المصدر نفسه، ص535.

(73) السحرة، ج1، ص95.

(74) المصدر السابق، ص96.

(75) المصدر نفسه، ص96.

(76) المصدر نفسه، ص97.

(77) المصدر نفسه، ص129.

(78) المصدر نفسه، ص376-377.

(79)المصدر نفسه ، ص417.

(80)المصدر نفسه ، ص377.

(81) المصدر نفسه، ص528.

(82) المصدر نفسه، ص531.

(83) المصدر نفسه، ص534.

(84) السحرة، ج1، ص658.

(85) السحرة، ج2، ص89؛ ص129؛ ص384؛ ص404؛ ص405.

(86) المصدر السابق، ص128-129.

(87) المصدر نفسه، ص294؛ ص342؛ ص358؛ ص360؛ ص361؛ ص384؛ ص388؛ ص389.

المصادر والمراجع

ابن رشيق القيروانيّ. (1981). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت.

ابن قتيبة، الدينوريّ. (1982). **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (مصور عن ط1، 1958).

الأسد، ناصر الدين. (1988). **القيان والغناء في العصر الجاهليّ**، دار الجيل، ط3، بيروت.

أيزابرجر، أرثر. (2003). **النقد الثقافيّ: تمهيد مبدئيّ للمفاهيم الرئيسيّة**، ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة.

بعلي، حفناوي. (2007). **مدخل في النقد الثقافيّ المقارن**، الدار العربيّة للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، بيروت.

الرباعي، عبد القادر. (2007). **تحولات النقد الثقافيّ**، دار جرير، ط1، عمان.

الرويليّ، ميجان والبازعيّ، سعد. (2002). **دليل الناقد الأدبيّ: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا**، المركز الثقافيّ العربيّ، ط3، الدار البيضاء – بيروت.

الغانمي، سعيد. (2000). **ملحمة الحدود القصوى**، الخيال الصحراويّ في أدب إبراهيم الكونيّ المركز الثقافيّ، ط1، الدار البيضاء-بيروت.

الغذامي، عبد الله. (2000). **النقد الثقافيّ، قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة**، المركز الثقافيّ العربيّ، ط1، الدار البيضاء- بيروت.

الفاعوري، عوني. (2002). **تجلّيات الواقع والأسطورة في النتاج الروائيّ لإبراهيم الكونيّ**، وزارة الثقافة، عمّان.

الكونيّ، إبراهيم. (1991). **الخسوف/1- البئر**، دار التنوير، ط2، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1991). **الخسوف/4- نداء الوقواق**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط2، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1991). **ديوان النثر البرّي**، دار التنوير، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1992). **الخروج الأوّل إلى وطن الرؤى السماوية**، دار التنوير، ط2، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1992). **الخروج الأوّل إلى وطن الرؤى السماويّة**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1992). **المجوس**، ج2، دار التنوير، ط2، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1992). **نزيف الحجر**، دار التنوير، ط3، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1994). **السحرة**، ج1، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1997). **عشب الليل**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1998). **الفزاعة**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (1999). **فتنة الزؤان**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (2003). **البحث عن المكان الضائع**، ط1، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (2004). **شجرة الرتم (قصص)**، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، آفاق عربية 78، الطبعة الثانية، القاهرة.

الكونيّ، إبراهيم. (2004). **مراثي أوليس (المريد)**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (2004؛ 2005؛ 2006). **ملحمة المفاهيم: لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر**، بيان في لغة اللاهوت، بأجزائه الثلاثة الصادرة عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (2005). **لون اللعنة**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (2005). **ملكوت طفلة الرب**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

الكونيّ، إبراهيم. (2006). **في مكان نسكنه... في زمان يسكننا**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

يوسف، عبد الفتّاح أحمد. (2007). إستراتيجيّات القراءة في النقد الثقافيّ، **عالم الفكر**، المجلد 36 العدد1 المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 299 - 342

الخصائص الأسلوبية لشعر التفعيلة عند خليفة الوقيان

جاسم الفهيد *

ملخص

للشاعر الكويتي د.خليفة الوقيان تجربة شعرية ثرية حظيت باهتمام الباحثين المهتمين بدراسة الشعر الكويتي الحديث، وقد جمع في شعره بين النمط الخليلي والنمط الحر.وتسعى هذه الدراسة المختصة بشعر التفعيلة إلى التعرف إلى أبرز الخصائص الأسلوبية التي اتسمت بها تجربة الوقيان الشعرية، وذلك عبر استعراض التقنيات الفنية والآليات اللغوية التي لها كان لها حضور كثيف في أبنيته الشعرية، وهي لا تقتصر على وظيفة الوصف والرصد بل تحاول أن تقدّم تفسيرا نقديا لإيثار الشاعر لتلك الخيارات اللغوية دون غيرها.كما اهتمت الدراسة بالعمل على فحص مدى التوائم بين التقنيات الأسلوبية والمقام الشعري الذي وظّفت فيه، وهو الأمر الذي يتيح لنا قياس كفاءة الأداء الفني لدى الشاعر في سبيل تأسيس رؤيته الشعرية الخاصة ،كما أنه سيسهم في الكشف عن جوانب التأثر والتأثير مع العديد من التجارب الشعرية المماثلة.

توطئة

للشاعر الكويتي د.خليفة الوقيان تجربة شعرية مميزة استقطبت لدرسها جهود عدد من الباحثين المهتمين بدراسة الشعر الكويتي[1]، وقد مرّت تجربته الشعرية بطورين مختلفين إذ كانت في طورها الأول خليلية الإيقاع وذلك في مجموعته الشعرية الأولى (المبحرون مع الرياح)، ثم غلب عليها نمط التفعيلة (الشعر الحرّ) في المجموعات التالية.

وتسعى هذه الدراسة المختصة بشعر التفعيلة إلى التعرف إلى أبرز الخصائص الأسلوبية التي اتسمت بها تجربة الوقيان الشعرية في هذا الميدان، محاولةً تقديم تفسير نقدي مقنع لإيثار الشاعر تلك الخيارات اللغوية دون غيرها من الخيارات الأخرى المتاحة انطلاقا من القاعدة الأسلوبية القائلة (إن كل نوع من أنواع الأسلوب يتميز بنموذج خاص من الانتقاءات المتواترة التي تنضوي تحت الأجزاء غير الإجبارية في اللغة)[2].وعطفا على ذلك فإن أشهر تعريف للأسلوب ينصّ على أنه (محصّلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل)[3].ولا سبيل إلى تحديد الخيارات الأثيرة لدى شاعر ما إلا عبر قراءة فاحصة متمعنة ترصد الطرائق

---

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الكويت، مدينة الكويت، الكويت.

اللغوية التي تتكرر بصورة ملحوظة في شعر الشاعر بما يصلح معه عدّها من الخصائص الأسلوبية المميزة له، ولذا فإن كثرة الاستعمال تعدّ المعيار الرئيس الذي يحتكم إليه للتمييز بين ما يصلح أن يعد خصيصة أسلوبية وما لا يصلح.

على أن البحث الأسلوبي لا ينبغي يقتصر دوره على الرصد الوصفي المجرّد، وإلا لتحوّل إلى عمل آلي صرف ينحصر دوره في الجمع والإحصاء، ولذا فإن وظيفة التفسير والتعليل تأتي في مرحلة تالية لمرحلة الرصد التي تمثل جمعا للمعلومات الضرورية التي ينطلق منها الباحث في درسه النقدي مفسّرا ومعللا، كما أن العمل على فحص مدى التواءم بين التقنيات الأسلوبية والمقام الشعري الذي وظّفت فيه يتيح لنا قياس كفاءة الأداء الفني لدى الشاعر في سبيل تأسيس رؤيته الشعرية الخاصة، كما أنه سيسهم في الكشف عن جوانب التأثر والتأثير مع العديد من التجارب الشعرية المماثلة.

وقد رصدت الدراسة عبر القراءة المتكررة لقصائد الشاعر عددا من الظواهر الأسلوبية كان لها حضور كثيف في أبنيته اللغوية الشعرية، فشكلت عماد مادة هذا البحث، وتتمثل هذه الظواهر في:تقنيات توليد الجمل (الإيضاح بعد الإبهام، و الاسترسال في تعداد معمولات الفعل، وتعاقب المتعاطفات، ومتوالية الأخبار والنعوت)، وحذف حرف العطف، والانزياح النعتي، وأشكال التكرير، وحركة الضمائر، و صور التناص التراثي.

أولا: تقنيات توليد الجمل:

لكل شاعر تقنيات أسلوبية خاصة يتوصل عبرها إلى مدّ جملته الشعرية لتتحول إلى جملة كبرى يمكن تفكيكها إلى عدد من الجمل الصغرى، وبحسب قراءتي لشعر الوقيان فقد وجدته يميل إلى تفضيل بعض الأنماط الأسلوبية التركيبية بعينها مكثرا منها في سبكه الشعري حتى غدت أحد معالم أسلوبه المميزة، فمن هذه التقنيات:

1- الإيضاح بعد الإبهام

يميل الوقيان في شعره إلى الأسلوب الإطنابي الذي يورد المعنى الواحد في معارض لفظية مختلفة ليتمكن بذلك من تقرير المعنى الذي يريده في ذهن المتلقي، ويطمئن إلى اقتناعه به، مع ما يتولد عن ذلك من دلالات لا تقتصر على الوظيفة التقريرية ولكنها ترفدها بفوائد تتناسب مع الموقف الذي جاءت في إطاره.

ويُعرف هذا الضرب من الإطناب عند البلاغيين بـ(الإيضاح بعد الإبهام)، وهو يمثل تقنية أسلوبية أثيرة لدى الشاعر يتوخى من ورائها بلوغ تلك الغاية، ويُعرّف القزويني[4] هذا الفن بأنه إيراد المعني في صورتين: الأولى على سبيل الإبهام والإجمال، والثانية على سبيل التفصيل

والإيضاح. ويضيف في تعليل فائدته الدلالية بأنّ" المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجّه إلى ما يرِد بعد ذلك، فإذا أُلقي كذلك تمكّن فيها فضلَ تمكّن، وكان شعورها به أتمَّ."

أ- فمن توظيف الوقيان لهذا الأسلوب في باب التقرير والإقناع:

- قوله في نص (غيبة الشاعر):

"أرى كل شيء كما كان من قبل – في الغرفة الباردة- بقايا لآنية الشاي- علبة حلوى مضى نصفها- وباقة ورد – تثنّت مفاصلها".[5]

ويأتي الإيضاح هنا من باب التمثيل لسيطرة روح السكون على كل شيء في غرفة الشاعر الفقيد[6]، وما هذه التفصيلات الدقيقة (بقايا آنية الشاي، علبة الحلوى التي ذهب نصفها، باقة الورد التي تثنت مفاصلها) إلا شواهد وأدلة على صحة هذه الفكرة.

- وفي السياق نفسه يأتي وصفه للمشهد خارج الغرفة في النص عينه:

"هنا كل شيء يدور كما كان من قبل: -باقات ورد مكدسة.. – حشود من الزائرين – مزاح، ضجيج.. فصول من الغزل الرث.... أنين....صبي ضئيل."[7]

لم يشعر أحد إذن بموتِ الشاعر، ولم يتغير شيء جرّاء رحيله، فالأوضاع بعد غيابه باتت كما هي بكل تفاصيلها الدقيقة التي أسهب الوقيان في سردها والتمثيل لها، وحرص في سبيل ذلك على انتقاء مشاهد مألوفة ومعتادة جدا في أي مشفى ليخلع عنها أي مظنة للاختلاف والاستطراف، وقد أسهم التنكير (باقات، حشود، مزاح..)في رفد المشهد بشحنة من التجاهل واللامبالاة حيث غدت تلك المذكورات غير ذات خصوصية، وكشف بذلك عن الوجه الأشد إظلاما في مأساة غياب الشاعر، وهو تجاهل المجتمع له بطبقتيه الخاصة(ما هو داخل الغرفة)والعامة(ما هو خارج الغرفة)، وعدم الاكتراث به حيّا وميّتا.

- ومن هذا الضرب قوله في نص (مذبحة الفواكه)[8]:

"وفي لحظة- توقّف في ظلّها كلّ شيء_ نداء المؤذن – هدهدة الأم للطفل – عزفُ لآنية الشاي – قرقرة (القدو)-همسُ الخليج –لعشاقه الحالمين – صريرُ المراجيح – تعلو وتدنو."

فالشاعر بهذه اللغة التي تضاهي التصوير السينمائي في رصد دقائق التفاصيل يرسم لنا تلك اللحظة الفارقة التي تحول فيها المقهى الشعبي الذي كان يعج بالحياة والحركة إلى سكون تام وصمت مطبق، وتوسّل إلى ذلك عبر التركيز على الجانب الصوتي من المشهد الذي اختفت منه في

ومضة سريعة كل هذه الأصوات بدلالاتها المتنوعة (الدينية والإنسانية والاجتماعية)وقد كانت قبل ثوان قليلة تضفي على المشهد طابع الحياة المستقرة الآمنة.

- ومن صوره التقليدية قوله في نص (تسابيح):

"وتمرّ الفلك- فتحمل من كلٍّ زوجين اثنين:- القوم، الخيل، الغزلان، الجرذان، الـ...."[9] فالتفصيل هنا على سبيل التمثيل لا الحصر، والتعميم في (من كلٍّ) كفيل بإبعاد فكرة الحصر.[10]

- وقل مثل هذا عن قوله في نص (حلم):

"كل الأشياء تدور: - المرآةُ المنضدةُ الجدرانُ الهاتفُ -أفعى التبغ الملعون."[11]

ب- وقد يجيء الإيضاح بعد الإبهام في شعره بقصد التهويل والتعظيم:

كما في نص (حصاد)الذي يخاطب فيه المسافر في رحلة الحلم والهمّ[12] في نص(حصاد):

"وحدك الآنَ –تحرث في البحر -تغرس في الريح - كلَّ البذور -:رفّة الحلم – نفحَ الأزاهير –شدو العصافير – قمحَ العصور."[13]

إنه يمنح الحياة كل هذا:رفيف الحلم، ونفح الزهر، وشدو الطير، وقمح العصور، فهو إنسان خارق لامتلاكه كل هذه القدرات الفائقة التي سُردت بالتفصيل، غير أنّ المفارقة تتولّد من جهة الموضع القابل للحرث والذي يفترض فيه أن يتلقف هذه البذور النفيسة، لكنها ليست أرضا:إنها بحر لا ينبت بذرا، وريح لا تمسك شيئا !فهو يعبر عن غلبة روح اليأس ومرارة القنوط حين لا يجد عطاء الشاعر الثرّ حقه اللائق به من الاحتفاء والاهتمام ممن حوله، فيلقى مصير الحرث في البحر والغرس في الريح.

ج- وربما استعمل الوقيان هذا الأسلوب لتحقيق مفارقة ساخرة:

وهي مفارقة متولّدةٌ عن التناقض الظاهر بين المفسَّر المبهَم والمفسِّر المبيِّن، مما يمنح السياق الشعري شحنة عالية من السخرية تفرزها صدمة المفاجأة التي تدهم القارئ حين يطّلع لاحقا على تفاصيل ذلك الأمر المجمل، وهي تفاصيل لا تتناسب البتة مع ما يتوقعه من ظاهر القول، فمن هذا القبيل:

- خطابه الموجّه إلى خاطفي طائرة الجابرية الكويتية في نص (هنيئا لكم):

"خطبتم هوى الحُور- في جنات النعيم – بمهر عظيم-:دموع الثكالى-ونوح الأيامى- وحزن الصغير-وصبر الكبير-وهمهمة الأم."[14]

فالشطر الأول من الخطاب يشي بقداسة الفعل الصادر عن هؤلاء الخاطفين، فهم يطمعون بالجنة ويخطبون حورها بمهر عظيم، ثم تأتي المفاجأة ببيان ما أمهروا به الحور العين لنكتشف أن لا صلة له بالقربات والأعمال الصالحة من قريب ولا بعيد، بل هو على النقيض من ذلك، إذ كان المهر المزعوم من كبائر الإثم بالقتل والعدوان، فقد خلّف صنوفا بشعة من الإيلام والإيذاء الذي ألحقه الخاطفون بأهالي ضحاياهم المختطفين، وهو إيلام لم يفرّقوا فيه بين الرجال والنساء ولا الصغار والكبار، بل أصاب الجميع على حدٍ سواء. غير أن اختياره لتعبير (صبر الكبير) لم يأت متسقا مع التعبيرات الأخرى، فليس فيه ما يشي بالجزع والقلق وهو الشعور الذي سعى إلى تقريره في هذا المقطع، فلو استبدل (خوف) بـ(صبر) مثلا لكان أكثر ائتلافا مع السياق الشعوري.

-وفي السياق ذاته يأتي تفسير الشاعر للجهاد -تلك الفريضة الإسلامية السامية- من منظور هؤلاء المجرمين ليكشف اتساع مسافة الخُلف لديهم بين القول والعمل:

" فإن الجهاد الذي تعشقون:-وضوء أتى من غبار المقاعد – صلاة بلا قبلة بيّنة –صيام المسافر كُرها." [15]

والمفارقة هنا مضاعفة لأن التفاصيل الجزئية (الوضوء، الصلاة، الصيام) انطوت أيضا على مفارقات صغرى، فماء الوضوء من غبار المقاعد، والصلاة إلى غير القبلة، والصوم أكره عليه المسافر مع أنه قد أبيح له الفطر شرعا.

2- الاسترسال في تعداد معمولات الفعل وما يقوم مقامه:

من الصور النمطية المتكررة في أساليب الوقيان الشعرية أنه يعمد إلى مدّ الجملة عبر الإكثار من تعداد معمولات الفعل أو ما يقوم مقامه مثل اسم الفاعل، متوخيا من ذلك غايات دلالية تدور جميعها حول وظيفة التهويل والمبالغة:

فممّا وقع على سبيل المبالغة في الذم والتقبيح:

- قوله في نص (برقيّات كويتية):

(أيها السارقون- حليبَ الرضيع_دواءَ المريض- زهورَ الحديقة_ سبّورةَ الفصل -كرّاسةَ المدرسة

أيها الخاطفون من الطفل: دميتَه _ذكرياتِ الطفولة – أحلامَه المؤنسة) [16]

فالاسترسال في هذا المقام في تعداد معمولات فِعْلَي السرقة والخطف يسهم في رسم صورة بشعة للغزاة، فالمسروقات المعدّدة في الجملة الأولى تكشف عن خسة ودناءة هؤلاء السارقين الذين لم يعفّوا عن سرقة أي شيء تطاله أيديهم حتى لو كان حليب رضيع أو دواء مريض، كما

أنهم يشوهون جمال الطبيعة حين يسرقون زهور الحديقة، وهم أعداء العلم والثقافة بدليل سرقتهم الكراسة والسبّورة وهما رمزا التعلم والكتابة.[17] أما الجملة الثانية فتكشف عبر تعداد أنواع المخطوفات عن بُعد إنساني يتصل بجريمة الغزو والاحتلال، فالاحتلال لا يغتصب المكان فقط، بل يتعداه إلى ما يتصل بالزمان نفسه:فالدمية تشير إلى حاضر الطفل، والذكريات ماضيه، وأحلامه هي مستقبله، فمن يختطف وطنا يختطف من أهله كل ذلك، وفي هذا أبلغ تصوير لجرم الغزو وفظاعة الاحتلال.

- ومن هذا القبيل أيضا: قوله في نص (العروس والقرصان):

"وحينما تمسُّ صفحةَ النّقاء والطهارهْ-أصابعُ القُرصانْ- مخالبُ تغتال في الظلام:خيطَ الفجر-دفءَ الشمس - بهجةَ الربيع – رونقَ النّضارة."[18]

فأصابع القرصان تستحيل إلى مخالب جارحة تغتال مظاهر الجمال في الوجود، والوقيان يمثل لهذه المظاهر بخيط الفجر ودفء الشمس وبهجة الربيع، ثم يلحق بها رابعا يفيد التعميم ليكون من باب عطف العام على الخاص – تجوّزا إذ لا عطف هنا-ليشمل المظاهر الأخرى التي يصدق عليها مُسمّى (رونق النضارة).

ومما وقع من هذا الضرب على سبيل التهويل تعظيما وتفخيما:

- قوله في نص (خفقة):

" ماذا تريد – يا أيُّهذا المستقرُّ في فمي -.... تحصي عليّ أدمعي – لهيب أضلعي – تبسمي تلّفتي – رفيفَ قلبي الطريد "[19]

إن هذا الرقيب الذي يرصد إبداع الشاعر يمارس مهمته الرقابية بكل دقة وتشدد، فلا يكاد يفوته شيء من حركات الشاعر وسكناته، فهو يحصي عليه كل شيء، وهنا يسترسل الشاعر في بيان مُحصَيات الرقيب ليدلل بذلك على إحكامه الرقابة اللصيقة للشاعر، إذ لا يدع شيئا إلا دوّنه وسجّله.

- وقوله في نص (حصاد) الذي يخاطب فيه ذاته الشاعرة:

" أيها السائر المستفزّ: سكون البراري-وصمت البحار –وهدأة ليل."[20]

حيث يستدعي اسم الفاعل (مستفز) ثلاثة مفاعيل متعاطفة تشترك جميعها في صفة الهدوء والسكون، غير أن الشاعر يبث في سكونها الحركة والحياة، وفي ذلك تعظيم للدور الذي يقوم به في خلق هذه الحيوية التي تنعش الكون الخامد.ويأتي اختيار الشاعر اسم الفاعل من الفعل

(استفز) متناسبا مع الموقف صوتيا ودلاليا، فهذا الفعل مختوم بالزاي وهي حرف مجهور صفيري[21]، وقد جاء مُضعّفا فمنحَ السياق الشعري شحنة صوتية عالية تبدّد ذلك السكون، كما أن المعنى المعجمي للفعل (استفزّ)-وهو:أزعج -ممّا يُضادّ تماما معني الصمت والهدوء.[22]

ونلحظ في التراكيب السالفة أن الشاعر التزم التركيبَ الإضافي عند صياغة معمولات الفعل (حليب/الرضيع –خيط/ الفجر –أدمع/ي – سكون/ البراري) بما يصلح أن يعدُ معه هذا الاستعمال سمة أسلوبية فرعية انطوى عليها هذا النوع من التراكيب، وربما كانت ميزة التركيب الإضافي هنا في كونه يعطي للجملة الشعرية امتدادا لا توفره الكلمات العريّة عن الإضافة.

وقد يستبدل الشاعر- في هذا الضرب من التراكيب- بالمفعول مكمّلا آخر كالتمييز والحال[23]، مؤديا الوظيفة الدلالية عينَها، فمن ذلك قوله في وصف المحبوبة في نص(زيارة):

" ينسفح العطرُ البخورُ في الطريق غيمةً -لظىً –حريقاً....تأتين- فتنةً – بدائعاً مُمَوْسَقَهْ – وكرمةً مُعتَّقه "[24]

وفي وصف طيفِها في نص (أهلا):

"جئتِ سحابةً للنور- عطرا –روضةً-وردا وفُلاّ."[25]

فهذا التفصيل في صور التمييز والحال يكشف عن سحر المحبوبة التي أحدثت بمجيئها – يقظة ومناما- كل هذه التغييرات الكبيرة التي أضفت على المكان جمالا وبهاء فاتنين.[26]

غير أن الشاعر يؤخذ عليه في بعض مواضع استعمال هذه الخاصية الأسلوبية التطويل الذي لا مسوّغ له فيه ولا يتطلّبه الموقف الشعري، كما مرّ في تكرير لفظتي (اللظى والحريق) وهما بنفس المعنى، وذكر (الروضة والورد والفل) وكلّها من حقل واحد، فيغني ذكر واحد منها عن البقية.

3- تعاقب المتعاطفات:

وهي سمة أسلوبية لا تخطئها عين الناظر في شعر الوقيان لوفرة صورها وشواهدها، فمن ذلك قوله في نص (من مذكرات حمار):

"في مهرجان الليل- تنكرني المرايا- والسبايا- والجواري الراقصات- على التكايا -والدفوف البكم -والناي الهجين."[27]

فهنا أربع كلمات (السبايا، الجواري، الدفوف، الناي)معطوفة على (المرايا)، ونتساءل عن القيمة الفنية من وراء مثل هذا الاسترسال خلف غواية العطف؟ ويبدو أن هذا النمط الأسلوبي يحقق عند الشاعر غايتين:

الأولى: وسيلة إيضاح تفصيلية لمهرجان الليل المذكور في صدر المقطع، وذلك عبر استعراض المكونات التي يتألف منها هذا المهرجان بتفاصيلها الدقيقة، لنكتشف أنه ملهاة صاخبة يغلب عليها جو الرقص والمعازف، لكننا لا نجد للمعطوف عليه (المرايا) وجها يشفع لمجيئه ضمن هذه الزمرة المتآلفة إلا إن كان لمجرد رعاية التوازي[28] اللفظي وراء استدعاءه ضمن هذا السياق (المرايا، السبايا، التكايا)، وقل مثل هذا عن (السبايا) إذ تغني عنها (الجواري الراقصات) ولكن جيء بها للغرض الإيقاعي السالف.

الثانية: إكساب فعل الإنكار قوة وفاعلية تترتب على صدوره من هذا الجمع من الفاعلين، ومن ثم فإن ذلك ينعكس على الموقف بخلق روح من التعاطف مع الحمار الذي يعاني هذا الإنكار المتعاظم بكثرة المنكرين.

وعلى هذا النحو تتعاقب المتعاطفات في قوله في نص (العروس والقرصان):

"وتسكب الخزامى والأقحوانُ والنوّارُ غيمةَ الأريج."[29]

فتعدُدُ فاعلي السكب وتضافرهم مجتمعين على أداء الفعل سيكسب مفعولهم بلا ريب تميزا وتفرّدا، فغيمة الأريج هذه لا بد أن تكون مُفعمة حتى النخاع بتلك العطور التي منحها إياها كلٌّ من:الخزامي والأقحوان والنوّار.

وهكذا الحال في قوله في نص (عوسجة) متحدثا عن شغف الأرض بعطر السوسنة:

" فأرسلت رحيقها _تعبُّه الرمالُ والهضابُ والجنادلُ."[30]

فإن اشتراك كلٍّ من الرمال والهضاب والجنادل في "فعل" عَبِّ رحيق السوسنة يعبر عن اهتمام بالغ وحرص شديد على امتصاص ذلك الرحيق، والعَبُّ: تتابع الجَرْع، ولتعاقب هذه المتعاطفات أثره في تقرير هذا المعنى.

وقد يلجأ الشاعر إلى الجمع بين الكلمات ذات الحقل اللغوي الواحد بالعطف فيما بينها ليتوسل بذلك إلى توكيد المعنى، فإذا كان التوكيد اللفظي يتولّد عن تكرير الألفاظ بعينها، فإن مثل هذه الغاية قد تتولد كذلك عن إيراد الألفاظ المترادفة متعاقبة، فالتكرير هنا حاصل على

مستوى الحقل اللغوي العام بغض النظر عن الخصوصية المعجمية لكل لفظ عن إلفه وصنوه.فمن هذا القبيل قول الشاعر عن الخليج في نص (العروس والقرصان):

"يمدُّ كفَّ الحب والجمال والنماء "[31]

وقوله في نص (نشيد لأطفال الكويت):

"يا جحفل الظلام والدمار والمحن "[32]

وقد يتحرر الوقيان عن الالتزام بكون المتعاطفات من حقل لغوي واحد، لكنه لا يُبعد في ذلك إذ تبقى وشائج القربى الدلالية بينهن قوية، كما ترى في قوله في نص (البشارة):

" الهيكل المهدوم – والإيوان- والبغي العنيد –وَهْم السكارى- والطغاة الشاربين دم الأسارى- ليلٌ تمزّقه خيول الفتح – في الفجر الوليد."[33]

إذ لا تحتاج إلى إعمال الفكر كثيرا لتكتشف الصلة الرابطة بين هذه المتعاطفات إذ إنها تتحدث عن أحلام الطغاة:أما الهيكل المهدوم فهو رمز للطغيان اليهودي، والإيوان رمز للطغيان الكسروي، وأما (البغي)و(الطغاة) فالتلازم بينهما واضح، وأما (وهم السكارى)فيشير إلى تلك الأحلام التي لن تجد لها مكانا على أرض الواقع بفضل (خيول الفتح في الفجر الوليد).[34]

ومن هذا القبيل قوله في نص (رسالة إلى مخبر بدويّ):

" قد تركتَ الصَّحبَ والأطفالَ والقهوةَ والكوخَ المُهدَّم."[35]

فهذه العناصر مؤتلفة تشكل كيان الوطن الذي ينتمي إليه البدويّ بما يختزنه من وئامٍ اجتماعي(الصَّحب+ الأطفال) وتقاليد بيئية خاصة (القهوة) واستقرار حضاري مهزوز (الكوخَ المُهدَّم).

أما في نص (زمجرة) فإن الشاعر يزجّ في سياق المترادفات المتعاطفة بكلمة تبدو للوهلة الأولى نافرة دلاليا عن روح السياق، وهي كلمة(حزن) في:"

"وأبقى -قلَقاً يمشي -وبُقيا من خيالاتٍ-وأحلامٍ- وحزنٍ وظنونٍ."[36]

فالخيالات والأحلام والظنون تنتمي إلى حقل الأوهام، بينما تنتمي كلمة (حزن) إلى حقل الإحساس والمشاعر، وكأن الشاعر أراد بذلك أن يُكسب هذه الكلمة دلالة جديدة تمنحها لها دلالة الاقتران بِلِفْقِها من الكلمات، فالحزن هنا مسكون بالتردد والحيرة، وهذا ما يزيده قلقا وألما، لأنه حزن يتجدّد عند ترجح الظن بحصوله، ويرتفع مؤقتا مع ضعف ذلك الظن، وهذا التأرجح

الشعوري بحد ذاته أشد إيلاما وقسوة من الحزن المتحقق المتيقّن الذي آن لصاحبه أن يتذرع بالصبر والسلوِّ ليتخلص من إسار آلامه!.

لكن يمكننا القول: إن الوقيان بصفة عامة كان حريصا في صياغته الشعرية على تناسب المتعاطفات وتآلفها، ولم يخرج عن ذلك إلا نادرا.

4 – متوالية الأخبار والنعوت:

يعمد الوقيان إلى مدّ جملته الشعرية الكبرى عبر توالي سلسلة من الجمل الخبرية والحالية والوصفية المتتابعة، متوخيا بذلك رسم صورة واضحة للموضوع(المسند إليه)عبر استعراض عدد من المحمولات(المسند)التي تعمل كل منها على تسليط الضوء على جانب منه، وفي المحصلة:فإن الموقف الشعوري يكتسب دلالة التهويل والمبالغة التي تمثل أهم مظاهر (الشعرية) عند الوقيان.

-وقد استعمل الشاعر هذه التقنية الأسلوبية بصورة ملفتة في نص (تعويذة في زمن الاحتضار)، فمن ذلك قوله:

"إن أفعى الدار [1] تخرج.... [2]تلوب [3]تسنُّ حدّ النّاب-[4] تنفث سمَّها الأصفر –[5]تمجُّ النار في أزهار بستانك – [6]تُصوِّحُ غرسَك الأخضر "[37]

فهنا ستة أخبار متوالية كلها جمل فعلية فعلها مضارعٌ، والفعل المضارع يدل على الحدوث والتجدّد والاستمرارية، وهذا ما يجعل هذه الأفعى على قدر كبير من القوة والبأس لأنها تستطيع القيام بكلّ هذه الأفعال الشريرة دفعة واحدة، ومن ثم فهي أفعى من نوع خاص لا نظير له كما تشهد بذلك هذه الأخبار المتوالية عنها.

- وهو يستعين بهذه التقنية لرسم صورة مخيفة لليل حيث يقول:

" إن ليلا قاتلا - يطوي المدى - يحتزّ أعناق النجوم..البدرَ- يسقي شفرة الخنجر – يجيء...يُطِلُّ."[38]

فهو يورد أربعة أخبار متوالية عن الليل تكشف عن طبيعة مختلفة له في تصوّر الشاعر، ويؤدي الفعل المضارع الدور نفسه في التركيب السابق مما يمنح هذا الليل طاقة خارقة تؤهله ليكون حقّا مخيفا ومرعبا.[39]

- كما يستعملها أيضا لبيان الانقلاب الكبير الذي أصاب الجداول الرقراقة عبر استعراض التغييرات التي طرأت عليها لتحيلها إلى نقيض ما كانت عليه من حيوية وبهجة حين يقول:

"جداولك التي تنساب- موسيقى وأغنية-تَهَدَّمَ جرفُها – أغفتْ –على أشلاء أمنيةْ – نأى عن ليلها المِزهَرْ." [40]

فهذه الأخبار الثلاثة المتلاحقة (تهدم الجرف/موت الأماني/صمت الليل) تجيء كصَليات متوالية تشكل كل منها مفاجأة تدهم المتلقي الذي خدعته صلة الموصول المُطمِعة (تنساب موسيقى أغنية) حين أسلمته إلى نتيجة مؤيسة بائسة، مما يجعل وقع هذا التغيير الجذري في نفسه مؤلما ومُدهشا للغاية.

-وربما وظّفها في سبيل رسم مشهد سينمائي يعج بالحركة ليجعل المتلقي يعيش المشهد بتفاصيله الدقيقة وكأنه يراه رأي العين كما في قوله في نص(مذبحة الفواكه):

"وتبقى النساء- تروح، تجيء –تراقب أطفالها في حذر-تجمّع أشياءها- الماء والبُسط والأطعمة."[41]

فهذه الجمل الحالية تصور حال النسوة في المقهى، وهن كما ترى في حركة دؤوبة تعبر عن حياة مفعمة بالحركة والنشاط في تلك اللحظة التي سبقت التفجير الذي جلل المكان بالموت والخراب.

-و نراه في نص (في البدء كانت صنعاء) يلجأ إلى هذا النمط الأسلوبي لتحقيق غاية إقناعية تتخذ من التعليل أساسا لإثبات صحة الحكم المسند إلى المسند إليه، وذلك في قوله:

" كان لا بد أن نمسح العار عن وجه غسّان-حين انتهى مخبرا – عند كسرى -: يريق دماء القبائل في الشام – يغتال ذي قار – يقتات من كلّ بلوى."[42]

فهو يورد ثلاث جمل حاليّة(إراقة الدماء/ اغتيال ذي قار/ المتاجرة بآلام قومه) تمثل كلٌّ منها برهانا على صحة الاتهام الموجّه إلى غسّان- بدلالته الرمزية بالطبع –، وهو وَسْمُه بأنه مخبر يعمل لصالح كسرى.

ثانيا: سمات أسلوبية أخرى:

1- حذف حرف العطف:

تقوم حروف العطف بوظيفة الربط بين الكلمات في سياق الكلام ليبدو في صورة من التلاحم والتماسك، كما تعمل على تنمية الجملة ومدّها، غير أن المتكلم قد يعمد في بعض الأحيان إلى حذف واو العطف بين الكلمات المتعاطفة محدثا بذلك نوعا من الفصل بينها، وقد شاع هذا الضرب من الحذف في الشعر الحرّ حيث "تبدو فيه الجمل كأنها مبدّدة مفرّقة لا رباط بينها، ولكنّ وجودها في نص واحد وسياق واحد يساعد على جمع ما يبدو مشعّثا مبدّدا".[43]

ومسألة حذف واو العطف مسألة اختلف فيها النحاة، فمنهم من منع ذلك وقصره على باب الضرورة الشعرية، و منهم من أجاز ذلك مطلقا في الشعر والنثر.[44] والوقيان في هذا الاستعمال يساير طريقة أهل عصره الذين شاع لديهم هذا الضرب من الحذف.

وقد اقترن ذلك -في مواضع من شعره- بكون المعطوف عليه مجرورا بحرف جر، فمن ذلك قوله في نص (إشارات):

"أجول بطرفي في الطرقات المباحة للقتل /للذعر /للحزن /للقهر /للشاحنات "[45]

إن الحرص على إبقاء حرف الجر (اللام) مصاحبا لمفردات السياق جمعاء كان الدافع إلى حذف العاطف، إذ لو استعمل الشاعر الواو العاطفة هنا لأمكنه الاستغناء عن تكرير الجار (اللام)، إلا أن الشاعر وجد في الحذف ما يعينه على لفت انتباه المتلقي إلى كل جار ومجروره معا مستقلا عن بقية مفردات السياق، فلو جمعها في نسق واحد لأوهم أنها مجتمعة تشكل أمرا واحدا، لكنها ليست كذلك من وجهة نظره، فللذعر نصيبه الخاص من الإيلام والإيجاع، وهو نصيب لا يشركه فيه الحزن ولا القهر!وكأنه استثقل الإتيان بأكثر من أربعة مصادر (قتل، ذعر، حزن، قهر)، فجاء خامس الأربعة مفارقا لها (للشاحنات)، متجوّزا بذلك عن السرقة بذكر الآلة المستخدمة لنقل المنهوبات والمسروقات، مع ما في هذا التعبير المجازي من إشارة إلى عظم جريمة السرقة إذ احتاجت المسروقات إلى نقلها في (شاحنات)للدلالة على كثرتها وضخامتها.

ومن هذا القبيل قوله في نص (رسالة إلى مخبر بدويّ):

"واحلُمْ بما قد كنتَ تحلم – بالربيع الأخضر الضاحك – بالأمطار – بالسرح المُسوّم – بابتسام البدر في الأفق – كمعشوقٍ تلثّم – بحديث الصّحب – كالسُكَّر –عن مجدٍ تهشّم."[46]

إنه ليس حلما واحدا بل متوالية أحلام، كل واحد منها جدير بأن يشمّر هذا المخبر لتحقيقه عن ساعد الجد فينشغل به عوضا عمّا يقوم به من تجسس وترصد يعكّر صفاء فطرته البدوية النقيّة.[47]

وقل مثل ذلك عن قوله في نص (في الليل):

"وللجبال للوهاد للبحار للشجر.... هدأة حزينة."[48]

إنها ليست هدأة حزينة واحدة، بل هدأآت متعددة، ولذا تكرر حرف الجر وحُذف العاطف، لتسهم كل واحدة منها في تشكيل صورة الليل الذي يخيم عليه الهدوء المشرَب بالحزن.

ومن هذا القبيل أيضا قوله في نص (البشارة):

"الأرض ترجمكم حجارتها-ويفقأ عينكم شوك النخيل-في القدس /في العشار-/في ميسان-في أنحاء غزّة-/في الجليل "[49]

فهو يتغيّا من حذف العاطف وتكرير حرف الجر عوضا عنه: التنبيهَ على أن هذا السياق سياق تمثيل لا حصر، وأن هؤلاء العِدى يتعرضون للرجم أيضا في أماكن أخرى غير التي ذكرها، وهذا ما يحققه هذا النمط من التركيب، أما العطف بالواو مع حذف الجار فقد يدلّ على انحصار ذلك بالأماكن المذكورة فحسب.

غير أن هذا النمط يتحول عند الشاعر في بعض الأحيان إلى نمط آلي لا تجد فيه ما يثري دلالة النص وربما دفع بقارئه إلى السأمة والضجر، ولم يكن الدافع إليه فيما يبدو غير مسايرة الأسلوب الحداثي العصري الذي جعل هذا النمط كثير الورود في قصيد الشعر الحر، فمن هذا قوله في نص (نزهة):

"لماذا تجيئين بعد انتظار طويل- مطرّزة بالفرح - وبالحزن/ بالصمت/ بالحُسن/- بالنظرة المستريبة/ بالهُدُبِ الناطقة."[50]

غير أنه في الغالب الأعم يحرص على وجود نوع من الارتباط الدلالي بين الكلمات المتفاصلة يكون معوّضا عن حذف العاطف، فمن ذلك قوله في نص (الطاعون):

"كلّ الطرقات مكفّنة بالصدأ/ العفنِ -/السلّ /الجدري /الطاعون."[51]

والكلمات المتفاصلة متقاربة المدلول، فهي تنتمي إلى الحقل اللغوي عينه وهو حقل المرض، وكأنها لوحدة حقلها اللغوي استغنت عن الربط بينها بالواو. ونلحظ أنه اكتفى هنا بحذف العاطف ولم يكرر حرف الجر كما فعل في الشواهد السالفة.

ومن هذا القبيل من التناسق الدلالي بين الكلمات المتفاصلة قوله في النص نفسه:

"هل تبصر في هذي الغابة أسرابَ الخفاش -/ الدودَ، / النملَ الوحشيَّ."[52]

وربما كانت الكلمات المتفاصلة مترادفة، فاستغنت بترادفها عن الربط بينها بواو العطف كما في قوله في نص (حلم):

"أقلّب فوق لهيب الضجر -/ السأمِ/ القلق - الجسدَ المطعون."[53]

وقد يعتمد الشاعر علاقة الخصوص والعموم بين الكلمات المتفاصلة رابطا مغنيا عن الربط بينها بالواو كما في قوله في نص (غيبة الشاعر):

"ترى هل درى الزائرون، الطهاةُ، الممرضةُ، الجمعُ - من كان بالأمس ضيفا غريبا؟ "[54]

فلو عطفها على (الزائرون) لكان من باب عطف العام (الجمع) على الخاص.

وربما مزج في سبكه الشعري بين النوعين معا في آنٍ واحد:الربط بالواو العاطفة، وحذفها اعتمادا على الاشتراك الدلالي كما في قوله في وصف المرأة في نص (حلم):

"ووراء الحبَب العابث تأتين، تطلّين، - القرط الراقص-والهدب الناعس-والشعر الوحشي - الثغر الشفقي- الـ..- النهد الواثب بالنزق المكنون."[55]

ففي المجموعة الأولى (القرط، الهدب، الشعر)اجتُلبت الواو لتربط بين أفرادها، بينما حذفت في المجموعة الثانية (الثغر، الـ..، النهد)، مع أن الشاعر لو حذف العاطف في الجميع لكانت علاقة الجزء والكل صالحة للتعويض عن العطف بالواو في المجموعتين معا: ما عطف فيه وما لم يعطف، فما الذي حمله إذن على ذلك؟ يبدو أن الحرص على سلامة الوزن كان وراء ذلك، وربما قصد بذلك إلى التنويع درءا للسأمة والملل المحتملين في حال ما قرر الشاعر طرْدَ العطف أو تركه في الجميع.

وربما وقع الفصل بين الجمل في شعره لكون العلاقة بين الجملتين (كمال انقطاع) كما يسميها البلاغيون كما في قوله في المقطع الأول من نص (تسابيح):

"فوق خدّ الحبيبة- دمعةٌ تلوَ أخرى-يمنةً ثم يُسرى -إنّ عيسى بن مريم- كان حليما كريما- وكان بما ينفع الناسَ- أدرى!!!"[56]

إلا أن ذلك التعليل البلاغي لا يروي غلّة المتلقي، فالأصل في النص الشعري أن يكون مسبوكا محبوكا آخذاً بعضُه بحُجُز بعض، غير أنه يتوجّب على المتلقي هنا أن يملأ الفراغ الذي يفصل بين هاتين الجملتين، ولعلّ الشاعر ارتكب ذلك الفصل غير المنطقي قاصدا إثارة فضول القارئ ليُعمل ذهنه أملا في عقد صلة ما بين الجملتين.وربما كانت الصلة – في نظري- تكمن في الموازنة بين قدرة الدمع على شفاء آلام الصبابة من جهة، وقدرة عيسى (ع) في شفاء المرضى وإحياء الموتى بإذن الله، وهو ما يلمح إليه قول الشاعر(وكان بما ينفع الناسَ أدرى)، وكأنه بذلك ينظر إلى قول الشاعر القديم:

لم يُخلق الدمع لامرئ عبثاً = الله أدرى بلوعة الحزنِ[57]

2- الانزياح النعتيُ:

النعت كما يقول النحاة:تابعٌ مكملٌ لمتبوعه لدلالته على معنى فيه أو متعلّق به، ويرد مدحا وذما وتوضيحا وتخصيصا وتعميما وتوكيدا وغير ذلك.[58] وفي الشعر الحديث يتجاوز دور النعت

في صور كثيرة هذه الوظائف الدلالية التي أشار إليها النحاة، إذ لا يقتصر دور النعت على توضيح المنعوت باستعراض ما يلابسه من صفات وأعراض، ولكن يتعدى ذلك إلى إعادة تشكيل المنعوت بصورة جديدة غير مألوفة، و قد يكون ذلك بنعت الجمادات بصفات الأحياء مثلا، وقد وقع في شعر الوقيان من هذا القبيل صور عديدة:

من ذلك ما تراه من توظيف مكثّف لهذه الآلية في نص (إشارات) حيث يقول:

"هاهمُ القادةُ الفاتحون - يُطلُّون -تلمع أنجمُ أكتافهم -في الصباح/ القتيل -تسابقهم حشرجات الرصاص - يسدّون كل المنافذ- والطرقات/ الحزينة - تجتاح نعلهم كل شبر ببيتي - ونبضٍ بقلبي -تُبعثر أوراقي/الصامتة - تمزّق ألعاب أطفالي الخائفين-وأرمق جمعَهم المنتشي بانتصاراته - في الزمان/ العليل."[59]

فهو يتعامل مع هذه المنعوتات (الصباح، الطرقات، الأوراق، الزمان)بطريقة التشخيص، فيسبغ عليها ثوب الحياة والإحساس بما يُتبعها من نعوت إنسانية (القتيل، الحزينة، الصامتة، العليل)، وغايته من وراء ذلك أن يصوّر للمتلقي القدر الهائل من الألم والوجع الذي تسبب به هؤلاء الغزاة، فهو لم يقتصر على بني الإنسان بل تعداه إلى الوجود كله فصبغه بلون الحزن والألم.وفي وصف الصباح بالقتيل مفارقة مؤلمة، فالصباح مفتتح النهار الذي هو زمن العمل وطلب المعاش، وقتله يعني اختفاء مظاهر الحياة التي خيّم عليها السكون والوجوم، وأما الطرقات فوصفها بالحزن دليل على خلوها من المارّة، فالحزن هنا يعادل الوحشة والوَحدة، وأما الأوراق فهي وعاء الكتابة ورمز العلم والثقافة، وحين تصمت فذاك دليل على تغييب الحرية التي لا يمكن للثقافة أن تكون بدونها، وأما وصف الزمان بالعليل فذاك من قبيل شكوى الدهر التي اعتادها الشعراء، وكفي به علّةَ وسقما أن يسمح لهؤلاء الطغاة بممارسة ساديّتهم ضدّ الأبرياء الآمنين.

والشكل البلاغي المستعمل في هذه التقنية هو الاستعارة المكنية التي تتلاءم مع فكرة التشخيص القائمة على تناسي فكرة الإجراء التقليدي للاستعارة القائم على أساس علاقة المشابهة بين المستعار له والمستعار منه، إذ لا يتيسر لمن يقوم بتحليل الاستعارة تعيين (الجامع) بين طرفيها (أ- الصباح، الأوراق، الزمان..الخ /ب- الإنسان)، وهو ما يُدعى بـ(تبادل المدركات)عند بناء الصورة الفنية حيث تكتسب المعنويات صفات الماديات- وبالعكس- من خلال التشبيه والاستعارة، وذلك إما أن يكون:

- بالتجسيد: حين تكتسب المعنويات صفات حسية مادية لكنها تبقى في دائرة الجماد الميت.

- أو بالتشخيص: وذلك حين تكتسب المعنويات أو الماديات صفات الأحياء، فتدبّ الروح فيها.

-أو بالتجريد: ويكون عند اكتساب الماديات صفات معنويّة مجرّدة.

ونتيجة لزوال الحدود الفاصلة بين المحسوس والمعقول وبين الجماد والحي، يتمكن الشاعر من "تثبيت العلاقات التي تصل ما بين الأشياء والفكر، ومابين المحسوس والعاطفة، وما بين المادة والحلم أو الخيال."[60]

ومن صور هذا الانزياح النعتي في شعر الوقيان قوله في نص (تعويذة في زمن الاحتضار):

" يُعشعش للعناكب في أخاديد/ السنا /المقتول ليلٌ /شائهُ أغبر"[61]

حيث ألبس كلاّ من السنا والليل ثوب الحياة، ومنحهما صفة الإنسانية، غير أنه جمع بين التجسيد والتشخيص معا في السنا، فالأخاديد من صفات الأرض التي استعارها للسنا ابتداء، ثم استعار له أيضا صفة إنسانية (المقتولية)، فجمع بين استعارتين مختلفتين لمستعار له واحد، وهو ما يمكن أن نسمّيه بـ(الاستعارة المزدوجة).

ومنه أيضا قوله في هذا النص:

"وفي الأعشاش زُغبٌ:- ترقب العُقبان - تخشى المخلب/ المجنون -يعجن لحمها بالريش - يسفك دمعها/ الأحمر." [62]

فوصف المخلب بالمجنون يعلل سر خوف تلك الأفراخ، فهو يضرب دون تفكير ولا تمييز، فحقّ لها أن تشعر بالرعب منه.وأما وصفه الدمع بالأحمر فهو خروج على السياق المتوقّع من قبل القارئ (يسفك دمها الأحمر)، إذ تهدف عملية الاستبدال التي قام بها الشاعر- عبر تغيير الموصوف الأصلي (الدم)وإبقاء صفته للموصوف المستحدَث(الدمع)- إلى تصوير بشاعة رعب الترقب والخوف الذي صبغ الدموع باللون الأحمر، فكأنها من شدة توجسها وتوجعها تذرف دما لا دمعا.

وقوله أيضا في النص نفسه:

"وللجزّار شوقٌ عارمٌ للنَّحرِ-للسكين نصلٌ /جائعٌ/ يزأر "[63]

حيث يتحول نصل السكين إلى أسدٍ ضارٍ فتكَ الجوع به فأخذ في الزئير، وفي هذا التشخيص تصوير لحجم الرغبة الشديدة في النحر التي تملّكت الجزّار، وانتقلت منه لتسكن سكّينه!.

ومن هذا القبيل ما نراه من أوصاف المحبوبة حيث تجتمع الطريقتان:الوصف المتلائم والوصف التنافري في قوله:

"ووراء الحبَب /العابث تأتين، تطلّين، - القرط /الراقص-والهدب الناعس-والشعر/الوحشي - الثغر_الشفقي- الـ..- النهد الواثب بالنزق المكنون."[64]

فالأوصاف هنا تتضافر لتصنع لنا صورة من الجمال الصارخ الممتلئ حيوية ونزقا: فالقرط راقصٌ، وشعر الرأس ثائر كالوحش، والنهد واثب بالنزق والطيش، ويتماهى هذا الجمال مع الموقف نفسه الذي يصطبغ بأجواء الفتنة والإثارة، ولذا ففقاقيع كأس الخمر المتصاعدة تتشخص في شكل شابٍ عابث. [65]

غير أن الوقيان لا يُبعد في ذلك كثيرا كما يفعل بعض نظرائه في هذا الباب حيث تتردّد في أشعارهم استعارات مُغرقة في التنافر بين النعت والمنعوت من قبيل:الثلج الأسود، والبحر الأبيض..الخ، وذلك أن الحداثة الشعرية عنده متزنة معتدلة، وربما كان السرّ في ذلك عائدا إلى الطبيعة الفنية المزدوجة لتجربته الشعرية التي تجمع بين شكلي النظم:الخليلي والحر معا، ولم يشكل تفضيله للنمط الشعري الحر أدنى قطيعةٍ بينه وبين النظم الخليلي الذي لا يزال يتعاطاه رغم غلبة النمط التفعيلي على جلّ نتاجه الشعري المتأخر.

3- التكرار:

للتكرار حضوره الملحوظ في الشعر العربي القديم، إلا أن هذا الحضور ازداد بنسبة كبيرة في الشعر الحديث حتى غدا سمة من سماته المميزة، وصار لونا من ألوان التجديد في الشعر، وذلك لما يحويه هذا الأسلوب من إمكانيات تعبيرية ثرية [66].وقد كان للتكرار نصيبه من خريطة التقنيات الأسلوبية في شعر الوقيان، إلا أنه اقتصر على نصوص محدودة[67]، وإذا ما استعرضنا الوظائف الدلالية التي يؤديها التكرار فإننا سنجدها تنحصر في وظيفتين رئيستين:

أ- التكرار المقطعي:

ويكون التكرار فيه مؤذنا بافتتاح مقطع جديد من النص[68]، وينشأ الاعتلاق بين المقاطع نتيجة لاتفاقها في المفتتَح نفسه، وقد حظي هذا النوع بجلّ صور التكرار في شعر الوقيان، فمن هذا الضرب قوله في نص(زيارة)حيث استأثرت جملة (تأتين) بافتتاحات المقاطع الخمسة كلّها:

" تأتين - يلبس الزمان حُلَّةً أخرى.........

تأتين -تمشين كمشية القطا.....

تأتين -يخضَلُّ المدى........

تأتين -يا شمس الشتاء.......

تأتين-فتنةً - بدائعاً مُموسقة........ "[69]

فالنص يصوّر لنا الآثار الجمالية التي تتركها زيارة المحبوبة في نفس الشاعر حيث تصبغ نظرته للوجود بصبغة الجمال والتفاؤل، ولذا جاء كل مقطع من هذه المقاطع الخمسة ليصوّر لنا أثرا من تلك الآثار المترتبة على مجيء المحبوبة، فناسب أن يكرر تلك الجملة ليؤكد الوحدة الموضوعية والشعورية الجامعة بين تلك المقاطع.وفي سبيل تأكيد الدور الفاعل المتجدد للزيارة استعمل الشاعر صيغة الفعل المضارع (تأتين)الدالة على الاستمراريةوالتجدد ليرسل دعواه إرسال الحقائق المسلمة التي لا تتغير بتغير الزمان.

ومن هذا تكرير جملة الأمر (تَفَجَّرْ) في نصّ (تعويذة في زمن الاحتضار):

"تفَجَّرْ - أيُها الغضبُ المُهجَّر......

تفَجَّرْ -إنّ دودَ الأرض يزحف....

تفَجَّرْ -قد ذُبِحتَ الآن....

تفَجَّرْ -إن أفعى الدّارِ تخرج.....

تفَجَّرْ -إنَ ليلا قاتلا يطوي المدى.... "[70]

والنص بجملته ليس سوى خطاب تحريضي على الثورة والمقاومة، مُوجَّهٍ للأمة التي تعيش لحظات الاحتضار وتنازع سكرات الموت، ولذا يغدو تكرير جملة الأمر (تفجّرْ) في مطالع المقاطع أمرا منطقيا تستدعيه فكرة النص المحورية لتعلّقها المباشر به، فالجمل الخبرية التي تلي هذه الجملة الإنشائية في المقاطع كلّها تتغيّا الحثّ وتحريك الهمّة إلى الاستجابة لفعل الأمر عبر ذكر الأسباب الداعية إلى الثورة (إنّ دودَ الأرض يزحف..، قد ذُبِحتَ الآن..) الخ، ولذا وقع التكرار هنا في حاقِّ موضعه، لأنَ"اللفظ المكرّر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، و إلا كان لفظيّة متكلّفة لا سبيل إلى قبولها."[71]

ومن صوره ما وقع في نص (البشارة) من تكرير جملة (هذا زمان...) في صدر معظم مقاطعه:

"هذا زمانٌ تستفيقُ به البشارةُ...

هذا زمانٌ تسقط الأوثانُ فيه...

هذا زمانٌ تستفيقُ به الحجارةُ..." [72]

والدافع إلى تكرير الإشارة إلى هذا الزمان تحقيق معنى البشارة المرتبط بعنوان النص نفسه، فهذا الزمان بأبنائه سيحمل إلى الأمة بشارة النصر والتغيير، وفي تكريره ما يقوي اللحمة بين

مقاطع النص المختلفة.على أن التماثل الكبير بين مطلعي المقطعين الأول والثالث يدفع بالمتلقي إلى طرد التماثل بين المختلفَين (البشارة/ الحجارة)، وكأن البشارة تختزل تجلياتها في نظر الشاعر في (الحجارة)، وهي الحجارة التي كانت سلاح الأطفال والفتيان في الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ثمانينيات القرن الماضي، وهو ما يتماهى مع مطلع النص حيث جملته الأولى (الأرض ترجمكم حجارتها).

ب- التكرار التقليدي:

ونعني به التكرار الذي لا يخرج عن وظيفته الأصلية عند البلاغيين المتقدمين المنحصرة في توكيد المعنى وتقريره في ذهن المتلقي[73]، وله صورٌ وُفِّقَ فيها الشاعر، من مثل التكرار الواقع في نص (غيبة الشاعر)حيث يقول:

"تُرى هل درى الطّهاة، الممرضة، الجمع -من كان بالأمس ضيفا غريبا....؟

تُرى هل درى الجمعُ من كان بالأمس دمعَ المحاجر.....؟

تُرى هل درى الجمعُ إن الذي قد هوى تمدّد بين الضُلوع...؟ "[74]

هذا الاستفهام المتكرر ممتزج بالحسرة والتأسف على عدم إدراك المجتمع لقيمة هذا الشاعر الراحل (عبدالله سنان) حيث لم يشعر أحد بغيابه، وكأنه واحد من هؤلاء النكرات الذين يغادرون دنيانا كل يوم بالعشرات دون أن يكترث برحيلهم أحد!وقد استعان الشاعر بالتكرار هنا ليقرر في أذهاننا هول وفداحة الصدمة التي ألمّت به إزاء حالة الجحود والنكران التي صحبت الشاعر الراحل في حياته وبعد مماته.

ومن هذا الضرب تكرير جملة (وبقيت وحدي) في نص (من مذكرات حمار)التي جاءت على لسان الحمار، حيث أشار النص في بدايته إلى المجيء المشترك للإنسان والحمار إلى الحياة معا، وكان الضمير المسيطر (نحن) في صورة (نا)الدالة على الفاعلين أو الضمير المستتر (نحن):

"جئنا معا.... صنوان كنّا... نصطلي لهب السعير - نشقى – نفتّش عن فراش...نتقي غضب الرياح...تلفحنا صقيعا "[75]

ولكن المصير فرّق بينهما، فنَعِمَ الإنسان بخيرات الحياة، وبقي الحمار يقاسي مرائرها:

"وبقيت وحدي – أطوي القفار الموحشات......

وبقيت وحدي –أحرث الأرض الجديبة "

والتكرير هنا مما يفترضه الموقف الشعوري ويتطلبه مقتضى الحال، فتقرير الوحدة التي يعاني منها الحمار يستدعي ذلك.ومما جاء على هذا النحو تكرير جملة (تسائلني طفلتي) في نص (إشارات)[76] حيث يقول:

"تسائلني طفلتي – في المساء الكئيب – من هؤلاء؟ ومن أين جاءوا؟ وماذا يريدون؟........

تسائلني طفلتي – وأنا صامتٌ لا أجيب – أجول بطرفي – في الطرقات المباحة........

وتسألني طفلتي –أستفيقُ – دويٌّ يهزّ المكان –فترتجُّ كلُّ الشبابيك......."

فالتساؤلات المتوالية عبر التكرير بالإضافة إلى استعمال صيغة (المفاعلة / المساءلة)الدالة على موالاة السؤال وتتابعه[77].

ومن هذا الباب تكرير ضمير المخاطب (أنت) في نص (بكائية):

"كيف نجيء إليك/بكلّ الهموم التي في الصدور/وأنت الخبير بما في الصدور/وأنت الكبير إذا ما صغُرنا/ وأنت القوي إذا ما تعبنا "[78]

فهو ما يقتضيه الموقف الرثائي حيث ينعَى الشاعرَ الراحل، فأسلوب النوح على الميت يتطلب تعداد محاسن الميت، و تكرير الضمير هنا يتفق تماما مع هذا الأسلوب.

غير أن الوقيان لم يوفّق في بعض صور التكرار إذ جاء متكلفا لا يخلو من تعمّل وتصنّع، ولم يكن مما يتطلبه البناء الشعوري للنص كما مرّ في الصور السابقة، فمن ذلك ما وقع في نص (في البدء كانت صنعاء)في قوله:

"كان لا بدّ في البدء من وحي صنعاء - من نبضِ صنعاء – من ضوءِ صنعاءَ – كي يستقيم السفر..

كان لا بدّ من قِبلة الأرضِ.....

كان لا بدّ أن تنهلَ الروحُ – فيضَ الصُّور..

كان لا بدّ أن نفتدي بلقيس – في القدس..

كان لا بدّ من أن نمسحَ العارَ عن وجه غسّانَ..

كان لا بدّ من سبأ – من معين وأُوسان..

كان لا بدّ.. كان لا بدّ..كان لا بدّ

كان لا بدّ في البدء من نبضِ صنعاء - من ضوءِ صنعا–من وحي صنعاءَ –كي يستقيم السفر.." [79]

فتكرير جملة(كان لابدّ) تسع مرّات أثقل النص وأورث لدى قارئه نوعا من السأمة والملالة، وحوّل التكرير إلى عملية شبه آلية، ومما زاده ثقلا التكريرات الثلاثة المتوالية دون فصل(كان لا بدّ.. كان لا بدّ..كان لا بدّ)، وكأن القارئ لم ينتبه إلى مغزى الشاعر من التكرير في الصور السابقة فاقتضى الأمر قرع أذنه بهذه التكريرات المتلاحقة! كما أن التغيير الذي أجراه الشاعر على المقطع الأخير المكرر (كان لا بدّ في البدء من نبضِ صنعاء...)عبر تغيير ترتيب المتضايفات (وحي، نبض، ضوء/ صنعاء)لم ينجح في التخفيف من سآمة التكرار، بل إنه كشف أن ترتيب المتضايفات في المقطع الأول لا مسوغ له، بدليل التغيير الذي طرأ على مواضعها- تقديما وتأخيرا- عند إعادة المقطع الخاتم.وإن كان التساؤل لا يزال قائما حول ماهية كل من (وحي صنعاء)و(ضوء صنعاء)و(نبض صنعاء) والفروق المتوقعة بينها التي دفعت الشاعر إلى تفصيلها على هذا النحو عوضا عن الاستغناء بواحد منها عن قسيميه الآخرين.

وقل مثل هذا عن تكرير الضمير (نحن)سبعاً في (نشيد لأطفال الكويت):

"نحن ابتسامة الكويت في الفرح-ونحن دمعها من المحاجر انسفح -ونحن في سمائها قوس قزح-نحن أبناء الكويت-نحن أزهار الحديقة-نحن أنوار الحقيقة-نحن أعداء البنادق-نحن نأبى أن نرى في حقلنا وجه الحرائق "[80]

فلو عمد الشاعر إلى نثرها في ثنايا النشيد لتتصدر مطالع مقاطعه - كما مرّ نظيره في التكرار المقطعي- لأدّت دورها الدلالي في توكيد مفهوم الوحدة والاتحاد، وسلمت بذلك من عاقبة التكرار المتلاحق المُضجِر.

4- حركة الضمائر والوظيفة الشعرية:

تتلون صيغ الخطاب في القصيدة لتعبر عن الموقف الذي تتخذه الذات الشاعرة مما يحيط بها من شخوص وأحداث، فالذات في حالات شعرية تنكفئ إلى الداخل فيغدو التعبير عن ما تمر به من مصطرعات ومعتركات شغلها الشاغل فما تسمع إلا صوتها المؤكد لوجودها رغم كل شيء، وفي حالات أخرى يحلو للذات أن تتقمص دور الخطيب الذي ينقد ما حوله ومَن حوله، موجهة الخطاب إلى الغير وكأنها تتلذذ في أداء دور اللاعب الفاعل الذي يؤثر ولا يتأثر، وربما تعقدت الأمور أكثر فتداخلت الأحوال بحيث تظهر الذات في بعض تجليات النص في صورة الآمر الناهي، وفي مواضع أخرى منه في صورة المستقبل المنفعل. وفي بعض الأحيان تجرّد الذات نفسها من حركة السياق الشعري – تأثرا وتأثيرا- لترصد الأمور من الخارج، وتقوم بدور الراوية الذي يسرد الأحداث دون أن يشارك في صنعها.

وقصائد الوقيان لا تخرج عن هذه الأنماط المعهودة، فمرة يسود النصَّ ضمير التكلم الكاشف بجلاء عن الأنا، وحينا يكون ضمير الخطاب هو السائد في القصيدة حيث تقوم الذات بدور خطابي منبري، ولا أحسب أن الدراسة النقدية العميقة يقتصر دورها على رصد تحولات الضمائر وإحصائها بل إنه يتعدى ذلك إلى ما هو أجدر بالدرس وهو تقديم تفسير نقدي مقنع لطبيعة هذه التحولات وما يترتب على غلبة نمط منها بعينه من نتائج ودلالات تتوقف في جانب كبير منها على الوظيفة التعبيرية التي يتوخاها الشاعر من شعره.

ويمكننا القول أن الأنا في شعر الوقيان تتجلى في أربعة أشكال، وهي: الأنا المنبرية– الأنا المتوجّعة - الأنا الساردة – الأنا المقنّعة.

أما الأنا المنبرية:

فتبدو الأكثر حضورا في شعره، حيث يغلب النفس الخطابيّ – نسبة إلى الخطابة- على روح الشاعر، فهو يقوم بدور الخطيب الناقد الموجّه، وربما كشفت سيطرة هذا النمط التعبيري على القسم الأكبر من قصائده عن وظيفة الشعر لديه، إذ يتحول الخطاب الشعري إلى خطاب اجتماعي إصلاحي ينبّه إلى المنهج الصائب في نظره، ويحذر من ظواهر الانحراف، ولذا فهو يمجّد النماذج الإنسانية الراقية، ويمعن في هجو النماذج المناقضة لها. فمن هذا القبيل ما نراه في نص (تعويذة في زمن الاحتضار)[81] التي يسيطر عليها أسلوب الخطاب الطلبيّ المباشر، حيث تفتتح القصيدة بفعل الأمر (تفجّرْ)، ويتكرر هذا الفعل في مطالع المقاطع جميعا، وأما الجمل الخبرية التي تليه فإنها مثله إنشائية المعنى، وغايتها التحذير والتحريض، تأمل مثلا قوله:

"تفجّر – قد ذُبحتَ الآن – مرّات ومرّات –تراودك الذئاب السود – تسرق منك نبض الروح..."

وقوله أيضا:

"تفجّرْ –إن أفعى الدار تخرج – من شقوق..صخور جدرانك..."

وتبدو الروح الحماسية طاغية في نص (البشارة)[82] حيث تمتلك الأنا زمام الخطاب الموجه إلى الجمع:

" الأرض ترجمكم حجارتها- ويفقأ عينكم شوك النخيل – في القدس في العشّار –في ميسان......

ويسيطر الأسلوب الخبري على النص برمّته، وتتوالى الأخبار هنا حاملة بشائر النصر والعزّ على يد الجيل الجديد، وتأتي الأفعال المضارعة في هذا السياق دالّةً على الاستقبال، ونكتفي للتمثيل لذلك بهذا المقطع:

"هذا زمان تستفيق به البشارة – ويُهلل القسام –للطفل المدجّج بالحجارةْ –يختال سعد – في الصفوف – تشقّ خيل الله – فجر القادسية – من جديد – ينهار بيتُ النار – تطفئ صولة الفرسان ناره."

أما الخطاب الهجائي الساخر فتراه جليا في نص(هنيئا لكم)[83] الذي ينبئك عنوانه المتضمن لضمير الخطاب الجمعي عن الجهة التي يريد الشاعر إبلاغها رسالته التي يتوخّاها:

"هنيئا لكم أيُها (المسلمون)-تكفّنتمُ بدماء النفوس – التي حرّم الله أن تُقتلا..

هنيئا لكم أيُها (المتقون)-فإن الجهادَ الذي تعشقون – وضوء أتى من غبار المقاعد...

هنيئا لكم أيُها (المسلمون)-فإنّ الألى تقتلون –وإن الألى تحبسون....... "

وقد تتحول الأنا الفرديّة إلى أنا جمعية تتكلم بلسان المنتمين إلى الأمة كما ترى في نص (في البدء كانت صنعاء)[84]:

"حينما جاوز الركب أفياء مأرب –أسوار صَرواح –كنّا عطاشاً – وكانت قوافلنا تنهب الأرض – تقفو المطر –وإليها نعود عطاشاً – وقد ضيّعتنا دورب السفرْ "

وحديث الأنا هنا عن نفسها ضمن المجموع لا يخرج حديثها عن حيّز الخطاب المنبري الموجّه إلى الغير توجيها وتلقينا، إذ تبدو معاني الأمر فيه جلية واضحة وإن جاءت في صورة الخبر كما ترى في قوله:

" كان لا بدّ أن نفتدي أسرَ بلقيس – في القدس – أن نحتذي درب أروى[85] - كان لا بدّ أن نمسحَ العارَ - عن وجه غسّانَ "

ففيه دعوة صريحة لافتداء أسر بلقيس واحتذاء درب أروى ومسح العار عن وجه غسّان.[86]

وأما الأنا المتوجّعة:

فهي على صلة وثيقة بالأنا المنبرية، فالعلاقة بينهما كعلاقة السبب بالمُسبَّب، فالتوجُع من الأوضاع الاجتماعية والسياسية يدفع بالأنا إلى ممارسة دور الخطيب الواعظ بهدف إصلاح تلك الأوضاع وتجاوز ما يعتريها من هزائم وإخفاقات، غير أنها دعوة قولية مجرّدة من الفعل الإيجابي. وتعكس الأنا المتوجعة شعوري العجز واليأس اللذين يتملكان الذات، فتبدو في خطابها الشعري

ضعيفة عاجزة، ترى ذلك جليا في نص (زمجرة)[87] الذي يسيطر عليه بصورة تامة ضمير التكلم منفصلا ومتصلا:

"مُتعبا كنتُ – ومازلتُ –وأبقى – بينَ جنبيّ – ومن خلفي – وقدّامي –حرابٌ..- تحتزُّ يقيني – وأنا والوحدةُ الخرساءُ – أجترُّ الرؤى – تدمَى ظنوني....." الخ.

فالأنا في هذا النص عاجزة عن فعل أي شيء، بل تمضي مستسلمة إلى مصيرها المظلم دون مقاومة:

" أستقبل الجزّار – يسقي شفرة السكين بالسُّمِّ – يُداوي جُرحي الغائر- بالدّاء المكين "

ولا تملك سوى أن تتمنى استقامة حالها دون أن تحرّك ساكنا:

"وأبقى – قلَقاً يمشي...عبثا أغمض عينيَّ – على الجمرِ – فهل تشفى جفوني؟ "

وهكذا يبدو حالها في نص (حلم)[88] حيث يبسط الزمن سلطانه عليها، وتعاني لعجزها ألوان الضجر والسأم لفقدها القدرة على التغيير، فلا تملك سوى انتظار تحقق الحلم المستحيل:

" وتمرُّ الساعةُ تلو الساعة – كالدّهر الممتدِّ بلا شكل...- وأنا أفترشُ الجمرَ – أقلِّبُ فوق لهيب الضّجرِ –السأم، القلق – الجسدَ المطعونْ – إني أنزفُ أنزفُ – لا تقوى رجلاي على حملي...... إنّي أحترق الآن- الحلمُ، الشكُّ، يمزّقني – أفنى... وأنا وحدي – والليل المُمتدُّ – بلا أسوار – يطحنني -يقذفني في اليمِّ... يتناءى الشاطئ – يخنقني الطُّوفان.."

فهي في مقام المنفعل الذي تتسلط الأفعال عليه (يمزقني، يطحنني، يقذفني، يخنقني)، والفعل الوحيد الذي يصدر عنها هو التألم (أفترش الجمر، أقلّب..، أنزف، أحترق) وإفناء ذاتها (أفنى)!.

ويتكرر مشهد الذات المتوجعة في نص (خفقة)[89] الذي يصور فيه عجز الأديب عن مواجهة سلطة الرقابة الصارمة، حيث لا تملك الذات من أمرها شيئا سوى التوسل إلى الآخر المستبد، فالمقطع الأول منه يفتتح بالاستفهام المعبّر عن ضعفها:

"ماذا تريد يا أيُّهذا المستقرّ في فمي؟....تحصي على أدمعي-لهيب أضلعي -تبسّمي تلفّتي"

ثمّ تشرع في المقطع الثاني في تقرير مظاهر ضعفها بجلاء ودون أدنى مواربة عبر أخبار متوالية:

"أصابعي مقطّعة – حقائبي مضيّعة – عصفورتي في عشّها – حزينةٌ مُروَّعهْ "

ثم تقدم تنازلاتها للآخر أملا بخروجها من هذه المواجهة غير المتكافئة بأقل الخسائر، ونلحظ استعمال فعل الأمر على سبيل الالتماس والاستعطاف:

"خذْ ما تشاء – من فمي – ومن دمي... واترك لديَّ خفقةً – تَرِفُ في الوريد ".[90]

وأما الأنا الساردة:

فتجدها حين يتقمص الشاعر دور الراوية الذي يسرد الأحداث دون أن يعلّق عليها بشيء، مانحا المتلقي مكانا ذا سعة ليفسر النص وفق رؤيته الخاصة به دون أي إملاء خارجي يمارس عليه من قبل الشاعر.وفي هذا الضرب من النصوص تهيمن اللغة الخبرية الوصفية على اللغة، ويتحول التعبير الشعري إلى ما يشبه ريشة الرسام التي تحاول نقل الصورة إلى ذهن المتلقي بكل مكوّناتها، كما ترى في نص (مذبحة الفواكه)[91] حيث الاهتمام بدقائق التفاصيل بلغة تقريرية يغلب عليها ضمير الغيبة:

"ويأتي خليلُ – بأكياس فاكهةٍ للصغار – ويبقى يراقب في صمته المئذنة – وحول المراجيح – يلتفُ جمعُ من الصبية المتعبين...وتبقى النساء – تروح، تجيء – تراقب أطفالها في حذر – تجمّع أشياءها – الماء، والبُسطَ، والأطعمةْ..."

وفي نص (الهبوط من الجنّة)[92] تتحول الوظيفة الشعرية إلى ما يشبه النظم، وذلك حين يتحول الشاعر إلى ناظم تتلخص مهمته في إعادة سبك المعاني المنثورة في قالب شعري ملائم لها ولا يكون للذات من أثر في ذلك، ففي هذا النص يحكي لنا الشاعر قصة خروج آدم من الجنّة بتفاصيلها مقتبسة من القرآن الكريم ومن التوراة والإسرائيليات فيما يتعلق بتجسد الشيطان في إهاب حيّة.و نلحظ في الصياغة الشعرية الاقتراب الشديد من اقتباس النص القرآني بصورة شبه مباشرة كما في قوله:

"فاهبطا منها...واسكنوا الأرض – ففيها للأُلى ضلّوا مقرّا "

وهو ما سيأتي بيانه عند الحديث عن أشكال التناص في شعره.

كما تبدو اللغة الشعرية تقريرية مباشرة في نص (العروس والقرصان)[93] حين يتحدث الشاعر عن وطنه مستعرضا ما فيه من مباهج الجمال، ليقتصر دور الذات على السارد المسترسل الممعن في استقصاء التفاصيل:

" للفجر في الكويت نكهةٌ – تعرفها زُغب العصافير – وللندى على براعم الزهور نفحةٌ....

والشمس في الكويت – تحوك من شعاعها الفضيّ.. – بردة رحيبة.....

وحين يشرق الربيع -في الكويت- تزغرد الصحارى- فترتدي فستانها العشبيً –عقدَها أقراطها...

وللخليج حين يستريح – في شواطئ الكويت –زُرقةٌ كزُرقةِ السماء........ "

غير أن السرد يحوّل النص - كما في قصيدتي (عصفورتان) و(عوسجة)- إلى ما يشبه الأقصوصة القصيرة التي تؤدي دور البطولة فيها عناصر من الطبيعة، وإن كان لا وجود لأي أثر حواري بينها، إذ لا صوت إلا صوت الذات الساردة بلغة شعرية ذات صبغة رومانسية واضحة حيث تنتمي جلّ مفرداتها إلى حقل الطبيعة اللغوي.

أما الأنا المُقنّعة:

فهي تلك الأنا التي تتلبس ذاتا غير ذات الشاعر، فتجعل منها قناعا لها وتنطق بلسانها، مستفيدة مما تتيحه لها هذه التقنية التعبيرية من دلالات رمزية ثرية وأفق تعبيري واسع. ففي نص (مذكرات حمار)[94] تتكلم الذات على لسان هذا الحيوان متجاوزة حدود القناع لتعبر عن معاناة الإنسان في العالم الثالث، حيث يستبيح العالم المتحضر دياره، ويستعبد أبناءه، ويمتص خيراته غير معترف له بحقوقه الإنسانية الطبيعية في الحرية والمساواة والعدالة التي تجمع بين بني البشر جميعا، ولذا يبدأ النص بصيغة الجمع المتكلم لتأكيد هذا المساواة في أصل خلق الإنسان:

"جئنا معا- حين اشتعال الماء والصلصال- في الزمن الوليد – صنوان كنّا – نصطلي لهب السعير – نشقى – نفتّش.. "

ثم يقع الاختلال في الموازين، فتكون التفرقة في الواقع الذي نراه:عالم من البشر حظه من العيش الكدح والنصب، وآخر يتمتع وحده بخيرات الكادحين الناصبين دون مقابل، وهنا تتشظى صيغة التعبير إلى صيغتين مختلفتين: صيغة ضمير المتكلم المفرد المعبّر عن الحمار بما يرمز إليه، وصيغة ضمير الجمع المخاطب الرامز إلى العالم المتغلّب:

"وظمئتمُ – وتشققتْ قِرَبُ لكم –وتيبّست أحشاؤكم – فأتيتُكم بالماء من أقصى البقاع..."

ثم لا نرى غير صوت المتكلم المفرد يروي لنا قصة معاناته وما لاقاه من جحود ونكران، ويغيب هنا الجمع المخاطب في إشارة ذكية إلى غيابه الحقيقي عن مأساة الشعوب المستذلة وعدم اكتراثه بمعاناتها:

" وبقيتُ وحدي –أحرث الأرض الجديبة-تستفيق على يدي.....

وحملتُ أسفارا......

أشقى....

أنا أنكر الأصوات...."

أما في نص (الحصاد) فإن الذات تجرّد من نفسها ذاتا أخرى تسوق إليها الخطاب، فهي تتقنع بقناع الخطيب الموجِّه، وإن كان الخطاب موجها إلى الذات نفسها بما يعكس لنا الحوار الداخلي الذي يعتلج في نفس الشعر، فيتخذ من (التجريد) سبيلا لتجلية مجريات ذلك الحوار، فمن صور التجريد عند البلاغيين: "مخاطبة الإنسان نفسه، فينتزع الإنسان من نفسه شخصا آخر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام ويخاطبُه."[95]

والحق أن الشاعر لجأ إلى هذا النمط التعبيري من خطاب الغير – والمراد به النفس- ليخفف من غلواء الفخر والاعتزاز بالذات، فلو عبر عن نفسه في مقام الفخر بالأنا المتكلمة لجاء ذلك في صورة التمجيد المكشوف للذات والتباهي بها، إذ يتحدث النص عن تجربة الشاعر في الحياة وعطاءاته الثرية التي أكسبته التفرد والتميز وإن لم تنل حقها من التقدير لدى الآخرين.ويفتتح النص بنبرة خطابية عالية حيث يتصدر المقطعين الأولين النداء:

"أيُّهذا المسافر – في رحلة الحلم والهمّ....

أيّها السائر المستفزّ سكون البراري – وصمت البحار... "

ثم تتكثّف شحنة الفخر بالذات في المقطعين الأخيرين بصورة عالية في سياق خطابيٍّ جهير:

"وحدك الآن -تحرث في البحر-تغرس في الريح – كلَّ البذورْ –رفّةَ الحلم – نفح الأزاهير – شدو العصافير – قمحَ العصور –وحدك الآن – تحصد في مهرجان الغنائم – شوك القبور."

5- التّناص التراثي:

يمكن القول أن النص الأدبي يمثل فضاء مفتوحا على النصوص الأخرى السابقة لوجوده الزمني، فـ"التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوصٍ مع نصٍّ حدث بكيفيّاتٍ مختلفة"[96]، ومن ثم فلا يمكن للأديب -مهما تعاظمت استقلالية شخصيته الفنية- أن ينأى بنتاجه عن التأثر بما أنتجه سابقوه، ولذا فمن البدهيّ أن نجد في نصوصه صورا عديدة من التناص مع نصوص أخرى وفق أشكال فنية مختلفة ليس هذا بالطبع موضع تفصيلها. غير أن ما يعيننا هنا هو التعرف إلى أبرز هذه الأشكال التي انسربت عبرها تأثيرات النصوص الأخرى إلى شعر الوقيان.وحري بنا أن نشير إلى أن التناص يكشف عن طبيعة الثقافة المسيطرة على فكر الشاعر ووجدانه، فحين يكثر مثلا الاستشهاد بالأساطير الأغريقية في شعر شاعر ما فإنها تغدو مؤشرا ملموسا على حجم تأثره بالثقافة الغربية.

وتتمثل أشكال التناص في شعر الوقيان في ثلاثة مسارات:

أ- اقتباس نصوص قرآنية:

الاقتباس -كما يعرفه البديعيون –"تضمين الكلام شيئا من القرآن الكريم (أو الحديث الشريف) لا على أنه منه"[97]، وهو على هذا النحو لم يقع في شعر الوقيان، فهو لا يحافظ على حرفية النص القرآني، وإنما يصوغ معناه بشيء من التفسير والبيان ولكن دون أن يبتعد كثيرا عن سياقه الأصلي كما ترى ذلك في نص (تسابيح)[98] حيث يقول في المقطع الثاني:

" إنها قرية فاسقةٌ – كان يأتي لها رزقا رغدا – حينما أمَّرَتْ مُترفيها – ثم شاع بها الفسق –حلّ العذاب – نعى ربُّها بغتةً مُفسديها."

وهو هنا يقتبس مضمون الآيتين الكريمتين الآتيتين مازجا بينهما:

-{وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون}[النحل:112].

-{ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا }[الإسراء:16][99].

فالاقتباس هنا قريبٌ من ما يسميه البديعيون (العَقْد) الذي هو إعادة صياغة النص المنثور صياغة شعرية[100]، وتتحول الشعرية هنا إلى نظم آلي لا ابتكار فيه ولا تجديد.

ويكمل الشاعر اقتباسه في النص السالف موردا قصة الطوفان مستلهما دقائق تفاصيلها من القرآن الكريم في المقطع الثالث:

"جاء الطوفان –وتفجّرت الأرض عيونا –كالبركان –وجبالا من موج –يغمر كلّ الوديان – كنعان الجانح يلقى السيل –وحيدا- يطفو حينا – يرسب حينا- وتمرّ الفلك – فتحمل من كلٍّ زوجين اثنين –القوم، الخيل، الغزلان، الجرذان، الـ... –وتشقّ إلى الجُوديّ سبيلا –ويُغيّب الموج الطامي –كنعانْ- ربّ إن ابني من أهلي – لا جبل يعصم من أمر الرحمن".

فالشاعر لم يتعد دوره هنا النظم والصياغة للمعاني القرآنية المقتبسة من عدد من الآيات الكريمة[101]، وربما كان الاقتباس حرفيا كما في:

<u>ربّ إن ابني من أهلي</u> = { فقال <u>ربّ إن ابني من أهلي</u> وإن وعدك الحق.. } [هود:45]

ولا يختلف المقطع الرابع عن سابقيه من حيث كون الاقتباس فيه مباشرا:

"في فمي جرعة الماء تنمو – تزيد –وعلى جانبيّ لظى النار يصرخ – هل من مزيد – نحن والصخر كنّا الوقود– نحن والصخر نبقى الوقود –جلّ محصي الوجود – ما تلفظ من كِلمة أو تزيد – فعليها رقيب عتيد".

الجديد هنا الذي قد يُحسب للشاعر يكمن في قدرته على التأليف بين عدد من المقتبسَات المختلفة التي لا تنتمي إلى نفس الموضوع كما حصل في المقطعين السابقين، ولكنها تداعت من سياقات مختلفة، وهو ما يخفف من غلواء النقل والاحتذاء، ويجئ ذلك وفق الجدول التالي:

النص الشعري	النص القرآني
وعلى جانبيّ لظى النار يصرخ – هل من مزيد	{يوم نقول لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد} [ق: 30]
نحن والصخر نبقى الوقود	{فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة} [البقرة: 24]
ما تلفظ من كِلمة أو تزيد – فعليها رقيب عتيد ".	{ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق:18]

ويتكرر الاقتباس القرآني في نص (الهبوط من الجنّة)[102] حيث يروي لنا الشاعر قصة خروج آدم – عليه السلام – من الجنة وإغواء إبليس له بتزيينه له الأكل من الشجرة المحرمة، وهو يقتفي في روايته النص القرآني بدقائق تفاصيله، وفق الجدول التالي:

النص الشعري	النص القرآني
"هذا سلسل عذبٌ –وخمرة لذّة للشاربين –ورياض متعة للناظرين"	{مَثَلُ الجنة التي وُعِد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرٍ لذة للشاربين} [محمد:15]
"قال يا آدم إني ناصحُ – هل تُرى تسمع قولي – فتصيبنَّ وحواء خلودا –ونعيما- هذه من شجر الخُلد –وفيها كلّ ما تهوى – ومُلك ليس يبلى – واقتفى آدم حوّاء – فنالا من ثمار الشجرةْ –فتعرّى ما قد كان سرّا – ثم راحا يخصفانْ –ورق الأشجار من كلِّ مكانْ "	{فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين} الآيات [الأعراف:20 - 25] {فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى} [طه:120، 121]
"فاهبطا منها جميعا-...واسكنوا الأرضَ – ففيها للألى ضلّوا مقرّاً "	{وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين } [البقرة:36]

غير أن الأمر يختلف كثيرا من حيث طريقة التوظيف الفني للاقتباس القرآني في نص (حلم)[103]، حيث ينجح الشاعر في التخلص من إسار آلية (العَقْد) الذي لازمه في الصور السابقة، وتنفتح للعبارات المقتبسة آفاق جديدة لا صلة لها بمسار النص الأصلي، ويتجلى ذلك في ختام النص المذكور:

" وأنا وحدي - والليل الممتدُ- بلا أسوارٍ – يطحنني – يقذفني في اليمّ – بلا تابوتٍ – وبلا أشرعةٍ –يتناءى الشاطئ –يخنقني الطوفان –لا عاصم من أمر الحلم – سوى جبل الحلم المدفون "

فالوقيان في هذه الفقرة يقتبس من قصتي موسى ونوح – عليهما السلام –ما يعينه على تشكيل رؤيته الشعرية الخاصة مجرّدة عن السياق السردي للقصة القرآنية، فقوله "يقذفني في اليم بلا تابوت" منتزع من مشهد قذف أم موسى لرضيعها في تابوته في اليم {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عدو لى وعدو له} [طه:38، 39]، غير أنه ينص هنا خلافا للآية على أنه قد قُذف بلا تابوت، وهو بذلك يرسم للنص هويته الخاصة متحررا من إسار الاحتذاء المحكم. والحال كذلك في قوله "يخنقني الطوفان.. "الخ فهو وإن انتزع من قوله تعالى {قال سآوي إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين} [هود: 43] إلا أنه جاء على وجه المناقضة[104] لا الموافقة، فجبلُه المتخيَّل - بخلاف الجبل المذكور في الآية- قادر على أن يعصمه من الطوفان، وإن كان جبلا من حلم !.

ب- تضمين نصوص شعرية:

ولم يلجأ الشاعر إليه إلا في نص وحيد، وهو نص (تحولات الأزمنة)[105]، وتتلخص فكرة النص في أن القيم والمبادئ تتبدل مع تطاول الأزمنة، ويعاد تشكيلها من جديد بطريقة تختلط فيها الرؤى وتجتمع في ظلها المتناقضات، جاعلا الصراع العربي الفارسي أنموذجا للتخبط العربي في التعامل مع هذه الأزمة، فقد كان الشاعر ينظر للحرب العراقية الإيرانية -التي احتدمت في ثمانينيات القرن الماضي- من زاوية قومية خالصة، فينتقي من حوادث التاريخ الغابر ما يؤيد فكرته الأساسية في التناقض العربي إزاء هذه الحرب المدمرة، فتراه يستذكر قصة تحرير سيف ذي يزن اليمن من الأحباش بدعم الفرس له بقيادة وهرز، ويضمن نصّه أبياتا جاهلية في مدح سيف ووهرز، وذلك في قوله:

"إنّ جحافل (وهرز) تقتطف النّصر –والجزية السرمدية:

من مثل كسرى شهنشاه الملوك له =أو مثل وهرزَ[106] يومَ الجيش إذ صالا

فاشربْ هنيئا عليك التّاجُ متّكئاً =في رأس غُمدان دارا منك محلالا "[107]

وفي المساق نفسه يستدعي أيضا -على سبيل الموافقة لنظرته القومية للصراع – واقعة غزو كسرى لقبائل إياد، حيث يستشهد بأبيات للقيط بن يعمر الإيادي يحذر قومه من غزو الفرس لهم، فيضمّنها قوله:

" يشكو الإياديُّ عدلَ الإمام ابن شروانَ، ياالإياد الشقيّه:

إنّي أراكم وأرضا تُعجبون بها = مثلَ السفينةِ تغشى الوعث والطَّبَعا

في كلّ يوم يسنّون الحرابَ لكم =لا يهجعون إذا ما غافلٌ هجعا

وقد أظلَّكم من شطرِ ثغركمُ = هولٌ له ظُلَمٌ تغشاكمُ قِطعا "[108]

غير أن الشاعر لم يستعذب هذا النمط من التضمين لما فيه من النقل الصريح، ولذا تجنب تكرير هذه التجربة في النصوص اللاحقة، وربما كان للتباين الإيقاعي بين الشعر الخليلي وشعر التفعيلة دوره في صرف الشاعر نظره عن الأسلوب لاحقا، إذ بدت النصوص المضمنة ناشزة عن السياق الإيقاعي للنص.

ومن صور التناص الشعري القليلة الواقع في شعر الوقيان قوله في نصّ (البشارة)[109]:

"وجهان للوعل البليد – يناطحان الصّخرَ – في بغداد في الأقصى – يُكسِّرُ قرنَه – الوعلُ البليد ".

حيث يقتبس بيت الأعشى المشهور:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفلِقَها = فلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ[110]

ج- استدعاء الشخصيات التراثية:

تترد في العديد من قصائد الوقيان أسماء شخصيات ارتبطت في ذهن المتلقي العربي بدلالات معينة حتى غدت رموزا لها تنصرف إليها بطريقة التداعي منذ الوهلة الأولى، إلا أن توظيف الشاعر لها تميز بالسطحية والمباشرة حيث كانت تُستدعى للإشارة إلى المعنى المرتبط بها بطريقة التلازم، ثم ينتهي دورها عند أداء هذا الغرض، دون أن تدمج ضمن شبكة من العلاقات الدلالية المتنامية يتشكل عبرها بناء القصيدة الفكري والشعوري، فالوقيان لم يعمد مثلا في شيء من قصائده إلى تقمص أي شخصية من تلك الشخصيات ليعبر بصوتها عن تجربته الذاتية الخاصة كما فعل العديد من نظرائه المعاصرين فيما عُرف بأسلوب (القناع)، كما أنه لم يدخل معها في حوار فعّال يخرجها من إسار قالب التاريخ الميت إلى معترك الحياة المتجدد، وإنما كان حضورها في نصوصه كومضات سريعة محدودة التأثير، "حيث يظلُّ ارتباط الشاعر بالشخصية المستخدمة

ارتباطا هامشيا، ويظلّ إحساسه بها من الضعف بحيث لا تستطيع الشخصية أن تستقطب أبعاد تجربته أو حتى بُعدا واحدا منها"[111]. وخير مثال على ذلك قوله في نص (إشارات) [112]:

"هيا أقصُ عليك- قبيل المنام - حكاية قابيل- أخبار صبٍّ يُسمّى سِنِمّار - لما أقام الخَوَرْنَق- فوق ضفاف الفرات"

فالنصّ يتحدث عن غدر العربي بشقيقه العربي، وفي هذا الإطار تأتي الإشارة إلى قصة ابنَي آدم (قتل قابيل لهابيل) لتعزّز هذه الفكرة، وكذا الاستشهاد بالمثل العربي المشهور (جزاء سِنِمّار)[113] الذي يُضرب في مقام نكران الجميل وجزاء الإحسان بالإساءة.

وهكذا الحال في قوله في نص (برقيات كويتية)[114] حين يخاطب "الرفاق" الذي غزوا الكويت متسائلا بكل دهشة:

"هل أنتم أحفاد معتصم -إذا انتخت الأسارى-أم نسل هولاكو-الذي حرق الديارا؟"

فالمعتصم رمز الشهامة والنجدة، وهولاكو رمز الخراب والدمار، وما فعله الغزاة يتوافق مع فعل هولاكو وإن كانوا ينتسبون موطنا إلى بلاد المعتصم، وهنا يكمن سر الاندهاش من هذا التناقض الغريب.

ومن هذا القبيل قوله في نصّ (البشارة)[115] حيث يستذكر شخصيتين بطوليتين، وهما عز الدين القسّام وسعد بن أبي وقاص:

" هذا زمان تستفيق به البشارة – ويُهلّلُ القسّامُ – للطفل المُدجّج بالحجارهْ – يختال سعدُ في الصفوف- تشقّ خيل الله – فجرَ القادسية".

وربما كان الاستثناء الوحيد من هذا التوظيف المباشر- الذي تحتفظ فيه الشخصية بإرثها التاريخي دون تغيير – ما وقع في نص (في البدء كانت صنعاء)[116] حيث تحررت الشخصيات من أسر مسارها التاريخي لتنطلق في فضاءات جديدة تعيد تشكيل دورها الرمزي بما يتماهى مع الواقع المعاصر، حيث يقول الوقيان:

"كان لا بدّ أن نفتدي أسرَ بلقيسَ –في القدس –أن نحتذي درب "أروى" –كان لا بدّ أن نمسحَ العارَ – عن وجه "غسّانَ " –حينَ انتهى مخبراً – عندَ "كسرى" – يريق دماء القبائل في الشّام – يغتالُ "ذي قار" – يقتات من كلّ بلوى "

فبلقيس الملكة اليمنية غدت رمزا لفلسطين الأسيرة، وغسّان تحول إلى عميل لدى الأجنبي المرموز إليه بكسرى، وذي قار التي تعدّ رمزا لانتصارات العرب تتحول إلى هزائم بفضل الخيانات

والمؤامرات، وأما أروى فهي رمز للكفاح والنضال لأنها أول امرأة تتمكن من حكم اليمن في العصر الإسلامي. وهكذا تحررت كل شخصية مما سبق من قالبها التاريخي الأصلي لتجيء متلائمة مع مدلولها الجديد وفق ظروف العصر الذي استدعيت إليه.

وربما جاءت الشخصيات في شعر الوقيان لتدل على العرق الذي تتحدر منه والوطن الذي تنتسب إليه كما في نص (تحولات الأزمنة) الذي يعبر عن رأي الشاعر في الحرب العراقية الإيرانية التي يراها من منظوره القومي صراعا عربيا فارسيا، فتتكرر فيه شخصيات فارسية مثل قورش وكسرى ووهرز وماني لتعبر عن الطرف الفارسي، وأخرى عربية مثل سيف بن ذي يزين والإياديّ لتعبر عن الطرف العربي، غير أن هذا النص عانى من تكدس الشخصيات إلى درجة التخمة، "الأمر الذي لا يدع فرصةً لأيٍّ من هذه الشخصيات أن تنصهر في وهج التجربة لتنبض بما فيها من مشاعر وأحاسيس وخطرات، وتظلّ مقحمةً على القصيدة ومفروضةً عليها من الخارج، وعاجزة عن أن تأخذ مساراتها الشعورية والنفسية في وجدان المتلقي ووعيه."[117]

وأخير فلا بد من الإشارة إلى أن الوقيان لم ينجرّ كما فعل كثيرون من نظرائه إلى توظيف الأساطير الإغريقية والاستشهاد بشخصياتها الغريبة عن الوجدان العربي، بل كان وفيا لتراثه القومي مستحضرا لرموزه الخالدة، فكان معينه الوحيد الذي استقى منه هذه الشخصيات ووظّفها في قصيده.

The Stylistic Features of Khalifa Al Waqayan's Free Verse

Jasem Al-Fuhaid, *Arabic Lang. & Literature, Kuwait University, Kuwait, Kuwait.*

Abstract

The poetic experience of the Kuwaiti poet Khalifa Al waqayan was described as a rich experience, because it has collected between two types of Poetic rhythm: the Classical and the modern (free verse). Therefore, a number of researchers who are interested in studying the Kuwait’s Literature paid a special attention to his unique experience.

This study will focus on the free verse, and it will try to determine the most stylistic features by examining the linguistic techniques that have a significant presence in his poetry. However, the study will not stop at the role of statistics and tracking, but it will try to provide a critical Explanation for his preference to these stylistic options. In addition, it will measure the range of the compatibility between these techniques and the poetic context that contains it; this would also allow us to evaluate his technical ability, and her impact on his own poetic vision.

قدم البحث للنشر في 2008/8/31 وقبل في 2009/4/30

الهوامش:

1 - من أبرز هذه الدراسات:

- إدريس، نجمة: خليفة الوقيان في رحلة الحلم والهم. ط1 دار المدى/ دمشق 2002.

- السنعوسي،هيفاء: شعر خليفة الوقيان بين الموقف الفكري والبناء الفني.ط 1 مطابع الخط/ الكويت 1993.

- خدادة، سالم عباس: قراءة في أربع قصائد لخليفة الوقيان ،المجلة العربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الكويت عدد (74) 2001.

2- انظر: ساندرس، فيلي: (نحو نظرية أسلوبية لسانية) ترجمة د.خالد محمود جمعة.ط1دار الفكر /دمشق 2003: ص124.

3- فضل، صلاح: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. ط 3 النادي الأدبي /جدّة 1988: ص132.

4- إيضاح التلخيص تحقيق محمد خفاجي ط الشركة العالمية للكتاب / بيروت 1989: ص301. وانظر: المراغي، أحمد مصطفى: علوم البلاغة ط 6 المكتبة المحمودية/ القاهرة/ سنة 1972: ص197.

5- مجموعة الخروج من الدائرة ط1 شركة الربيعان للنشر والتوزيع/ الكويت 1988: ص120 - 121.

6- وهو الشاعر الكويتي عبد الله سنان المتوفّى سنة 1984.

7- الخروج من الدائرة ص119.

8- السابق ص36.

9- السابق ص67.

10- ومن هذا القبيل قوله في نص (مذبحة الفواكه) (الخروج من الدائرة ص 35): "وتبقى النساء.....تجمّع أشياءها- الماء والبُسط والأطعمة."

11- الخروج من الدائرة ص96.

12- وهو يخاطب في ذلك ذاته الشاعرة. انظر: إدريس، نجمة: خليفة الوقيان في رحلة الحلم والهم: ص298 وما بعدها.

13- حصاد الريح ط1 مطبعة مقهوي/ الكويت 1995: ص104.

14- الخروج من الدائرة ص81 -82.

15- السابق ص83.

16- حصاد الريح ص22 -23.

17- ويتكرر هذا الجمع بين رمزي الجمال (زهور الحديقة) والثقافة (كراسة المدرسة) لدى الوقيان في نص (هنيئا لكم) (الخروج من الدائرة ص 84 -85): "أراقوا على كتب المدرسةْ – دماء الصغار- ببغداد في أمّ قصر – أصابوا زهور الحدائق – أغاروا على مشتل الورود".

18- حصاد الريح ص35.

19- حصاد الريح ص75 -76.

20- السابق ص102.

21- انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية / م الأنجلو المصرية ط3 ، 1999:ص 66-67.

22- ومن أمثلة هذا النوع قوله في نص (مذكرات حمار) (مجموعة الخروج من الدائرة ص9): "فأتيتكم بالماء مِن أقصى البقاع-بالنار- بالظلّ الذي تتفيؤن. "فالإتيان بهذه المتناقضات (الماء/ النار/ الظل) دليل على قدرة خارقة امتلكها هذا الحيوان المظلوم.

وانظر كذلك في المبالغة في تعظيم فرحة الصحراء بالربيع في قوله في نص (العروس والقرصان) (حصاد الريح ص 32 -33): "تزغرد الصحارى-فترتدي فستانَها العشبي- عقدَها- أقراطَها-لآلئَ الخليجِ."

23- والجار والمجرور كما في قوله في نص (الطاعون) (الخروج من الدائرة ص27): "كلّ الطرق مكفّنةٌ بالصدأ العفنِ السُلِّ الجدري الطاعون."

24- حصاد الريح ص 85.

25- السابق ص89.

26- ومن أمثلته أيضا: قوله في نص (مذكرات حمار) (مجموعة الخروج من الدائرة ص11): "وحملت أسفارا-تناثر في ليلكم: درّا فريدا شهبا وأقمارا."

27- الخروج من الدائرة ص13- 14.

28- استعرت ذلك من البديعيين الذي يسمّون السجع الذي تتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين وزنا وتقفية بالمتوازي. انظر مثلا: القزويني، الخطيب: إيضاح التلخيص (ص547).

29- حصاد الريح ص33.

30- السابق ص70.

31- السابق ص34.

32- السابق ص50.

وانظر أيضا قوله في نص (نزهة) (الخروج من الدائرة ص 104 -105): "تُطالع مرآتها – موضعَ العقد والقِرط -والرُوج والكُحل."

وهو مسوق لبيان حرص هذه الفتاة الشديد على الاعتناء بمظهرها الجمالي عبر التمعن طويلا في المرآة وتفقد مواطن زينتها.

33- الخروج من الدائرة ص43.

34- ومن هذا القبيل قوله في نص (في البدء كانت صنعاء) (الخروج من الدائرة ص58): "كان لا بدّ من قِبلة الأرض –والمنتهى والمُنى والهوى –والمفر."

35- تحولات الأزمنة/ ط1 مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع /الكويت 1983: ص63.

36- الخروج من الدائرة ص92.

37- تعويذة في زمن الاحتضار/الخروج من الدائرة ص21- 22.

38- السابق ص22.

39- ومن باب التفخيم والتعظيم قوله في نص (غيبة الشاعر) (الخروج من الدائرة ص 122): "ترى هل درى الجمع-من كان بالأمس- دمعَ المحاجر-همسَ الجوانح-نبضَ القلوب- شهابا يبدد أشلاء ليلهم المر".

40- السابق ص18.

41- الخروج من الدائرة ص35.

42- السابق ص59 -60.

43- حماسة عبداللطيف، محمد: ظواهر نحوية في الشعر الحرّ (دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور) ط دار غريب / القاهرة 2001: ص134.

44- انظر تفصيل ذلك عند:

1- ابن مالك، جمال الدين: شرح التسهيل تح عبدالرحمن السيد ومحمد المختون ط1 هجر /القاهرة 1990: 380/3.

2- الأندلسي، أبو حيّان: ارتشاف الضرب تح مصطفى النماس ط1 المدني/القاهرة 1987: 661/2.

3- السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع تصحيح بدرالدين النعساني ،منشورات الرضى-زاهدي /إيران 1985: 140/2.

45- حصاد الريح ص13- 14.

46- تحولات الأزمنة ص66 -67.

47- وقريب من هذا قوله في نص بكائية (تحولات الأزمنة ص102 -103):

"أترحل والأرض عطشى –لفيض يديك – للمسة حبٍّ –لومضة نورْ – لصيحة فجرٍ – على شفتيك؟ ".

48- حصاد الريح ص64.

49- الخروج من الدائرة ص41.

50- السابق ص105.

51- الخروج من الدائرة ص27.

52- السابق ص27.

53- السابق ص 96.

54- السابق ص122.

55- السابق ص97 -98.

56- السابق ص65.

57- ولست أتفق مع الباحثة د. نجمة إدريس التي عللت توظيف شخصية المسيح هنا بكونه تمهيدا للحديث عن فلسفة التسامح. انظر: خليفة الوقيان في رحلة الحلم والهم ص281 - 282.

58- السيوطي،جلال الدين: همع الهوامع (116/2).

59- حصاد الريح ص7 - 8.

60- هلال ، محمد غنيمي:النقد الأدبي الحديث ،دار نهضة مصر /القاهرة 1977: ص400.

61- الخروج من الدائرة ص19.

هكذا اشتق من الشوَه اسم الفاعل: شائه بمعنى قبيح، والمذكور في المعاجم: رجل أشوه ومشوّه. وأما الشائه فهو الحاسد، ولا وجه له هنا.

62- السابق ص20.

63- السابق ص21.

64- الخروج من الدائرة ص97 -98.

65- ومن أمثلة ذلك أيضا:

- قوله: "حراب-ومُدىً مسنونة/ رعناء - تحتزّ يقيني- وأنا والوحدة/ الخرساء - أجترّ الرؤى". (زمجرة/الخروج من الدائرة ص90).

-وقوله: "في مهرجان الليل- تنكرني المرايا......-والدفوف/ البكم والناي/ الهجين". (من مذكرات حمار/الخروج من الدائرة ص13- 14).

- وقوله: "وفي باب روما- تدير مظلّتها /الناعسهْ ". (نزهة/الخروج من الدائرة ص107).

- وقوله: "إنّ ليلا/قاتلا يطوي المدى". (تعويذة في زمن الاحتضار/ الخروج من الدائرة ص22).

66- انظر: الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر ط14 دار العلم للملايين/ بيروت سنة 2007: ص263.

67- وكانت معظم صوره – كما سترى-من نصيب مجموعة (الخروج من الدائرة).

68- وهو ما سمته نازك الملائكة: تكرار التقسيم. انظر: قضايا الشعر المعاصر ص284.

69- حصاد الريح ص81 -85.

70- الخروج من الدائرة ص17.

71- الملائكة، نازك:قضايا الشعر المعاصر: ص264.

72- الخروج من الدائرة ص42.

73- وهو ما أسمته نازك الملائكة: التكرار البياني. انظر: قضايا الشعر المعاصر: ص280.

74- الخروج من الدائرة ص122- 123.

75- السابق ص7 – 8.

76- حصاد الريح ص12 – 17.

77- انظر: الحملاوي، أحمد: شذا العرف في فن الصرف/ ط 16 مكتبة مصطفى البابي الحلبي / القاهرة 1965: ص43.

78- تحولات الأزمنة ص103. وفي (وأنت الخبير بما في الصدور) مبالغة غير مستحسنة.

79- الخروج من الدائرة ص57 -61.

80- حصاد الريح ص47 – 48.

ويحسن كذلك أن نشير إلى أن عبارة (نحن أعداء البنادق) لا تسلم من نقد ،فحمل البندقية ليس مذموما مطلقا، بل هو محمود في أحوال عديدة كالدفاع عن حريم الوطن، وهو ما ينبغي غرسه في نفوس الناشئة لا سيما الأناشيد الوطنية.

81- الخروج من الدائرة ص16.

82- السابق ص41.

83- السابق ص81. والأقواس من وضع الشاعر.

84- الخروج من الدائرة ص57.

85- ملكة حكمت اليمن في القرن السادس الهجري، وعُرفت بـ(بلقيس الصغري) و(الحرّة الكاملة). توفيت سنة 532 هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ط5 دار العلم للملايين / بيروت 1980: 289/1.

86- ومن تجليات الأنا المنبرية الظاهرة ما تراه في نص (برقيات كويتية) (حصاد الريح ص21) الذي يكشف عنوانه عن وظيفته الشعرية، وتقوم بنية النص على صيغة الخطاب المباشر المقرون بالنداء التهكمي، والحال كذلك في نص (رسالة إلى مخبر بدوي) (تحولات الأزمنة ص63) فهو ذو طابع تلقيني مكشوف، إذ احتوى على 17 جملة ندائية، و10 جمل أمرية.

87- الخروج من الدائرة ص89.

88- السابق ص95.

89- حصاد الريح ص75.

90- وانظر تجليات أخرى لهذه الأنا في نصوص: لوزية (الخروج من الدائرة ص111)، غيبة الشاعر (الخروج من الدائرة ص119)، إشارات (حصاد الريح ص 7)، بكائية (تحولات الأزمنة ص99).

91- الخروج من الدائرة ص34 – 35.

92- السابق ص73.

93- حصاد الريح ص31.

94- الخروج من الدائرة ص7.

95- المراغي، أحمد مصطفى: علوم البلاغة ص347.

96- مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ط3 المركز الثقافي العربي / بيروت 1992: ص121.

97- انظر: القزويني، الخطيب: إيضاح التلخيص ص575. والحموي، ابن حجّة: خزانة الأدب شرح عصام شعيتو ط2 دار ومكتبة الهلال /بيروت: ص455.

98- الخروج من الدائرة ص66.

99- مختارا عن قصد قراءة من قرأ بتشديد الميم من (أمرنا) بمعنى التأمير.

100- انظر: القزويني، الخطيب: إيضاح التلخيص ص584. والحموي، ابن حجّة: خزانة الأدب ص489.

101- (وفجّرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قُدر) [القمر:12].

- (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين) [هود:40].

- (وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين * قال سآوي إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين* وقيل يا أرض ابلعي مآءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيل بعدًا للقوم الظالمين* ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) [هود:42 -45].

102- الخروج من الدائرة ص73.

103- السابق ص98 -99.

104- وقد عُرّفت بأنها "اتخاذ كلٍّ من المؤلفَين طريقه سائرين وجها لوجه إلى أن يلتقيا في نقطة معيّنة". انظر: مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري: ص122.

105- تحولات الأزمنة ص20 -21.

106- في الأصل: بهرز.

107- البيتان نسبا لأبي الصلت الثقفي ولابنه أميّة كما في:طبقات الشعراء لابن سلام/ تحقيق محمود شاكر ط دار المدني/جدة 1974: 260/1 -261، والشعر والشعراء لابن قتيبة / تحقيق أحمد شاكر ط3 دار الحديث / القاهرة2001: 461/1 – 462، وحماسة البحتري / تحقيق محمد نبيل طريفي ط1 دار صادر / بيروت 2002: 53/1 – 54.

108- وكان لقيط كاتبا في ديوان كسرى؛ فلما رآه مجمعا على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر؛ فوقع الكتاب بيد كسرى، فقطع لسان لقيط، وغزا إيادا.

والوعث: أرض مسترخية رطبة. والطبع: الدنس. انظر الخبر والقصيدة في: الشعر والشعراء لابن قتيبة: 1/ 199 – 201، والأغاني لأبي الفرج ط6 دار الثقافة / بيروت 1983: 22 / 393 -398.

109- الخروج من الدائرة ص44.

110- ديوانه / شرح وتعليق محمد محمد حسين ط المكتب الشرقي للنشر والتوزيع /بيروت د.ت: ص97.

111- زايد ،علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط1 منشورات الشركة العامة/ ليبيا 1978: ص277.

112- حصاد الريح ص17 - 18.

113- انظر: الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال تح محيي الدين عبدالحميد مطبعة السنّة المحمدية / القاهرة 1955: 159/1 -160.

114- حصاد الريح ص25.

115- الخروج من الدائرة ص42 - 43.

116- السابق ص59 -60.

117- زايد ،علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ص363.

المصادر والمراجع

ابن مالك، جمال الدين. (1990). **شرح التسهيل**. تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد المختون ط1 هجر /القاهرة.

إدريس، نجمة. (2002). **خليفة الوقيان في رحلة الحلم والهم**. ط1 دار المدى/ دمشق.

الأندلسي، أبو حيّان. (1987). **ارتشاف الضرب**. تحقيق مصطفى النماس ط1 المدني/القاهرة.

أنيس، إبراهيم. (1999). **الأصوات اللغوية**. ط3 مكتبة الأنجلو المصرية /القاهرة.

حماسة، محمد عبداللطيف. (2001). **ظواهر نحوية في الشعر الحرّ (دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور).** ط دار غريب / القاهرة.

الحملاوي، أحمد. (1965). **شذا العرف في فن الصرف.** ط 16 مكتبة مصطفى البابي الحلبي / القاهرة.

الحموي، ابن حجة. (1991). **خزانة الأدب.** شرح عصام شعيتو ط2 دار ومكتبة الهلال /بيروت.

خدادة، سالم عباس. (2001). قراءة في أربع قصائد لخليفة الوقيان، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية** / جامعة الكويت عدد (74).

زايد، علي عشري. (1978). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط1 **منشورات الشركة العامة/** ليبيا.

الزركلي، خير الدين. (1980). **الأعلام.** ط5 دار العلم للملايين / بيروت.

ساندرس، فيلي. (2003). **نحو نظرية أسلوبية لسانية.** ترجمة د.خالد محمود جمعة. ط1 دار الفكر /دمشق.

السنعوسي، هيفاء. (1993). **شعر خليفة الوقيان بين الموقف الفكري والبناء الفني.** ط1 مطابع الخط/ الكويت.

السيوطي، جلال الدين. (1985). **همع الهوامع.** تصحيح بدرالدين النعساني، منشورات الرضى-زاهدي /إيران.

فضل، صلاح. (1988). **علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته.** ط3 النادي الأدبي /جدّة.

القزويني، الخطيب. (1989). **إيضاح التلخيص.** تحقيق محمد خفاجي ط الشركة العالمية للكتاب / بيروت.

المراغي، أحمد مصطفى. (1972). **علوم البلاغة.** ط6 المكتبة المحمودية /القاهرة.

مفتاح، محمد. (1992). **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص).** ط3 المركز الثقافي العربي/ بيروت.

الملائكة، نازك. (2007). **قضايا الشعر المعاصر.** ط14 دار العلم للملايين/ بيروت.

هلال، محمد غنيمي. (1977). **النقد الأدبي الحديث**. دار نهضة مصر /القاهرة.

الوقيان، خليفة. (1983). **تحولات الأزمنة**. ط1 مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع /الكويت.

الوقيان، خليفة. (1988). **الخروج من الدائرة**. ط1 شركة الربيعان للنشر والتوزيع /الكويت.

الوقيان، خليفة. (1995). **حصاد الريح**. ط1 مطبعة مقهوي /الكويت.

استصحاب الحال في أصول النحو

قراءة ورأي

عبد المهدي الجراح وخالد الهزايمة *

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة "استصحاب الحال" في النحو العربي؛ بهدف التأكيد على أهميته في تقعيد كثير من المسائل النحوية، ووضعه في مساره الحقيقي ضمن مسارات الخطة النحوية الأصلية. ويتم هذا عن طريق عرض النماذج الخاصة بهذا الدليل، وتقديم المنظور اللغوي الحديث له.

عرض البحث بداية لمفهوم الدليل، والاستصحاب، كما انتقل بعد ذلك لعرض نماذج من مسائل الاستصحاب في الدرس النحوي، ثم انتقل بعد ذلك لعرض الاستصحاب من منظورات علم اللغة الحديث، وتحديداً منظوري: علم اللغة الوصفي، والمنظور التحويلي، ثم قدم منظوراً تكاملياً لهذا الدليل، يحدد طبيعته ومسيرته.

انتهى البحث إلى أن دليل استصحاب الحال لم يحظ بالبحث والاهتمام الكافيين في مسيرة الدرس النحوي، رغم أهميته في عملية التقعيد، وبخاصة عند البصريين، وقد اتخذ الاستدلال به مسارين: الأول: التصريح المباشر بلفظ الاستصحاب، والثاني: عدم التصريح بلفظ الاستصحاب، بل ذكر ما يدل عليه، وأكّد البحث أن التصور التكاملي التداولي هو الأصحّ في الحكم على دليل استصحاب الحال، فهو أكثر إقناعاً من التصّورين: الوصفي والتحويلي، رغم أفضلية التصوّر التحويلي على الوصفي.

مقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد،،

فإن الدارس لأبواب النحو ومفرداته، يقف مفتخراً ومندهشاً بما قدمه النحويون – رحمهم الله تعالى- في رحلة الدرس النحوي، من جهد في عملية التقعيد، وإثبات صحة تركيب ما، أو قاعدة ما، وصولاً إلى مفردات نحويّة تحتكم لنظام نحوي مدعم بالسماع والتحليل، فجهدهم أبداً يمثل العلاقة التلازمية بين القاعدة الذهنية، والاستعمال المنطوق والمكتوب، إنه وصف للاستعمال، وتحليل لمكوناته، وعلاقاته.

* قسم العلوم الإنسانية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد، الأردن.

اعتمد النحويون في تقرير مفردات النحو وأحكامه على مجموعة من الأدلة النحوية هي: السماع، والقياس، واستصحاب الحال، وقد أفاضوا في بحث السماع والقياس معاً، إذ دخلوا في تفاصيل دقيقة للسماع النحوي، ووضعوا شروطاً دقيقة للكلام العربي، تتعلق بنوع الشاهد، وطبيعته، ومرحلته الزمنية، فاحتجوا بالقرآن الكريم، وبالحديث النبوي الشريف وبخاصة في مراحل متأخرة، وبالكلام العربي. وكان بحثهم للقياس بحثاً منطقياً عقلياً، دفعهم إلى استخدام وسائل التأويل كلها؛ من أجل الوصول إلى مسائل مقيسة، تتسم بالقبول والدقة، مع تركيز قليل على دليل استصحاب الحال.

يأتي هذا البحث؛ لدراسة دليل استصحاب الحال، باعتباره ركناً مهماً من أركان الاستدلال النحوي البصري تحديداً، في ضوء ما قدمه النحويون قديماً، وفي ضوء ما قدمه علم اللغة الحديث ممثلاً بمنظورين مهمين وهما: المنظور الوصفي، والمنظور التحويلي. ومن ثم تقديم تصّور تكاملي يضع هذا الدليل في موضعه الحقيقي من الخطة النحوية، لا أن يبقى الحديث عنه مجرد حديث مختصر وعابر.

تناول البحث مفهوم الدليل النحوي والاستصحاب، ثم عَرَض نماذج من استصحاب الحال في الدرس النحوي، ثم انتقل بعد ذلك لعرض الاستصحاب من منظورات علم اللغة الحديث.

وبعد، فإن هذا البحث يبقى مجرد محاولة للبحث في أصول النحو العربي، وإنصاف دليل استصحاب الحال في مسيرته ضمن الدراسة النحوية، والله نسأل التوفيق والسداد.

أولاً: الدليل النحوي

الدليل النحوي مأخوذ من الاستدلال النحوي الذي هو حسب توجه البحث: استخراج الأحكام النحوية بوساطة معاودة النظر بقواعد الأدلة النحوية المعروفة مثل: السماع، والقياس، والاستصحاب. وهذا يكون قياساً على الاستدلال الفقهي، الذي هو "استخراج الأحكام الشرعية بوساطة أدلة هي: القرآن، والسنة والإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والعرف، والاستصحاب، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي"[(1)]. وهذا يثبت تأثر النحو بالفقه، يقول مازن المبارك:" وليس من شأننا أن نؤرخ الآن لعلوم الدينم أو الكلام بل حسبنا القول إن العصر الذي نشطت فيه الحركة النحوية ودونت فيه كتب النحو كان متأثراً بما نشط فيه علوم الدين من حديث وفقه، وعلوم العقل من جدل وكلام وأنه قامت هناك صلة شديدة بين هذه العلوم جميعاً عامة وبين علوم الفقه منها بصورة خاصة"[(2)].

وصفوة القول: إنّ النحويين حينما نهضوا لبناء النحو، وترسيخ قواعده، فإنهم اعتمدوا على الأدلة السابقة الذكر في بناء هذه القواعد، فوضعوا بناء على هذه القواعد (الأدلة) ما اصطلح

على تسميته بـ "قواعد الاحتجاج"، وقد تم تحديد الاحتجاج بأنه "إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليل نقلي صح سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة"[3].

وقد درس العلماء والباحثون مثل: ابن الأنباري، والسيوطي، وابن جني، وتمام حسان، وسعيد الأفغاني، ومحمد عيد، هذه الأدلة النحوية دراسة مستفيضة، وركزوا تركيزاً مباشراً على دليلي القياس والسماع، مع إعطاء إشارات محددة، ونماذج محددة، على دليل "استصحاب الحال"، فبقي دليل استصحاب الحال بحاجة إلى توضيح، ودراسة ومراجعة[*]، ولا ندري ما الأسباب التي دفعت إلى جعل دراسة هذا الدليل محدودة وضيقة؟! وما السبب الذي لم يجعلهم يتابعون هذا الدليل في كتب النحو الأولى؟ رغم أنّ هذا الدليل كان له أثره الواضح في بعض المسائل: صوغاً وتوجيهاً، كما أنه كان له أثر في تيسير فهم بعض المسائل النحوية، وتقريبها من أذهان الناشئة، وحل بعض الخلافات النحوية، وذلك كما ذكره السيوطي عن ابن مالك في "أن من قال إن كان وأخواتها لا تدل على الحدث فهو مردود بأن الأصل في كل فعل الدلالة على المعنيين فلا يقبل إخراجهما عن الأصل إلا بدليل"[4].

ثانياً: معنى "الاستصحاب"

يعرِّف ابن الأنباري استصحاب الحال في النحو بقوله: "وأما استصحاب الحال، فإبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل، كقولك في فعل الأمر: إنما كان مبنياً لأن الأصل في الأفعال البناء، وإنّ ما يعرب منها: لشبه الاسم، ولا دليل يدل على وجود الشبه فكان باقياً على الأصل في البناء"[5]. وهو عنده من الأدلة المعتبرة لقوله: "اعلم أنّ استصحاب الحال من الأدلة المعتبرة"[6]. ويذكر السيوطي أن "المسائل التي استدل فيها النحاة بالأصل كثيرة جداً، لا تحصى كقولهم: الأصل في البناء السكون إلا لموجب تحريك، والأصل في الحروف عدم الزيادة حتى يقوم دليل عليها من الاشتقاق ونحوه، والأصل في الأسماء الصرف والتنكير والتذكير وقبول الإضافة والإسناد"[7].

أي أن هذا الدليل يقوم على مسألة "الأصل والفرع"، إذ يستصحب الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل، وهذا الفهم بلا شك مأخوذ من استصحاب الحال في الفقه، فالاستصحاب عند

(*) يقرر الدكتور تمام حسان في كتابه "الأصول: دراسة أيبستميولوجية للفكر اللغوي عند العرب" حقيقة مؤداها: أن هذا الباب لم يعطه المؤلفون حقه من العناية عند عرضهم لأصول النحو، ويذكر أنه "عقد العزم ووضعه بين السماع والقياس" إلا أن هذا الوضع – رغم جدّية ما جاء به – لم يوجه هذا الدليل الوجهة النحوية التي يمكن أن تفعل هذا الدليل، وتجعله أكثر حيوية وفعالية في الدرس النحو، وحل خلافاته، وبناء قواعده. ينظر: الأصول ص115.

المتفقهين وأصحاب الأصول "أن يستصحب الأصل عند عدم الدليل الشرعي"، ويذكر الإمام الجويني – رحمه الله – في ورقاته ما يوضِّح ذلك ويؤكده: "وأما الأدلة فتقدم الجلي منها على الخفي، والموجب للعلم على الموجب للظن، والنطق على القياس، والقياس الجلي على الخفي، فإن وجد في النطق ما يغير الأصل وإلا فيستصحب الحال"[8] وذكر أيضاً "فالأصل ما يبنى عليه غيره، والفرع ما يبنى على غيره"[9].

فالاستصحاب بناءً على ما تقدّم ذكره، هو قاعدة أصولية، في الفقه والنحو، وهو متأثر في النحو بالمنهج الفقهي، فعند عدم وجود دليل شرعي على مسألة ما يستصحب الأصل، وفي النحو إذا انعدم الدليل السماعي أو القياسي على مسألة ما، فيبقى حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل، أي: يستصحب أصل الوضع.

واستصحاب الحال يثبت- شأنه شأن سائر مرتكزات الاحتجاج النحوي – أنه لم يكن هناك استقلال بين علوم النحو والفقه، بل كان العالم متقناً لأكثر من علم[10]، و أن علل النحو- كما يذكر الزجاجي- ليست موجبة، إذ يقول: "إن علل النحو ليست موجبة وإنما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها، ليس هذا من تلك الطريق"[11]

إذن فالأصل أولاً، والفرع ثانياً؛ إذ يبنى الأصل، ويبقى حال الأصول والفروع على ما هي عليه حتى يجد شيء جديد، أي: يتم استصحاب الحال (حال الأصل) حتى يوجد دليل. وتبقى المسألة في نهاية الأمر مرتبطة بالأصل والعدول عن أصل الوضع، وقد قسم النحويون البصريون هذا العدول إلى نوعين: مطرد يقاس عليه، وغير مطرد (الشاذ) يحفظ ولا يقاس عليه، ومن العدول غير المطرد قول الراجز:

الحمد لله العلي الأجلل (أي الأجل)

ومن العدول المطرد القاعدة التالية: (إذا تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً) نحو قال وباع[12].

ثالثاً: نماذج من استصحاب الحال: عرض وتحليل

قبل المضي في وضع بعض التصورات الخاصة بدليل استصحاب الحال، لا بد لنا من ذكر بعض المسائل التي استدل بها النحويون بدليل استصحاب الحال، وهي بخلاف ما يتصور البعض كثيرة، ويمكن بداية تقرير حقيقة مهمة مؤداها: أنّ استدلال النحويين باستصحاب الحال قد اتخذ مسلكين أو مسارين، المسار الأول: التصريح المباشر بلفظ "استصحاب الحال"، والمسار الثاني:

أن يتضمن كلامهم – ونقصد البصريين – ما يدل على الاستصحاب، ومن خلال التتبع والتحليل وجدنا أن استصحاب الحال: هو دليل بصري، لم يعتدّ به الكوفيون.

ومن المسار الأول ما يقدمه البصريون في التدليل على صحة مذهبهم القائل بأن "إنْ" الشرطية لا تقع بمعنى "إذ" بخلاف ما يراه الكوفيون من أن "إنِ" الشرطية تقع بمعنى "إذْ" ويبسط ابن الأنباري خلافهم في كتابه الإنصاف، ويخصص مسألة كاملة له بعنوان: "القول في "إن" الشرطية، هل تقع بمعنى إذ؟"(13)، فالكوفيون يرون أن إنّ الشرطية بمعنى إذ؛ لأنّ "إنْ" جاءت كثيراً في كتاب الله وكلام العرب بمعنى "إذْ" ومن ذلك قوله تعالى: (وإن كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا) (البقرة:23) أي: وإذْ كنتم في ريب؛ لأن "إن" الشرطية تفيد الشك، فلا يجوز أن تكون ما هنا الشرطية، لأنه لا شك أنهم كانوا في شك؛ فدل على أنّها بمعنى إذ. ويضربون دليلاً آخر وهو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) (البقرة:278). فالتقدير بحسب المذهب الكوفي: إذ كنتم مؤمنين؛ لأنه لا شك في كونهم مؤمنين، ولهذا خاطبهم الله في صدر الآية بالإيمان، فدل على أنها بمعنى إذْ، واستدلوا أيضاً بقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ***"سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون"*** أي: إذْ، لأنه لا يجوز الشك في اللحوق بهم، واستدلوا أيضاً بقول الشاعر(*):

وسَمِعْتَ حَلْفَتَها التـي حَلَفَتْ

إنْ كـانَ سَمْعُكَ غَيْـرَ ذِي وقْـرِ(14)

أي: "إذ"(15).

وقد استدل البصريون قائلين: "أجمعنا على أنّ الأصل في "إنْ" أن تكون شرطاً، والأصل في "إذْ" أن تكون ظرفاً، والأصل في كل حرف أن يكون دالاً على ما وُضع له في الأصل، **فمن تمسك بالأصل فقد تمسك باستصحاب الحال**، ومن عَدَلَ عن الأصل بقي مرتهناً بإقامة الدليل، ولا دليل لهم يدل على ما ذهبوا إليه"(16).

إن المدقق في ما استدل به البصريون – في ظاهر الأمر – يرى أن تمسكهم باستصحاب الحال هو دليل عليهم وليس لهم، أي أنه يخدم المذهب الكوفي القائم على السماع الذي يتمثل بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وكلام العرب (الشعر)، ولكن ما يشفع للبصريين هنا، هو أن تحليل الكوفيين للمسموع بحاجة إلى إعادة نظر، أما تحليل البصريين له فهو أكثر إقناعاً؛ لذا نقول: إنّ استصحاب الحال في هذه المسألة من الأدلة المعتبرة، وهو أساس عملية الاستدلال،

(*) قد تناوب (إذ) (إن)، وبناء على ذلك فإنه لا استصحاب حال في هذا الشاهد بعينه.

وقد احتج البصريون بالتحليل المقنع والسليم لاستعمالات "إنْ" في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشاهد الشعري المنقول عن العرب، فالتمسك بالأصل عند البصريين هو الأساس، والتمسك بالأصل هو تمسك باستصحاب الحال، ومن عدل عن الأصل فقد تخلى عن استصحاب الحال؛ لأنه لا يوجد دليل يقدمه.

ومن ذلك أيضاً استدلال البصريين به في إثبات صحة مذهبهم القائل بأنه "لا يجوز أن يعمل حرف القسم محذوفاً بغير عوض، نحو ألف الاستفهام، نحو قولك للرجل: "اللهِ ما فَعَلْتَ كذا" أو هاء التنبيه نحو "هاللهِ"[17].

إذْ يرى الكوفيون أنه يجوز الخفض في القسم بإضمار حرف الخفض من غير عوض، واحتجوا بأن قالوا: "إنّما قلنا ذلك لأنّه قد جاء عند العرب أنَّهم يُلْقُونَ الواو من القسم ويخفضون بها، قال الفراء: سمعناهم يقولون: "الله لتَفْعَلَنَّ" فيقول المجيب: "أللهِ لأفعلنَّ" بألف واحدة مقصورة في الثانية، فيخفض بتقدير حرف الخفض وإن كان محذوفاً، وقد جاء في كلامهم إعمال حرف الخفض مع الحذف، حكى يونس بن حبيب البصري أن من العرب من يقول: "مررت برجل صالح إلاّ صالحٍ فطالحٍ" أي إلا أكن مررت برجل صالح، فقد مررت بطالح"[18] ثم يستشهد الكوفيون على صحّة ما ذهبوا إليه بمجموعة من الأبيات الشعرية منها:

1- قول الشاعر[19]:

رَسْمِ دارٍ وقَفْتُ في طَلَلِهْ   كِدْتُ أقضي الحياةَ من جَلَلِهِ

2- وقول الآخر[20]:

لاهِ ابْنُ عَمّكَ، لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ   عَنّي، ولا أَنْتَ دَياني فتَخْزُوني(*)

3- وقول الأخوص اليربوعي زيد بن عمرو[21]:

مَشَائِيمُ ليْسُوا مُصلِحينَ عَشيرةً   ولا ناعِبٍ إلاّ يبين غُرابُهَا(**)

(*) هو في كتاب حروف المعاني للزجاجي (ص79)، استشهد به لمجيء عن مكان على، أي: لم تفضل في

(**) هو في سيبويه 83/1 و29/3، استشهد به على حمل جر "ناعب" على معنى تقدير الباء الزائدة في "مصلحين" في النية، وهو مذكور أيضاً في سيبويه 165/1، وقد استشهد به على إعمال "مصلحين"؛ لأن النون بمثابة التنوين، وهنا ينتفي الخفض أصلاً.وانظر كذلك الخصائص 245/2.

4- وقول الفرزدق أيضاً[22]:

وما زُرْتَ سَلْمَى أن تكون حبيبةً   إليَّ، ولا دينٍ بها أنا طالبُهْ [*]

والتقدير في هذه الأبيات:

1. خفض "رسمٍ" بإضمار حرف الخفض.
2. خفض "لاهِ" بتقدير اللام، كأنه قال: للهِ ابن عَمِّك.
3. خفض "ناعب" بإضمار حرف الخفض.
4. خفض "دين" بإضمار حرف الخفض.

إذن فالكوفيون يعتمدون في صحة مذهبهم وتقويته على السماع، أما البصريون فقد اعتمدوا فيما ذهبوا إليه على استصحاب الحال، ويظهر هذا في قولهم: "أجمعنا على أن الأصل في حروف الجر أن لا تعمل مع الحذف، وإنما تعمل مع الحذف في بعض المواضع"، إذا كان لها عوض، ولم يوجد ها هنا، فبقينا فيما عداه على الأصل، **والتمسك بالأصل تمسك باستصحاب الحال**، وهو من الأدلة المعتبرة، ويُخَرج على هذا الجر إذا دخلت ألف الاستفهام وها التنبيه نحو "أللهِ ما فَعَلَ، وها الله ما فَعَلْتَ" لأن ألف الاستفهام وها صارتا عوضاً عن حرف القسم، والذي يدل على ذلك أنّه لا يجوز أن يظهر معهما حرف القسم، فلا يقال "أو الله" "ولا ها والله" لأنه لا يجوز أن يجمع بين العوض والمعوض، ألا ترى أنّ الواو لما كانت عوضاً عن الباء لم يجز أن يجمع بينهما، فلا يجوز أن يقال: بِوَاللهِ لأفعَلَنّ"؟ فكذلك ها هنا"[23].

ويظهر أنّ مذهب البصريين هو الأدق والأصَح لمجموعة من الأسباب وهي:

1. إن التمسك بالأصل عندهم هو تمسك باستصحاب الحال، واستصحاب الحال هنا قائم على السماع المطرد والكثير، والشائع، لا على أمثلة وشواهد محدودة وقليلة، كالتي ذكرها الكوفيون. واستصحاب الحال هنا يعني التمسك بالأصل المبني على السماع المطرد، لا السماع المحصور بفئة محدودة من الناس، أو الشواهد الشعرية التي قد يكون الشاعرفيها قد خضع لضرورات شعرية متعلقة بالوزن ونظام التقفية.

(*) هو في سيبويه 29/3، والشاهد فيه تقدير اللام في أن تكون، ولذلك جر"دين" عطفاً على موضع المصدر المجرور، ويذكر ابن هشام في المغني ص 683: "أنهم رووه بخفض "دين" عطفاً على توهم دخول اللام، وقد يعترض بأن الحمل على العطف على المحل أظهرمن الحمل على العطف على التوهم، يجاب بأن القواع لا تثبت بالمحتملات"، وهذه الشواهد جميعها غير موجودة في مقتضب المبرد، وأصول ابن السراج.

2. إن المنطق النحوي يقتضي عدم الجمع بين العوض والمعوض عنه-مع أنه قد يحدث بقلة- فلا يجوز أن نقول: "بواللهِ لأفْعَلَنّ"؛ لأن هذا يفقد التركيب النحوي القبول المنطقي الذي هو أساس العملية التواصلية أصلاً، ويجعل النحو يخرج عن هدفه المنشود إلى الرياضة العقلية التي لا فائدة منها[24].
3. إنّ النحو الكوفي هنا يهمل مسألة الأصل، واستصحاب الحال، تاركاً المسألة للاحتجاج بكثرة الاستعمال وقلته كما في قول يونس: "مررت برجل صالح إلا صالح فطالح"، وبالشذوذ كما هو في قول رؤبة "خيرٍ عافاك الله، أي بخير"، وبالقلة والشذوذ كما في الشعر[25].

أما المسار الثاني في الاستدلال باستصحاب الحال دون التصريح مباشرة بـ "استصحاب الحال"، فهو الأكثر شيوعاً في بحث النحويين لمسائل النحو – ونقصد البصريين هنا – ويظهر ذلك في التركيز على مصطلحات مثل: أصل الوضع، وأصل القاعدة، والأصل المهجور، والعدول عن الأصل، والرد إلى الأصل والوجه[26]، أو القول بتقرير قاعدة ما ثم النص على أنّ هذا قد جاء نتيجة السماع أو القياس، فيبقى الوضع قائماً ما لم يجد شيء جديد يقوى على مخالفة القاعدة النحوية، وهو كثير جداً في كتبهم.

ومن ذلك ما استدل به البصريون للتدليل على صحّة مذهبهم الذي ينص على "أن الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول جميعاً"[27]، بخلاف مذهب الكوفيين الذي ينص على أنّ العامل في المفعول النصب الفعل والفاعل جميعاً"[28]، ومذهب البصريين هو الأصح؛ لأنهم عادوا إلى استصحاب الحال أولاً، والذي يتمثل بالإجماع والاتفاق المدعم بالقياس والسماع معاً.

ومن ذلك أيضاً ما يذكره ابن السراج في قوله: "اعلم: أنّ الإعراب عندهم إنما حقه أن يكون للأسماء دون الأفعال والحروف، وأن السكون والبناء حقهما أن يكونا لكل فعل أو حرف، وأن البناء الذي وقع في الأسماء عارض فيها لعلة، وأن الإعراب الذي دخل على الأفعال المستقبلة إنما دخل فيها لعلة، فالعلة التي بنيت لها الأسماء هي وقوعها موقع الحروف ومضارعتها لها.. وأما الإعراب الذي وقع في الأفعال فقد ذكرنا أنه وقع في المضارع فيها للأسماء وما عدا ذلك فهو مبني"[29].

يفيد هذا النص أن الأصل عند النحويين في ترتيب الخطة النحوية المتعلقة بالإعراب، أن الإعراب للأسماء دون الأفعال والحروف، فيبقى الأمر على ما هو عليه، أي: يستصحب حال أصل الوضع، فإذا جاء فعل يشبه الاسم في الوضع مثل: الفعل المضارع مثلاً فإنه يعرب.

ومثل هذا النموذج يدل على أن استصحاب أصل الوضع هو أساس في بناء الحكم النحوي والقاعدة النحوية عموماً، إذْ يبقي الأصل قائماً، والمثال المقيس على الأصل هو الذي يخضع للتغيير، كما أن هذا النموذج يثبت أن الاستصحاب كان في ذهن النحوي وهو يعمل على استقراء الشواهد النحوية، وصوغ القواعد القياسية، فهو أداة بنائية لا أداة تجميد وتعطيل للحكم النحوي، إنه أسلوب أو إجراء علاجي بناء.

رابعاً: الاستصحاب وفقاً للتصورات اللغوية الحديثة

سيعرض البحث – بمشيئة الله تعالى –لدليل استصحاب الحال من منظورلغوي حديث، وسيتم التركيز على تقديم تصورين أولاً، وهما: التصوّر الوصفي، والتصور التحويلي، ثم سيعمل على تقديم تصور تكاملي نفعي بناء، يراعي القيمة الحقيقية للقواعد والأصول الثابتة في النحو.

أ- التصور الوصفي

حينما نذكر التصورات اللغوية الحديثة، فإننا نبدأ مباشرة بالتصوّر الوصفي، هذا التصوّر الذي يرتد مباشرة إلى مؤسس المنهج الوصفي في اللسانيات الحديثة وهو دي سوسير، الذي أكدً مراراً وتكراراً أن هدف علم اللغة هو دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها[30]. وبناء على هذا التصوّر، فإن المنهج الوصفي "يعتمد على دراسة اللغة دراسة خالصة، وخلوص هذه الدراسة يعني ناحية إيجابية في تناول الأشكال اللغوية كما تبدو، حيث تدرس بصورتها التي هي عليها، ويعني أيضاً خلوصها من الأفكار الذهنية والفلسفية ومناهج التفكير الأخرى التي يستخدم المؤول اللغة لتتفق معها"[31].

وإذا جئنا إلى الاستصحاب وفقاً لهذا المنظور، فإنه جهد عقلي تجريدي يخضع لمسألتي: الأصل والفرع، وهذا حسب المنهج الوصفي ينافي طبيعة اللغة؛ لذا فإن استصحاب أصل الوضع وفقاً للمنهج الوصفي هو إجبار للوصف الاستقرائي أن يمر في قنوات القياس الذي وضعه النحويون أنفسهم، وبهذا لا تخضع اللغة للصوغ القياسي، الذي هو عند المحدثين عمل يقوم به المتكلم لا النحاة[32].

وينقل محمد عيد عن فيرث Firth قولاً مؤداه: "المبدأ الأساسي في محاولة التقعيد لأية لغة هو أن يتجنب أي تقسيمات مسبقة a priori Classification، وأن نأخذ في الاعتبار المميزات اللغوية الموجودة بالفعل فقط"[33]. ويعلق الدكتور عيد بعد ذلك قائلاً: "تلك بصورة عامة مهمة مستقرئ اللغة، ملخصها: أن يقف وراء الاستعمال ولا يتجاوزه، وأن يصف ما أمامه، ولا يتدخل فيه، وأن يتابع التطور ولا يصادره"[34].

لذا فإن ما يقدمه البصريون – فيما سبق ذكره مع أننا كنا قد وافقناهم به- هو مرفوض وفقاً للمنهج الوصفي؛ لأن مهمة النحوي ليست الوصف، وعدم التدخل، وإنما وصف وحلل وعلل مستدلاً لها بالسماع، واستصحاب الحال.

ويرفض المنهج الوصفي نظرية العامل (العمل الإعرابي)؛ لأنها عمل عقلي منطقي ليس من طبيعة اللغة، وهذا التوجه ليس بمستغرب، فقد ثار ابن مضاء من قبل على هذه النظرية، رافضاً التمارين غير العملية؛ لاقترانهما بالمنطق الذي لا يخدم مستعمل اللغة[35].

ب- التصور التحويلي

إنّ المنظور التحويلي الذي يقدّمه تشومسكي في كتابه التراكيب النحوية Syntactic Structures، الصادر عام 1957م، يفترض وجود بنيتين في كل لغة: البنية العميقة deep structure، والبنية السطحية surface structure[36]. ويبدو أن البنية العميقة تمثل الجانب الذهني غير المنطوق للتركيب، في حين أن السطحية تمثل التركيب مكتوباً ومنطوقاً. ويتم الوصول إلى البنية السطحية بوساطة مجموعة من القوانين، وهي كما يذكر الدكتور عبده الراجحي تشبه ما جاء في النحو العربي من عمليات، وهذه القواعد هي[37]:

أ- قانون الحذف.

ب- قانون الزيادة.

ج- قانون التوسعة.

د- قانون الاختصار.

هـ- قانون إعادة الترتيب.

و- قانون الإحلال.

ويذكر الراجحي أن هذه الجوانب موجودة في النحو العربي، ويعيدنا إلى مسألتي الأصل والفرع والعامل، والتي هي في أساسها صحيحة في التحليل اللغوي، وقد عادت الآن في المنهج التحويلي على صورة لا تبتعد كثيراً عن الصورة التي جاءت في النحو العربي، كما أن قضية العامل تقودنا إلى قضية التقدير التي عادت لتكون شيئاً مقرراً ومؤكداً في التحليل النحوي عند النحويين[38].

وصفوة القول: إنّ التمسك باستصحاب أصل الوضع من الأمور المهمة التي قد تسهم في الوصول إلى قاعدة كلية، وتكون مطردة فتشمل الجزئيات العامة.

ويمكن تسويغ التمسك بأصل الوضع واستصحاب هذا الحال أو ذاك، بوساطة العقل والنقل، وتعمل القوانين التحويلية على ترسيخ هذا الأمر، وذلك بوساطة استعمالها في عملية التحليل اللغوي، فتكون مؤكدة للحكم النحوي المستدل عليه بوساطة استصحاب الحال، ونمثل لذلك – والأمثلة كثيرة جداً – بإجازة النحويين العدول عن أصل الرتبة وذلك في تقديم الخبر على المبتدأ[39]. يقول ابن عقيل[40]: "الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر، وذلك لأن الخبر وصف في المعنى للمبتدأ. فاستحق التأخير كالوصف، ويجوز تقديمه إذا لم يحصل بذلك لبس أو نحوه على ما سيبيّن، فتقول: قائم زيد.... وفي الدار زيد، وعندك عمرو".

إذن فالأصل هو صدارة المبتدأ وتأخير الخبر، ويعدل عن الأصل بوساطة قانون إعادة الترتيب (التقديم والتأخير)؛ وذلك لأمن اللبس، فيقدم الخبر على المبتدأ، أي أنهم عدلوا عن أصل الوضع مستصحبين حال الأصل بوساطة قانون إعادة الترتيب. ولو تتبعت هذه القوانين جميعها مستقرئاً مفردات النحو كاملة، لوجدتها جميعها مبثوثة هنا وهناك.

ج- تصوّر تكاملي

بعد أن بينا التصوّرين: الوصفي والتحويلي في مسألة الاستدلال "باستصحاب الحال"، فإننا نذهب مذهباً توفيقياً، يوفق بين جميع الآراء المتعلقة بهذا الدليل، سعياً إلى تقديم تفسير لغوي علمي لهذا الدليل، يأخذ بعين الاعتبار، النظر بجدية إلى تفسيره، لا إلى إلغائه؛ لأنه بحسب المنظور التعليمي الذي ينادي به دعاة تجديد النحو، لا يحتاج إليه ابن اللغة، ولا متعلمها، ومن يتابع جهود المشتغلين بتجديد النحو يحس بأن مثل هذه الأمور مرفوضة تماماً عندهم شكلاًومضموناً؛ لأنها تنبع أساساً من مسالك العامل والعلة، والأقيسة والتمارين غير العملية[41]؛ لذا فإن التصوّر الذي يمكن تقريره والذي يمثل رؤية البحث يتكوّن من العناصر التكاملية التالية:

1- لا بد من أن يقوم الأصل – ومسألة التأصيل عموماً – على الاستقراء المتكامل والشامل للشواهد التي تمثل الكلام العربي عموماً، شعره ونثره، ولا بد من الاحتجاج والاحتكام إلى لغة القرآن ومعانيه، والحديث النبوي الشريف، فيكون الاستقراء شاملاً دقيقياً؛ لأن هذا الأمر سيؤثر فيما يلي:

أ. قوّة الأصل: فإن استصحب الحال، وبقي حال اللفظ على ما هو عليه (أي على ما يستحقه) في الأصل؛ لانعدام النقل عن الأصل، يكون الدليل قوياً ومعتبراً، ولا مجال للشك أو الطعن بسلامة هذا الدليل.

ب. اعتبار كل ما يرد وكل ما ورد من الكلام العربي، وبهذا يتحقق المنحى العلمي، فيكون وجود دليل استصحاب الحال وصفاً وتحليلاً للظاهرة اللغوية، أو للكلام المنطوق، وهنا

لا بُدّ من التنويه إلى مسألة مهمة جداً، وهي أن شرط ذلك هو وجود قدر كبيرٍ من الشواهد التي تخضع للاستقراء والتقعيد، لا وجود مجموعة محدّدة من الشواهد أربعة أو خمسة، كما هو الحال في استدلال الكوفيين كما مَرّ، ويمكن أن نضرب مثالاً هنا بمسألة تنكير الحال، إذ ذهب الجمهور إلى أن الأصل في الحال أن تأتي نكرة[42]؛ ولكن قد تأتي الحال معرفة وعندها لا بد من أن تؤول بنكرة، وقد وردت شواهد نثرية وشعرية متنوعة تثبت ورود الحال معرفة، فلا بد من الاعتداد بهذه الشواهد جميعها وعدم إهمالها.

ج. عدم الانتباه إلى الشواهد الجزئية المحدودة، مثل: القليلة، والنادرة، والشاذة؛ لأن هذا لا ينهض لإنشاء كفاية نحوية تمكن ابن اللغة العربية من إنشاء التراكيب، والقياس على التركيب مجموعة من التراكيب الأخرى وهكذا؛ لذا فإن الاتجاه الوصفي فيه مبالغة كبيرة في هذا المجال. صحيح أن المتكلم لم يقم في ذهنه القاعدة النحوية، وأنه كما قال الزجاجي – رحمه الله – نطق على طبعه وسجيته[43]. ولكن هناك "قاعدة ذهنية عليا "كانت قائمة في ذهن الإنسان العربي عند النطق، هذه القاعدة هي صورة ذهنية للتركيب ينسج المتكلم العربي الكلم والجملة بناء على نظمها، وقياساً عليه، وأي خروج على طريقة النظم من شأنه أن يخرج لفظ الإنسان إلى النبو، والاستغراب من قبل الناس أنفسهم، والأدلة على ذلك كثيرة من التراث(*) والمعاصرة.

2- بعد النظر في الأصل، وتقويته، وتأسيسه تأسيساً جيداً، نبدأ بالاعتداد بدليل استصحاب الحال، فيكون دليلاً وأصلاً من أصول التقعيد النحوي، ومن الممكن هنا أ ن نفيد من علوم اللغة المعاصرة في تفسير مقاصد الكلم، وأغراضه، ونقصد هنا المنحى التداولي، الذي يعزِّز أهميّة الاستعمال، والقاعدة، عن طريق ربطهما بالغرض الذي دفع بمنشيء الكلام إلى إقامته أصلاً[44]، وهنا يكون تفسير هذا الدليل عن طريق اللغة نفسها، ومستعملي اللغة، فيأخذ التفسير منحىً تكاملياً.

3- لا بُدَّ من النظر في مدى الشيوع واطراد الأغراض التي يقصدها مستعمل اللغة من وراء الاستعمال اللغوي، وهذا هو الذي دفع بالنحوي إلى الاعتداد بدليل استصحاب الحال في تقريره وتأكيده، فالعملية ليست سهلة، لا بُدّ من اتجاه شامل ومتكامل في عملية التفسير والتحليل للاستعمال اللغوي، فالنظر إلى الأغراض المفردة- كل حالة متفردة - لا يفيد في

(*) وذلك مثل القصص التي تذكر في اللحن، وأشهرها على الإطلاق قصة الرجل الذي لحن بحضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال النبي: "أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل". انظر: الخصائص لابن جني 8/2، والأفغاني في أصول النحو، ص ص 7-11، إذ يذكر قصصاً مختلفة تخدم هذه المسألة.

شيء ما، بل لا بُدّ من جدولة هذه الأغراض والمقاصد التي قصدها المرسل، وعدم النظر إلى الحالات الفردية؛ لأنّ المسألة متعلقة بإنشاء نظام لغوي متكامل، لا قاعدة لغوية متعلقة بشخص معين.

4- إذا تمت مراعاة القواعد السابقة، يكون دليل استصحاب الحال عنصر بناء مساعداً للنحو، فيكون أداة تقعيد، يقوم جنباً إلى جنب القياس والسماع في عملية التقعيد وبناء القاعدة النحوية.

خاتمـة

بعد تتبع دليل استصحاب الحال، وعرض مجموعة من نماذجه في النحو العربي، يمكن الخلوص إلى ما يلي:

1. لم يحظ دليل استصحاب الحال بالبحث والاهتمام الكافيين، رغم أنّه قاعدة أصولية مهمة، فهو دليل من أدلة النحو المهمة، التي اعتمدها البصريون في عملية الاحتجاج في كثير من المسائل.
2. اتخذ الاستدلال باستصحاب الحال مسارين، الأول: التصريح المباشر بلفظ الاستصحاب، والثاني: عدم التصريح بلفظ الاستصحاب، بل ذكر ما يدل عليه، وقد أثبت ذلك في موضعه من البحث، وكان المسار الثاني هو الأكثر شيوعاً في كتب النحو.
3. ثبت أن دليل استصحاب الحال يقوم جنباً إلى جنب السماع والقياس، وينهض حجة قوية لإثبات الحكم النحوي وتقريره، فهو باختصار قاعدة نحوية أصولية ذات أبعاد تفاعلية لا منغلقة، تتفاعل مع بقية القواعد الأصولية التي يرسخها السماع، ويفعلها القياس.
4. إنّ المنظور الوصفي يعتبر استصحاب الحال جهداً عقلياً تجريدياً، يخضع لمسألتي: الأصل والفرع، وهذا ينافي طبيعة اللغة، ولا يفيد المتكلمين في شيء، وهو منظور فيه مبالغة وبحاجة إلى مراجعة.
5. إنّ التصور التحويلي يتفق في كثير من جوانبه مع ما جاء في النحو العربي، فقوانين التحويل تعيدنا إلى مسائل ثابتة مثل: الأصل، وتقويته، وتوجيهه الوجهة التي تتوافق مع المرسل (المتكلم)، والنظام اللغوي العربي، وهذا بناءً على ما تقدم يحتاج إلى جهد استقرائي تصنيفي للمسموع، وتفعيل القياس، ثم الخروج بصيغة علمية تحمل طابع الاتساع والاطراد والشمول.

The Measurements of (Estishab AL-Hal) In the Origins of Arabic Grammar: Revision and Opinion

Abdealmohdy AL_ Jarah and **khaled AL_ hazaymeh,** *Department of humanities, Jordan university of science And technology (JUST), Irbid, Jordan.*

Abstract

The purpose of this study is analyzing the signs of (estishab AL_ Hal) in Arabic grammar, to make assure of its important in several grammatical issues، and fixing it in the right direction in terms of original grammatical trends .These purposes have been achieved through presentation of some models in this topic.

This research has presented the concept of measurements (estishab al_hal) as well as the research has presented these measurement and (estishab al_ hal) through new modern languages perspectives, for instance discriptional language science, and transformational approach, more over this research could report integrational approach for these measurements.

The findings of this research have indicated that there is les literature and attention of this subjected، although its importance especially with basrians (IRAGIAN). However, measurements have taken two trends: First: The directs .Second: The indirect. Finally, the research has assured the integrational approach to get the best way in conduding the (estishab al_hal).

قدم البحث للنشر في 2008/3/12 وقبل في 2008/6/29

الهوامش

(1) حسان، تمام: الأصول – دراسة ايبستميولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص71.

(2) المبارك،مازن:النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها، ص80

(3) الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، ص6.

(4)السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص113

(5) ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الإغراب في جدل الإعراب، ص46.

(6) المصدر نفسه، ص141.

(7) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الاقتراح في علم أصول النحو، ص 113.

(8) الورقات في أصول النحو للإمام الجويني (إمام الحرمين) رحمه الله، منشورة على الموقع الإلكتروني:

http://66.9104/search?9=cashe:Xgvpkguco3cj:
www.al-razi.net/website/pu..5/11/2006

(9) المرجع نفسه.

(10) انظر: حسان، تمام، مصدر سبق ذكره، ص144.

(11) الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، 2/ ص ص 632 -634.

(12) المصدر نفسه، 634/2.

(13) المصدر نفسه، 634/2.

(14) المصدر نفسه، 634/2.

(15) المصدر نفسه،ج1/ ص ص 393-399.

(16) المصدر نفسه، ج1/ ص395.

(17) هو لجميل بن معمر العذري صاحب بثينة، انظر: البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب، ج4/ص199، وابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، ص 164، وابن عقيل، بهاء الدين عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 245/1.

(18) هو لذي الإصبع العدواني، الحارث بن محرث، انظر: البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، ج2/ص222، وانظر: ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب 196 وابن عقيل، 242/1.

(19) انظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج2/ص140، والاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الكافية، ج1/ص418.

(20) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 186/1، وانظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، ج1/ ص418.

(21) ابن الأنباري، الإنصاف: ج1/ص396.

(22) أهم شرط في التركيب النحوي هو عنصر المقبولية، لأنه هو الذي يعزز عملية التواصل بين أطراف معادلة الاتصال، انظر ذلك:

Debeaugrande, Robert: liuguistics Theory: The Fundamental works, pp 250-251.

ويركز البعض على الجانب الدلالي في تحديد الجمل والنصوص، فالنص وحده دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، وبهذا فإن عنصر المقبولية الدلالية (المنطقية) هو الأساس في تحديد النصوص والجمل.

See: Halliday, M.A.K & Hasan, Rugarya: Cohesion in English, p2.

(23) ابن الأنباري، الإنصاف: ج1/ص398.

(24) انظر: حسان، تمام: الأصول، ص114.

(25) ابن الأنباري، الإنصاف: ج1/ص ص 78-79.

(26) المصدر نفسه، ج1/ ص ص 78-79.

(27) انظر: المصدر نفسه، ج1/ ص ص 80-81.

(28) المصدر نفسه ج1/ ص80.

(29) ابن السراج، أبو بكر: الأصول في النحو، ج1/ ص50.

(30) see: desaussure, Fredinand: Course in General linguistics, p232.

(31) عيد، محمد: أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث، ص ص 181-182.

(32) انظر: المرجع نفسه، ص99.

(33) عيد، محمد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، ص260.

(34) المرجع نفسه، ص260.

(35) انظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة: ص 57، و ص161، و ص 102.

(36) see: Chomsky, Afram Noam: Syntactic Structure,pp75-76.

(37) انظر: الراجحي، عبده: النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج، ص 242.

(38) انظر: المرجع نفسه، ص 242. ونحلة، محمود أحمد: نظام الجملة في شعر المعلقات، ص77.

(39) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، ص213، و ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1/ص119.

(40) انظر: ابن عقيل، المصدر السابق، ج1/ص213.

(41) انظر ما كتبه. شوقي ضيف في مقدمة كتابه: تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، ص ص 3-6.

(42) انظر: سيبويه: الكتاب، ج1/ ص391، والمبرد: المقتضب، ج3/ص 236، وابن يعيش: شرح المفصل، ج2/ ص60.

(43) انظر: الإيضاح في علل النحو، ص70.

(44) يركز المنظور التداولي (pragmatics) على جميع أطراف معادلة الاتصال مثل: المرسل والمستقبل والسنن (القناة) والشفرة، انظر هذه العناصر في: عزام، أحمد: التحليل الألسني للأدب، ص ص 94-95، و شبنلر، برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص ص 106-107.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد. (577هـ). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت).

ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد. (577هـ). **الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط2، دار الفكر، 1971م.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحوي. (316هـ). **الأصول في النحو**، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1985م.

ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد. (469هـ). **شرح المقدمة المحسبة**، تحقيق: خالد عبد الكريم، الكويت، 1977م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1990م). **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، بغداد.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله الهمذاني. (769هـ). **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت، دار الخير، 1990م.

ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن. (د.ت). **الرد على النحاة**، تحقيق: د. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف. (761هـ): **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط1، دار الفكر، 1992م.

ابن يعيش، موقف الدين يعيش بن علي. (643هـ): **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. (686هـ). **شرح الكافية في النحو**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.

الأفغاني، سعيد. (د.ت). **في أصول النحو**، دار الفكر.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1093هـ). **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1989م.

الجويني، إمام الحرمين رحمه الله. **الورقات في أصول الفقه**، ورقات منشورة على الشبكة الإلكترونية ضمن الموقع: (www.al-razi.net/website/pu..5/11/2006).

حسان، تمام. (1988م). **الأصول (دراسة ايبسمتيولوجية للفكر اللغوي عند العرب)**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

الراجحي، عبده. (1979م). **النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)**، بيروت.

الزجاجي، أبو القاسم وابن إسحاق، عبد الرحمن. (د.ت). **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: د. مازن المبارك، القاهرة.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (180هـ). **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد. (911هـ). **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق: د. أحمد سليم الحمصي، و د. محمد أحمد قاسم، ط1، جروس برس، لبنان، 1988م.

ضيف، شوقي. (د.ت). **تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده**، دار المعارف، القاهرة.

عزام، أحمد. (1994م). **التحليل الألفي للأدب**، دمشق، وزارة الثقافة.

عيد، محمد. (1988م). **الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم لغة الحديث**، ط3، عالم الكتب، القاهرة.

عيد، محمد. (1989م). **أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**، عالم الكتب، القاهرة.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (285هـ): المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

المرادي، الحسن بن قاسم. (749): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن سليمان، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (د.ت).

نحلة، محمود أحمد. (1991م). **نظام الجملة في شعر المعلقات**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

ثانياً: المراجع بالإنجليزية:

Chomsky, A.N. (1957). *Syntactic Structure*, The Hauge.

Halliday, M.A.K & Hasan, R. (1983). *Chohsion in English*, Longman Group l.t.d.

De beaugrande, R. (1991). *linguistic Theory: The Fundamental works*, N, Y. Longman Inc.

De sausure, F. (n.d). *Course in General linguistics*, Third ed, McGraw – Hill Book Company, New York, Toronto, London.

VanDijk, T.A. and Kintsch, W. Strategies of Discourse Comprehension. Academic press. Subsidiary of Harcourt.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 363 - 394

الرموز الشعبية الأسطورية ودلالاتها السيميائية في نماذج من الشعر العربي المعاصر

تركي المغيض*

ملخص

يناقش البحث قضية استلهام الشاعر المعاصر للتراث العربي من خلال توظيف رموز شعبية أُسطورية تمنح القصيدة طاقات تعبيرية ووسائل فنية ودرامية ودلالات اجتماعية وسياسية وفكرية ونفسية، وتعكس إحساس الشاعر بأزمات قومه، ومواقفه من كثير من القضايا المختلفة وتطلعاته إزاءَها.

ولهذا اقتصر التحليل الأدبي في هذا البحث على الرموز الشعبية الأسطورية المركوزة في الوجدان الجمعي العربي التي وظفها الشعراء العرب في نصوصهم الشعرية، من مثل: السندباد وشهرزاد وشهريار، وزرقاء اليمامة والزباء، بحيث تمثلها الشعراء العرب عبر وسائل فنية ودرامية من مثل، الرمز والقناع والحوارية، وحمّلوها دلالات سيميائية متنوعة مشحونة بأبعاد ورؤى عصرية متناغمة مع هذه الرموز ومعانيها ومغازيها، محققة بذلك مايسميه رولان بارت "لعبة الدلائل" في النص الشعري.

تمهيد: الشاعر العربي المعاصر والتراث:

لقد أدرك الشاعر العربي المُعاصر أن التراث العربي غنيّ بالإمكانات الفنيّة والمعطيات الموضوعية، والنماذج الإنسانية والرموز الشعبية التي تمنح القصيدة الحديثة طاقات تعبيرية، ووسائل فنيّة رمزية ودرامية. وقد رأى أن استغلاله لهذه المعطيات والإمكانات تفضي به إلى معين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير، لمِا للتراث من مكانة وتقدير في وجدان الأمة وارتباط وثيق في وعيها الجمعي.

إنّ التراث دائماً ما يرتبط في ذاكرة الأمة بقيم روحية وفكرية ووجدانية، بحيث يكفي استدعاء معطى أو نموذج أو رمز تراثي لإثارة إيحاءات ودلالات ارتبطت بوجدان السامع تلقائياً. وهكذا وجد الشاعر المعاصر نفسَه رهن العديد من الرموز والنماذج التي تشحن وجدان المُتلقّي بأبعاد من تجربته المُعاصرة، والتي تضفي على تجربته الشعرية نوعاً من الأصالة الفنيّة عن طريق إكسابها هذا البعد التاريخي الحضاري، كما تكسبه أيضاً شمولاً وكليّة بحيث تتجاوز حدود الزمن، فيندمج في فضائها الماضي والحاضر في وحدة شاملة(1).

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الكويت، مدينة الكويت، الكويت.

وأخذ الشاعر العربي المعاصر يوظّف في قصيدته رموزاً تراثية تتجاوب معه، وتكون قد مرّت ذات يوم بنفس التجربة، وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه، أو يسقط عَبْرها ما يُريد أن يُعبّر عنه، ويشحنها بأبعاد عصريّة.

وقد نبّه عدد كبير من النقاد العرب على العلاقة بين وعي الذات العربيّة وبين العودة إلى التراث، وأشاروا إلى وجود علاقة ارتباطيه بين هذه العودة وبين الأزمات الكبرى التي تمرّ بها الشعوب العربية[(2)].

ومن الشعراء مَنْ يؤمن أنّ الشعر فعالية إنسانية لا بُدّ من أن تؤدي دورها في إيقاظ المجتمع واستنهاض أفراده. وفي هذا السياق تصبح مخاطبة المجتمع والجمهور وصلاً لهذا الشعر بالتراث، حتى يستطيع ذلك المجتمع أو الجمهور التراثي في نزعته قادراً على تذوّقه والتأثر به. ولهذا فقد نظر الشاعر العربي المعاصر إلى التراث الحضاري بعامة على أنّه تراث إنساني من بعض الجوانب، إضافة إلى أنّه تراث عربي إسلامي[(3)].

ويرى الدكتور إحسان عباس أن الشاعر العربي المُعاصر تعامل مع هذا التراث من زوايا مختلفة، مثل إدخال الأقوال الحكمية والأمثال في الشعر، وهو منهج بارز في شعر عبد الوهاب البياتي. ولكنّ الدكتور إحسان عباس يُركّز على زوايا أربع تعامل وفقها الشاعر المعاصر. وقد يستعملها جميعاً، وقد يقتصر على بعضها، وهذه الزوايا هي:

1. التراث الشعبي
2. الأقنعة
3. المرايا
4. التراث الأسطوري[(4)].

وما يهمنا هنا التراث الشعبي الأسطوري، لأن ذلك موضوع الدراسة. فالتراث الشعبي يمكن أن يضم الناحية الأسطورية، وأن يؤدّي دور الرمز. كما أن للتراث الشعبي جاذبية تكمن في أنّهُ يُمثل جسراً ممتداً بين الشاعر والناس حوله. وهو بذلك يعمل على إيقاظ الشعور القومي وإبقائه حيّاً[(5)].

إنّ مشكلة التراث لم ترتبط بالمفهوم القومي من قبل، كما ارتبطت به في الآونة الأخيرة من حياة الأمة العربية. وليس معنى ذلك أن قضية التراث لم تسترع اهتمام الشعراء من قبل، وإنما رافقت حركة النهضة منذ بواكيرها، ولكن بتفاوت في الدرجة والتوظيف. ومع تطوّر وعي الشعراء بالتراث وتقديرهم له أخذوا يتمثلونه، لا صوراً وأشكالاً وقوالب، بل جوهراً وروحاً ومواقف،

فأدركوا فيه بذلك أبعاده المعنوية والتاريخية والإنسانية، واستخرجوا المواقف التي لها صفة الديمومة في هذا التراث. وهم في خروجهم على الإطار الشكلي للشعر القديم لم يكونوا بذلك يحطّمون التراث، بل كانوا يحطّمون قالباً كان قد تجمّد، ولا بُدّ له من أن يتطوّر ويتجدّد(6).

الرموز الشعبية الأسطورية في نماذج من الشعر العربي المعاصر:

لقد أخذ الشعراء العرب المعاصرون ينظرون إلى التراث الشعبي ويستدعون منه شخصيات أصبحت رموزاً شعبية، وأحيطت بطابع أسطوري، مستغلين أبعادها ودلالاتها القديمة، ومضيفين إليها من تجربتهم الشعورية والشعرية أبعاداً ودلالات جديدة. وفي هذا المجال نجد "ألف ليلة وليلة" تمدّ الشعراء بشخوص غنيّة بالدلالة هي السندباد وشهرزاد وشهريار. ويجد الباحث رمزاً شعبياً آخر احتلّ مساحة كبيرة عند شعرائنا المعاصرين ألا وهو "زرقاء اليمامة".

ولهذا سيقتصر حديثي في هذه الدراسة على تلك الشخصيات الرمزية الأسطورية لكثرة توظيفها في الشعر العربي المعاصر، بحيث تمثّلها الشاعر المعاصر أبعاداً روحية ونفسية وفكرية وقومية واجتماعية وسياسية، عكست لنا إحساسه بأزمات قومه، ومواقفه من كثير من القضايا السياسية والاجتماعية وتطلعاته إزاءَها:

1. السندباد:

السندباد البحري شخصية شهيرة من شخوص "ألف ليلة وليله"، وتعتبر من أكثر الشخصيات التراثية الشعبية استحواذاً على اهتمام شعرائنا المعاصرين. وما من شاعر معاصر إلاّ وقد عدّ نفسه سندباداً في مرحلة من مراحل تجربته الشعرية. واستغلّ الشعراء رحلات السندباد البحري التي تُعدّ من أشهر قصص المغامرات في حكايات "ألف ليلة وليلة". فالسندباد هو بطل الأسفار البحرية والمغامرات الأسطورية. وحكايته تبدأ عندما يقص السندباد البحري – وهو تاجر يعيش في بغداد – قصته على حمّال فقير يُدعى أيضا "سندباد"، وذلك ليبيّن له أنّ المال والرخاء الذي يعيش فيه، ما هو إلاّ حصيلة لسلسلة من المغامرات الخطيرة، إذ إنه سافر إلى العديد من البلدان بهدف المتاجرة، ومع مرور الوقت أصبح مولعاً بالأسفار والمغامرات(7).

واللافت للنظر أنّ الشعراء العرب المعاصرين قد انفتح عندهم رمز السندباد البحري على رمز أسطوري يوناني مشابه هو أوديسيوس أحد أبطال فتح طروادة. فبعد رجوعه من فتح طروادة بالحيلة، التي دبّرها واجه مغامرات ومخاطر عديدة، فقد ظلّ سنوات عديدة بين جزر البحر وعواصفه، ثم عاد إلى مملكته وزوجته الوفيّة "بنلوب" التي طال انتظارها لعودة حبيبها الغائب. فهناك تشابه واضح بين الشخصيتين – السندباد البحري وأوديسيوس، فكل منهما تاه في البحار وواجه الأخطار، وشاهد العجائب، غير أن أوديسيوس تاه مُرغماً في طريق عودته من فتح طروادة، لأنّ الآلهة المناصرة للطرواديين فرضت عليه التيه، أمّا السندباد البحري فإنّ رغبته

بالمتاجرة وحبّه للمغامرة جعلاه يسافر ويواجه الأخطار والمتاعب[8]. فبواعث الرحلات والمغامرات الخطيرة مختلفة عند كل منهما، ولكنّ الاستخدام الشعري يجمع بينهما، لأنهما يمثلان المغامرة وكثرة الأسفار وتحمّل المصاعب والأخطار.

ووظّف الشعراء العرب المعاصرون شخصية السندباد كل حسب موقفه الشعوري وتجربته الخاصة به، ومنهم مَن أضاف إليه شخصية أوديسيوس تعزيزاً وتأكيداً لموقف أو رؤية ينطلق منها الشاعر، ومنهم مَن تقمّص شخصية السندباد واتفق معه في الموضوع، ولكنه اختلف معه في الغرَض مثل بدر شاكر السيّاب، والبعض الآخر جعل من السندباد قناعاً له أو رمزاً كما عند خليل حاوي وصلاح عبد الصبور والسيّاب أيضا.

ومن القصائد الجميلة والناضجة على مستوى الشعرية والرؤية والتشكيل، قصيدة "رحل النهار"[9] لبدر شاكر السيّاب الذي تقمّص فيها شخصية "السندباد"، وجعل منه رمزاً محورياً في القصيدة. وقد أفاد السيّاب في التعبير عن موقفه الشعوري وتجربته الخاصة في المرض الذي أصابه من حكايات السندباد البحري، وجعله "قناعاً" للتعبير عن يأسه من الشفاء. فكثرة تجوال السندباد تماثل تجوال السيّاب مع اختلاف الهدف، فالسندباد أحبّ المغامرة والأسفار للعودة بالكنوز والهدايا، والسيّاب أكثر من التجوال طلباً للشفاء. وهكذا نجد أن السيّاب عدّل من مسار توظيفه للسندباد، واستخدم حركة التجوال والترحال الأفقية أو الدائرية اللصيقة بالسندباد بغية الكشف والربح، غير أن السيّاب يمارس الحركة نفسها لكن مع فارق الهدف. فمشكلات السندباد خارجية يمكن أن يتغلّب عليها، أمّا مشكلات السيّاب فداخليّة مُستعصية تتمثّل في صراعه مع الموت ومعاناته من المرض. فيقول السيّاب من قصيدته "رحل النهار".

رحل النهار
ها إنّه انطفأت ذبالته على أفقٍ توّهج دون نار
وجلستِ تنتظرين عودةَ سندبادٍ من السِّفار
والبحرُ يصرخ من ورائك بالعواصف والرعود
هو لن يعود،
أو ما علمتِ بأنّه أسرته آلهة البحار
في قلعةٍ سوداء في جُزرٍ من الدمِ والمحار؟
هو لن يعود،
رحل النهار
فلترحلي، رحل النهار [10]

وهنا يفتح السيّاب نصه الشعري على رمز أسطوري آخر ليدعم رؤيته، فيستعير بعض ملامح شخصية أوديسيوس أحد أبطال فتح طروادة، ليعبّر من خلالها عن إحساسه بغلبة المرض عليه، فيرى نفسه سندباداً مهزوماً مأسوراً "في قلعة سوداء في جزر من الدم والمحار" ويطلب من زوجته الوفية ألاّ تنتظره بعد، فهو لن يعود. ومعروف أن الزوجة الوفية المنتظرة(11)، وأسْر آلهة البحار، مظهران أصيلان من مظاهر أوديسيوس حيث ظلّت زوجته " بنلوب " تنتظره فترة طويلة بحيلتها المشهورة(12) حتى عاد.

فالسندباد – السيّاب ليس كأوديسيوس، وليس كالسندباد "القناع"، فهو (السيّاب) سندباد محكوم عليه بعدم العودة، ولهذا تُمثل القصيدة رحلة ليست كرحلات السندباد المعتادة، فرحلة السيّاب رحلة لا أمل في العودة منها، لأنها رحلة الموت المقطوع بعدم الرجوع منها، أو رحلة إلى المجهول، رحلة علاج والعودة منها في علم الغيب(13).

ومن أجل تدعيم موقفه ورؤيته اتكّأ السيّاب على اسلوب التكرار وأسلوب النص البرهاني المعتمد على الإقناع واستدعاء الحُجج والأدلة الماديّة. فمنذ العنوان "رحل النهار" أي رحل العُمر، الذي شكّل إنارة للمتن الشعري، وضع السيّاب المُتلقّي في بؤرة الحدَث الشعري، وقدّم له خلاصة معاناته:

رحل النهار
هو لن يعود
رحل النهار
فلترحلي، هو لن يعود (14).

فلماذا هذا الإصرار على الرحيل؟ فالشاعر يعتمد على الأدلة والحُجج، فالنذر تقول

الأفق غابات من السُحب الثقيلة والرعود
الموت من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الخوف من ألوانهن، وبعض أرمدة النهار
رحل النهار
رحل النهار (15).

ولجأ السيّاب أيضاً إلى أسلوب الحوار بنوعيه: الديالوج والمونولوج. فالأول يتخيلّه مع زوجته ويحاول من خلاله أن يقنعها بعدم جدوى الانتظار، وينصحها بأن لا تتعلق بحبال الأمل. لأنّ نهار العمر راحل لا محالة، ولا جدوى من الانتظار، مبرراً ذلك من واقع السندباد (السيّاب)

الذي تقف في طريق عودته "القلاع السوداء" "وجزر الدم" و "أسر آلهة البحار". كل ذلك معادلات تعبيرية للمرض العضال الذي يعاني منه. وأسلوب الحوار الثاني داخلي (مونولوج) يتمثل في صوت الزوجة تناجي نفسها، وتدور في نفسها صراعات شعورية ونفسية متشابكة:

وجلستِ تنتظرين هائمة الخواطر في دوار:
" سيعود. لا. غرق السفين من المحيط إلى القرار
سيعود. لا. حجزته صارخة العواصف في إسار
يا سندباد. أمَا تعود؟
كاد الشباب يزول، تنطفىء الزنابق في الخدود
فمتى تعود؟ [16].

ويعود السيّاب لتأكيد عدم العودة وعدم جدوى الانتظار وقطع الأمل في العودة من خلال انفتاح النص الشعري عنده على رمز اسطوري آخر. ويتمثّل ذلك في جملته الشعرية "البحرُ مُتّسعٌ وخاوٍ". وهذه الجملة تتناص مع عبارة الأمير تريستان في قصته "تريستان وإيزولده" المشهورة. حيث يطلب إلى رفيقه أن ينظر فلا يبصر شيئاً. ويقول له: "البحر هادىء وخاوٍ"[17] (od und Leer das Meer).

إن عدم اللقاء بين تريستان وإيزولده اتخذه السيّاب رمزاً مؤازراً للسندباد الذي تقمّصه وغيّر مساره ليتلاءم مع تجربته الخاصة:

رحل النهار
والبحر مُتسعٌ وخاوٍ.. لا غناء سوى الهدير
وما يبينُ سوى شراعٍ رنّحته العاصفات، وما يطير
إلاّ فؤادك فوق سطح الماء يخفق في انتظار،
رحل النهار
فلترحلي، رحل النهار [18].

وهكذا نرى أن قصيدة السيّاب "رحل النهار" تمثّل نموذجاً شعرياً لتوظيف "القناع" في الشعر، إذ تقّمص السيّاب شخصية السندباد ذات الأبعاد الشعبية الأسطورية من حيث الرحلة المقرونة دائماً بالعودة، لكن الأمل في العودة منها عند السيّاب مفقود. وبهذا استطاع السيّاب بامتياز أن يحوّل مسار رمز السندباد ليتلاءم مع تجربته الخاصة وموقفه الشعوري، فإذا كان

السندباد التراثي يُبحر وراء الكشف والكنوز والأموال، فإن السندباد السيّاب يُبحر في معاناته وآلامه، ليعود محمّلاً بالمرض والموت.

ولقد أخذت مغامرات السندباد ورحلاته عند الشعراء العرب المعاصرين دلالات عديدة وأبعاداً معاصرة ومعادلات موضوعية متنّوعة، استغلّها الشعراء كل وفق موقفه الشعوري وتجربته الخاصة ورؤياه ورؤيته. ويمكن حصر دلالات مغامرات السندباد ورحلاته بثلاث دلالات عامة، هي الدلالة الفنيّة، والدلالة السياسية أو الاجتماعية، والدلالة الفكرية أو الحضارية[19].

فالدلالة الفنيّة نجدها عند صلاح عبد الصبور الذي يعتبره الدكتور مختار أبو غالي، مُكتشف رمز السندباد في شعرنا العربي المعُاصر[20]. ففي قصيدة صلاح عبد الصبور المعنونة بـ "رحلة في الليل" يعبّر فيها من خلال مغامرة السندباد عن مغامرته هو الفنيّة في البحث عن الكلمة الشاعرة. فهو يعتبر نفسه سندباداً "يرحل عبر مجاهل الكلمات وأدغال الأحاسيس، ويعاني أهوال التجربة ليعود إلى الزمان بكنزه الثمين – كلمته الشاعرة"[21]:

في آخر المساء يمتلىء الوساد بالورق
كوجه فأرٍ ميّت طلاسم الخطوط
وينضح الجبين بالعرَق
ويلتوي الدخان أخطبوط
في آخر المساء عاد السندباد
ليرسي السفين
وفي الصباح يعقد الندمان مجلس الندم
ليسمعوا حكاية الضياع في بحر العدم [22].

فرحلة الشاعر ليست في البحار ولكنها في عالم الفكر والخيال، وهو في حالة صراع مع الأفكار الهاربة والألفاظ التي تَثبتها، وليس مع الأمواج والأنواء. وهو لا يستعين بالمركب والمجداف، وإنّما بالأوراق والأقلام ولفائف التبغ، ونداماه ليسوا بغداديين وإنما جمهور قرّاء الشعر المعاصر. وبهذا يشحن صلاح عبد الصبور رمزه بما يوافق رؤيته، ويلتحم النسيج الشعري بالرمز ومفرداته، ويوفّق الشاعر في الاندغام والمواءمة بين تجربته المعاصرة ورمزه الذي ارتدى قناعه[23].

ويُطل السندباد في قصيدتين في ديوان صلاح عبد الصبور الثاني "أقول لكم"، الأولى: "الظل والصليب" والثانية "أقول لكم" بحيث يُحمّل رمز السندباد فيهما ملامح اجتماعية

وسياسية ومسحة وجودية، وبخاصة في "الظل والصليب"، ويبدو فيها بثياب الفيلسوف مّرة – الوجودية – ومرّة أخرى بمسحة النبّي المعلم[24]. فقد استغل صلاح عبد الصبور رمز السندباد ليعبّر من خلاله عن معاناة الشاعر العربي المعاصر الذي يحمل على كاهله ثقل التجربة الشعرية. فهو يقدّم الكلمة الشاعرة الواعية بينما يتقاعس الناس ويقتنعون بحياتهم الرتيبة، ولا يهتمون بالسندباد – الشاعر وكنوزه من المعاني والصور الشعرية.

ولقد أفاد الشاعر عبدالله العتيبي أيضاً من رمزية السندباد الذي جمع فيها بين تجربته الذاتية هو وتجربة السندباد والمغزى الشعوري الوجداني الذي يربط بينهما ويحقق لهما ارتباطاً وثيقاً بتجربة الشاعر الخاصة، مما يشكّل نوعاً من التوحّد والانشغال بقوة الرمز وتأثيره في سياق التجربة لتفعيل قوة التعبير الشعري. وبهذا يدخل السندباد – الرمز في شبكة النص واستكمال دلالاته وتشفيرها وتشعيرها[25] في فضاء النص – كما في هذا المقطع: من قصيدة "السندباد":

سندبادي ملّ من طول الطواف
في بحورٍ ليس فيها من قرار
أكهفُ قد أنكرت ضوء النهار
أيها الشاطىء.. يا تلك الضفاف
سندبادي كان بالأمس معي
ونَسجنا من أمانينا شراعاً لسفينة
نعبر العمق بها لكنّ (ميدوزا) اللعينة
حجزت في ليلة الإقلاع صخاب عُبابي
أوصدت بالصخر – بالبؤس – شبّاكي وبابي
دون إشراقة آمالي وأحلامي الحزينة [26].

ويؤازر رمز السندباد المبحر الدائم الذي يواجه المخاطر رمز "ميدوزا" الشخصية الأسطورية التي تحيل من تلقاه إلى صخر، وهي التي أوصدت أبواب الأمل والمستقبل أمامه. وبذلك عمّق الشاعر رؤيته الشعرية، وأضفى عليها رؤية عصرية جديدة استطاعت القصيدة من خلالها أن تتنامى ضمن إطار الفن الشعري[27].

أمّا الدلالة السياسية لمغامرات السندباد ورحلاته فقد انعكست في كثير من القصائد في صورة رمزية للثائر المُعاصر، الذي يواجه الأخطار والأهوال، من أجل تغيير واقع سياسي أو اجتماعي. ومن الشعراء الذين وظّفوا هذه الأبعاد السياسية والاجتماعية الشاعر سليمان العيسى

في قصيدته " السندباد يروي حكايته الثامنة"[28]. ففي هذه القصيدة يروي حكايته الثامنة، والمعروف أنّ للسندباد سبع حكايات لسبع رحلات. والقصيدة مكوّنة من ثمان لوحات كل لوحة تروي حكاية لها دلالاتها وأبعادها السياسية والاجتماعية: ويتقمّص الشاعر شخصية السندباد، ويروي حكايته الثامنة التي لم يروها السندباد؛ فيبين الشاعر – السندباد عراكه مع الحياة، ويوضّح كيف أنّ المنافقين يذلّون أنفسهم من أجل دريهمات سيعطونها، فيقول:

سهرتُ حتى تعب السهر
على جفوني اشتكي القمر
رأيت كيف تنحني الشِفاة
وتسجد الجباه
على حذاء " صنم "
على خيال درهم
تسأل، تستعطي بلا حياء [29].

ويبين الشاعر – السندباد ألاعيب السياسيين ويشبهها بألاعيب "السحرة" من أجل إرضاء الحكّام. فيقول:

رأيت ألواناً من " الدُمى "
يرفعها " الحواةُ " حتى تنطحَ السما
يرفعها " الحواةُ " فوق الحكم والعروش
ما أكثر الأرباب والعروش
فوق ثرانا الطيب الحزين:
يسارها المحموم كاليمين
قطيع جائعين لمقعد أذلّ من وتد [30].

ويشرح نجيب السرور في قصيدته "السندباد البري"[31]. حياة السندباد كما روتها شهرزاد في الليلة 524 من ألف ليلة وليلة التي يرمز إليها لحياة الإنسان المليئة بالتعب والعذاب والاضطهاد، ولكنه لا يفقد الأمل في التغيير. وتتكون القصيدة من أربع لوحات عنونها الشاعر كالآتي: (1) اللحن الأخير. (2) مدينة العذاب (3) حيرة السندباد. (4) الخلاص.

وفي اللوحة الأخيرة (الخلاص). يجعل الشاعر السندباد الذي يرمز به إلى الانسان بصورة عامة، يسعى إلى الخلاص من الاضطهاد والظلم والشقاء. ويركّز الشاعر على أن القوة الجماعية هي التي تعمل التغيير وليس القوة الفردية. فيقول معبّراً عن هذا المعنى:

.. " وأصبح الجميع سندباد !
فدمّروا مدينة العذاب
وعلّقوا الغُراب
وواصلوا الليالي الملاح
وداوموا على الغناء للصباح
.. قصيدة وحلوة حكاية الحياة
كبسمة الصغير
وجرعة الحليب
وقبلة الحبيب للحبيب
كقصة العجيب سندباد
وأدرك الصباح شهرزاد " [32].

ويرى علي عشري زايد أن الشاعر خليل حاوي أبرز مَنْ وظّف السندباد بين شعرائنا المعاصرين، واتخذ منه رَمزاً للتعبير عن دلالات حضارية وفكرية، وذلك في قصائده "وجوه السندباد" و"السندباد في رحلته الثامنة" و"البحّار والدرويش"[33].

والسندباد من أوفى الرموز تعبيراً عن تجارب خليل حاوي وانفعالاته وتطلّعاته، السندباد في تعدّد وجوهه ورحلاته السبع، ثم في رحلته الثامنة التي ابتدعها الشاعر خليل حاوي وقال إنها "رصيد ما عاناه عبر الزمن في نهوضه من دهاليز ذاته إلى أن عاين إشراقة الانبعاث وتمّ له اليقين"[34].

والسندباد البحري في تراثنا الشعبي الأسطوري هو رمز الرحلة والتجوال والكشف ومحاولة تحقيق الذات من خلال مغامراته السبع في البحار. وخليل حاوي من أكثر الشعراء العرب استغلالا لهذا الرمز. ففي قصيدته "البحّار والدرويش" يتقمّص شخصيتي البحّار (السندباد) والدرويش. والبحّار والدرويش كلاهما بعدان من أبعاد ذات الشاعر المتصارعة، والبحّار هو وليد نزعة الفنان الشاعر التوّاق إلى المغامرة والكشف والارتياد والإبحار الدائم في بحار المجهول، والدرويش إفراز

تلك المواريث المتقوقعة داخل "صدفة القيم الشرقية" الثابتة وما فيها من عزوف عن المغامرة، وخوف من خوض المجهول:

بعد أن عانى دُوار البحر،
والضوءَ المداجي عبر عتمات الطريق
ومدى المجهول يَنْشَقُ عن المجهول،
عن موتٍ محيق
ينشر الأكفان زُرقاً للغريق،
وتمطّت في فراغ الأفق أشداق كهوفٍ
لفّها وهجُ الحريق،
بعد أنْ راوغهُ الريحُ رماهُ
الريح للشرقِ الغريق [35]

وكان الشاعر يسير في إطار المُغامر "السندباد" والدرويش جنباً إلى جنب، وكان هدفه الدائم تحقيق نوع من المصالحة بين هاتين الشخصيتين بكل ما تجسّد فيهما من رموز: البحّار والدرويش صورته الغضة الباقية في عين محبوبته، وصورته الجديدة التي جسّدتها التجربة الناضجة في قصيدة "وجوه السندباد" التي تعبّر عن نظرة الشاعر الخاصة إلى الوجود، ويرى فيها داره القديمة، أمّا داره الجديدة المنتظَرة فيجدها في قصيدته "السندباد في رحلته الثامنة"[36]. ولكن المرء يعرف منذ البداية أن الشاعر منحاز إلى البحّار (السندباد) المغامر بكل ما يرمز إليه من كشف ومغامرة وثورة وتجدّد.

2 – شهرزاد:

تُعد شهر زاد من الشخوص الشعبية ذات الطابع الأسطوري التي ارتقت إلى مرتبة الشخصية الأدبية العالمية. ومصدر هذه الشخصية الأول هو قصص ألف ليلة وليلة الفارسية الأصل. وقد انتقلت شهرزاد إلى الآداب الأوروبية صورة لمن يهتدي إلى الحقيقة ويُهدى إليها عن طريق القلب والعاطفة، أي ترجيح العاطفة على العقل في الاهتداء إلى الحقائق الكبرى، إذْ إنّ "شهرزاد" قد هدت الملك إلى انسانيته، وأبعدته عن غريزته الوحشية عن طريق العاطفة وليس بوساطة المنطق والعقل. فصارت رمزاً للحقيقة التي يعرفها المرءُ عن طريق العاطفة والحب[37].

وكانت القصص التي حكتها شهرزاد ترمز عند الأوروبيين إلى قضية رومانسية تتمثّل في نصرة القلب والعاطفة على العقل والتفكير المجرّد. فمثلاً قصة "علاء الدين والمصباح السحري"

(وهي عنوان مسرحية للكاتب الدنماركي أهلنشلاجر (1805)، وموضوع مسرحيات غنائية كثيرة في مُختلف الآداب الأوروبية)، كان فيها نور الدين مثال المفكر الذي لا يصل إلى الحقيقة، لأنه يريد الاهتداء إليها بعقله، في حين يهتدي إليها علاء الدين بسذاجته وطهره ورقة عاطفته. وصار المصباح السحري رمزاً للعبقرية التي يصل بها المرءُ إلى كنوز المعرفة والسعادة عن طريق القلب والعاطفة والحب والإلهام(38).

ويأتي جوته Goethe (1749 – 1832) في طليعة الأوروبيين الذين اهتمّوا بحكايات شهرزاد في ألف ليلة وليلة، وتأثر بها تأثراً واضحاً. وكان طوال حياته شديد الشغف بأحاديث شهرزاد، إذْ تعرّف من خلال والدته وجدّته في أيام الطفولة المبكّرة على بعض الحكايات التي ظلّت راسخة في ذاكرته. فقد كان جوته يقارن نفسه بوصفه شاعراً وروائياً بشهرزاد. وكان يقوم بهذا بوعي تام. وليس أدل على ذلك من قول جوته بأنّ طريقته في روايته " سنوات التجوال " كانت تقوم على "طريقة السلطانة شهرزاد"(39).

وبفضل تأثير الآداب الأوروبية انتقلت شهرزاد الى الأدب العربي المُعاصر كإدراك رومانسي لهذه الشخصية، وذلك في مسرحية "شهرزاد" لتوفيق الحكيم، وقصة "القصر المسحور" لتوفيق الحكيم وطه حسين، وقصة "أحلام شهرزاد" لطه حسين، ومسرحية "شهرزاد" لعلي أحمد باكثير(40).

وقد شاع استخدام شهرزاد في شعرنا العربي المُعاصر "رمزاً للمرأة العربية التي ما زالت تعيش أسيرة عصر الحريم، تنتهي أمالها عند تحقيق حياة مادية باذخة تفيض بالترف والدعة والخمول، حتى وإن لم يتجاوز دورها في هذه الحياة كونها مجرّد جارية تباع وتشترى ككل طُرف هذه الحياة التي تحلم بها"(42).

وقد ارتبط اسم شهرزاد في أذهان الشعراء بصورة عصر الحريم في الشرق القديم، كما يقول محمد مهران السيّد في قصيدة "بغداد في الصف"(42):

.. ذلك الشرق القديم

شرق التكايا والنذور

شرق التمائم والبخور

يرفلن في الحُلل الشفيفة والحرير

لِيذُدْن عن ربّ السرير

سأم الليالي الخاليات من المثير

ويرمز عبد الوهاب البياتي، كغيره من العديد من الشعراء، بشهرزاد في أكثر من قصيدة إلى المرأة المتاع، المرأة الجارية التي تُباع وتُشترى، والتي يحرص على فك أسرها من عصر الحريم، ولكنه في قصيدة "الحريم"[43] فإنّه يُغنّي للمرأة الجديدة، بشهرزاد المتحرّرة من أسوار عصر الحريم الذي ارتبطت به في رؤياه:

ويعود فارسها يُغنّي: " لم تعودي شهرزاد !
- زاد المعاد –
جسداً بأسواق المدينة في المزاد
جسداً يُباع
يا أنتِ، ياعصفورتي، يا شهرزاد "

ويصف واقع المرأة، فيقول:

ما زال التنابلة العبيد
يستنزفون دم المساكين الحزانى الكادحين
على وسائدَ من عبير
ويزاولون تجارة القول المزيّف والرقيق
ما زال (هولاكو) و(هارون الرشيد)
وقوافل التجار والفرسان والدم والحريم
يولدن ثم يَمتْن عند الفجر في أحضان (هارون الرشيد)

ويعلن الشاعر الثورة على عصر الحريم لكي يهدم أسوار تقاليد عصر الحريم، فيقول:

ويعود فارسها يغنّي تحت شرفتها: "حياتي، شهرزاد..
كحياة باقي الناس كانت، كالفقاعة في الهواء
حتى حملتِ معي السلاح
سلاح ثورتنا على الشرق القديم
وهدمتِ أسوار الحريم " [44]

وقد حاول بعض الشعراء العرب المعاصرين أن يمنحوا شخصية شهرزاد التراثية أبعاداً سياسية، كما فعل الشاعر عبد الرحيم عمر في قصيدة "كيف ماتت شهرزاد"[45]؛ حيث جعل شهرزاد رمزاً للأمة المقهورة أو الشعوب المغلوبة على أمرها، والتي قُدّر لها أن تعيش حياة ذليلة

لا غرض لها سوى الترفيه عن سيدها "شهريار" رمز السلطة الظالمة، وإرضاء مزاجه المُسْتبد لتُبْقي على حياتها ليلة أخرى(46)، وينضاف إلى ذلك ما تعانيه من رُعب وفزع على حياتها:

يا أمة وثنية الأرباب أنتِ صنعتِ
نفسك تارة معبودة كبرى وأخرى جارية
أرأيت غير الرُعب في ليل الحكاية الآتية (47).

فالرمز واضح الدلالة على الشعب المقهور والمغلوب على أمره، والذي لا يملك إلاّ تلبية ما يُريده السيد الغاشم المرموز إليه هنا "بشهريار". ولذا فعلى الشعب أن يداريه من خلال شهرزاد التي ترمز إلى الشعب الذي يعيش الذل والامتهان والخوف:

مُتنا. حيينا ألف ليلة
قدم على شط النجاة ويجذب الأخرى العباب
وسلاحنا إذلال كلمة
صغنا بها حلو الحياة ومُرّها قصصاً حكايا
وبذُلّنا الدّامي قدرنا أن نُداري شهريار
وأن نُسكّنَ فيه إثمه
قلنا حرصنا أن نقول ولم نقل إلاّ النفايا
والسيف يُسْلِطُه الزمان على الرقاب (48).

3 – شهريار

شهريار هو ذلك السلطان الطاغية في ألف ليلة وليلة الذي يقتل كل ليلة فتاة. بعد أن خانته زوجته مع أحد عبيده. فجاءت شهرزاد ابنة الوزير التي قبلت أن تعيش كجارية في قصر شهريار تترقّب الموت بين ليلة وأُخرى. وهو لا يبقي على شهرزاد إلاّ لكي تكمل له قصتها التي كانت تحرص كل ليلة على بترها عند موقف مثير، لتضمن أن يتركها السلطان إلى الليلة التالية لتكمل له القصة. واستطاعت بحكمتها وثقافتها الواسعة أن تروّض طغيان شهريار بعذوبة حكاياتها وغرائبية قصصها، وتردّ إليه ثقته بالمرأة، وتجعل منه في الوقت نفسه ينظر إلى الأمور ببصيرة وحكمة وعقلانية(49).

ولقد أصبح شهريار في الشعر العربي المعاصر رمزاً للقوة الغاشمة المستبدة. فهو في قصيدة عبد الرحيم عمر "كيف ماتت شهرزاد" رمز للسلطة التي تذيق الشعب أنواع الذُلّ والإهانة. وتزرع الخوف في نفوسهم:

وبذلنا الدامي قدرُنا أن نُداري شهريار
وأن نُسكّنَ فيه إثمه
قلنا حرصنا أن نقول ولم نقل إلاّ النفايا
والسيف يُسلطه الزمان على الرقاب
.. قولي له قصي الحكايات التي تبغين أنت
فربّما في الليلة المليون أبرق ومض شعلة
وأطبقت جفونها المِلاح
وجاء شهريار
لكنها لم تدرك الصباح [50]

ويتردد هذا المدلول الرمزي لشهريار كرمز للقوة الظالمة المستبدة المستمتعة بشهواتها في قصيدة محمد عمران "شهريار والمرايا"[51].

.. بيت بلا جدار
ليل من القهر، من الجنون والدّمار
وشهريار
محارب أبوه من فوارس التتار
وأمُّه من سبي هولاكو

وواضح هنا أن الشاعر يستدعي معادلاً موضوعياً "لشهريار"، معروفا عنه الظلم والقسوة هو هولاكو وقومه التتار.

ويُوظَف شهريار عند الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح "كنمط شهرياري" من أنماط الرجل الشرقي الذي كل ما يطلبه من المرأة عاصفة من قبلات، وشكلا لائقا جميلا وزينة، وحالة تملك وسيادة يقوم فيها بدور البطولة. وتعبّر سعاد الصباح باسم المرأة العربية عن آمالها ورؤيتها في الرجل، فهي ترفض الشهريارية في الرجل ورؤيته للمرأة كرمز للمتعة الجسدية. فالمرأة بحاجة إلى مَن يبصر عقلها وذكاءَها، إلى مَنْ يشعرها بالدفء العاطفي والحنان، لا كما هو شهريار الذي لا

يهتم إلاّ بشكلها وزينتها وحِليّها كنظرة الرجل الشرقي الذي تسكن روحه شخصية شهريار وعقليته:

كن صديقي
كن صديقي
كم جميل لو بقينا أصدقاء
إن كل امرأة تحتاج إلى كفّ صديق
وكلام طيّب تسمعه
.. فلماذا يا صديقي؟
لست تهتم بأشيائي الصغيرة
فلماذا – أيَّها الشرقي – تهتم بشكلي؟
ولماذا تبصر الكحلَ بعيني..
ولا تُبْصر عقلي؟
ولماذا فيك شيء من بقايا شهريار؟ (52).

إنَ الشاعرة سعاد الصباح تدين هذا النمط الشهرياري ورؤيته الضيقة. وعلى الرغم من أن استدعاء شخصية شهريار جاءت بصورة مقتضبة في القصيدة، إلا أنها شكلت شعاعا امتد ضوؤه إلى القصيدة بأكملها، وتسّلل إلى عمق مغزى القصيدة والغاية منها، لأنها كشفت سلوك الرجل الشرقي بوضوح، وأبانت موقف المرأة الرافض لهذا النمط الشهرياري الذي تتقمصه نفوس الكثير من الرجال الشرقيين.

وتظهر نزعة شهريار المتسلّطة الغاشمة في الأغنية الخامسة، اللوحة السادسة، من قصيدة "تحولات العاشق" لأدونيس:

لم يزل شهريار
في السرير المسُالم، في الغرفة الوديعة
في مرايا النهار.
ساهراً يحرس الفجيعة
.. لم يزل شهريار
حاملاً سيفه للحصاد

حاضناً جرّة الرياح وقارورة الرماد
نسيت شهرزاد
أن تضيء الدروب الخفيه
في مدار العُروق
نسيت أن تُضيء الشقوق
بين وجه الضحية
وخُطى شهريار [53].

وهنا نلمح بوضوح نزعة شهريار المتسلطة والبطريركية. ولكن شهرزاد تفلح بحكاياتها في ترويض شهريار، وذلك بإحلالها "قصص النساء مكان النساء، أو لنقل بتحويلها النساء من موضوعات جنسية إلى موضوعات للتخيل الجنسى. ويشكل هذا الدخول إلى ساحة الرمزية خطوة حاسمة في مسيرة شهرزاد، فهو تحوّل شديد الأهمية يوازي التضحية الرمزية بالتضحية العينية. فعندما يحل الدال محل المدلول تصبح اللغة ممكنة. وفي مجال اللغة يصبح ممكنا توليد عدد لا متناهٍ من المقولات"[54].

وقد حاول بعض الشعراء أن يمنح شخصية شهريار دلالة نفسية خاصة أو بعدا ذاتيا، ولكنه مُغّلَف بالرمزية التي قد تنسحب على حالات مماثلة وليس على الحالة المرموز لها. فنرى نزار قباني في قصيدته "دموع شهريار"[55] يبوح من خلال شخصية شهريار "عن ذلك الشعور بالوحدة حين يصبح الجنس مجرّد صلة ميكانيكية لا روح فيها، بدل أن يكون رباطاً روحياً بين اثنين"[56]. ويوظّف نزار شخصية شهريار توظيفا عكسيا:

لا أحد يفهمنى
لا أحد يفهم ما مأساة شهريار
حين يصير الجنس في حياتنا
نوعاً من الفرار
مخدِّراً نشمّه في الليل والنهار
ضريبة ندفعها
بغير ما اختيار
لن تفهمينى أبداً
لن تفهمي أحزان شهريار

فحين ألف امرأة

ينمْن في جواري

أحس أن لا أحد

ينام في جواري [57]

4 - زرقاء اليمامة:

تُعدّ زرقاء اليمامة من الرموز الشعبية التي اختلطت أخبارها بالأسطورة. فزرقاء اليمامة هي "فتاة جديس التي جاء حسان بن تبّع ملك حمير يهاجم قومها، فرأت جيشه على مسيرة ثلاثة أيام، وأنذرت قومها فلم يصدقوها. وقد عرف حسان بقدرة الزرقاء على الرؤية من بُعد، فأمر جنوده أن يقطع كلٌّ منهم شجرة ويحملها على كتفه تضليلاً للزرقاء ففعلوا. وعادت الزرقاء تخبر قومها بمسيرة الأشجار القادمة عليهم، فكذبّوها حتى داهمهم جيش حسّان فأبادهم، وأتى بالزرقاء ففقأ عينيها"[58].

ولقد حظيت شخصية زرقاء اليمامة باهتمام كبير من قبل العديد من شعرائنا المعاصرين، حيث وظفوها في العديد من القصائد، وحمّلوها دلالات رمزية مختلفة، منها الحيرة والتردد واستشراف المستقبل، ولكن الدلالة الجوهرية التي منحها الشعراء العرب المعاصرون لتوظيف شخصية زرقاء اليمامة، هي القدرة على التنبؤّ واكتشاف الخطر قبل وقوعه، والتنبيه إليه وتحمّل نتيجة إهمال الآخرين وعدم إصغائهم إلى التحذير. ولكن الملاحظ على توظيف هذه الشخصية لدى الشعراء هو اختلافهم في الأسلوب والبنية وطريقة التعبير عن هذه الرؤى والدلالات والإيحاءات الرمزية المعاصرة.

وتنبّه كثير من الشعراء العرب المعاصرين بقيمة هذا الرمز وإيحاءاته، وقد برز هذا الاهتمام في قصيدة خالد محي الدين البرادعي "رحلة في عينى زرقاء اليمامة" التي تقدّم رؤية يجب على المواطن العربي والمسؤول العربي الإفادة منها والاتعاظ بها:

أطبقى عينيك يا زرقاء

إني فيهما

وأريني كيف أبصرتِ الشجر

راكضاً نحو اليمامة

عَبْرِ آلاف الفراسخ [59].

ويرمز الشاعر عز الدين المناصرة في قصيدته "زرقاء اليمامة"[60] بالزرقاء إلى القوى التي تنبأت بالأخطار قبل وقوعها، ولم يصغ أحد إليها. وكانت النتيجة الدمار والخراب للجميع. وهنا يعبّر الشاعر من خلال رمز "الزرقاء" عن قضية فلسطين التي طالما حذّر العديد من خطر الصهيونية ولا من مجيب أو مستمع:

قلتِ لنا أنّ الأشجار تسير
على الطرقات
كجيشٍ محتشد تحت الأمطار
كان الجيشِ السّفاح مع الفجر
ينحر سكان القرية في عيد النحر
يُلقي تفاح الأرحام بقاع البئر
في اليوم التالي يا زرقاء
قلعوا عين الزرقاء الفلاحة
خلعوا التين الأخضر من قلب الساحة
في اليوم التالي يا زرقاء [61].

ولعلّ أنضج القصائد التي وظّفت شخصية "زرقاء اليمامة" من الناحية الفنية والدرامية وتعدّد الأصوات هي قصيدة أمل دنقل "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"[62] التي كتبها بعد نكسة 1967 بأيام، وقد شحنها بأبعاد ورؤى عصرية، وحشد فيها شخصيات تراثية ذات حضور في الذاكرة الجمعية العربية.

فقد قدّم أمل دنقل زرقاء اليمامة من خلال استخدام القناع المركب "أي أن الشاعر لا يكتفي بوجود صوته بعيداً عن صوت قناعه، كما في قصائد القناع المفرد، بل يتقنّع بصوت آخر، لا يشترط فيه مطابقة الشخصية المقصودة بالقناع زمنياً أو تاريخيا، ليصل من خلالها إلى القناع الأخير"[63].

وفي الحقيقة أنَ "دراما القصيدة" تعتمد في تشكيلها الأساسي على أربع شخصيات، منها ثلاث شخصيات تراثية:

1 - أنا الشاعر المتنبّئ.

2 - زرقاء اليمامة المتنبّئة.

3 - عنترة العبسي.

4 - الزبّاء المتنبِئة.

فإذا كانت القصيدة هي "كيمياء الكلمة التي من خلالها تلتحم في العبارة كلمات تُعد متنافرة في قانون الاستعمال العادي للغة على حد تعبير "رامبو"[(63)]، فإن الشاعر يستطيع أيضاً أن يجمع في قصيدته الحداثية مجموعة من الشخصيات التراثية، التي تربط بينها أزمنة متقاربة، وفقاً للدلالات الإيحائية للنص وغاياته الرمزية. ومن هنا شكلت قصيدة أمل دنقل "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" نموذجا للنصوص، التي تعتمد على تناص التآلف، نظراً لتعدد الشخصيات الذاتية الموظفة في فضاء القصيدة[(64)].

إنّ لزرقاء اليمامة في قصيدة أمل دنقل دلالة سيميائية مزدوجة، هي القدرة على التنبّؤ واستشراف المستقبل، من خلال قدرتها البصرية التي تسمح لها برؤية ما لا يراه غيرها، والقدرة على التحمّل في سبيل الكرامة والثبات على المواقف إذ إنها تحمّلت العار والمهانة، وقضت ما تبقّى من عمرها وهي عمياء. وهذا المحور هو المسيطر على مواضع الخطاب الذي تحدّث فيها أمل دنقل عن زرقاء اليمامة، حيث يقول:

أيّتها العرّافة المقدّسة
ماذا تفيد الكلمات البائسة؟
قلتِ لهم ما قلتِ عن قوافل الغُبار..
فاتهموا عينيك، يا زرقاءُ بالبوار !
قلتِ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار
فاستضحكوا من وهمكِ الثرثار
وحين فوجئوا بحد السيف: قايضوا بنا..
والتمسوا النجاة والفِرار [(65)].

وبهذا تتشابك الأصوات والأصوات المقابلة، فيتوترّ إيقاع القصيدة، وتتعقّد دلالاتها المنفتحة على الحرّية والاختيار الحُر، وفقدان الحزم في ساعات المحنة، وخيانة الحاكمين وتفريطهم بحقوق الوطن والشعب[(66)]، فيقول الشاعر:

ها أنتِ يا زرقاءْ
وحيدة.. عمياء!
وما تزال أغنيات الحبّ.. والأضواء
والعرباتُ.. الفارهات.. والأزياء [(67)].

وتُمثّل صورة عنترة في القصيدة رمز المقاتل العربي الذي وقع عليه القهر، وظلّ خارج دائرة التأثير في القرار. وعندما شبّت الحرب دُعي إلى ميدان القتال لردّ الأعداء، لقد أهملوه، وعند الحرب تذكّروه، فأي نصر نتوّقع منه؟[68].

إذن فعنترة هو رمز القوة المغيبة التي تُدعى للحرب فجأة دون أن تتهيأ لذلك، وزرقاء اليمامة رمز الوعي والعقل، وكلاهما بقي مبعداً عن القرار والحضور إلى اللحظة الأخيرة[69].

ومن خلال استخدام القناع المركب (المتداخل) نرى أنّ الصوت الذي يُنجز السرد في القصيدة هو الشاعر عنترة العبسي، إذ يسرد قصته:

ظللتُ في عبيد (عبسٍ) أحرس القطعان
أجتزُّ صوفها
أردّ نوقها
أنام في حظائر النسيان
طعامي: الكسرة.. والماءُ.. وبعض التمرات اليابسة
وها أنا في ساعة الطِعان
ساعة أن تخاذل الكُماة.. والرَماة.. والفرسان
دُعيتُ للميدان !
أنا الذي ما ذقتُ لحم الضان
أنا الذي لا حول لي أو شانْ..
أنا الذي أُقْصيت عن مجالس الفتيان [70].

فكأنّ عنترة هنا أيضا رمزٌ للشعب الذي يخدم الحكّام والسادة الذين لا يهتمون به وبحاجاته، ودائما يهمشونه، ثم ينادونه للحرب إذا ما حلّ بالبلد خطر أو تعّرض لاعتداء[71].

وفي ضوء المعادلة المختلة أو المفارقة التي يعيشها عنترة وزرقاء اليمامة تأتي النتائج متوقعة تماماً، إنها الهزيمة أمام الأعداء، إذ إن القيادة لم تأخذ بأسباب النصر، ولم تُعد جنودها للحرب، كما أنها لم تستعن بأصحاب الحكمة والمعرفة، أو لم تأخذ بآرائهم كما حصل مع زرقاء اليمامة وقومها[72]، فيقول أمل دنقل معبّراً عن هذه النهاية المأساوية الحزينة:

لم يبق إلا الموتُ..

والحطامُ..

والدمارْ..

وصبيةٌ مشردون يعبرون آخر الأنهار

ونسوةٌ يُسقنَ في سلاسل الأسر،

وفي ثياب العار

مطأطئات الرأس.. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة![73].

واستدعى أمل دنقل شخصية الزّباء مُرتدياً قناعها ومضمّناً بيتها الشعري في إطار القناع المرًكّب (المتداخل). والزبّاء هي ملكة "تدمر" التي أرسل إليها عدوها "عمرو" جاسوساً يخبرها بأنّه سوف يأتيها مُسترضياً، فلما لاحت قافلة "عمرو" في الأفق البعيد كثيرة الجِمال، بطيئة الحركة. فشكّت الزبّاء في أمر هذه المصالحة، وتساءلت مُستنكرة[74]:

أسائلُ الصمت الذي يخنقني:

" ما للجمال مشيُها وئيدا..؟ "

" أجندلاً يِحْملْن أم حديدا..؟ "

فَمنْ تُرى يصدُقني؟

أسائل الُركّعَ والسّجودا

أسائلُ القيودا:

" ما للجِمال مشيُها وئيدا..؟ "

" ما للجِمال مشيُها وئيدا..؟ " [75].

وكما تروي كتب التاريخ يُبرّر الجاسوس للزّباء تثاقل الجِمال بثقل الهدايا، وارتفاع قيمتها. وحين وصلت القافلة تأكدّت الزباء من صحة نبوءتها، حيث خرج من داخل الصناديق مجموعة ضخمة من الجنود المسلحين، وعندئذ أجابها عمرو قائلا:

"بل الرجال قبضاً قعودا"

فأبت الزباء مهانة الهزيمة، وقتلت نفسها طعناً، وهي تقول:

"بيدي لا بيد عمرو"[73].

وهكذا نرى أن عنوان القصيدة "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" يشكّلُ مفتاحا لدخول فضاء النص الزمكاني، كما يُمثل مصباحاً يضيء المواضع الغامضة والمظلمة في القصيدة. ويتسّق العنوان مع البنية الكليّة للقصيدة التي يعتمد تشكّلها الأساسي على المقابلة بين مواقف ثلاثة من العرّافين: "أنا الشاعرة" و"زرقاء اليمامة" و"الزبّاء".

ويمكن لقارئ القصيدة أن يرصد مجموعة من "التشاكلات الدلالية" بين تلك الشخصيات الثلاثة:

1 - **التشاكل الأول:** ويتمثل في محور النبوءة، إذ إنّ الشاعر أمل دنقل قد تنبّأ بنكسة حزيران 1967. وزرقاء اليمامة تنبّأت بقدوم جيش الأعداء، والزبّاء تنبأت بخدعة عدوّها "عمرو".

2 - **التشاكل الثاني**: ويتمثل في إنكار المجتمع لنبوءة هؤلاء العرافين وعدم تصديقهم.

3 - **التشاكل الثالث:** ويتجلّى في محاسبة هؤلاء العرافين ومطالبتهم بتحمل الهزيمة نتيجة تكذيب المجتمع لهم(77).

وهكذا نرى أنَ معظم الشعراء العرب المعاصرين قد أحسّوا بمدى غنى الرموز الشعبية الأسطورية وثرائها بالآليات الفنية والدرامية، وبالمعطيات الموضوعية والنماذج الإنسانية التي تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية وفنّية وأبعاداً سياسية واجتماعية وفكرية وحضارية. وقد استثمر الكثير من الشعراء العرب المعاصرين حضور هذه الرموز الشعبية الأسطورية في وجدان الشعب العربي، إذ تْمثل الجسر الممتد بين الشاعر والناس من حوله.

وقد تفاوت الشعراء في هذه الدراسة في توظيفهم للرموز الشعبية الأسطورية وشحنها بدلالات وإيحاءات كل حسب موقفه الشعوري والشعري، فبعضهم عبرّ من خلالها عن قضايا فردية خاصة مع الإفادة من المغزى الشعوري العام كما في توظيف السندباد عند بدر شاكر السياب، الذي تجلّي عنده التلاحم بين تجربة الشاعر والرمز الذي استخدمه.

والبعض الآخر جسّد عَبْر هذه الرموز قضايا سياسية وحضارية وفكرية واجتماعية، كما عند صلاح عبد الصبور وخليل حاوي وأمل دنقل وسعاد الصباح. ويعود ذلك التفاوت إلى زاوية الرؤية التي ينظر منها الشاعر إلى هذه الرموز الشعبية، ومدى قدرته على استنطاقها وكشف ما فيها من دلالات مخزونة.

وأظهرت الدراسة أنّ الرموز الشعبية الأسطورية تجّلت بشكل لافت للنظر لما لها من جاذبية خاصة و"هيمنة ذهنية" في الوعي واللاوعى الجمعي. إذ تشكّل هذه الرموز "سلطة مهيمنة" أو "عنصراً مسيطراً" لشيوعها وكثرة تداولها، من مثل السندباد وشهرزاد وشهريار وزرقاء اليمامة،

وما تحمله من دلالات سيميائية أسعفت الشاعر على التعبير من خلالها عما يريد توصيله إلى المتلقي بعيداً عن التقريرية والغنائية. ومن خلال تلك الرموز استطاع الشعراء أن يفتحوا آفاق القصيدة ويوسّعوا من فضائها ويفكّوا من حصار الذاتية فيها ويكسبوها تنويعاً في آليات التركيب والبناء. كما يُلاحظ أن الشعراء المدروسين لم يتعاملوا مع هذه الرموز الشعبية من الخارج، أي لم يقحموها على السياق الشعري إقحاماً، بل جاءت متناغمة مع ما تحمله هذه الرموز من معاني ومعطيات ودلالات.

وانطلاقاً من هذه الرؤية استطاع الشاعر العربي المعاصر عَبْرَ توظيفه للرموز الشعبية الأسطورية استكشاف أبعاد نفسية خاصة في واقع تجربته الشعورية، وأبعاد عامة سياسية وفكرية وحضارية وفنيّة. وأفاد من غنى هذه الرموز بالدلالات والمغازي، وتعامل مع شخوص هذه الرموز تعاملاً شعرياً على مستوى الرمز، واستغل فيها ميزة الاكتناز بالمغزى أو بأكثر من مغزى ودلالة، إذ أتاحت له هذه الميزة ممارسة ما يسميه رولان بارت "لعبة الدلائل" في النص الشعري.

Mythic Public Symbols and Its Semiotic Indications in Models of the Contemporary Arabic Poetry

Turki Al-Mughid, *Arabic Lang. & Literature, Kuwait University, Kuwait, Kuwait.*

Abstract

First of all the research discuses the issue of implementing of the Arabic heritage by contemporary poets, by employ the mythic public symbols which give the poem energies of expressions and technical dramaticall means in addition to sociological, political, and social indications. These indications reflect the feeling of the poet regarding the problems of people, and his attitudes toward a lot of different issues and his visions about them.

Therefore, the literary analysis in this research handled the legendary public symbols which were included in the Arabic collective conscience and used by the poets in their poems, such as: Al-sindibad, shahrazad, shahrayar, zarkaa' al-yamamah, and Al-zabbaa', who were described by Arab poets by dramatic and technical methods, such as the symbol, the mask, and the dialogue, and they put on them various semiotic indications which were filled with directions and modern visions that homogenize with these symbols and their meanings.

All this agrees with the expression of Rolan Bart which is called the "game of indications" in the poetical text.

قدم البحث للنشر في 2009/2/10 وقبل في 2009/7/29

الهوامش

(1) انظر، د. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة – بيروت: ط 2، 1972، ص307، د. على عشري زايد، استدعاء الشخصيات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة،1997 ص16.

(2) قارن د. خالد الكركي، الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل – بيروت، مكتبة الرائد العلمية – عمان: ط 1، 1989، ص19.

(3) انظر، د. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان: ط 2، 1992، ص117.

(4) المرجع نفسه، ص 117، وما يليها.

(5) المرجع نفسه، ص 118.

(6) انظر، د. عز الدين اسماعيل، مرجع سابق، ص 21 و ص 28 وما يليها.

(7) انظر، ألف ليلة وليلة، المكتبة الثقافية، المجلد (3)، بيروت، ط 2، 1982، ص36 – 203.

(8) د. على البطل، الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 1982، ص74.

(9) ديوان بدر شاكر السياب، المجلد الأول، دار العودة، بيروت 2000، ص229 – 232.

(10) المصدر نفسه، ص 229.

(11) قارن، د. على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 157.

(12) تقول الأسطورة الإغريقية إنّ " بنلوب " لّما طال غياب زوجها أوديسيوس، وتكاثر عليها الخطّاب كانت تعدهم بالزواج بعد أن تغزل ما كان لديها من الصوف، ولكنها كانت تفل في الليل ما تغزله في النهار، وعاشت فترة طويلة في انتظار حبيبها الغائب وفاءً وإخلاصاً له.

(13) قارن، د. عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص209.

(14) ديوان بدر شاكر السياب، المجلد الأول، ص229.

(15) المصدر نفسه، ص230 وما يليها.

(16) المصدر نفسه، ص231.

(17) انظر، د. عز الدين اسماعيل، مرجع سابق، ص212.

(18) ديوان بدر شاكر السياب، المجلد الأول، ص232.

(19) انظر، د. على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص158.

(20) د. مختار على أبو غالي، سندباد صلاح عبد الصبور (نقد أسطوري)، مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون، العدد الرابع / أبريل / يوليو 1996، ص186.

(21) د. على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص159.

(22) صلاح عبد الصبور، الناس في بلادي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 6 / 1981، ص 7 وما يليها، وأنظر أيضا ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، 1988، ص10 وما يليها.

(23) د. مختار أبو غالي، مرجع سابق، ص187.

(24) انظر، المرجع نفسه، ص193- 199.

(25) انظر، د. محمود جابر عباس الجنابي، قراءات نقدية في شعرية القصيدة العربية الجديدة في الكويت (ملامح من المستويات والأسلوب والتعبيرية والدلالية والمعنوية) حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة، 219، الحولية الخامسة والعشرون، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2005/2004، ص60.

(26) ديوان الشعر الكويتي، وكالة المطبوعات، الكويت: 1974، ص250.

(27) قارن، د. محمود جابر الجنابي، مرجع سابق، ص61.

(28) سليمان العيسى، الأعمال الكاملة، ج 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1995، ص84 – 90.

(29) المصدر نفسه، ج3، ص86.

(30) المصدر نفسه ج 3، ص88.

(31) نجيب السرور – الأعمال الكاملة، الشعر – المجلد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996 – ص ص20- 31.

(32) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص30 وما يليها.

(33) البحار والدرويش في ديوان نهر الرماد، ط (3) دار الطليعة، بيروت، 1962، ص9-13، ووجوه السندباد، والسندبد في رحلته الثامنة في ديوان الناي والريح، ط (1) دار الطليعة، 1961. نقلا عن د. على عشري زايد، مرجع سابق، ص160، وانظر قصيدة البحّار والدرويش، د. جميل جبر، شعراء لبنان (1) خليل حاوي، دار المشرق، ط (1)، 1991، ص87-91.

(34) د. جميل جبر، خليل حاوي، ص72.

(35) المرجع نفسه، ص87.

(36) انظر، د. على عشري زايد، مرجع سابق، ص43، وما يليها، وانظر، د. جميل جبر، مرجع سابق، ص66.

(37) د. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1983، ص222.

(38) المرجع نفسه، ص317.

(39) لمزيد من التفصيلات، انظر، د. تركي المغيض، غوته وألف ليلة وليلة، مجلة الكويت، العدد 265، 1 نوفمبر 2005، ص62 – 64.

(40) د. محمد غنيمي هلال، مرجع سابق، ص222.

(41) انظر د. على عشري زايد، مرجع سابق، ص160.

(42) نقلا عن، د. على عشري زايد، مرجع سابق، ص161.

(43) ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط 4 1990، ص199 وما يليها.

(44) المصدر نفسه، ص200.

(45) الأعمال الشعرية الكاملة، ج (1)، منشورات مكتبة عمان، 1989، ص184-186.

(46) قارن، د. على عشري زايد، مرجع سابق، ص161 وما يليها.

(47) الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص 185.

(48) المصدر نفسه، ج 1 ص184.

(49) ألف ليلة وليلة، مطبعة صبحي بالقاهرة (د. ت) ص5 وما يليها، نقلاً عن علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية ص 163.

(50) الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص184 – 186.

(51) نقلاً عن، د. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص162.

(52) ديوان: في البدء كانت الأنثى، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، ط7، الكويت، 2000، ص7 وما يليها.

(53) أدونيس (علي أحمد سعيد)، الأعمال الشعرية، الجزء الثالث، مفرد بصيغة الجمع وقصائد أخرى، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت – دمشق 1996، ص61 وما يليها.

(54) د. فريال جبوري، البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة، مجلة فصول عدد 4، ج1، 1994، ص 82، نقلاً عن د. سوسن ناجي رضوان، المسكوت عنه في خطاب "شهرزاد" ليالي "ألف ليلة وليلة"، مجلة عالم الفكر، مجلد 26، عدد 1 يوليو / سبتمبر 1997، ص329.

(55) ديوان الرسم بالكلمات، منشورات نزار قباني، بيروت، ط20، أبريل 1997، ص137 – 140.

(56) د. على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص164.

(57) الرسم بالكلمات، ص138، 140.

(58) انظر، أحمد مجاهد، أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص368، و د. خالد الكركي، الرموز التراثية، ولمزيد من التفصيلات انظر المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مجلد 1، ج2، ص117 – 119.

(59) خالد محي الدين البرادعي، الغناء بين السفن التائهة، ص 11، نقلاً عن د. خالد الكركي، الرموز التراثية، ص108.

(60) الأعمال الشعرية، ديوان عز الدين المناصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 1994، ص46 – 48.

(61) المصدر نفسه، ص46 ومايليها.

(62) د. حاتم الصكر، مرايا نرسيس، الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1999، ص230.

(63) جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط 1، 1985، ص140.

(64) أنظر، أحمد مجاهد، أشكال التناص الشعري، ص360.

(65) أمل دنقل، الأعمال الشعرية، مكتبة مدبولي، 1995، ص163.

(66) د. حاتم الصكر، مرايا نرسيس، ص232.

(67) أمل دنقل، الأعمال الشعرية، ص164.

(68) انظر، د. خالد الكركي، الرموز التراثية، ص56.

(69) د. سامح الرواشدة، القناع في الشعر العربي الحديث (دراسة في النظرية والتطبيق) ـ جامعة مؤتة ـ مطبعة كنعان، إربد، ط 1، 1995م، ص80.

(70) أمل دنقل، الأعمال الشعرية، ص161، وما يليها.

(71) انظر، د. حاتم الصكر، مرايا نرسيس، ص231.

(72) د. سامح الرواشدة، مرجع سابق، ص81.

(73) أمل دنقل، الأعمال الشعرية، ص164.

(74) انظر، أحمد مجاهد، أشكال التناص الشعري، ص370.

(75) أمل دنقل، الأعمال الشعرية، ص162، وما يليها.

(76) انظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس التراجم، مطبعة كوسنا توماس وشركاه، القاهرة، ج 2، ط 2 د.ت، ص71، وانظر، أحمد مجاهد، أشكال التناص الشعري، ص370.

(77) قارن، أحمد مجاهد، أشكال التناص الشعري، ص374.

المصادر والمراجع

أولا ـ الدواوين الشعرية:

أدونيس، على أحمد سعيد. (1996). **الأعمال الشعرية**، الجزء الثالث، مفرد بصيغة الجمع وقصائد أخرى، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت – دمشق.

البياتي، عبد الوهاب. (1990). **ديوان عبد الوهاب البياتي**، المجلد الأول، دار العدوة، بيروت، ط4.

حاوي، خليل. (1962). **ديوان نهر الرماد**، ط 3، دار الطليعة، بيروت.

دنقل، أمل. (1995). **الأعمال الشعرية**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

السرور، نجيب. (1996). **الأعمال الكاملة**، الشعر، المجّلد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيّاب، بدر شاكر. (2000). **ديوان بدر شاكر السّياب**، المجلد الأول، دار العودة، بيروت.

الصباح، سعاد. (2000). **في البدء كانت الأنثى**، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، ط7، الكويت.

عبد الصبور، صلاح. (1988). **ديوان صلاح عبد الصبور**، دار العودة، بيروت.

عبد الصبور، صلاح. (1981). **الناس في بلادي**، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط6.

عمر، عبد الرحيم. (1989). **الأعمال الشعرية الكاملة**، ج1، منشورات مكتبة عمان.

العيسى، سليمان (1995). **الأعمال الكاملة**، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

قباني، نزار. (1997). **الرسم بالكلمات**، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 20، أبريل.

المناصرة، عز الدين. (1994). الأعمال الشعرية، **ديوان عز الدين المناصرة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

وكالة المطبوعات. (1974). **ديوان الشعر الكويتي**، الكويت.

ثانيا ـ الكتب والدوريات:

أبو غالي، مختار على. (1996). سندباد صلاح عبد الصبور (نقد أسطوري)، **مجلة عالم الفكر**، المجلد الرابع والعشرون، العدد الرابع، أبريل / يوليو.

إسماعيل، عز الدين. (1972). **الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، ط2.

البطل، علي. (1982). **الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السيّاب**، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط1.

جبر، جميل. (1991). **شعراء لبنان (1) خليل حاوي**، دار المشرق، ط 1.

جبوري، فريال. (1994). البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة، **مجلة فصول**، عدد 4، ج 1، القاهرة.

الجنابي، محمود جابر عباس. (2005). قراءات نقدية في شعرية القصيدة العربية الجديدة في الكويت (ملامح من المستويات الأسلوبية والتعبيرية والدلالية والمعنوية). **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، الرسالة 219، الحولية الخامسة والعشرون، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2004 / 2005.

رضوان، سوسن ناجي. (1997). المسكوت عنه في خطاب "شهرزاد" ليالي "ألف ليلة وليلة" **مجلة عالم الفكر**، مجلد 26، عدد 1، يوليو، سبتمبر،.

الرواشدة، سامح. (1995م). **القناع في الشعر العربي الحديث (دراسة في النظرية والتطبيق).** جامعة مؤتة ـ مطبعة كنعان، إربد، ط1.

زايد، علي عشري. (1997). **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة.

الزركلي، خير الدين. (د.ت). **الأعلام، قاموس التراجم**، مطبعة كوستا توماس وشركاه، القاهرة، ج2، ط 2.

الصكر، حاتم ونرسيس، مرايا. (1999). الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

عباس، إحسان. (1992). **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط 2.

الكركي، خالد. (1989). **الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث**، دار الجيل – بيروت، مكتبة الرائد العلمية، عمّان، ط1.

كوين، جون. (1985). **بناء لغة الشعر**، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط 1.

مجاهد، أحمد. (1998). **أشكال التناص الشعري**، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

المغيض، تركي. (2005). غوته وألف ليلة وليلة، **مجلة الكويت**، العدد 265، 1 نوفمبر.

هلال، محمد غنيمي. (1983). الأدب المقارن، دار العودة، بيروت،.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 395 - 438

انتخابات تشرين الأول عام 1956م في الأردن وترأس الحزب الوطني الاشتراكي للحكومة

احمد القضاة *

ملخص

يتناول **البحث** انتخابات تشرين الأول عام 1956م في الأردن وترأس الحزب الوطني الاشتراكي للحكومة، اعتمادا على الوثائق الرسمية والعربية والأجنبية المنشورة، وغير المنشورة والمذكرات والمقابلات الشخصية، لما تمثله هذه الوثائق من أهمية وثائقية في الدراسات والأبحاث التاريخية لأهمية المعلومات التي تقدمها.

فبينت الدراسة أن المعارضة السياسية طالبت بإجراء انتخابات حرة نزيهة، خاصة وأن انتخابات عام 1954م جاءت مزورة؛ إذ اشترك الجيش فيها، وعمدت حكومة توفيق أبو الهدى إلى إسقاط أعضاء المعارضة. وجاءت انتخابات عام 1956م تتويجاً لهذه المطالب، وعلى الرغم من الاستعداد للانتخابات فإن فكرة تأجيل الانتخابات سيطرت على القصر؛ لأن الظروف التي تحيط بالأردن لا تشجع على ذلك كالاعتداءات الإسرائيلية على الحدود الأردنية، وخطورة حدوث انقسامات داخل البلاد، امتداد للخلافات بين المرشحين، ومع ذلك فقد وافق القصر على إجراء الانتخابات؛ لأنها تمثل مطلباً رئيسياً للأحزاب المشاركة فيها، وطرحت الأحزاب برامجها بكل حرية. وعكست هذه البرامج مطالب الشعب المتمثلة بإنهاء المعاهدة الأردنية- البريطانية، ورفض الأحلاف الغربية، وإلغاء المعونة البريطانية واستبدالها بمعونة عربية، لذا جاء نجاح الأحزاب في الانتخابات، وعزز توجه الملك حسين إلى سليمان النابلسي بتشكيل أول حكومة حزبية ائتلافية من الأحزاب السياسية. وتضمن البيان الوزاري لحكومة النابلسي مطالب الشعب أيضا كإطلاق الحريات، ورفض الأحلاف، وإنهاء المعاهدة الأردنية-البريطانية والسير على الخط العربي بالتوجه إلى مصر وسورية.

المطالبة بإجراء انتخابات حرة نزيهة:

ازدادت الحركة الوطنية قوة بوحدة الضفتين عام 1950م، وصدور الدستور الجديد عام 1952م، فأخذت تنشط في معارضتها للأوضاع السياسية القائمة آنذاك وخاصة فيما يتعلق بعلاقات الأردن مع بريطانيا، وللحد من النفوذ البريطاني، طالبت الحركة الوطنية بإسقاط حلف

* جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

بغداد، وإقالة كلوب باشا عن قيادة الجيش العربي الأردني، وإنهاء المعاهدة الأردنية البريطانية لعام 1948.

وبعد نجاحها في إفشال محاولات ضم الأردن لحلف بغداد، وإنهاء خدمات كلوب، أخذت تطالب بإيصال حكومة ديمقراطية تتجه سياستها نحو النهج العربي التحرري. حيث جاءت انتخابات تشرين الأول عام 1954م غير نزيهة، فقد تدخلت الحكومة في الانتخابات لصالح مرشحيها، فأثار التدخل الحكومي في الانتخابات احتجاجاً شعبياً واسعاً، فاندلعت المظاهرات في نابلس، وعمان، ورام الله، وإربد ضد الحكومة[1] وزجت الحكومة بالجيش لقمع المظاهرات واعتقلت عشرات المعارضين، وأدى تدخل الجيش إلى وقوع العديد من القتلى والجرحى، وأعلن عن إضراب عام احتجاجاً على التدخل الحكومي في الانتخابات[2].

عهد الملك حسين إلى توفيق أبي الهدى لتشكيل الوزارة بعد الانتخابات، وكان الملك راغبا في أن يشترك في الحكومة كل من: سعيد المفتي وفوزي الملقي وهزاع المجالي وحكمت المصري، فاشترط المفتي والملقي حل مجلس النواب لدخول الحكومة بسبب تدخلها في الانتخابات إلا أن أبا الهدى أشار على الملك حسين بأنه في حالة حل المجلس ستندلع المظاهرات من جديد، فوافق الملك على هذا الرأي خشية اندلاع الاضطرابات من جديد[3].

واستمر المفتي والملقي في رفضهما الاشتراك في الحكومة على الرغم من ضغط الملك عليهما وقد تأثر الملك كثيرا لعدم اشتراكهما، في حين شارك المجالي في هذه الحكومة[4].

وبعد استقالة حكومة أبي الهدى وتشكيل حكومة برئاسة سعيد المفتي في 30أيار عام 1955م أخذت البرقيات تصل إلى الديوان الملكي ورئاسة الوزارة تطالب بحلٍ مجلس النواب وإجراء انتخابات جديدة لأن المجلس لا يمثِّل الأمة، لذا انعقد مجلس الوزراء لأكثر من مرة لهذه الغاية فانقسم الوزراء في أول الأمر إلى ثلاث مجموعات، الأولى طالبت بحل المجلس وأخذوا يهددون بالاستقالة، في حين دعت المجموعة الثانية إلى التريث، أما المجموعة الثالثة فقد دعت إلى الإبقاء على المجلس، فالقسم الذي طالب بحل المجلس يرى أن المجلس لا يمثل الشعب، كما إنهم لا يخشون أن لا يحصلوا على الثقة[5].

تكاثفت الجهود الاستعمارية البريطانية الرامية إلى ضم الأردن لحلف بغداد في عام 1955م، فشهد الأردن على إثرها محادثات سياسية، وفي غضون تلك المحادثات تحولت البلاد إلى بركان من الغليان السياسي، والعداء الوطني الصريح للإمبريالية والأحلاف الاستعمارية، فطالبت الحركة الوطنية بإسقاط الحكومات المتعاقبة؛ لسياساتها الرامية إلى إدخال الأردن في حلف بغداد وإجراء انتخابات حرة نزيهة[6].

وعلى أثر استقالة حكومة المفتي وتشكيل المجالي وزارته الأولى في 1955/12/15، عقد قادة الأحزاب في 15 كانون أول عام 1955م، مؤتمرا في عمان ضم: حزب البعث العربي الاشتراكي، والحزب الوطني الاشتراكي والحزب الشيوعي الممثل في الجبهة الوطنية، والإخوان المسلمين، والقوميين العرب، وطالبوا بإسقاط حكومة هزاع المجالي لسياستها الرامية إلى ضم الأردن إلى حلف بغداد وبعد استمرار الحكومة اشتدت المظاهرات وتحولت المطالب من إقالة الحكومة إلى حل المجلس النيابي الرابع(7).

وخلال تلك الأحداث اجتمع ممثلون عن الأحزاب والمستقلين في مقهى قصر الحمراء في رام الله، وطالب المجتمعون بإبقاء المظاهرات جارية حتى إقالة الحكومة وحل مجلس النواب(8)، إثر تفاقم الوضع التمس هزاع المجالي من الملك حسين حل مجلس النواب(9) وقبول استقالته(10).

بعد استقالة حكومة هزاع المجالي التي حلت مجلس النواب في 19 كانون الأول عام 1955(11)، عهد الملك حسين إلى إبراهيم هاشم بتشكيل الوزارة، وكلفت حكومته بالإشراف على الانتخابات النيابية الجديدة. وعلى أثر ذلك التقى قادة الأحزاب في عمان، وشكلوا اللجنة الوطنية للتحضير للانتخابات المرتقبة (12)، وحدد إبراهيم هاشم يوم 15 نيسان 1956م موعداً لإجراء الانتخابات(13)، ولكن لم يلبث أن تبين أن وزير الداخلية عباس ميرزا لم يوقع مرسوم الحل مع الملك ورئيس الوزراء كما يقضي الدستور، وبعد صدور الإرادة الملكية بحل المجلس بدون توقيع وزير الداخلية سارع أعضاء المجلس المنحل برئاسة أحمد الطراونة بدعوة أعضائه لبيته لرفع مذكرة إلى الملك بشأن هذه المخالفة الدستورية موقعة منهم للنظر فيها(14). فأصدر المجلس العالي لتفسير القوانين قراراً بأن حل المجلس لم يكن مستوفياً شروطه الدستورية، وأن المجلس المنحل يعتبر قائماً، فبادر رئيس الوزراء إلى تقديم استقالته في 7 كانون الثاني 1956م(15) وربما أن هذا الخطأ الدستوري مقصود لمنع إجراء انتخابات.

وعندما تبين أن مجلس النواب سيبقى قائماً، اندلعت مظاهرات في أماكن مختلفة من المملكة (16)، ففي يوم 8 كانون الثاني عام 1956م قام المتظاهرون في عمان بإحراق عددٍ من دوائر الحكومة منها: مبنى وزارة الزراعة ودائرة البيطرة، ومدرسة تابعة لمشروع النقطة الرابعة(17) ومستشفى المدينة في عجلون(18)، وتوجه عدد من المتظاهرين إلى رئاسة الوزراء مطالبين بـ(19):

1. حل المجلس النيابي.
2. إجراء انتخابات جديدة تعبر عن إرادة الشعب.
3. عدم الانضمام لحلف بغداد.

عهد الملك إلى سمير الرفاعي بتشكيل حكومة جديدة بعد يومين من استقالة حكومة إبراهيم هاشم، على أن تتبنى الوزارة الجديدة تعزيز سيادة القانون والنظام، وتنظيم جهاز الدولة على أسس من الحق والكفاءة، والعمل على تحسين الحالتين الاقتصادية والاجتماعية في البلاد[20].

وللحد من خطورة الموقف المتأزم على أثر أحداث حلف بغداد سارعت الحكومة إلى إعلان حالة الطوارىء، ومنع التجول وتدخل الجيش لقمع المظاهرات، وقام بحملات تفتيشية في عدد من المدن والقرى ومخيمات اللاجئين وذلك لجمع السلاح، كما أُودع الكثيرون في المعتقلات والمنافي الصحراوية[21]، لكن هذه الإجراءات لم تقف أمام الحركة الوطنية بل زادت من قوتها فعمت المظاهرات في معظم مدن المملكة في: إربد، والسلط، ونابلس، وأريحا، والخليل، والقدس[22].وفي 1956/1/9م قامت تظاهرات ضد عدم حل مجلس النواب، وطالب المتظاهرون مقابلة الملك حسين لبسط مطالبهم أمامه وهي[23]:

1. عدم الانضمام لحلف بغداد.
2. التعاون مع الدول العربية.
3. رفض عقد الصلح مع إسرائيل.
4. إجراء انتخابات حرة نزيهة تعبر عن رأي الشعب وإرادته.
5. رفع القيود عن الحريات.

تقدمت حكومة سمير الرفاعي ببيانها الوزاري إلى مجلس النواب بتاريخ 26 كانون ثان عام 1956م، فأكد الرفاعي فيه رفض حكومته الدخول في حلف بغداد واحترام حقوق الأفراد والجماعات وفق القانون، ووصف الرفاعي في بيان حكومته المظاهرات الشعبية التي عمت البلاد بأنها عبث خطير، قامت به فئة من ذوي الضمائر الملتوية والعقول الطائشة، التي نزعت إلى التخريب والتدمير[24].

وفي أثناء مناقشة البيان الوزاري لحكومة سمير الرفاعي، طالب حكمت المصري بتشكيل حكومة وطنية تتبنى المطالب الشعبية التالية[25]:

1. رفض حلف بغداد رفضاً قاطعاً.
2. العمل على تحرير البلاد من النفوذ الأجنبي بالتعاون مع الدول العربية المناهضة للاستعمار.
3. إطلاق الحريات العامة كحرية النشر والصحافة والاجتماع.
4. استفتاء الشعب بحدود قانون انتخابه، ليضمن حرية الانتخابات وحيادها ونزاهتها.

أثار بيان الرفاعي موجة عارمة من السخط والاستياء والاحتجاج، فسارعت القوى الوطنية في 28 كانون ثان 1956م إلى إصدار بيان أعلنت فيه عن قيام جبهة النضال العربي في الأردن لمقاومة الاستعمار والأحلاف وتحرير البلاد من السيطرة الأجنبية، وتألفت الجبهة من الأحزاب الوطنية وهي البعث والوطني الاشتراكي والشيوعي وأصدرت بياناً نددت فيه ببيان سمير الرفاعي الذي وصف المظاهرات الوطنية بالحوادث المؤسفة والوطنيين بذوي الضمائر الملتوية والعقول الطائشة، واتهمت كلوب بتدبير حوادث التخريب وطالبت في نهاية بيانها بما يلي[26]:

1. إسقاط حكومة سمير الرفاعي.
2. إقامة حكومة وطنية تحل المجلس النيابي الرابع المزوّر.
3. إجراء انتخابات نيابية تنبثق عنها حكومة قادرة على ممارسة سيادتها، وفرض إرادتها، وطرد المستعمرين، بالتعاون مع الدول العربية المتحررة.

وبعد الاستغناء عن خدمات كلوب في الأول من آذار عام 1956م سارع حزبا: البعث، والوطني الاشتراكي إلى تقديم مذكرة للملك حسين في 10 آذار 1956م، حُدد فيها مطالب الشعب الأردني: "إن بلوغ الشعب الأردني لأهدافه الوطنية في التحرر والوحدة، يتحقق بالمطالب التالية"[27]:

1. التعاون الوثيق عسكرياً وسياسياً واقتصادياً مع الدول العربية المتحررة، والمناوئة للاستعمار وأحلافه، والتي تقف في وجه إسرائيل.
2. قبول المساعدات العربية المعروضة من مصر وسورية والسعودية.
3. تطهير الجيش تطهيراً كاملاً من الضباط البريطانيين وأعوانهم.
4. القضاء التام على كل مظاهر السياسة التي اتبعها كلوب في الجيش وجهاز الدولة.
5. إباحة الحريات العامة، ليساهم الجميع في معركة التحرر والإنشاء.
6. إطلاق سراح المعتقلين.

وجاء في ختام المذكرة:

"إننا نؤمن بأن تحقيق السياسة التحررية في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ بلادنا، يستلزم تضافر جهود جميع القوى الوطنية، وقيام حكومة تؤمن بهذه السياسة، وتتبناها، وتتمتع بثقة الشعب وتأييده، وتقف بوعي وحزم في وجه كل ضغط استعماري، وتعمل على تجنيب البلاد مؤامرات الاستعمار وأذنابه"[28].

وحظيت هذه المذكرة بتأييد القوى الوطنية والشعبية؛ لأنها تعبر عن مطالب الشعب والوطنيين وأهدافهم [29]، ومما هو ملاحظ فقد أشارت المذكرة إلى ضرورة تعيين حكومة تتمتع بثقة الشعب وذلك بإجراء انتخابات حرة يعبر فيها الشعب عن رأيه.

قدم الرفاعي استقالته في 20 أيار 1956م[30]، بسبب معارضة القوى الوطنية لحكومته، وعهد الملك إلى سعيد المفتي بتشكيل الوزارة على أن تعمل على بناء اقتصاد سليم يوفر للمواطنين حياة كريمة، واتخاذ خطوات سريعة تهيء لأفراد الشعب القدرة على مواجهة العدوان والدفاع عن كل شبر من أراضينا[31]،إلا أن الأحزاب رفضت الاشتراك بالحكومة، فاشترط الحزب الوطني الاشتراكي للدخول بالحكومة قبول المعونة العربية، وحل مجلس النواب[32]، ومع ذلك فقد ألف سعيد المفتي الوزارة في 22 أيار 1956.

زار السفير البريطاني سعيد المفتي في 5 حزيران 1956م، ودارت محادثات بين الطرفين حول المعونة البريطانية، فطلب المفتي من السفير أن تدفع بريطانيا المعونة المالية مباشرة إلى خزينة الدولة على اعتبار أن تلك المعونة ليست منحة، بل أجرٌ للقاعدتين الجويتين في المفرق وعمان[33].

وإثر هذه المحادثات طالب الحزبان: الوطني الاشتراكي والبعث العربي الاشتراكي من سعيد المفتي في 19 حزيران 1956م أن لا تدخل حكومته في مفاوضات مع بريطانيا، لتعديل المعاهدة قبل إجراء انتخابات نيابية جديدة لتأليف مجلس نواب جديد، يساعد في رسم سياسة تحررية للبلاد[34].

يبدو أن الغرض الأساسي من طلب الحزبين إجراء انتخابات حرة هو شعبية الحزبين في البلاد،واعتقادهما بالحصول على أكبر عدد ممكن من المقاعد في المجلس النيابي القادم، وبالتالي السير بالبلاد على الطريق التحرري بإلغاء المعاهدة لعام (1948م) والسير على النهج العربي في السياسة الخارجية.

وكان من بين أعمال حكومة المفتي إحالة راضي عناب على التقاعد وتعيين علي أبو نوار رئيسا للأركان بعد أن رفّع إلى رتبة لواء[35]، كما اتخذت قراراً بحل مجلس النواب الرابع على الرغم من أن سعيد المفتي قدم قبل ستة أيام من ذلك ببيان حكومته طالبا الثقة على أساسه، مخالفاً بذلك المادتين (53) و(54) من الدستور[36]. وجاءت استقالته بعد حل المجلس عملاً بنص الدستور لإفساح المجال لتأليف حكومة انتقالية تتولى إجراء انتخابات نيابية جديدة[37].

رحَّبَ الرأي العام بحل المجلس؛ لأن الانتخابات التي جاءت به كانت غير نزيهة[38]، فقد تدخلت الحكومة فيها تدخلاً مباشراً، وساعدت أنصارها ومؤيديها على النجاح، كما أن حل المجلس كان مطلبا تنادي به جميع الأحزاب السياسية في البلاد.

وبعد الإعلان عن حل المجلس النيابي في 26 حزيران عام 1956 واستقالة حكومة المفتي، سارعت القوى الوطنية إلى المطالبة بتشكيل حكومة تتمتع بالنزاهة لضمان حرية الانتخابات وتأمين الحياد الرسمي. وحذرت من العودة للأساليب التي سادت الانتخابات السابقة من ضغوطات واعتقالات وأعمال تزوير، وكذلك من استخدام الجيش لمحاربة المرشحين الوطنيين، وطالبت الحكومة المقبلة بإقرار الضمانات لمنع التزوير، وإطلاق حريتي الترشيح والانتخاب[39].

حكومة إبراهيم هاشم والانتخابات:

عهد الملك إلى إبراهيم هاشم تشكيل حكومة، تكون مهمتها الأساسية إجراء انتخابات حرة نزيهة[40]، فأعلنت الحكومة أن الانتخابات ستكون حرة نزيهة، وحددت الحادي والعشرين من تشرين الأول 1956م [41]موعداً لإجراء الانتخابات[42]، وأكد وزير الداخلية عمر مطر من جديد أن الانتخابات ستكون حرة ونزيهة وستسير سيراً طبيعياً من دون تدخل من الحكومة[43].

واتخذت الحكومة عدداً من الإجراءات لضمان حرية الانتخابات، ومشاركة أكبر عدد ممكن من الناخبين فيها، فأصدر رئيس الوزراء قراراً بتقسيم المملكة إلى دوائر انتخابية رئيسة وأخرى فرعية، فكان عدد الدوائر الرئيسية في الضفة الشرقية إحدى عشرة دائرة، وكل دائرة قسمت إلى عدد من الدوائر الانتخابية الفرعية، أما الضفة الغربية فقد قسمت إلى سبع دوائر رئيسة وأخرى فرعية[44]، كما تم تعديل جديد في قانون الانتخاب، وذلك بتخصيص صندوق اقتراع لكل (1200) ناخب بدلاً من (800) ناخب[45].

وتميزت هذه الانتخابات بمشاركة الأحزاب السياسية القانونية والمحظورة، منها: الحزب الوطني الاشتراكي، والجبهة الوطنية، وحزب التحرير، والإخوان المسلمون وحركة "القومين العرب" وحزب البعث العربي الاشتراكي[46]، كما أن الجيش لم يشترك في الانتخابات كما كان في السابق، ففي اجتماع بمنزل زيد بن شاكر وبحضور الملك حسين والضباط الأحرار [47]دار نقاش حول مشاركة الجيش في الانتخابات، فطالب الضباط الأحرار بعدم تدخل الجيش كما كان يتدخل بتحريض من كلوب باشا في السابق، وأكد هذا أبو شحوت بقوله: "يا جلالة الملك لا نريد أن نعود إلى سياسة الماضي، عندما كان الجيش يشترك في الانتخابات لأغراض التزوير ويكلف بالتصويت لقوائم وأسماء معينة من محاسيب كلوب، نحن نرى أن يبقى الجيش في ثكناته متفرغاً

لواجبه ولا يشترك بالانتخابات... "[48]، وحذر سليمان النابلسي وعبد الرحمن شقير إبراهيم هاشم من تدخل الجيش في الانتخابات وهددا بنزول مؤيديهما إلى الشارع[49].

وعلى الرغم من الإعلان عن عدم مشاركة الجيش في الانتخابات، إلا أن وكيل وزير الدفاع أصدر بياناً أعلن فيه أن التسجيل من أجل التصويت بالنسبة للجيش أمر اختياري، وبرغم ذلك فلم يسجل أي فرد من أفراد الجيش للتصويت في الانتخابات[50]، كما أن بعض وحدات الجيش أخذت بعض المحاضرات السياسية المتعلقة بعدم صلاحية الأحزاب، وقد يكون ذلك دلالة على أن هناك نية لتعليق الدستور وإقامة حكومة عسكرية[51].

وجرت عدة محاولات حزبية لتشكيل قوائم مشتركة لخوض الانتخابات؛ لأن الحركة الوطنية كانت ترى أن القوى المعارضة له ستعمل على إقصائها عن الساحة السياسية، وخاصة بعد نجاحها في إسقاط حلف بغداد وطرد كلوب، إلا أن موقف البعثيين حال دون تشكيل قوائم حزبية مشتركة[52].

واتخذت وزارة الداخلية عدة إجراءات لضمان نزاهتها، فقد قرر وزير الداخلية وضع إشارة على يد كل ناخب يعطي صوته بحبر يصعب محوه، ويشير هذا الخاتم على أن الناخب قد أعطى صوته في مراكز الاقتراع ورقم المركز، إلا أن هذا القرار لم يشمل الناخبين جميعهم[53]، وأعلنت الحكومة أسماء المرشحين في 1956/10/11م للاعتراض على أي مرشح، واستمرت فترة الاعتراض حتى 1956/10/15م[54].

وبعد قفل باب الترشيح، تبين أن عدد المرشحين 142 مرشحاً يتنافسون على 40 مقعداً على النحو الآتي[55]:

الرقم	اسم المنطقة	عدد المرشحين	المقاعد المحددة لكل منطقة
1	عمان	23	5
2	بدو الجنوب	3	1
3	القدس	10	3
4	الكرك	6	3
5	نابلس	12	4
6	رام الله	9	3
7	جنين	11	2
8	اربد	17	3

الرقم	اسم المنطقة	عدد المرشحين	المقاعد المحددة لكل منطقة
9	السلط	5	2
10	بيت لحم	9	2
11	الخليل	12	4
12	طولكرم	8	2
13	مادبا	3	1
14	معان	3	1
15	بدو الشمال	2	1
16	جرش	3	1
17	الطفيلة	3	1
18	عجلون	3	1
	18 دائرة رئيسية	142 مرشحا	40 مقعدا

ولم تكن هذه الانتخابات محط اهتمام الأردنيين والعرب، بل حظيت باهتمام عالمي من قبل أمريكا وبريطانيا[56]، وخاصة أن الانتخابات جاءت بضغط من الحركة الوطنية، وفي بداية سير الأردن على الطريق التحرري بالاتجاه نحو النهج العربي في سياسته الخارجية مما شكل خطرا على وجود إسرائيل، التي أرست قواعدها كل من بريطانيا والولايات المتحدة.

تأجيل الانتخابات:

صاحب استعداد الحكومة للانتخابات توجّه ينادي بتأجيل الانتخابات نتيجة لتسارع الأحداث قبيل إجرائها. فقد عقد في عمان بمطلع تشرين الأول عام 1956م مؤتمر عُرف بمؤتمر اللاجئين الفلسطينيين الذي طالب بتأجيل الانتخابات، وإلغاء الأحزاب، وإعلان التعبئة العامة، وتجنيد القادرين على حمل السلاح[57]. وكذلك شهد عام 1956م سلسلة من الاعتداءات الإسرائيلية على المواقع الأردنية ومنها: الرهوة 1956/9/11م، وغرندل 1956/9/14م، وقلقيلية 1956/10/11م[58]، وعلى أثر هذه الاعتداءات عرض العراق على الملك إرسال جنود للسيطرة على الانتخابات بذريعة إعداد إسرائيل لهجوم شامل ضد الأردن[59].

وحظي دخول الجنود العراقيين للأردن بتشجيع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا خوفاً من انعدام الاستقرار في الأردن في حالة فوز الأحزاب في الانتخابات[60]. أما إسرائيل فقد أعلنت على لسان بن غوريون أنه في حالة دخول القوات العراقية الأردن فإنه سيعمل على احتلال أجزاء من

الأراضي الأردنية[61]، على الرغم من أن الأردن والعراق قد أعطيا وعودا بعدم التورط في حرب ضد إسرائيل[62].

كما أن الرأي العام في الضفة الغربية كان يعارض فكرة إجراء انتخابات في تلك الفترة، فقد نقل الشيخ مصطفى الأنصاري[63] للملك حسين معارضة العديد من الفلسطينيين وخاصة طبقة الأثرياء في القدس والخليل وأماكن أخرى في الضفة الغربية لإجراء الانتخابات، بحجة أن البلاد بحاجة إلى فترة طويلة من الهدنة السياسية، قد تصل إلى ثلاث أو أربع سنوات بحيث لا تقوم الأحزاب السياسية خلالها بأي نشاط، والمطالبة بتعليق الدستور، وأن يحكم الملك حسين والجيش البلد في هذه الفترة[64].

ونتيجة لذلك دعا الملك إلى اجتماع ضم كلاً من: رئيس الوزراء، ووزير الدفاع ورئيس الأركان، ومدير الأمن العام بالإضافة إلى رئيس الديوان الملكي، وطلب الملك من المجتمعين أن يبدي كل واحد منهم رأيه حول إمكانية إجراء الانتخابات، فأشار مدير الأمن ورئيس الديوان بإلغاء الانتخابات وتعليق الدستور، بحجة أن البلاد مقبلة على ظروف غير اعتيادية بحكم الموقف العالمي من تأميم قناة السويس، وضرورة انصراف الجيش وأجهزة الدولة لمواجهة إسرائيل التي قد تتأثر بما ستقود إليه الانتخابات من انقسامات شعبية، قد تصل إلى حد انتشار الفوضى[65].

أما وزيرا الدفاع والداخلية ورئيس الأركان فقد رحبوا بفكرة إجراء الانتخابات، واشترط رئيس الأركان وضع جميع أفراد الأمن تحت قيادته دون تدخل أحد لحفظ الأمن، كما رحب إبراهيم هاشم بإجراء الانتخابات[66].

ويرى الملك حسين أن الوضع الداخلي لا يسمح بمثل هذا الإجراء، وأن مطالب الأحزاب في تلك الفترة ركزت على ضرورة إسقاط المجلس النيابي الرابع وإجراء الانتخابات. لذلك خشي الملك أن تثير الأحزاب الشعب، وتخوّف من تدخل مصر وسورية لدعم الأحزاب مستفيدين من زيارة الملك الأخيرة للعراق في آذار عام 1956م، ليثيروا مرة أخرى شبح حلف بغداد[67]، ولذلك وفي نهاية الاجتماع الذي عقده الملك اتّخذ قرار بإجراء انتخابات حرة نزيهة، وأن تترك مسؤولية الأمن لرئيس أركان الجيش وحده[68].

منحت الحكومة الحرية الكاملة للمرشحين لطرح برامجهم على أسس حزبية، وخففت من القيود السياسية، فسمحت بعقد الاجتماعات لإجراء المناقشات حول مختلف القضايا تمهيدا للانتخابات[69]، لكنها منعت المرشحين من استخدام مكبرات الصوت العامة أو النقالة عند إلقاء الخطابات الانتخابية وهذا الإجراء حد من فعالية المتحدثين ومن حجم الاجتماعات الحزبية[70]

وفي هذه الانتخابات اقتصر دور الملك حسين على زيارة مختلف المناطق من المملكة وإلقاء الخطابات أمام العامة فألقى الملك خطابين يخلوان من أي مغزى سياسي وربما أراد الملك من هذه الانتخابات أن يفوز أكبر عدد من المعتدلين[71]، واتخذت الحكومة بعض الإجراءات ضد الموظفين الذين تدخلوا في الانتخابات وذلك بنقلهم من مراكز عملهم[72].

أجريت الانتخابات في موعدها المحدد بـ 1956/10/21م، ولضمان سيرالانتخابات ونزاهتها أغلقت الحكومة طرق المواصلات بين مختلف مناطق الانتخاب، وذلك لمنع الناخبين من الاقتراع في أكثر من منطقة، وأغلقت الحدود بين الأردن وسورية طيلة ساعات الانتخاب[73]، كما صرح وزير الداخلية انه لن يصوت أحد دون إثبات شخصيته[74].

قانون الانتخاب:

جاءت انتخابات عام 1956م وفقاً لقانون الانتخاب الصادر في 1947/4/16م، الذي يخوِّل أي أردني ذكر يبلغ (18) سنة فما فوق حق الانتخاب، شرط أن لا يكون قد فقد حقوقه المدنية بسبب إدانة محكمة له، وأن يتمتع بكامل قواه العقلية، وأن لا يكون من أقارب الملك ضمن درجات معينة[75].

وتجري الانتخابات بصورة مباشرة بحيث يجمع الناجح من المرشحين غالبية الأصوات إلا في حالة عضوين من البدو في مجلس النواب، اللذين يختارهما مجلس مكون من عشرة أشخاص من رؤساء العشائر المطلوب تمثيلهم، ويتم كذلك الاحتفاظ بعدد ثابت من المقاعد في مجلس النواب للأقليات الدينية والعرقية الأساسية وهي: مقعدان للشركس وسبعة للمسيحيين من ضفتي الأردن الشرقية والغربية وفي الحالة الأخيرة يكون التمثيل مبالغا فيه نظرا لأن هناك أربعين عضوا فقط من عموم المجلس (20 من كل ضفة) وان نسبة السكان المسيحيين في الأردن لا تزيد عن عشر مجموع السكان[76]، وعلى الرغم من وجود حركة نسويه نشطة في الأردن والمسماة "اتحاد النساء العربيات" الذي عمل لصالح حقوق المرأة السياسية إلا أن النساء لم يسمح لهن بالاقتراع[77].

الأحزاب[78] المشاركة وطروحاتها:

طرحت الأحزاب برامجها بحرية، فوزعت الكراسات والبيانات الرسمية، وعلى أثر الحملات الانتخابية امتلأت الشوارع بالشعارات، ففي القدس غطيت بوابتان من بوابات المدينة القديمة بالشعارات المطالبة بإنهاء المعاهدة[79]، وأثناء الاجتماعات الحزبية وقعت بعض المشادات بين الأحزاب، وأخذ مرشحو الأحزاب يصفون بعضهم بعضاً بالخيانة، ووقعت بعض الاصطدامات مما

أدى إلى تدخل السلطات الأمنية، كما وجه الملك حسين خطاباً إلى شعبه دعاهم إلى الوقوف صفاً واحداً في هذا الظرف الحرج، وندد بالمتشدقين بالوطنية الكاذبة. وعلى أثر هذا الخطاب أرسل المعتدلون برقيات تأييد للملك ولكن هذا الخطاب حسب رواية السفير العراقي لم يرض الأحزاب، وخاصة البعثيين الذين أخذوا يصرّحون بأنهم مرشحو القصر الملكي وقيادة الجيش، فجاء الخطاب الملكي ضد ما يرغبون، واعتقدت الأحزاب الأخرى أن الملك سيؤجل الانتخابات منتهزا الظروف الحرجة الحالية[80].

أولا: الحزب الوطني الاشتراكي[81]:

خاض الحزب الانتخابات بخمسة عشر مرشحاً، سبعة في الضفة الشرقية وثمانية في دوائر الضفة الغربية[82]، حيث تمتعوا بمكانة شعبية في دوائرهم الانتخابية[83]، وتمتع مرشحو الأحزاب الأخرى بثقل انتخابي لأن اختيار هؤلاء المرشحين يتم من قبل لجنة الأحزاب التي شكلت لهذا الخصوص، حيث يرشح الشخص الأقوى انتخابياً بالمنطقة التي يترشح بها بغض النظر عن انتمائه الحزبي[84].

لم تكن للحزب أية ايدولوجية سياسية محددة، لذلك أعلن مرشحو الحزب خوضهم الانتخابات على مبادىء الحزب الوطني الاشتراكي العامة[85]، وقد دعا الحزب إلى[86]:

1. الوحدة العربية في ظل حكم ديمقراطي مستقل.
2. محاربة الأحلاف الاستعمارية والنفوذ الأجنبي.
3. ممارسة سياسة الحياد الإيجابي.
4. انتهاج سياسة عربية تحررية لقبول المعونة العربية ورفض المساعدات الأجنبية.
5. إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية.

وعلى الساحة الداخلية، دعا الحزب إلى إقامة حكم ديمقراطي حقيقي يؤمن بأن الأمة مصدر السلطات وأن إرادة الشعب هي أساس السلطة، وممارسة الحريات العامة وخاصة حريات: الرأي والتفكير والتعبير والاجتماع والعبادة والعقيدة بدون قيود، وإشاعة الوعي القومي والسياسي بين جميع طبقات أفراد الشعب، ونشر التعليم على أوسع نطاق، وتقرير مجانيته في جميع مراحله، وتحقيق المساواة بين أفراد الشعب، واختيار موظفي الدولة على أسس وظيفية وعلمية سليمة[87].

ونتيجة للمكانة التي تمتع بها مرشحو الحزب، فقد فاز 11 مرشحا[88] وفشل في هذه الانتخابات سليمان النابلسي، الذي ادعى بان الانتخابات قد زورت ضده في منطقة عمان بقوله:

"ليش هو الشعب اللي انتخب"[89]، ويعود فشل سليمان النابلسي إلى طبيعة التركيب السكاني لمدينة عمان، فمعظمهم يعارض الخط اليساري[90]، والى تزاحم مرشحي المعارضة في منطقة عمان[91]. يذكر النابلسي والوثائق العراقية بأنه قد خطط لإسقاطه في الانتخابات حتى يؤتى به كرئيس للوزراء؛ لأن نتائج الانتخابات كانت توحي بفوز أعضاء حزبه بأكبر عدد في الانتخابات[92].

ثانيا: حزب البعث العربي الاشتراكي[93]:

تقدم حزب البعث بستة عشر مرشحا للانتخابات في دوائر الضفة الغربية والشرقية[94]، ولم يتعاون مع الجبهة الوطنية[95]، لأنهم وعدوا من قبل شخصيات متنفذة في الجيش بضمان خمسة عشر مقعداً للحزب في مجلس النواب، على أن لا يتعاونوا مع أية جهة خاصة الشيوعيين[96].

كان حزب البعث الأكثر جدية والأفضل تنظيما في أثناء الانتخابات، فكان برنامجه الانتخابي يعكس كل معنى من معاني الرأي الوطني الأردني[97]، بداية دعا الحزب في برنامجه الانتخابي المواطنين إلى ممارسة حقهم الانتخابي باعتباره واجباً قومياً مقدساً، وأن يضعوا نصب أعينهم مصلحة الوطن، فينتخبوا من يمثلهم في المجلس القادم على أساس مبادئهم وأخلاقهم حتى يضمن للأردن انسجاماً كاملاً مع الحركة القومية العربية[98].ودعا الحزب في برنامجه إلى[99]:

1. احترام الدستور نصاً وروحاً والمحافظة عليه،احترام الحريات العامة والخاصة.
2. إلغاء قانون الدفاع والقوانين الرجعية الأخرى.
3. استكمال تعريب الجيش، وتمويله تمويلاً عربياً، وتطبيق مبدأ خدمة العلم.
4. إعادة تنظيم الجهاز الحكومي، وتطهيره من الفساد، وحماية الموظفين من المحسوبية والعبث، وتحسين الأحوال المعيشية لصغار الموظفين.
5. رفض الصلح مع اليهود بأي شكل من الأشكال، والإبقاء على القضية الفلسطينية حية، ومقاومة كل محاولة لتصفيتها.
6. قبول المعونة العربية بديلاً للمعونة البريطانية.
7. إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية.
8. مقاومة الأحلاف، وتبني سياسة الحياد الإيجابي.
9. العمل على الدخول في اتحاد مع مصر وسورية، وتوحيد الجيوش المحيطة بإسرائيل.

وتمثل نشاطه بتنظيم المسيرات والاجتماعات، فقد عقد حزب البعث عدداً من الاجتماعات في مناطق مختلفة، فعقد اجتماعاً عاماً ضم أعضاء الحزب في مقهى الزعترة داخل باب العمود وتحدث فيه كل من: عبدالله نعواس وبهجت أبو غربية[100]،كما أقام سليمان الحديدي وإبراهيم العابد في عمان مهرجاناً انتخابياً كبيراً في مقهى الجامعة العربية الواقعة أمام الجامع الحسيني[101].

ونظم أعضاء الحزب مهرجاناً كبيراً تأييداً لمرشحيه في منطقة نابلس في مقهى الشيخ قاسم بالقرب من ساحة المنارة، وتحدث فيه: عبدالله الريماوي وكمال ناصر ومنيف الرزاز ويوسف الخطيب[102].

وتذكر الوثائق العراقية أن الحزب حصل على الدعم المالي من القنصلية المصرية ومن المكتب السوري الثاني[103]، إلا أنه لم يحظ بالنجاح المأمول، فقد فاز عن حزب اثنان،هما عبدالله الريماوي وكمال ناصر؛ ويعود ذلك لسببين:

1- انحراف الحزب عن حلفائه في الجبهة الوطنية، وإصرار مرشحيه على خوض الانتخابات بشكل مستقل مدفوعين بالغرور والمبالغة الزائدتين بالنفس[104].

2- تحول الدعم من المصادر الرئيسة لقوته، وهم الطلبة المثقفون، خاصة أن العدد الأكبر من أعضاء الحزب معلمون، في الوقت الذي أخذ فيه الاشتراكيون والجبهة الوطنية في اجتذاب الطلبة[105].

ثالثا: الحزب الشيوعي[106]:

خاض الانتخابات بعشرة مرشحين[107] ضمن كتلة الجبهة الوطنية، لأنهم أرادوا أن يتواروا عن الأنظار في الانتخابات[108]، وحاولت الجبهة ضم حزب البعث إلى صفوفها، إلا أنها فشلت في تحقيق ذلك[109].

استعدت الجبهة الوطنية للانتخابات بشكل مميز، فعقدت الاجتماعات والحملات الانتخابية خاصة في منطقتي رام الله والقدس، كما انتخبت الجبهة مكتباً تحضيريا للانتخابات في رام الله بإدارة فائق ورّاد، وقامت مسيرات حاشدة تأييداً لورّاد، ففي 8 تموز قامت الجبهة بمسيرة حضرها أكثر من 700 شخص من الشيوعيين من أريحا ونابلس والخليل والضفة الشرقية[110].

لم تقف الحكومة ضد الشيوعيين في الانتخابات، فقد صرح إبراهيم هاشم بأن الشيوعيين هم جزء من الأردنيين وأنهم أبناؤه، وسيجدون من الحرية ما يجده سواهم من الأحزاب الأخرى[111]،

إلا أن الحكومة اعتقلت عبد الرحمن شقير وجودت شهوان مرشحي الحزب لتهجمهما على العراق فور عودة الملك حسين من لقائه مع الملك فيصل[112]. وإثر اعتقال الشيوعيين أرسلت البرقيات إلى الديوان الملكي مطالبة بالإفراج عن المعتقلين وقد وصفت بأنها تخالف سير الانتخابات[113]، وعلى الرغم من اعتقال عبد الرحمن شقير وجودت شهوان فقد أعلنت الحكومة أنه لا شيء يمنع هذين الشخصين من الترشيح بسبب اعتقالهما من الناحية القانونية[114]، وتم قبول ترشيح عبد الرحمن شقير بعد أن دفع وكيله عيسى مدانات المبلغ المخصص للانتخابات، وكان رقم الإيصال المالي (96699)[115].

تقدم الحزب ببرنامج انتخابي، تضمن مختلف القضايا التي تهم المواطنين في تلك الفترة، كما ينسجم مع السياسة العربية التحررية، فقد دعا الحزب في برنامجه إلى[116]:

1. إطلاق الحريات العامة وضمان حرية العقيدة والرأي والصحافة وتأليف الأحزاب والنقابات.
2. تطهير جهاز الدولة من الرشوة والفساد والمحسوبية، ومعاملة جميع المواطنين على قدم المساواة في الحقوق والواجبات على اختلاف معتقداتهم.
3. التعاون مع جميع الشعوب العربية، لتحرير العالم العربي من الاستعمار.
4. العمل على قيام حكومة وطنية، تسير بالأردن من دون التواء مع قافلة البلدان العربية المتحررة.
5. قبول المعونة العربية عوضاً عن المعونة الأجنبية.
6. إلغاء المعاهدة البريطانية وجميع الاتفاقيات الاستعمارية الأخرى، كالنقطة الرابعة.
7. محاربة المشاريع الاستعمارية والأحلاف العسكرية والعدوانية وعلى رأسها حلف بغداد.
8. إقامة علاقات ودية مع الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الاشتراكية.

يلاحظ على البرنامج الانتخابي للحزب تشابهه بشكل كبير مع برنامج حزب البعث، ورغم النشاط الكبير للحزب الشيوعي إلا انه لم يحقق النتيجة المرجوة، فقد نجح ثلاثة مرشحين، هم: يعقوب زيادين، وفائق وراد، وعبد القادر صالح، حيث كان مستقلا[117]، ونجاح ثلاثة أعضاء لا يعني بالضرورة زيادة المؤيدين للحزب، بل جاء لسببين:

1- البرنامج الانتخابي الذي طرحه الشيوعيون في مناطق القدس ورام الله ونابلس، كان له أثر واضح في استقطاب الجماهير، فندد الحزب بوجود إسرائيل، وانتقد الدول الغربية الموالية لإسرائيل، في الوقت الذي كان فيه الفلسطينيون يعانون من الاضطهاد السياسي[118].

2- يذكر المجالي أن سبب نجاح فائق وراد عن منطقة رام الله ويعقوب زيادين عن منطقة القدس لأنه لم يترشح من الشخصيات من هو بقوة الشيوعيين، كما أن الناخبين صوتوا لهما نكاية بمنافسيهما الوحيدين مرشحيّ حزب البعث: عبدالله نعواس وحمدي التاجي(119).

رابعا: حركة "القوميون العرب"(120):

تقدمت بأربعة مرشحين للوصول إلى البرلمان للإسهام في التعبير عن إرادة الأمة وعن أهدافها(121)، وخاضت الانتخابات بشكل علني، وقامت بنشاط مميز في أثناء الإعداد للانتخابات، فعقدت العديد من الندوات والمهرجانات الانتخابية في عمان بالإضافة إلى اللقاءات اليومية مع أعضاء الحركة وخاصة جورج حبش ونزار جردانه لكسب التأييد الجماهيري(122)، ودعت إلى(123):

1. الوحدة العربية.
2. طرد اليهود من فلسطين، وعدم عقد صلح معهم.
3. القضاء على النفوذ الغربي في المنطقة العربية.
4. اتخاذ سياسة عدم الانحياز سياسة خارجية.
5. المطالبة بإصلاحات اجتماعية على مختلف الصعد: التعليمية والصحية والوظيفية وغيرها.

ورغم الجهود الحثيثة التي بذلتها الحركة، إلا أنها لم توفق في تحقيق النجاح لأي من مرشحيها، فادّعت أن الانتخابات قد زورت(124).

خامسا: حزب التحرير(125):

خاض الانتخابات بسبعة مرشحين عن الحزب(126)، وكان تقي الدين النبهاني يصر على دخول الحزب الانتخابات البرلمانية وجلوس مندوبين عنه تحت قبة البرلمان، باعتباره منبراً من منابر الدعوة للحزب وأفكاره(127)، في المقابل كان غانم عبده أحد أعضاء الحزب يرفض فكرة الانتخابات من أساسها، وأن قبول الحزب دخول البرلمان يعني موافقته على دستور الدولة المناقض للشرع الإسلامي(128).

اقتصر نشاط الحزب في الانتخابات على طبع المنشورات، والبيانات التي تعبِّر عن رأي الحزب وموقفه من القضايا السياسية كغيره من الأحزاب الأخرى، كما أن الحزب قام بعقد العديد من المهرجانات الانتخابية في النادي التميمي في الخليل عرض فيه مرشحو الحزب: عبد القديم زلوم، ويوسف الزغير، وأسعد بيوض رأي الإسلام بالمشاكل السياسية في العالم العربي(129)، وعلى

الرغم من نشاط الحزب للحصول على مقاعد: القدس والخليل وجنين وطولكرم فإنه لم يفز من بين مرشحيه إلا أحمد الداعور للمرة الثانية، وفشل فارس إدريس في القدس وحصل على نصف أصوات مرشحي البعث، وأقل من أصوات مرشحي الحزب الشيوعي، وفي الخليل فشل جميع مرشحيه(130)، وبعد فشل الحزب في تحقيق النجاح حذرت الحكومة محمد موسى عبد الهادي الذي فشل في الانتخابات عن منطقة جنين، أن يحرّض مؤيديه للقيام بمظاهرات عنيفة كما فعل عند فشله في انتخابات عام 1954م(131).

سادسا: جماعة الإخوان المسلمون(132):

شاركوا في الانتخابات بستة مرشحين(133)، وكانوا على درجة من التنظيم، فقد نظم فرع الخليل حملة شملت لقاءات عامة ومسيرات تأييدا لحافظ عبد النبي النتشة(134)، كما عين الإخوان المسلمون رجالاً منهم للإشراف على سير الانتخابات(135).

وأقام أعضاء الإخوان مهرجانات انتخابية عديدة، وفي أثناء الحملات الانتخابية التي قام بها الإخوان المسلمون، حصلت بعض الصدامات مع الأحزاب الأخرى، وخاصة الحزب الوطني الاشتراكي، فقد اتهم الإخوان المسلمون الحزب الوطني بأنه يتقاضى نفقات الدعاية من مصر، وحزب البعث من سوريه، وردً الاشتراكيون والبعثيون على الإخوان المسلمين باتهامهم بالتعاون مع الإنجليز(136)، ولم ينتج عن هذه الصدامات أية أضرار بالممتلكات أو بالأرواح(137).

ركز الإخوان المسلمون في بياناتهم الانتخابية على الدين الإسلامي كأساس للحكم، وهذا واضح من بيان أسعد الحسني الذي خاض الانتخابات عن منطقة عمان على أساس الدين، ليتخذ من البرلمان منبراً للدعوة الإسلامية، ولبيان أحكامه في معالجة مختلف المشاكل وأداة للكفاح السياسي في كشف خطط الاستعمار، وتبني المصلحة الحقيقية للأمة(138).

نجح أربعة مرشحين من جماعة الإخوان المسلمين، هم: عبد الباقي جمو، عبد القادر العمري، وحافظ عبد النبي النتشة، ومحمد عبد الرحمن خليفة(139).

سابعا: الحزب العربي الدستوري(140):

خاض الانتخابات (14) مرشحاً من أعضاء الحزب بشكل مستقل(141)، معتمدين على ثقلهم العشائري وارتباطاتهم العائلية الكفيلة بإعادتهم للبرلمان(142). وكان من بين مرشحي الحزب كامل عريقات الذي رشح نفسه عن منطقة القدس، معتمدا على ثقله العشائري والسياسي، فقد كان أحد أعضاء مجلس النواب لأكثر من دوره، واتخذ من المجلس منبرا للدفاع عن قضايا المواطنين

وحقوقهم، مما ساهم في زيادة شعبيته[143]. كما قام عدد من مؤيديه بجولة في شوارع القدس، يحملون اليافطات مهلّلين، ومكبرين، ومنادين بانتخابه وهذا يعكس مكانته الشعبية[144]. وركز في بيانه الانتخابي على المطالب التالية[145]:

1. تسليح الجيش والحرس الوطني.
2. إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية.
3. قبول المعونة العربية.
4. تجنيد اللاجئين الفلسطينيين.
5. القيام بمشاريع اقتصادية ضخمة لتشغيل الأيدي العاملة في المنطقة.
6. استغلال كنوز البلاد بسرعة، خاصة مشاريع: البوتاس والفوسفات والحديد وتوسيع ميناء العقبة، بحيث يكون اكبر موانىء العالم.

كما أن أنور نسيّبة أحد مرشحي الحزب، عقد اجتماعاً عاماً بسينما الحمراء في القدس، لبحث الأوضاع الراهنة في المنطقة[146]، ورغم نشاط أعضاء الحزب، إلا أنه لم يفز إلا ثمانية أعضاء وهم: سليم البخيت، سابا الشكعة، عمران المعايطة، كامل عريقات، حمد بن جازي، محمد أخو أرشيدة، مصطفى خليفة، صالح المجالي[147].

جاءت مشاركة الحزب في الانتخابات بصورة مستقلة لتجنب الصراع مع الأحزاب الأخرى والابتعاد عن المتاعب، في ظل تصاعد حركة التحرر الوطني التي كانت تسيطر عليها الأحزاب العقائدية، كما أن الحزب أراد أن لا يلزم نفسه بمواقف لا يستطيع التراجع عنها من خلال بيان انتخابي يعلن عنه[148]، كما أن أعضاء الحزب العربي الدستوري في الضفة الغربية كانوا غير راضين عن سياسة الحزب؛ لذلك رشحوا أنفسهم بصورة مستقلة[149].

ثامنا: الحزب العربي الفلسطيني:

شارك في هذه الانتخابات أعضاء من الحزب العربي، الذي يشرف عليه، ويعتني بشؤونه مفتي القدس السابق الحاج أمين الحسيني[150]، وقد ترشح عن الحزب ستة أعضاء لأول مرة من بينهم داوود الحسيني وفائق العنبتاوي، ونجحا في الانتخابات[151]. وتذكر الوثائق العراقية أن الحزب قد تلقى الدعم من السعوديين، حيث قدمت الأموال للحزب، وكان الفضل في نجاح داوود يعود إلى هذه الأموال التي استخدمها في الانتخابات[152].

وخاتمة القول، إن الأحزاب المشاركة في العملية الانتخابية، على الرغم مما ظهر بينها من أجواء خلافية، وتنافس شديد، إضافة إلى التباين الواضح في الانتماءات السياسية والعقائدية. إلا أن أفكارها وطروحاتها تمحورت حول قضايا مصيرية مشتركة، تجلى ذلك من خلال مضامين البيانات والخطابات الانتخابية عبر وسائل مختلفة، فجاءت محتوياتها متشابهة وفقا للظروف السياسية التي يعيشها الأردن والمنطقة العربية بشكل عام، حيث اتفقت جميع الأحزاب على:

أولا: إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية.

ثانيا: قبول المعونات المالية العربية بديلا عن المعونة البريطانية.

ثالثا: إحياء وتفعيل القضية الفلسطينية، ومقاومة الصلح والحلول الانفرادية مع إسرائيل.

رابعا: السير في اتجاه السياسة العربية التحررية الداعية إلى مقاومة الاستعمار.

خامسا: إطلاق الحريات العامة.

سادسا: رفض سياسة الأحلاف لا سيما حلف بغداد.

ويلاحظ أن نتائج الانتخابات أسفرت عن فوز الأحزاب الوطنية التي نجحت نجاحاً كبيراً في تسيير البلاد نحو الطرق التحررية، حيث بدأت بإسقاط حلف بغداد وطرد كلوب باشا من المنطقة.

النابلسي رئيسا للحكومة:

كلف الملك حسين عبد الحليم النمر عضو الحزب الوطني الاشتراكي بتشكيل الوزارة بعد انتهاء الانتخابات، إلا أنه اعتذر عن ذلك بعد مشاوراته مع أعضاء الحزب، واقترح عليه شفيق أرشيدات أن يلتمس من الملك استبداله بسليمان النابلسي لاعتبارات منها: أن النابلسي هو أمين سر الحزب، وفشل في الانتخابات لذلك يكون تنصيبه رئيساً للوزراء ردّ اعتبارٍ له[(153)]. إلا أن النابلسي يذكر بأن الملك قد استدعاه وعبد الحليم النمر إلى الديوان، وطلب منه وبحضور الشريف زيد بن شاكر تشكيل الوزارة قائلا له: "بدنا أبو فارس يؤلف الوزارة" فأجابه النابلسي: "الصراحة أنا رجل حزبي، ورجل عنيف وأخشى، أن لا أستطيع وأنا عندي هاتين الخصلتين أن لا أوفق بين رغبتك ورغبة البلد، واقترح أن تؤلف حكومة جديدة تتبنى سياسة تعمل من خلالها على تحقيق المطالب الشعبية التي انتخب الشعب أعضاء الأحزاب على أساسها وهي: إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية واستبدالها بمعونة عربية، وأن تسير البلاد على النهج التحرري العربي وأن تأخذ مكانتها بين الدول العربية"، ولذلك اقترح النابلسي على الملك أن يشكل عبد الحليم النمر

الحكومة كونه هادئاً ومحبوباً، وله منزلة في البلاد إلا أن عبد الحليم النمر رد قائلا: "أنا تجربتي قليلة وأخي أبو فارس هو رئيس الحزب وهو معروف عربياً ودولياً، وكذلك نحن في الحزب أجمعنا على أن يؤلف الوزارة"[154].

وبعد ذلك توجه الملك إلى النابلسي، وطلب منه تشكيل الوزارة، وأن تأخذ الوزارة أكبر عدد ممكن من الأخوان في مختلف الاتجاهات من أجل البعد عن أية خلافات داخل مجلس النواب، لأننا مقبلون على مرحلة جديدة تحتاج إلى تكاتف كل القوى الوطنية"[155].

وبعد أن كلف الملك النابلسي بتشكيل الحكومة بدأ النابلسي يجري اتصالاته مع الأحزاب السياسية لاستمزاج آراءهم ومدى استعدادهم للمشاركة في الحكومة، وكانت هناك رغبة ملكية في أن يتولى عبدالله الريماوي وزارة الخارجية، إلا أن أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي رفضوا ذلك، وطالبوا بوجوب إسناد حقيبة الخارجية لأحد أعضاء الحزب، وإنهم يرفضون أن يكون عبدالله الريماوي على وجه الخصوص وزيراً للخارجية، فدعا النابلسي كلاً من: منيف الرزاز، وكمال ناصر، وسليمان الحديدي إلى مكتب الحزب الوطني الاشتراكي وقال لهم: "نحن حاضرون هنا لنعرض عليكم وزارة من الوزارات باستثناء وزارة الخارجية" فأصروا على تسلم وزارة الخارجية ولعبدالله الريماوي تحديداً، لكن أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي رفضوا ذلك، وتم في نهاية الأمر حل الخلاف بتولية عبدالله الريماوي وزير دولة للشؤون الخارجية واقتنع أعضاء حزب البعث بذلك، وكان الريماوي يمارس صلاحيات وزير الخارجية فعلاً، وذلك لانشغال النابلسي بتسيير شؤون الوزارة ورئاسة الحزب، وكانت هذه أول مرة في تاريخ الأردن يوضع فيها وزير دولة للشؤون الخارجية[156].

وبعد الانتهاء من مشكلة البعثيين، اتجه النابلسي وأعضاء الحزب إلى منزل عبد القادر الصالح، وهناك واجهتهم مشكلة الجبهة الوطنية التي تضم كلاً من: يحيى حمودة وعبد الرحمن شقير وعبد القادر الصالح، وتم الاتفاق على أن يشارك عبد القادر الصالح في الوزارة بناءً على اقتراح من حكمت المصري[157].

واجهت تشكيل الحكومة مشكلة أخرى، تمثّلت في رغبة بعض الشخصيات الاشتراك في الوزارة، ولكن هذه المشاكل تم التغلب عليها في النهاية[158].

لقد كان من السهل على الملك أن يكلف شخصية معتدلة من غير الحزبيين، إلا انه اختار النابلسي رئيساً للوزراء لعدة اعتبارات:

1. إن سليمان النابلسي هو أمين سر الحزب الوطني الاشتراكي الفائز بأكبر عدد من المقاعد في الانتخابات[159].

2. شخصية النابلسي تعد من ألمع شخصيات الحزب وأكثرهم معرفة بصناعة الحكم، وأوسعهم إطلاعا على الشؤون الداخلية والخارجية[160].

3. الوضع الذي ساد الأردن بعد طرد كلوب، وتحول السياسة الأردنية نحو الأقطار العربية، والتي أعلنت التمرد على السياسات التقليدية المرتبطة مع الدول الغربية[161].

4. رغبة الملك في استبدال السياسيين الذين تقدمت بهم السن بدماء جديدة من جيل الشباب من ذوي الاتجاهات الديمقراطية بقوله: "لقد قررت أن الشباب الواعدين سواء كانوا سياسيين أو ضباطاً، ينبغي أن تتاح لهم الفرصة لإظهار مواهبهم وقدراتهم، وأنا أعلم أن بعضهم يساريون، ولكني شعرت مع ذلك انه يتعين عليهم الإيمان بمستقبل بلدهم، وأردت أن أرى كيف سيطلعون بمسؤولياتهم"[162].

5. تأييد الأحزاب له[163].

6. إتفاق أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي على أن يشكل النابلسي الوزارة، مقابل أشراكهم في الحكم[164].

وجه الملك كتاب التكليف لتشكيل الوزارة، على أن تتبنى في سياستها النهوض في اقتصاد البلد وتنظيم جهاز الدولة والموظفين، وإلى تمكين العلاقات مع الدول العربية، وقد وعد النابلسي بتحقيق الحياة الحرة الكريمة للشعب الأردني، والسير على النهج العربي[165].

وبعد المشاورات التي قام بها سليمان النابلسي مع الأحزاب شكل حكومته، وصدرت الإرادة الملكية السامية بتعيين كل من:سليمان النابلسي: رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية،عبد الحليم النمر الحمود: وزيراً للداخلية والدفاع،أنور الخطيب: وزيراً للأشغال العامة، شفيق أرشيدات: وزيراً للعدلية والتربية والتعليم،سمعان داود:وزيراً للإنشاء والتعمير، نعيم عبد الهادي: وزيراً للاقتصاد الوطني، صالح المجالي: وزيراً للمواصلات، صلاح طوقان: وزيراً للمالية،صالح المعشر:وزيراً للصحة والشؤون الاجتماعية،عبدالله الريماوي: وزير دولة للشؤون الخارجية،عبد القادر الصالح: وزيراً للزراعة[166].

وكانت هذه الوزارة تضم ستة من أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي، وثلاثة من المستقلين، ووزيرا بعثياً، ووزيراً عن الجبهة الوطنية، وكان من بينهم خمسة يدخلون الوزارة لأول مرة وهم: عبدالله الريماوي وصالح المجالي وصالح المعشر وصلاح طوقان وعبد القادر الصالح ومن بين أعضاء الوزارة ثلاثة نواب.

البيان الوزاري للحكومة:

تقدم النابلسي ببيانه الوزاري في 1956/10/27م، وتضمن معالم سياسة الوزارة الداخلية والعربية والخارجية[167].

فعلى صعيد السياسة الداخلية، أعلنت الحكومة عن عزمها على إرساء قواعد الحياة النيابية الدستورية الديمقراطية، وضمان سيادة القانون، وإطلاق الحريات العامة، وإصدار التشريعات اللازمة لإلغاء القوانين التي تحد من حرية المواطنين، وتعيق نمو الحياة الديمقراطية السياسية، واستبدالها بقوانين تقدمية تتماشى مع سياسة الحكومة القومية التحررية، وفي مقدمة هذه القوانين: الأحزاب، والمطبوعات، والإشراف على البدو، واستبدال قانون الدفاع بقانون جديد وفق أحكام الدستور، وتعديل قانون الانتخاب القائم بقانون يزيل النقائص الموجودة في القانون الحالي[168].

كما أكدت على إعادة النظر في قانون الجهاز الإداري وحماية الموظفين في: تعييناتهم وترقياتهم وتنقلاتهم وحقوقهم من المحسوبية والتعسف، والعمل على رفع مستوى الجيش بتسليحه عسكريا بأحدث الأسلحة، وتطبيق قانون خدمة العلم، والعمل على توحيد النظم والتدريب والدراسة العسكرية مع الجيشين المصري والسوري[169].

أما على صعيد سياستها العربية، فقد أعلن النابلسي أن الحكومة ستسير على النهج العربي في سياستها من أجل تصفية الاستعمار، ونفوذه في الوطن العربي، وأكدت تمسكها باتفاقياتها العسكرية مع مصر وسوريه، وبقيادتها المشتركة، وتطوير علاقاتها مع الدول العربية المتحررة، لتشمل النواحي: السياسية والاقتصادية والثقافية كخطوة نحو تحقيق اتحاد فيدرالي يكون نواة للوحدة العربية المنشودة، وأكدت إقرار اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين الأردن وسورية[170].

كما أن الحكومة لن تدخر وسعاً في تقديم الدعمين: المادي والمعنوي لدعم كفاح الجزائر لتحقيق الاستقلال. واعتبرت إسرائيل كياناً غير شرعي، يقوم على الغزو والعدوان، وتؤكد رفضها لكل صلح معها، أو الاعتراف بها، أو إقامة علاقات مشتركة، وأعلنت أن سياسة الحكومة قائمة على إبقاء القضية الفلسطينية حية، وتعتبر القضية قضية العرب أجمعين، ولا يحق لأية دولة أن تتخذ فيها أي قرار لا توافق عليه المجموعة العربية وأهل فلسطين[171].

أما على صعيد السياسة الخارجية، فقد أكد النابلسي أن الأردن ملتزم بالنهج العربي في سياسته الخارجية، وذلك بتحرير السياسة الخارجية من كل اعتبار، أو قيد يعيق توحيدها، أو انسجامها مع السياسة العربية، وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية مع الدول الداعمة

للعرب وقضاياهم وحاجاتهم، وأشار إلى أن الحكومة ستدرس توصيات التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي.

وأعلنت الحكومة رفضها للأحلاف،منها حلف بغداد، وتجنيب الأردن الدخول فيها أو الاشتراك في أي جهاز من أجهزتها لأنه خطر كبير على الأمة العربية. وتطرق بعد ذلك إلى المعاهدة الأردنية البريطانية واعتبرها غير متكافئة، وغير عادلة. ومن هذا المنطلق أعلنت الحكومة عزمها على إنهاء المعاهدة وإجلاء القوات البريطانية عن الأراضي الأردنية، وتصفية قواعدها بعد تأمين المعونة العربية للجيش والحرس الوطني، وتنفيذ الاتفاقية الاقتصادية السورية الأردنية.

وأكد البيان أن الحكومة ستعمل على تقوية البلد للوقوف ضد الخطر الصهيوني، وضد أعداء العروبة من الاستعماريين(172).

جاء هذا البيان ليتفق إلى حد كبير مع الأهداف والمطالب التي نادت بها الأحزاب والشعب على مدار السنوات السابقة، فقد كانت هذه القضايا،خاصة إنهاء المعاهدة والسير على نهج السياسة العربية ورفض الأحلاف هي أبرز القضايا التي طالب الشعب بتحقيقها.

وجاء البيان الوزاري في السياسة الخارجية مطابقا للسياسة العربية التحررية، خاصة المصرية منها، وقد اعتبر هذا النهج لا سابق له في الوزارات الأردنية، وجاء مخالفا للسياسة الخارجية الأردنية التي كانت تتجه بعلاقاتها نحو الغرب(173)، حتى أن هذه الوزارة اعتبرت موالية لمصر(174).

رأي النواب في البيان:

ناقش نصف النواب البيان الوزاري، فقد تحدث بعضهم في كلمات مشتركة يوم الخميس الموافق 1956/10/29م، أي بعد يومين من صدور البيان، وكان أول المتحدثين كامل عريقات نائب القدس، وتحدث عن البيان بقوله: "بعد الإطلاع على البيان وجدت أنه مستوعب لأغلبية أماني الأردن ملكاً وشعباً، وكل ما نطلبه من هذه الحكومة التي انبثقت عن الشعب أن تنفذ وعودها"(175).

أما فائق العنبتاوي نائب نابلس، فقد تحدث عن البيان بقوله: "إن البيان الذي تقدمت به الحكومة يحمل انعكاساً لروح الشعب وشعور الأمة، ولقد توالت على الحكم فئات أخرى وقدمت بيانات فيها الكفاية عن بعض أحاسيس الشعب والأمة، وقد يكون هذا البيان أقوى بكثير مما سبق"(176). ووصف عبد الخالق يغمور نائب الخليل البيان بأنه بيان: وطني قومي تحرري(177).

أما أحمد الداعور فقد قال: "إني أتقدم بمناقشة هذا البيان، لأبين بعض الأخطار التي ينطوي عليها حتى اكشف هذا البرقع الشفاف، الذي وضعته على وجهها لتخفي الاستعمار وتغطي أعماله بالألاعيب البهلوانية والألفاظ المبطنة، وذلك حتى تعيّن الأمة موقفها من هذه الوزارة وحتى يعرف السياسيون المحترفون أن غش الأمة وخيم العاقبة، وأن خداعهم لا ينطلي بعد اليوم، فيكون درسا للحكومة لتقف موقفاً صريحاً"[178].

وأشار سعيد العزة إلى أن هذا البيان هو ما ينادي به الشعب، ويقدم الضحايا من أجله، وهذا هو الميثاق الذي تعاهدنا على النضال من أجله، وإنني بلسان الحزب الوطني الاشتراكي ونوابه أؤيد سياسة الحكومة[179].

وأشاد كمال ناصر بهذا البيان بقوله: "إنّ هذا البيان بمجموعه قد فتح آفاقا قومية تحررية جديدة في هذا البلد بعد أن عانى ما عاناه من كبت وحرمان وحكم بوليسي رهيب....والذي يعود بذهنه وخياله قليلا إلى الوراء ليستطيع أن يلتمس مكامن القوة والتجديد في هذا البيان الذي ينسجم مع سياسة الدول العربية المتحررة"[180].

أما يوسف البندك فقد قال: "إنني أمنح الحكومة الثقة لسببين جوهريين،هما: إنها في جوهر بيانها قد ربطت مصير الأردن بالثورة القومية في مصر، ولأن فيها عناصر لا سبيل إلى الشك في قناعتها القومية"[181].

أما عبد الرحمن خليفة، فقد قال: "إننا نقابل بالارتياح ما سجلته الحكومة على نفسها، وقطعت به عهداً أن لا تتوجه في جميع أعمالها إلى ما قد يشتّم منه رائحة الحزبية أو المصالح الشخصية، وقد سجلنا عليها هذا العهد وسنطالبها النظر به. إن الذي جلب الويلات والمصائب لبلادنا العربية الإسلامية، وجر عليها المحن، وازدراها إنما هو الغرب بديمقراطيته المزعومة، ورأسماليته الجشعة، واشتراكيته الناقصة"[182].

وتحدث سليم البخيت عن البيان قائلاً: "إنه جاء شاملاً وافياً يتفق مع رغبات الشعب، والمجلس، لهذا أرى من الإنصاف أن أمنح الثقة لهذه الحكومة، وأن أترك لها المجال لتعمل وتنفذ ما جاء في بيانها الوزاري"[183].

وكان آخر المتحدثين داود الحسيني الذي قال: "يجب أن لا نشتري ضمائر إخواننا المواطنين بمعسول الكلام عن العمل المنتج، فواجبنا نواباً وحكومة السعي لرفع مستوى معيشة الأمة، ورفاهيتها، وسؤددها، لنعتز ولنفتخر أننا مجلس النواب الأول والوزارة الأولى التي انبثقت عنه"[184].

وقد تركزت مطالب النواب في كلماتهم على ما يلي:

1. إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية الجائرة، والتخلص من قيودها وآثارها المالية والعسكرية.
2. قبول المعونة العربية من البلدان العربية المتحررة.
3. إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي وغيره من الدول المناصرة للقضايا العرب.
4. رفض الأحلاف العسكرية، مهما اختلفت أسماؤها، وأشكالها، ومقاومتها، وتجنيب الأردن الدخول فيها، أو الاشتراك في أي جهاز من أجهزتها وخاصة حلف بغداد.
5. إطلاق الحريات العامة بإلغاء جميع القوانين الرجعية وخاصة الدفاع، واستبدالها بقوانين تقدمية أخرى معبرة عن إرادة الشعب.
6. رفض السّلم مع إسرائيل، واعتبارها كياناً غير شرعي، يقوم على الغزو والعدوان.
7. تأييد الحكومة بالتنسيق مع مصر وسورية على الصعيدين: العسكري والسياسي، وتنفيذ اتفاقية الوحدة الاقتصادية مع سورية على أساس إنها خطوات هامة في سبيل تصفية الاستعمار من الأردن، وتحقيق الاتحاد مع مصر وسورية.

وجاءت هذه المطالب، لتعكس مدى نقمة الشارع الأردني على الاستعمار البريطاني، ورغبة السواد الأعظم من الأردنيين بإقامة علاقات مع مصر وسورية في معظم النواحي.

وبعد الانتهاء من كلمات النواب ورد رئيس الحكومة عليها، طلب رئيس المجلس حكمت المصري التصويت على الثقة بالحكومة، وبعد التصويت فازت الحكومة بثقة المجلس بـ 39 صوتا مقابل صوت واحد وهو صوت أحمد الداعور الذي حجب الثقة.

وأعلن سليمان النابلسي بعد حصول حكومته على الثقة أنه سيعمل على تحقيق ما جاء في البيان بقوله: "...إنّ هذه الحكومة لن تتخلى عن مسؤولياتها التي ظهرت في بيانها، وأنها لن تتخلى لحظة واحدة عن العمل بما يمليه عليها ضميرها، وما يتطلبه الشعب، ويحقق رغبات هذا المجلس الكريم"(185). لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من مراحل النضال الوطني.

October 1956 Parliamentary Elections and Heading Cabinet by the Socialist National Party

Ahmad Al-Qthah, *Qassim University, KSA.*

Abstract

This study addresses October 1956 parliamentary elections in Jordan and heading cabinet by the Socialist National party relying on published and unpublished foreign, Arab and official documentations, memoirs and face-to-face interviews, which are considered as important and informative documentary resource for historical research studies.

The study demonstrated that, on background of the manipulated 1954 elections with participation of militant voters, and attempts by Tawfiq Abu Al-Huda to vote down oppositional candidates, political opposition thus proclaimed for a partial free elections where the 1956 elections were the peak response to their demands. However arrangements for elections were in progress, the Palace was tending to postpone the process considering surrounding conditions of the Israeli invasions across Jordan borders, the fear of widening divisions in the country as a result of disagreements among candidates which discouraged conducting the elections. Finally, the Palace agreed on conducting the elections as they represented the major demand of the participating parties. The parties freely introduced their programs which basically reflected Jordan people's demands as represented by termination of the British-Jordan treaty, resisting Western alliances, cancellation of the British aids and replacing it with Arab aids. The parties thus won the elections and King Hussein was motivated to have Suleiman Al-Nabilsi forming the first coalition cabinet from political parties. People demands including releasing freedoms, termination of the British-Jordan treaty, and alignment with the Arab attitudes of Syria and Egypt have also appeared on the ministerial statement of the Nabilsi's cabinet.

قدم البحث للنشر في 2008/7/13 وقبل في 2009/1/26

الهوامش

(1) د.ك.و 311/2718 تقارير المفوضية العراقية في عمان، الموضوع ما بعد انتخابات الأردن، و27، ص67؛ Rophael Patai:The Ktngdom of Jordan, New Jersey University Prres 1958, p. 56.

(2) مقابلة مع بهجت أبو غربية، عمان 1993/3/22م؛ مقابلة مع ضافي الجمعاني، مادبا 1999/5/12م.

(3) د.ك.و 311/2718، تقارير المفوضية العراقية في عمان، الموضوع تأليف الوزارة الأردنية، و29، ص 8.

(4) المصدر نفسه.

(5) د.ك.و 311/2719 تقارير المفوضية العراقية في عمان، الموضوع الوزارة في عمان، و39، ص 70.

(6) هاني حوراني، سعيد العدوان: نشوء وتطور المؤسسات التشريعية والنيابية 1929-1957م،(مجلة الأردن الجديد، ع(2)، كانون الأول 1984)، ص 85-86؛ Patai, op. cit, p.59

(7) عبد الحفيظ محمد: هذه الشيوعية في الوطن العربي،(عمان: مطبعة شاهين، د.ت)، ص 61؛ باسل الكبيسي: حركة القوميين العرب، ترجمة: نادرة الخضري، (بيروت: المؤسسة العربية، 1985)، ص 133.

(8) عبد الحفيظ، هذه الشيوعية، ص 62؛ الكبيسي، حركة القوميين، ص 133.

(9) مديرية المكتبات والوثائق الأردنية، ملف 234/1/1/11 بتاريخ 1955/12/20م، والمودعة في المكتبة الوطنية؛ وزارة الدفاع العراقية، محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة(محكمة الشعب)، ج4،(بغداد: مطبعة الحكومة 1959)، ص 137.

(10)رفع المجالي الكتاب التالي يطلب فيه من الملك حل مجلس النواب: "لما كانت مملكتكم العزيزة تواجه في الوقت الحاضر أحداثا هامة،...، ولم تكن هذه الأحداث معلومة وواضحة لدى أفراد شعبكم، عند قيام الانتخابات السابقة، ولما كانت الأحداث تستدعي استفتاء الأمة من جديد فإني التمس من جلالتكم الموافقة على استعمال حقكم الدستوري المنصوص عليه في الفقرة الثالثة من المادة 34 من الدستور، حتى إذا ما لقي ملتمسي هذا قبولا من جلالتكم سأتقدم باستقالة حكومتي لأفسح المجال أمام جلالتكم، لتعهدوا بمهمة الحكم إلى حكومة انتقالية لإجراء انتخابات عامة في البلاد....". هاني الحوراني وسليم الطراونة: هكذا سقط حلف بغداد في عمان،(قبرص، مجلة الأردن الجديد، ع(2)، 1984)، ص 144-145؛ سمير التنداوي: إلى أين يتجه الأردن،(مصر: الدار المصرية للطباعة والنشر د.ت)، ص 60؛د.ك.و 311/2719، تقارير المفوضية، المظاهرات في الأردن، و62، ص 107.

(11) وزارة الثقافة والإعلام: الوزارات الأردنية 1921- 1976، (عمان: دائرة المطبوعات والنشر د.ت) ص 41.

(12) من أهدافها: إسقاط حلف بغداد، وإنهاء النفوذ البريطاني، وإيجاد مساعدة عربية بديلة للمساعدة البريطانية. The Middle East Journal Washington, Vol. 10. No 2. Spring 1956, p. 186. Patail op,cit, p. 59.

(13) الجريدة الرسمية، ع (1148)، 4 كانون الثاني 1956، ص199-200.

(14) نصت المادة 40 من الدستور بأن الملك يمارس صلاحياته بإرادة ملكية وتكون الإرادة الملكية موقعة من رئيس الوزراء ووزير الداخلية أو الوزراء المختصين، يبدي الملك موافقته بعد توقيعه فوق التواقيع المذكورة. الدستور الأردني، المادة(40)؛ احمد الطراونة: رحلتي مع الأردن، مذكرات، (عمان: مطابع الدستور التجارية، 1997)، ص 60-61؛ مديرية المكتبات والوثائق الأردنية، ملف 248/1/1/11، بتاريخ 1956/1/4م، المودعة في المكتبة الوطنية في عمان.

(15) الجريدة الرسمية، ع(1255)، 5 كانون الثاني 1956م، ص 1149-1150؛ الطراونة، رحلتي مع الأردن، ص 60-61.

(16) The Middle East journal, Washigton, Vol,10, No.2, Spring 1956, p.187.؛ هزاع المجالي: مذكراتي، (عمان:د.نا،1960)،ص 182.

(17) النقطة الرابعة:هي مشروع الرئيس الأمريكي ترومان الذي صدر عام 1949 وعرف في العالم العربي باسم النقطة الرابعة نسبة إلى المادة الرابعة منه، وتضمن إمكانية تقديم مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية إلى دول الشرق الأوسط الواقعة تحت النفوذ الغربي.

(18)منيب الماضي، سليمان الموسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين(1900-1959)،(عمان: مكتبة المحتسب، 1988)، ج1، ص 621؛علي محافظة:العلاقات الأردنية البريطانية من تأسيس الإمارة وحتى إلغاء المعاهدة (1921-1957)، (بيروت: دار النهار للنشر، 1973)، ص 239.

(19) مديرية المكتبات والوثائق الأردنية، ملف 26/1/1/11 بتاريخ 1956/1/7م، المودعة في المكتبة الوطنية، عمان.

(20) حكمت بن الحسن باكير: حقائب وزارية 1921-1992م،(الزرقاء: مؤسسة باكير، 1993م) ص 69.

(21) المجالي، مذكراتي، ص 175.

(22) محافظة، العلاقات، ص 239-240؛حوراني والطراونة، هكذا سقط حلف بغداد، ص 148.

(23) مديرية المكتبات والوثائق الأردنية، ملف 260/1/1/11 بتاريخ 1956/1/10م، المودعة في المكتبة الوطنية، عمان؛ د.ك.و 311/2720، تقارير المفوضية العراقية في عمان، الاضطرابات في الأردن، و45، ص 113-114.

(24) ملحق الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب، الدورة العادية الثانية، تاريخ 26 كانون الثاني 1956، ص 243-244.

(25) ملحق الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب، الدورة العادية الثانية، الجلسة التاسعة بتاريخ 31/كانون الثاني/ 1956، ص 256. كما أن النائب إسماعيل حجازي طالب بتعديل قانون الانتخاب بقوله: "إن قانون الانتخاب أبسط قواعد الحرية والعدالة ويستوجب وضعه بشكل يكفل تمثيل الشعب تمثيلاً حقيقياً منبثقاً من إرادة الأمة". المصدر نفسه، ص 272.

(26) الحوراني والطراونة، هكذا سقط حلف بغداد، ص 149.

(27) أكرم الحوراني: مذكرات، جريدة العرب اليوم، ع(75)، 1997/7/3م، ص 5؛ محمود المعايطة: حركة الضباط الأحرار وعملية التعريب،(عمان: غير منشور 1998م)، ص 2.

(28) أكرم حوراني، مذكرات، ص 5.

(29)وقع هذه المذكرة عبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس عن حزب البعث وسليمان النابلسي وشفيق أرشيدات عن الحزب الوطني الاشتراكي. أكرم حوراني، مذكرات، ص 5.

(30)وزارة الثقافة والإعلام الأردنية، الوزارات الأردنية،ص 43؛ The Middle East Journal Washington, Vol. 10, No. 3, Spring, 1956, p. 288.

(31) باكير، حقائب وزارية، ص 71-72.

(32) محافظة، العلاقات، ص 252. فعلى سبيل المثال فقد رفض رشاد الخطيب أحد أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي في اللحظة الأخيرة الاشتراك في الحكومة The Middle East, op. cit, p. 288.

(33) سليمان الموسى: أعلام من الأردن، توفيق أبو الهدى وسعيد المفتي، دراسة في السياسية الأردنية، (عمان: الرأي المؤسسة الصحفية الأردنية، 1993) ج2،ص 225.

(34) المرجع نفسه.

(35) الطراونة، رحلتي مع الأردن، ص 63؛ Patai, Op, Cit. P. 60 ويعود تعيين أبو نوار قائداً للجيش بناءً على رغبة الملك حسين، وقد انزعجت السلطات الإسرائيلية من تعيين علي أبو نوار وقالت: "إن تسمية أبو نوار رئيساً لأركان الجيش الأردني يعتبر تركيزاً لميل الجيش نحو مصر، وتساءلت عما إذا كانت العلاقات الإسرائيلية الأردنية ستدخل طوراً دقيقا أكثر مما دخلته العلاقات الإسرائيلية المصرية على طول حدود الهدنة في منطقة غزة". أكرم الحوراني، مذكرات، ص5.

(36) نصت المادتان 53و 54 من الدستور: "على أن الحكومة التي تطرح بيانها الوزاري أن تنظر ماذا سيكون رأي المجلس فيها" بمعنى انه لا يجوز للحكومة التي تتقدم ببيانها الوزاري حل مجلس النواب قبل أن يبدي رأيه في البيان الوزاري. الدستور الأردني المادة: 53-54.

(37) الماضي والموسى، تاريخ الأردن،ج1، ص 635؛ محافظة، العلاقات، ص 252.

(38) أكد المجالي على أن الانتخابات كانت مزورة وكان هو أحد أعضاء مجلس النواب قائلا: "....وأنماط من النواب لو استفتي الشعب في أمرهم لما تبقى منهم في مقاعد النيابية عن الشعب إلا القليل الأقل". المجالي، مذكراتي، ص 189.

(39) النابلسي: مذكرات مسجلة على أشرطة كاسيت لدى ابنه فارس النابلسي.

(40) جريدة فلسطين، 1956/10/18.

(41)جاء تحديد موعد الانتخابات قبل أربعة أشهر من تاريخ الانتخابات عملا بنص المادة 68 من الدستور.

(42) الجريدة الرسمية، ع (1672)، 13/تموز/1956م، ص 1761.

(43)جريدة فلسطين، 1956/10/9م.

(44) الجريدة الرسمية، ع(1297)، 2 تشرين أول 1956م، ص 2122-2142.

(45)جريدة فلسطين، 5 /10/ 1956.

(46) George. L. Harris: Jordan Its people its Sociality its Culture, Cpoland; Hraf press, 1958, p.76-77.

(47)الضباط الأحرار: حركة سرية عسكرية ضمت مجموعة من الضباط تشكلت عام 1948م، وانتهت عام 1957م، عرفت في البداية باسم "التنظيم السري للضباط الوطنيين في الجيش الأردني"،وبعد قيام ثورة 1952م بمصر، عرفت باسم "حركة الضباط الأردنيين الأحرار"، وكانت للحركة هيئة تأسيسية ضمت عناصر من جميع الوحدات العسكرية في الجيش من مختلف الأسلحة: المدفعية، والهندسة، والدروع، ووحدات المشاة ومن أبرز قادتها: شاهر أبو شحوت، ومحمود المعايطه وأحمد زعرور، وكان للحركة نظام داخلي اشتمل على: التأكيد على العلاقات الديمقراطية في اجتماعات الحركة، واعتماد أسلوب الانتخابات للمراكز القيادية، والحرص على أمنها وسلامة أسرارها، وعدم إفشاء هذه الأسرار، وكانت الحركة تهدف إلى طرد كلوب باشا عن قيادة الجيش. شاهر يوسف أبو شحوت: قصة حركة الضباط الأحرار (1952-1957) (عمان: مركز الأردن الجديد للدراسات 1992)، ص 59-60؛مقابلة مع ضافي الجمعاني، مادبا، 1999/5/12م؛ مقابلة محمود المعايطه في منزله، عمان، 1999/4/6.

(48) شاهر أبو شحوت، حركة الضباط الأردنيين الأحرار، ص98.

(49) النابلسي، مذكرات.

(50) R.H.D, Vol. 8, P. 668, F.O, 371/127878, Tel. From British Embassy Amman to F.O, 4/8/1956.؛ د.ك.و 311/2723 تقارير السفارة العراقية في عمان الموضوع الانتخابات، و14، ص 38.

(51) R.H.D, Vol. 8, P. 668, F.O, 371/127878, Tel. From British Embassy Amman to F.O, 4/8/1956.

(52) النابلسي، مذكرات؛ د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و14، ص 38؛ ناجي علوش: الثورة والجماهير،(بيروت: دار الطليعة، 1962)، ص 86.

(53) جريدة فلسطين، 1956/10/3م.

(54) المصدر نفسه، 1956/10/15م.

(55) المصدر نفسه، 1956/10/11م.

(56) جريدة الهدى، ع (145)، 1956/10/15م.

(57) علي سعادة: تاريخ المعارضة السياسية في الأردن 1921-1993،(عمان: جريدة الدستور، ع(9319) 1993)، ص 19.

(58) Naseer Aruri: Jordan A study in Political Development (1921-1965) (The Hayne Mattinus), Wijhof, (1972) p.134.

(59) ازدادت الاعتداءات الإسرائيلية على الأردن في عام 1956م لقلق إسرائيل من التطورات الداخلية في الأردن، وخاصة بعد فشل الحكومات المتعاقبة بضم الأردن لحلف بغداد وانتصار الحركة الوطنية بالإعلان عن إجراء انتخابات حرة نزيهة، وتوقيع الأردن اتفاقية عسكرية ثلاثية في عمان بين سوريا والأردن ومصر في 2 تشرين الأول 1956م، والتي كانت تهدف إلى توحيد جبهات الدول المتعاقدة، بالتركيز على الجهود وتنسيق الخطط العسكرية بتبادل المساعدة لتقوية إجراءات الدفاع المشترك لديها تحت قيادة موحدة، من أجل الرد على أي اعتداء عليها، والمحافظة على امن وسلامة شعوبها. R.J.F., Vol.10, P.38, F.O 371/121503, Tel. From B.E Tel Aviv. to F.O, 5/12/1956؛ وزارة الدفاع العراقية، محكمة الشعب، ج3، ص 1143؛.Arurl, op. cit., p. 134

(60) جريدة الهدى، ع (144)، 1956/10/11، ص 1.

(61) المصدر نفسه، ع (146)، 1956/10/13، ص 1.

(62) R.J.F, Vol. 10, P. 42, F.O 371/121503, Tel Tel Aviv to F.O 5/12/56.

(63) مصطفى الأنصاري:أمام المسجد الأقصى تذكره الوثائق بأنه شخص معروف بإخلاصه وولائه للأسرة الهاشمية. R.J.F, Vol 2, P. 373, F.O 371/127990, Bristish Embassy, Amman to F.O.23/8/1956.

(64) R.J.F, Vol 2, P. 373, F.O 371/127990, Bristish Embassy, Amman to F.O.23/8/1956.

(65) علي أبو نوار: حين تلاشت العرب مذكرات في السياسة العربية 1948-1962م، (لندن: دار الساقي، 1990)، ص 250.

(66) المصدر نفسه.

(67) R.H.D, Vol.8, P.674, F.O 371/121469, From B.E. Amman to F.O, London, 17/10/1956.

(68) علي أبو نوار، حين تلاشت العرب، ص 251.

(69) يعقوب زيادين: البدايات، سيرة ذاتية ... أربعون عاما مع الحركة الوطنية،(عمان: دار ابن خلدون، 1980)، ص 73.

(70) R.H.D, Vol.8, P.671, F.O 371/121469, From British Embassay Amman to F.O 29/9/1956.

(71) R.H.D. Vol.8, P. 667, F.O 371/121469, From British Emabassy, Amman to F.O, 4/8/1956.؛ د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الحزبية الشيوعية والبعثية في الأردن الانتخابات والترشيحات، و42، ص 81.

(72)جريدة فلسطين، 1956/10/13م.

(73)جريدة الدفاع، ع (6288)، 1956/10/21.

(74)جريدة الدفاع، ع(6277)، 1956/10/10.

(75) Harris, op. cit, p. 84؛ راتب صالح المجالي: قانون الانتخابات الأردني،(عمان:د.نا 1993م)، ص 108-103.

(76) Harris, op. cit, p. 84؛ راتب المجالي، قانون الانتخابات، ص 103-108.

(77)راتب المجالي، قانون الانتخابات، ص 106-108.

(78) برزت الأحزاب السياسية العقائدية على الساحة الأردنية بعد وحدة الضفتين وصدور الدستور، وقبلهما لم يعرف الشارع الأردني الأحزاب العقائدية، فالأحزاب كانت أردنية تعمل لتحقيق أهداف تتعلق بالأردن وبالسياسية العامة العربية كالوحدة بين الأقطار وكانت المعارضة تهدف إلى الإصلاح ضمن الدولة الأردنية. الماضي، والموسى، تاريخ الأردن ج1، ص_597؛ جمال الشاعر: سياسي يتذكر تجربته في العمل السياسي،(لندن: رياض الريس للكتب، 1987)، ص 160-161.

(79) R.H.D. Vol. 8, P.671, F.O 371/121469, From British Embassy Amman to F.O, London, 29/9/1956.

(80) د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و31، ص 67.

(81) الحزب الوطني الاشتراكي: تأسس في تموز 1954م، وتألفت هيئته التأسيسية من: سليمان النابلسي، وهزاع المجالي، وعبد الحليم النمر، وأنور الخطيب، وحكمت المصري ونجيب الأحمد. ومن أهم مبادئه: اعتبار الأردن وشعبه جزءأ من الوطن العربي والأمة العربية،والحفاظ على النظام القائم،وتحرير الشعب من الفقر والأمية،وتحرير الوطن العربي من السيطرة الأجنبية.المجالي، مذكراتي،ص 142-143؛ نجيب الأحمد: فلسطين تاريخا ونضالا، (عمان: دار الجليل،1985)، ص 628؛ مروان أحمد العبدلات:خريطة الأحزاب الأردنية،(عمان: مؤسسة البلسم، 1992)، ج1، ص 83.

(82) وأبرز مرشحي الحزب: سلمان النابلسي، عبد القادر طاش، عبد الحليم النمر، صالح المعشر، شفيق إرشيدات، داوود الرواحنة، نعيم القسوس، حكمت المصري، أنور الخطيب، سعيد العزة، محمد سالم الذويب، نعيم عبد الهادي، نجيب الأحمد، حافظ الحمد الله. جريدة فلسطين، 1956/10/11م.

(83) المجالي، مذكراتي، ص 198؛ النابلسي، مذكرات.

(84) نجيب الأحمد، فلسطين تاريخاً، ص 138.

(85) أعلن سليمان النابلسي وعبد القادر طاش بأنهما يخوضان الانتخابات عن منطقة عمان على أساس مبادىء الحزب. جريدة الدفاع، ع (6286)، 1956/10/21م.

(86) المجالي، مذكراتي، ص 200؛ Harris, op. cit, p. 77-78.

(87) النابلسي، مذكرات.

(88) هم: عبد الحليم النمر الحمود، حكمت المصري، شفيق أرشيدات، نعيم عبد الهادي،صالح المعشر، سعيد العزة، نجيب الأحمد،حافظ الحمد الله، عبد القادر طاش، محمد سالم ذويب، شراري الرواحنة.

(89) النابلسي، مذكرات؛ موسى عادل بكيز اشردان: الأردن بين عهدين (د.م:د.نا،1973)، ص 180.

(90) الشاعر، سياسي يتذكر، ص 190-191.

(91) النابلسي، مذكرات؛علي محافظة: سليمان النابلسي نشأته والعوامل التي أثرت في تكوين شخصيته، بحث ضمن ندوة سليمان النابلسي، قراءة في سيرته وتجربته،(عمان: مركز الأردن للدراسات والمعلومات، 1997)، ص 31.

(92) النابلسي، مذكرات؛ د.ك.و 311/2727، تقارير السفارة العراقية في عمان، الصراع بين الملك والحكومة، و95، ص 156. ويذكر النابلسي بأن الحكومة عملت على شطب أسماء المؤيدين له وخاصة العجارمة الذين أعلنوا عن تأييدهم له فعندما كانوا يذهبون إلى مراكز الاقتراع المخصصة لهم فكانوا لا يجدون أسماءهم في جداول الناخبين بل في أماكن أخرى. النابلسي، مذكرات.

(93) حزب البعث العربي الاشتراكي:تأسس في الأردن عام 1947م، وبدأ نشاطه سراً، لاستقطاب أعضاء جدد إلى صفوفه وتألفت هيئته التأسيسية من: أمين شقير، وعبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس، وبهجت أبو غربية، ومنيف الرزاز، وسليمان الحديدي،وفي تاريخ 5 شباط 1952م، تقدم الحزب بطلب ترخيص إلى الحكومة للتخلص من الملاحقة القضائية والإدارية لأعضائه. لم توافق الحكومة الأردنية على ترخيصه، بحجة أن أهداف الحزب كانت تدعو إلى مقاومة نظام الحكم وكيان الدولة، وهذا يخالف أحكام الدستور، إلا أن مؤسسي الحزب لم يقتنعوا بهذا الرفض، لذلك بعد صدور قانون الأحزاب عام 1954م أقام أعضاء الحزب دعوى لدى محكمة العدل العليا الأردنية، وقررت في 1955/8/28م فسخ قرار مجلس الوزراء، وبذلك أصبح الحزب قائماً واقتصر برنامج الحزب خلال الأعوام 1950-1955م على:تعريب قيادة الجيش الأردني، السماح بتأسيس الأحزاب السياسية،الغاء

المعاهدة الأردنية البريطانية،إلغاء قوانين الدفاع الأردنية، وإجراء انتخابات حرة. بهجت أبو غربية: عبدالله الريماوي كما عرفته مخطوط، ص 15؛ مصطفى دندشلي: حزب البعث العربي الاشتراكي، 1940-1963م،(دمشق:د نا،د.ت)، ص 173؛الماضي والموسى، تاريخ الأردن،ج1، ص 598؛ سليمان صويص: خريطة الأحزاب السياسية في الأردن، (الأردن الجديد، ع18/17، 1990)، ص 126؛ محافظة، العلاقات، ص 194-195؛ Agil Hyder Hassan Abidi: Jordan Apolitical study from 1948-1957, Bombay, Asia publishing House , 1965, p. 201.

(94) من أبرز مرشحي الحزب: سليمان الحديدي، إبراهيم العابد، فرح اسحق، مصطفى الخصاونة،فايز مبيضين، مرضى قطامين، سالم صقر، عبدالله الريماوي، كمال ناصر، حمدي التاجي الفاروقي، عبدالله نعواس، بهجت أبو غربية، حمدي عبد المجيد، حسني الخفش، مصطفى عودة، فريد غنام.جريدة فلسطين، 1956/10/11م.

(95) مقابلة مع بهجت أبو غربية، عمان 1999/3/22م؛ د.ك.و، 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و14، ص 38.

(96) النابلسي، مذكرات؛ وتذكر الوثائق العراقية أن علي أبو نوار اجتمع مع أعضاء حزب البعث قبل الانتخابات. د.ك.و. 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان الموضوع الانتخابات، و14،ص 38.

(97) R. H.D, Vol.8, P. 72, F.O 371/121469, From British Embassy Amman to Foreigh Office, London, 29/9/1956.

(98) مقابلة مع بهجت أبو غربية، عمان 1999/3/22. كما أن إعداد البرنامج الانتخابي لم يكن من فراغ فقد عقد الحزب عددا من الاجتماعات حتى توصل إلى هذا البيان الانتخابي وجاء على ضوء المعطيات السياسية السائدة على الساحة. محمد جوهر: من الذاكرة،(عمان: دار الكرمل، 1993)، ص 37.

(99) مقابلة مع بهجت أبو غربية، عمان 1999/3/22؛ د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان الموضوع الحزبية الشيوعية والبعثية في الأردن، و42، ص 81.

(100) R.H.Dvol.8, P. 671, F.O 371/121469, British Embassy to F.O, London 29/9/1956؛جريدة فلسطين 56/10/13.

(101)جريدة فلسطين، 56/10/14.

(102) المصدر نفسه 56/10/18.

(103) د.ك.و 311/2733، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و14، ص 38.

(104) ناجي علوش، الثورة والجماهير، ص 106؛ مقابلة مع بهجت أبو غربية، عمان 1999/3/22م.

(105) Harris, op. cit, p. 78؛ مقابلة مع بهجت أبو غربية، عمان 1999/3/22م.

(106) الحزب الشيوعي:أسس عام 1951م بصورة سرية في الأردن، ونشط الحزب بفاعلية في مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وتألفت هيئته التأسيسية من: فؤاد نصار، ونبيه أرشيدات، ويعقوب زيادين، وعيسى مدانات، وفهمي السلفيتي. ومن أهم المبادئ التي نادى بها الشيوعيون: إجراء تغيرات ديمقراطية في البلاد، وإقامة حكم وطني في البلاد، تعريب قيادة الجيش الأردني،المطالبة بإصلاحات اقتصادية واجتماعية لصالح العمال والفلاحين، إيجاد حل عادل لمشكلة فلسطين، وعودة اللاجئين إلى بيوتهم، توحيد نضال الشعب العربي ضد الأنظمة المحافظة والإمبريالية. مقابلة مع يعقوب زيادين، عمان 1999/5/3؛ صويص، خريطة الأحزاب السياسية في الأردن، ص 124؛ أمنون كوهين: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949-1967، ترجمة: خالد حسن،(القدس: مطبعة القادسية، 1988)، ص 49-50؛ محافظة، العلاقات، ص 195؛ كريم السيد: فصائل الحركة الوطنية،(قبرص، الأردن الجديد، ع (18/17)، السنة السابعة 1990)، ص 113؛ Agil Abidi., op. cit., p. 204.

(107) عبد الرحمن شقير، شكري شاهين، فائق وراد، يعقوب زيادين، جودت شهوان، إبراهيم الحباشنة، فخري أسعد، عبد القادر الصالح، فايز الروسان، عبد المجيد أبو حجلة. جريدة فلسطين 1956/10/11م؛ مقابلة مع يعقوب زيادين عمان 1999/5/3م؛ د.ك.و، 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان الموضوع الانتخابات، و14، ص 38.

(108) R.H.D. Vol. 8, P. 672, F.O 371/12469, From British Embassy Amman to F.O, London 29/9/1956. كانت الجبهة هي الهيئة السياسية العليا للحزب، يرفع شعاراتها ويعمل بقراراتها. عبد الحفيظ محمد، هذه الشيوعية، ص 50؛ مقابلة مع يعقوب زيادين، 1999/5/3م.

(109) مقابلة مع يعقوب زيادين عمان 1999/5/3م؛ د.ك.و،311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و14، ص 38.

(110) زيادين، البدايات، ص 74.

(111) المجالي، مذكراتي، ص 43.

(112) R.H.D. Vol.8, P. 671, F.O 371/121469, British Embassry Amman to Foreigh Office London, 29/9/1956.؛ مقابلة مع يعقوب زيادين، عمان، 1999/5/3م. فقد صرح عبد الرحمن شقير قائلا: " خير للأردن أن تستولي عليه إسرائيل، من أن تأتي القوات العراقية إليه". د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان والحزبية والشيوعية والبعثية في الأردن، الانتخابات والترشيحات، و42،ص 80.

(113) د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و31، ص 67.

(114) المصدر نفسه.

(115) جريدة فلسطين 1956/10/3م. وقد خاض الانتخابات عن منطقة عمان وهو معتقل، وحصل على أصوات مرتفعة. زيادين، البدايات، ص 75.

(116) زيادين، البدايات، ص75؛ د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع (الحزبية، الشيوعية، البعثية في الأردن)، و42، ص 81.

(117) زيادين، البدايات، ص 75.

(118) Harris, op.cit, p. 811؛ الشاعر، سياسي يتذكر، ص 119.

(119) المجالي، مذكراتي، ص 197-198.

(120) حركة القوميون العرب:تأسست عام 1952م في الأردن، وجاءت نشأتها على يد بعض خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت ومن أبرز زعمائها: جورج حبش ووديع حداد، أمّا أبرز أعضائها في الأردن فهم: حمد الفرحان، جعفر الشامي، نزار جردانة، محمد ربيع، نايف حواتمة. ونادت الحركة بما نادى به البعثيون، إلا أنها عارضت قيام وحدة الضفتين، ودعت إلى ضرورة توحيد العرب فوق أي اعتبار. محافظة، العلاقات، ص 195؛ Abidi., op.cit., p 204 Agil,؛ كوهين،الأحزاب، ص 139؛جمال الشاعر، سياسي يتذكر، ص 161.

(121) جورج حبش، نزار جردانة، محمد العمد، أحمد الطوالبة. جريدة فلسطين 1956/10/11م.

(122) المصدر نفسه، ص 1؛ الكبيسي، حركة القوميين العرب، ص 134.

(123) كوهين، الأحزاب السياسية، ص 142؛الكبيسي، حركة القوميين العرب، ص 134.

(124) كوهين، الأحزاب السياسية، ص 142.

(125) حزب التحرير:تأسس سراً على يد تقي الدين النبهاني، وفي 17 تشرين الثاني عام 1952 تقدم أعضاء الحزب المؤسسون وهم: تقي الدين النبهاني وداود حمدان ومنير شقير،وغانم عبده بطلب رسمي إلى وزارة الداخلية بهدف الحصول على ترخيص وبعد أن نظر سعيد المفتي وزير الداخلية ورئيس الوزراء بالوكالة في الطلب قام برفضه؛ لأن أهداف الحزب تعارض الدستور نصاً وروحاً، فعلى سبيل المثال هذا الحزب لم يرض بمبدأ التعاقب، وطالب الحزب بحكم منتخب، ولم يعترف بالقومية أساساً سياسياً، بل اعتبر أن الدين الإسلامي يحل محلها، ومن أهم أهدافه: توحيد البلاد الإسلامية، إقامة دولة الخلافة التي تتماشى مع مبادىء الإسلام ومعطياته. كوهين، الأحزاب السياسية 289؛ الماضي والموسى، تاريخ الأردن،ج1، ص 598؛ Agil Abidi, op. cit., p. 201؛محافظة، العلاقات، ص 196.

(126) فارس ادريس، عبد القديم زلوم، اسعد بيوض، يوسف الزعتر، محمد موسى عبد الهادي، أحمد الداعور، عبد العزيز الخياط. عوني جدوع العبيدي: حزب التحرير الإسلامي، (د.م:د.نا،1992)ص 128.

(127) المرجع نفسه، ص 72.

(128) المرجع نفسه.

(129)جريدة فلسطين، 1956/10/18م، ص 1.

(130) كوهين، الأحزاب السياسية، ص 298-299؛ جدوع، حزب التحرير، ص 72-73؛ Harris, op, cit, P. 83

(131) كوهين، الأحزاب السياسية، ص 298، جدوع، حزب التحرير، ص 73.

(132) جماعة الإخوان المسلمون: تعود هذه الحركة في نشأتها إلى عام 1946م، وكانت فرعاً لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، ومن أبرز زعمائها في الأردن: عبد اللطيف أبو قورة، وعبد الرحمن خليفة، ويسمى بـ: المراقب العام، وتدعو الجماعة إلى- التضامن الإسلامي، ومعاداة الغرب،وتطبيق النظام الإسلامي،وإلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية لعام 1948م، وتعريب قيادة الجيش= كوهين، الأحزاب السياسية، ص 203-204؛ ك.و 311/2717، تقارير المفوضية العراقية في عمان، الموضوع تقرير شهر آب 1954، و56، ص 113؛ محافظة، العلاقات، ص 195؛ Agil Abidi, op. cit, p. 201

(133) عبد الباقي جمو، عبد القادر العمري، حافظ عبد النبي النتشة، محمد عبد الرحمن خليفة، اسعد الحسيني، يوسف العظم، فلسطين، 1956/10/13م.

(134) موسى زيد الكيلاني: الحركات الإسلامية في الأردن وفلسطين،(عمان: دار البشر، 1994)، ص 39.

(135) المرجع نفسه.

(136) علي أبو نوار، حين تلاشت العرب، ص 251.

(137) R.H.D. Vol. 8, P. 672, F.O 371/12469, From British Embassy Amman to F.O, London 29/9/1956.

(138) فلسطين 1956/10/11م.

(139)الموسى، أعلام من الأردن، ج2، ص 68؛ Harris, op. cit, p. 83

(140) الحزب العربي الدستوري: تأسس في عمان في نيسان 1956م، وأطلق عليه من باب التندر الماو ماو؛ تعود التسمية إلى حركة الماو ماو في كينيا، والتي كانت تقاوم الاستعمار البريطاني هناك، ولعل سبب التسمية يعود إلى أن أعضاء الحزب كانوا جالسين ذات مرة، ودار حوار ونقاش بينهم، حيث يتحدثون من دون الاستماع والإصغاء بعضهم لبعض، فقال أحد أعضاء الحزب، وأكبر الممولين له توفيق القطان، ما لكم تتحدثون معا مثل الماو ماو، ولعله كان يمزح، ولكن التسمية بقيت ملاصقة لهم خاصة أن الماو ماو كانت ضد بريطانيا. وتألفت هيئته التأسيسية من: رياض المفلح، وأحمد الطراونة، وعبدالله الكليب، وسليم البخيت، ومحمود أبو الغنم، وإسماعيل حجازي. وكان يهدف إلى: تحرير البلاد من السيطرة الأجنبية، ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمواطنين،والتعاون مع البلدان الإسلامية، وتقوية الروابط الاقتصادية مع الدول العربية. الطراونة، رحلتي مع الأردن، ص 56؛ الماضي والموسى،تاريخ الأردن،ج1، ص 601؛ عبد الرحمن شقير: من قاسيون إلى ربة عمون، رحلة العمر،(عمان: الأردن الجديد، 1991)، ص 85؛ Agil Abidi., op. cit., p. 201.

(141) من أبرز مرشحي الحزب: مصطفى خليفة، سليم البخيت، عبدالله الكليب، محمود كريشان، سابا العكشة، محمد أبو الغنم، حمد بن جازي، كامل عريقات، أنور نسيبة، علي عقل، فوزي جرار، إسماعيل حجازي، عبد الفتاح درويش، محمد أخو ارشيدة. فلسطين 1956/10/11م.

(142) المجالي، مذكراتي، ص 200؛ Harris, op. cit, p. 78.

(143)جريدة فلسطين، 1956/10/18م.

(144) المصدر نفسه، 1956/10/19م.

(145) المصدر نفسه.

(146) المصدر نفسه، 1956/10/18م.

(147) المصدر نفسه، 1956/10/11م.

(148) R.H.D. Vol. 8, P. 672, F.O 371/121469, British Embassy Amman to F.O, London, 29/9/1956.

(149) د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و14، ص 38.

(150) Harris, op. cit, p. 83.

(151) جريدة الهدى (1494) 19 تشرين الأول 1956م، ص 1 Harris, op. cit, p. 83.

(152) د.ك.و 311/2723، تقارير السفارة العراقية في عمان، الموضوع الانتخابات، و31، ص 67.

(153) الشاعر، سياسي يتذكر، ص 191؛ علي أبو نوار،حين تلاشت العرب، ص 254.

(154) النابلسي، مذكرات.

(155) المصدر نفسه.

(156)المصدر نفسه

(157) المصدر نفسه.

(158) المصدر نفسه.

(159) المعايطة، الجيش، ص 11.

(160) المجالي، مذكراتي، ص 201.

(161) سليمان الموسى: الإعلام من الأردن، دراسة في التاريخ السياسي الحديث، هزاع المجالي، سليمان النابلسي، وصفي التل، (عمان: دار الشعب، 1986)،ج1، ص 77.

(162) King Hussain: Uneasy Lies the Head An Autobiography, London, Heinmann, 1962, p.128

(163) نجيب الأحمد، فلسطين تاريخاً، ص 639.

(164) النابلسي، مذكرات.

(165) الجريدة الرسمية، ع(1302) 1956/10/3.

(166) وزارة الثقافة والأعلام، الوزارات، ص 44-45.

(167) ملحق الجريدة الرسمية، مذكرات مجلس النواب، العدد (7)، 27 تشرين أول 1957، مجلد1، ص 1.

(168) المصدر نفسه، ص 1-6.

(169) المصدر نفسه، ص 2.

(170) المصدر نفسه، ص 3.

(171) المصدر نفسه، ص 4.

(172) المصدر نفسه.

(173) Mohamad, Ibrahim Faddah: The Middle East In Transition A study of Jordan Foreign policy, London, Asia Publishing in House, 1974, p. 208.

(174) أنتوني أيدن: مذكرات أنتوني أيدن، ترجمة:خيري حماد، القسم الثاني(بيروت: دار مكتبة الحياة، 1961)، ص 364؛ Mohammad Faddah, op, cit, p. 208,

(175) ملحق الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب، العدد (7) تاريخ 29 تشرين أول 1957، مجلد(1)، ص 11.

(176) المصدر نفسه، ص11.

(177) المصدر نفسه، ص 11-12.

(178) المصدر نفسه، ص 15.

(179) المصدر نفسه،ص 16.

(180) المصدر نفسه، ص 27.

(181)المصدر نفسه، ص 37.

(182) المصدر نفسه، ص 39.

(183) المصدر نفسه، ص 40-41.

(184) المصدر نفسه، ص 45.

(185) المصدر نفسه، ص 50.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر غير المنشورة:

1- أبو غربية، بهجت: عبدالله الريماوي كما عرفته، مخطوطة.

2- المعايطة، محمود: حركة الضباط الأحرار وعملية التعريب، عمان 1998.

3- النابلسي، سليمان: مذكرات، مسجلة على أشرطة محفوظة لدى ابنه فارس النابلسي.

ثانيا: الوثائق العربية غير منشورة:

أ- مديرية المكتبات والوثائق الأردنية الملفات رقم:

234،/1/1/11 26،/1/11،248/1/1/11 260/1/1/11،25/1/1/11

ب- وثائق البلاط الملكي العراقي والمحفوظة لدى دار الكتب والوثائق ببغداد (د.ك.و)

ثالثا: الوثائق الأجنبية غير منشورة:

1- Records of The Hashemite Dynasties Trans Jordan Edited: Adel Rush, Vol 8, England, Oxford, 1995.(R.H.D)

2- Ruling Families of Arabia Jordan the Royal Family of Al-Hashim, Edited Adel Rush, Vol 2, Oxford, England, 1991.(R.J.F)

رابعا: الوثائق العربية المنشورة:

1- الجريدة الرسمية الأردنية، لعام 1956.

2- الدستور الأردني الصادر لعام 1952 وجميع تعديلاته.

3- محاضر مجلس النواب الأردني، لعام 1956

4- وزارة الثقافة والإعلام الأردنية، الوزارات الأردنية (1921-1976) عمان:منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دائرة المطبوعات والنشر، د.ت.

5- وزارة الدفاع العراقية، محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة(محكمة الشعب)، ج3،4،بغداد، مطبعة الحكومة 1959.

خامسا: المذكرات:

1- أبو شحوت، شاهر يوسف: قصة حركة الضباط الأردنيين الأحرار 1952-1957، عمان: مركز الأردن الجديد للدراسات 1992.

2- أبو نوار، علي: حين تلاشت العرب، مذكرات في السياسة العربية (1948-1946)، لندن: دار الساقي، 1990.

3- أيدن، أنتوني: مذكرات أنتوني أيدن، ترجمة: خيري حماد، القسم الثاني، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1961.

4- جوهر، محمد: من الذاكرة، عمان: دار الكرمل، 1993.

5- زيادين، يعقوب: البدايات، سيرة ذاتية ... أربعون عاما مع الحركة الوطنية، عمان، دار ابن خلدون، 1980.

6- الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، تجربته في العمل السياسي، لندن: رياض الريس للكتب، 1987.

7- شقير، عبد الرحمن: من قاسيون إلى ربة عمون، رحلة العمر، عمان: مركز الأردن الجديد للدراسات، 1991.

8-الطراونة، أحمد: رحلتي مع الأردن، مذكرات، عمان، مطابع الدستور التجارية، 1997.

9- المجالي، هزاع: مذكراتي، عمان: د.نا 1960.

سادسا: الصحف:

1- الدستور (عمان) 1993.

2- الدفاع (القدس) 1956.

3- العرب اليوم (عمان) 1997.

4- فلسطين (القدس) 1956.

5- الهدى (نيويورك) 1956.

سابعا: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

الأحمد، نجيب. (1985). **فلسطين تاريخا ونضالا**، عمان: دار الجليل.

باكير، حكمت بن الحسن. (1993). **حقائب وزارية** (1921-1992) الزرقاء: مؤسسة باكير.

التنداوي، سمير. (د.ت). **إلى أين يتجه الأردن**، مصر: الدار المصرية للطباعة والنشر.

دندشلي، مصطفى. (د.ت). **حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1963**، دمشق:(د.نا).

شردان، موسى عادل بكزرا. (1973). **الأردن بين عهدين**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

علوش، ناجي. (1962). **الثورة والجماهير**، بيروت: دار الطليعة.

العبداللات، مروان أحمد. (1992). **خريطة الأحزاب السياسية الأردنية**، عمان: مؤسسة البلسم.

العبيدي، عوني جدوع. (1992). **حزب التحرير الإسلامي**، (د.م): (د.نا).

الكبيسي، باسل. (1985). **حركة القوميين العرب**، ترجمة، نادرة الخضري، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

كوهين، أمنون. (1988). **الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949-1967**، ترجمة: خالد حسن، القدس: مطبعة القادسية.

الكيلاني، موسى زيد. (1994). **الحركات الإسلامية في الأردن وفلسطين**، عمان: دار البشير.

محافظة، علي. (1973). **العلاقات الأردنية البريطانية من تأسيس الأمارة وحتى إلغاء المعاهدة (1921-1957)**، بيروت: دار النهار للنشر.

محمد، عبد الحفيظ. (د.ت). **هذه الشيوعية في الوطن العربي**، عمان: مطبعة شاهين.

الموسى، سليمان. (1986). **أعلام من الأردن، هزاع المجالي، سليمان النابلسي ووصفي التل**، ج1، عمان: دار الشعب.

الموسى، سليمان. (1993). **أعلام من الأردن، توفيق أبو الهدى وسعيد المفتي**، دراسة في السياسية الأردنية، ج2، عمان: الرأي المؤسسة الصحفية الأردنية.

الموسى، سليمان والماضي، منيب. (1987). **تاريخ الأردن في القرن العشرين 1900-1959**، ج1، عمان: مكتبة المحتسب،.

ثامنا: الكتب الأجنبية:

Abidi, Aqil. (1965). *Jordan Apolitical Study (1948-1957) Bombay*, Asia Publishing House.

Aruri, Naseer. (1972). *Jordan A study in Political Development (1921-1965) The Hayne*, Mattinus, Wijhof.

Faddah, Mohamad Ibrahim. (1974). *The Middle East In Transition A study of Jordan Foreign Policy*, London, Asia Publishing in House.

Harris, George. (1958). *Jordan, its People, its Society, its Culture*, New Haven, Harf Press.

King Hussain. (1962). *Uneasy lies the Head An Auto Biography*, London Heinemann.

Patai, Rophael. (1958). *The Kingdom of Jordan Princeton*, University Press.

تاسعا: الأبحاث:

الحوراني، هاني والطراونة، سليم. (1984). هكذا سقط حلف بغداد في عمان، قبرص: **مجلة الأردن الجديد**، ع(2).

الحوراني، هاني والعدوان، سعيد. (1984). نشوء وتطور المؤسسات التشريعية والنيابية 1929-1957م، قبرص: **مجلة الأردن الجديد**، ع(2)، كانون الأول.

السيد، كريم. (1990). فصائل الحركة الوطنية، قبرص: **مجلة الأردن الجديد**، ع (18/17)، السنة السابعة.

صويص، سليمان. (1990). خريطة الأحزاب السياسية في الأردن، قبرص: **مجلة الأردن الجديد**، ع(18/17).

محافظة، علي. (1997). سليمان النابلسي، نشأته والعوامل التي أثرت في تكوين شخصيته، بحث ضمن ندوة "**سليمان النابلسي قراءة في سيرته وتجربته**"، عمان: مركز الأردن للدراسات والمعلومات.

عاشرا: دراسات أجنبية منشورة:

1- The Middle East Journal, Washington Vol 10, No. 2 Spring 1956.

2- The Middle East Journal Washington, Vol 10, No.3, Spring 1956.

حادي عشر: المقابلات الشخصية:

1- بهجت أبو غربية، في مطبعته، عمان، 1999/3/22.

2- ضافي الجمعاني، في منزله، مادبا، 1999/5/12.

3- محمود المعايطة، في مقر حزب البعث، عمان، 1999/4/6.

4- يعقوب زيادين، في عيادته، عمان، 1999/5/3.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 439 - 468

تنمية السياحة الرياضية في "المثلث السياحي الذهبي" في الأردن: الواقع الحالي وآفاق التنمية المستقبلية

خالد مقابلة *

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع السياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني وكيفية تنميتها من وجهة نظر السياح الذين يفضلون ممارسة النشاطات الرياضية واقتراح كيفية تطويرها وتفعيلها. تكونت عينة الدراسة من (160) سائحاً من زوار المثلث السياحي الذهبي الأردني ممن يفضلون ممارسة النشاطات الرياضية تم اختيارهم بشكل غرضي للإجابة على الاستبيان كأداة رئيسية لجمع البيانات. أظهرت النتائج أن السياح الرياضيين يثمنون جاذبية المكان والأمن السياحي وتوفر العديد من الخدمات التي يحتاجها السياح الرياضيين. جاء مجال توفر الخدمات في المرتبة الأولى قبل جودة خدمات السياحة الرياضية وتكاليفها من وجهة نظر عينة الدراسة، وتبين أن هناك ضعف في التنسيق بين الفعاليات المعنية بتنمية السياحة الرياضية في المملكة وتسويقها.

أوصت الدراسة بضرورة رسم سياسة واضحة لتنمية السياحة الرياضية وتسويقها بالتنسيق بين المؤسسات والفعاليات السياحية والرياضية، وإبراز أهمية جاذبية الأردن والأمن السياحي الأردني، وضرورة إعداد وتنفيذ استراتيجيات تسويقية فعالة للسياحة الرياضية في الأسواق المستهدفة، وتشجيع القطاع الأهلي على دعم ورعاية النشاطات الرياضية.

المقدمة

اصبحت الحياة الرياضية في المجتمع نشاطا متنوعا ومتداخلا لما للرياضة من ابعاد اقتصادية واضحة ودور سياسي واجتماعي مؤثر. وثمة اهتمام متزايد بالرياضة تركز لحد بعيد على المنشاة والمباراة واهمل الانسان والمجتمع. وتاثرت الرياضة خلال مسيرتها الطويلة بالميزات الاجتماعية الخاصة بكل مرحلة من المراحل التاريخية والحضارية. فمثلا لم تكن الالعاب الالومبية سوى تظاهرة دينية وثقافية تشارك فيها الطبقة المثقفة من المجتمع اليوناني. واستمر الحال في العصور الوسطى حيث كانت الرياضة حكرا على الطبقة الحاكمة من الاقطاعيين والفرسان. اما العصر الحديث فقد شهد انتشارا واسعا وتنوعا ملحوظا للالعاب الرياضية ضمن

* قسم السياحة ، كلية الاثار والانثروبولوجيا، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

كافة شرائح المجتمع بدعم من الجهات الرسمية والاهلية محليا واقليميا وعالميا. ومارس العرب رياضات اهمها ركوب الخيل والصيد والرماية والتي تحتاج لصفات سكان البادية من شجاعة واحتمال وخفة حركة وذكاء. وحديثا عرف العرب مختلف انواع الرياضات بتشجيع من مختلف الجهات والهيئات الرسمية والاهلية لاسباب متنوعة. وازدادة مساهمات الدول العربية في الرياضة محليا وعربيا وعالميا من حيث التنظيم والاهتمام بتدريس مبادئها واصولها وفلسفتها في معاهدها وجامعاتها وتوفير البنية التحتية والفوقية والتشريعات المناسبة التي تضمن تطورها والارتقاء بها. وانتشر الاحتراف الرياضي على نطاق واسع حيث يتم الحديث عن "بورصة" تتداول اسعار اللاعبين وعن ارقام فلكية للصفقات الخاصة بهم. وانتشرت الرياضة الترويحية او رياضة اوقات الفراغ كنوع من انواع الرياضات الفردية او الجماعية التي يمارسها الهواة بقصد المتعة والاستجمام والترويح عن النفس وشغل اوقات الفراغ خاصة في ظل تناقص ساعات العمل وتوفر الوسائل الحديثة في الاتصالات والمواصلات وغيرها. (خضور، 1994: 3-55).

لقد دخلت السياحة في الأردن مجالات عديدة اقتصادية وحضارية وإعلامية. فعلى الصعيد الاقتصادي تعتبر السياحة ركيزة أساسية في دفع عجلة التنمية الاقتصادية في المملكة؛ فقد ارتفعت الإيرادات السياحية من (743.2) مليون دينار عام 2002 إلى حوالي (1.639) مليار دينار عام 2007 (وزارة السياحة والآثار، 2008) وهي بذلك تساعد في تحصيل العملات الأجنبية والحد من الفقر والبطالة وتوزيع التنمية على مختلف المناطق. وفي المجال الثقافي والحضاري تعتبر السياحة فرصة طيبه لالتقاء الشعوب وتفاعل الثقافات والحفاظ على الإرث الحضاري وتعزيز الانتماء والاعتزاز الوطني.

وقد حبا الله الأردن بتنوع كبير ضمن رقعته الجغرافية المحدودة من حيث الاعتدال في المناخ، والتباين في التضاريس، واحتوائه على كنوز سياحية كبيرة، مما ساهم في تطوير أنواع جديدة من السياحة كالسياحة التجارية، والتعليمية، وسياحة المؤتمرات، والسياحة الرياضية التي تتمثل بزيارة المناطق المختلفة للمشاركة في البطولات الرياضية المختلفة أو مشاهدتها.

ويعتبر المثلث السياحي الذهبي (العقبة والبتراء ووادي رم) الركيزة الأساسية للسياحة الأردنية من حيث تنوع وتكامل العرض السياحي من مياه وشواطئ دافئة ونظيفة وجبال ساحرة وصحراء تستهوي المغامرين، إضافة للمواقع التراثية الجذابة والمحميات الطبيعية.

فالسياحة من الوجهة الرياضية توفر فرصاً واسعة لممارسة الرياضات المختلفة التي تستغل عناصر الطبيعة أو تلك التي تحتاج في تنظيمها إلى التسهيلات والأجهزة والمعدات التي تكفل ممارستها. أما بالنسبة للرياضة فإنها من الوجهة السياحية تشبع رغبات الأفراد وتجعلهم يترددون

على الأماكن التي تحقق هذه الرغبة وتطيل مدة إقامتهم فيها وتجعلها أكثر إمتاعاً لسنوات طويلة، مما ينتج عنه تعزيز فرص التفاهم الدولي والسلام العالمي (الشافعي، 2004).

كما يشبع هذا النوع من السياحة الرغبة في ممارسة الرياضات والاشتراك في مسابقاتها أو الاستمتاع بمشاهدة بطولاتها. وتتنوع هذه الرياضات ما بين التزلج على الجليد أو الماء، وصيد الأسماك والحيوانات البرية، والغطس والتجديف، والسباحة والجري، والفروسية، وسباق السيارات والمراكب الشراعية، وركوب القوارب، وغيرها.

ونلاحظ انتعاش السياحة الرياضية في العديد من المقاصد التي تتمتع بميزات وتسهيلات وإمكانيات ومستوى معيشي مرتفع يسمح بإقامة المنشآت الرياضية الملائمة والقرى المتكاملة التي تستوعب وفود السائحين وتيسر لهم الظروف المشجعة من حيث الإيواء والطعام والشراب والترفية والملاعب وغيرها مما يحتاجون إليه. (طاهر، 2001).

ولقد كان للتطور والازدهار الرياضي الذي شهدته الأردن في السنوات الماضية الأثر الأكبر في جذب الرياضيين المحليين والعرب والأجانب، وتشجيع السياحة الرياضية من خلال اهتمام المسئولين بإقامة المنشآت الرياضية السياحية من فنادق ومطاعم وملاهي مزودة بجميع الخدمات والمرافق والوسائل التي تلائم الاهتمامات الرياضية.

فقد تطورت لعبة كرة القدم في المملكة منذ عام 1925 حيث كانت وقفا على طلبة مدرسة التجهيز الذين كانو يمارسونها على اعتبار انها لعبة كيفما كانت الحال. ويشير البعض انها دخلت الاردن عن طريق افراد القوات البريطانية المتواجدين في الاردن في تلك الفترة. وفي عام 1928 تم تشكيل اول فريق لكرة القدم واجرى مباراة خارجية مع فريق نادي بردى السوري في دمشق باسم فريق الاردن. وتاسس نادي الاردن عام 1928 تلاه نادي الامير طلال ثم النادي الشركسي والنادي القوقازي في صويلح. وتم تشكيل الاتحاد الرياضي العام سنة 1948 تفرع منه عدة لجان متخصصة لتشرف على الالعاب الرياضية المختلفة تحولت فيما بعد الى اتحادات لبعض الالعاب وذلك للمشاركة بالدورة الرياضية العربية الاولى التي اقيميت عام 1953 في الاسكندرية. تشكل اول فريق كرة سلة في الاردن عام 1936 واقيمت اول مباراة خارجية بكرة السلة في عمان عام 1943. في عام 1953 تم تشكيل لجنة تحضيرية للاتحاد الرياضي الاردني.وتم تاسيس اول اتحاد رياضي اردني يشرف على جميع الالعاب الرياضية عن طريق لجان فرعية عام 1953 للمشاركة في الدورة العربية الاولى التي اقيمت في الاسكندرية عام 1953. وفي عام 1957 تم تأسيس الاتحاد الاردني لكرة السلة. كما اقامت اقامت الكلية العلمية الاسلامية في اذار 1948 اول بطولة محلية بكرة الطاولة. تلاها في كانون الاول 1955 اول بطولة عربية بكرة الطاولة في دمشق. ثم شارك الاردن ولاول مرة بفريق للسيدات عام 1956. وفي عام 1957 تم تاسيس اول اتحاد اردني لكرة

الطاولة. شارك الاردن لاول مرة في كرة اليد في الدورة العربية الثالثة التي اقيمت في الدار البيضاء في المغرب عام 1961. وتأسست مؤسسة رعاية الشباب بتاريخ 1966/10/16 بموجب قانون رعاية الشباب. وفي نهاية عام 1976 تم الغاء مؤسسة رعاية الشباب وحلت مكانها وزارة الثقافة والشباب برئاسة الشريف فواز شرف. وفي عام 1981 تم انشاء اتحاد رياضي للمعاقين (جنكات والدويري، 1999: 34-65).

وقد بلغ الانتاج القائم للانشطة الرياضية في المملكة 10921 الف دينار والقيمة المضافة 5026 الف دينار كما بلغ عدد الطلبة الملتحقين بالجامعات الاردنية في تخصصات التربية الرياضية 2763 منهم 1548 من الاناث (دائرة الاحصاءات العامة، 2006).

وقد شهد القطاع الرياضي في المملكة تطورا واضحا من حيث البنية التحتية والفوقية والتشريعات والتنظيم والاداء. فانتشار المدن الرياضية المتكاملة في المدن الرئيسية، كما نجد التوسع الافقي والعمودي في النوادي والمراكز الرياضية وبيوت الشباب والمشاركة الاوسع من كافة شرائح المجتمع في النشاطات الرياضية والحضور الاردني في المباريات والنشاطات الرياضية الدولية. ويعزز هذا التطور الرياضي الواضح اننشار الجامعات في كافة ارجاء المملكة بما تمثله من اهتمام بتوفير الخدمات الرياضية لطلبتها، اضافة لاهتمام العديد منها بتدريس العلوم الرياضية. وللمجلس الاعلى للشباب دورا محوريا في تطوير وتعزيز وتبني المهارات الرياضية للشباب الاردني في كافة المحافظات من خلال استراتيجية مدروسة وهادفة.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من حيث:

1) إثراء الجانب المعرفي حول واقع السياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني وكيفية تنميتها واستفادة كثير من المؤسسات الأردنية كوزارة السياحة الأردنية وهيئة تنشيط السياحة ووزارة التخطيط والتعاون الدولي وسلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة والمجلس الأعلى للشباب والإتحادات والنوادي الرياضية الأردنية وغيرها من نتائج هذه الدراسة للنهوض بهذا النمط السياحي الواعد.

2) أهمية المثلث السياحي الذهبي (العقبة، البتراء، وادي رم) من حيث التنوع والجذب السياحي، خاصة ما يرتبط بالسياحة الرياضية سواء كانت سياحة رياضات مائية أو صحراوية أو ثقافية أو سياحة مغامرة أو غيرها، خاصة بعد فوز البتراء كأحد عجائب الدنيا الثقافية السبع الجديدة.

3) كما وتتبع أهمية الدراسة من كون الرياضة تساهم مساهمة فعالة في دعم الكثير من القطاعات من حيث المساهمة الاقتصادية،إضافة لدورها الثقافي والاجتماعي والبيئي.

4) وتعد هذه الدراسة من الدراسات العلمية النادرة التي تناولت موضوع السياحة الرياضية في الأردن عموما وفي المثلث السياحي الذهبي بشكل خاص.

مشكلة الدراسة

أخذ الاهتمام بمختلف أنواع الرياضات مساحة في الإستراتيجية الوطنية للمجلس الأعلى للشباب والاستراتيجية الوطنية للسياحة من اجل النهوض بالمستوى الرياضي الذي يظهر فيه اللاعبون والمتنافسون في مختلف المسابقات المحلية والإقليمية والدولية.

ولعل استضافة الأردن لمختلف الدورات والبطولات الرياضية كدورة الحسين الرياضية ودورة الوفاء للحسين خير مثال على هذا النجاح، حيث لاقت اهتماماً جماهيرياً وإعلامياً، لما حظيت به من الإعداد الجيد وتوافر الكفاءات المتمكنة لإخراجها بشكل حضاري متميز. ومنها كذلك رالي السيارات الذي ينظم سنويا في الأردن، واعتبار مرحلة الأردن احد المراحل المكونة للرالي الدولي للسيارات، مما يوفر مساحة إعلانية دولية للترويج للأردن ومعالمه من خلال هذه المشاركات. هذا بالإضافة إلى سباق التحمل الذي أصبح الأردن مقصدا رئيسيا وفريدا لتنظيمه، خاصة في وادي عربه الذي يتبع حاليا لسلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة.

ومع التطور الملحوظ الذي شهدته المملكة في تنمية السياحة الرياضية وتسويقها، إلا أنها لازالت تواجه ضعفاً واضحاً في استغلال المواقع السياحية المتوفرة بالشكل الأمثل لجذب الوفود الرياضية أو إقامة اللقاءات والبطولات الرياضية في تلك الأماكن السياحة والربط بشكل واضح بين السياحة والرياضة، خاصة في منطقة العقبة والبتراء ووادي رم، الأمر الذي أثر سلباً على مساهمة الرياضة بإنعاش الجانب السياحي في الأردن، خاصة في ظل غياب استراتيجية وطنية واضحة المعالم لتنمية وتسويق السياحة الرياضية.

وتتمحور مشكلة الدراسة حول الإجابة على السؤالين الرئيسيين التاليين:

- ما هو واقع السياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني، وبالأخص ما يتعلق ببرامج التنمية والتسويق؟
- كيف يمكن النهوض بهذا النمط الخاص من السياحة وتنميته وتسويقه بالأساليب العلمية الحديثة وبما يعزز الصورة الذهنية للسياحة الأردنية ويضاعف من المنافع المتحققة لجميع الشركاء في عملية التنمية السياحية المستدامة؟

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم جمع البيانات الثانوية من مصادرها المختلفة واستخدم الاستبيان لجمع المعلومات الأولية الخاصة بالدراسة وتم تحليلها باستخدام نظام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع السياح القادمين إلى المثلث السياحي الذهبي الأردني (العقبة، والبتراء، ووادي رم) بهدف ممارسة النشاطات الرياضية أو مشاهدتها خلال الفترة حزيران- أيلول 2007م، علما بأنه لا يوجد إحصاءات رسمية أو غيرها تبين أعداد السياح بهدف ممارسة النشاطات الرياضية في المملكة.

عينه الدراسة: تم اختيار 171 سائح بالطريقة الغرضية من السياح الأردنيين والعرب والأجانب المتواجدين في المثلث السياحي الذهبي الأردني خلال فترة الدراسة ممن يمارسون النشاطات الرياضية. وبعد تدقيق الاستبيانات التي تم استرجاعها تم اعتماد 160 استبيان واستبعاد 11 استبيان لعدم ملاءمتها للتحليل.

أداة الدراسة: بعد مراجعة الأبحاث والكتب والمراجع العلمية والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة، تم تحديد فقرات الاستبيان بالصورة الأولية ومن ثم عرضها على مجموعة من الخبراء والمحكمين في السياحة والتربية الرياضية، حيث تمت إعادة صياغة الفقرات طبقا لما أشار إليه الخبراء والمتخصصين حتى أصبح الاستبيان بصورته النهائية التي تم ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية.

تم توزيع الاستبيانات في أماكن ممارسة النشاطات الرياضية بعد قيام أفراد عينة الدراسة بالاستفادة من الخدمات الرياضية المتوفرة في الموقع السياحي. بلغت حصيلة الجمع (160) استبيان من أصل (171) استبيانا منها (70) استبياناً باللغة العربية و(101) استبياناً باللغة الانجليزية، حيث تم استرجاع (60) استبياناً باللغة العربية و(100) استبياناً باللغة الإنجليزية. ومن ثم تم تفريغ البيانات وإدخالها في الحاسوب لمعالجتها إحصائياً.

ثبات أداة الدراسة: تم حساب معامل الثبات لكل محور من محاور الدراسة باستخدام أسلوب كرونباخ ألفا حيث بلغت قيمة ألفا 0.91 للفقرات الخاصة بتقييم الخدمات السياحية في الموقع السياحي و0.84للعوامل الخاصة بتقييم توفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية و0.83 للعوامل الخاصة بتقويم أهمية عوامل السياحة الرياضية، وللأداة ككل بلغت قيمة ألفا 0.84.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى ما يلي:

1) التعرف على الأبعاد التنموية والتسويقية الخاصة بالسياحة الرياضية في المملكة.

2) دراسة أهم العوامل التي تؤثر في رضا السياح الرياضيين القادمين للمملكة.
3) تحليل تقويم السياح الرياضيين للخدمات والتسهيلات الخاصة بالسياحة الرياضية في المملكة.
4) تقديم اقتراحات وآليات عمل تساهم في النهوض بالسياحة الرياضية وتعزيز مساهمتها في برامج التنمية المستقبلية في المملكة.

أسئلة الدراسة: تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:

1) ما مدى تقويم السياح للخدمات السياحية في المثلث السياحي الذهبي الأردني؟
2) هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح للخدمات السياحية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس والجنسية وعدد مرات الزيارة والغرض الرئيسي من الزيارة؟
3) ما مدى توفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني من وجهة نظر السياح؟
4) هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح لتوفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس والجنسية وعدد مرات الزيارة والغرض الرئيسي من الزيارة؟
5) ما مدى تقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني؟
6) هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس والجنسية وعدد الزيارة والغرض الرئيسي من الزيارة؟

المعالجة الإحصائية: تم استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) وتم استخدام المعالجات الإحصائية التالية: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية بالإضافة إلى استخدام تحليل التباين الرباعي واختبار شيفيه للمقارنات البعدية.

الدراسات السابقة

يمكن النظر للسياحة الرياضية على أنها السفر للمشاركة في النشاطات الرياضية أو مشاهدة نشاطاتها وتشجيع اللاعبين محليا او خارج حدود البلد (De Knop and Standeven, 1998). ويتميز قطاع السياحة الرياضية بالتعقيد وتداخل العديد من القطاعات في نشاطاته وتدني مرونة عناصره الرئيسية، مما يحد من سرعة الاستجابة لأذواق العملاء، إضافة لصفاته الخدمية مثل عدم

القابلية للّمس والتخزين وسرعة التلف، والموسمية والتغيرات المستمرة في رغبات وأذواق العملاء وتنوع السوق السياحي (Augustyn, 1996: 436-454). وتقع السياحة الرياضية ضمن تصنيف السفر للمشاركة في الحدث الرياضي أو لمشاهدته. وعليه فإن السياحة الرياضية يمكن أن تعرف بأنها زيارة الأماكن السياحية من خلال المشاركة في الأنشطة الرياضية أو مشاهدتها. ويمكن أن تكون السياحة الرياضية سلبية أو ايجابية. فسياح الرياضة السلبية هم الذين قدموا لمشاهدة البطولات والدورات الرياضية واجازاتها، أما سياح الرياضية الايجابية فهم الذين يشاركون في الأنشطة الرياضية واجازاتها، حيث تكون الرياضة هي الهدف الرئيسي من الرحلة (Hall, 1998).

وهنـاك نوعان من أجازات الأنشطة الرياضية: إجازة الأنشطة الرياضية الفردية، وإجازة الأنشطة الرياضية الجماعية المشتركة حيث تكون هناك عدة أشكال من الرياضة (نوادي رياضية، أو مخيم تدريبي). وهذان النوعان من الرياضة يعرفان من خلال المشاركة في رياضة منظمة خلال الإجازة على شكل مجموعات مثل:الألعاب الشاطئية، أو من خلال الرياضات الخاصة أو المستقلة كالمشي أو لعب الغولف (De Knop and Standeven, 1998).

وفي العصر الروماني كان الأباطرة يرعون مباريات القتال حتى الموت، لنفس الغرض الذي تسعى لتحقيقه المؤسسات السياحية والرياضية حاليا من حيث استقطاب احترام الجمهور وتحقيق الأهداف المنشودة من خلالهم (Ukman, 1984).

هناك صعوبة في تحديد حجم صناعة السياحة الرياضية نظرا لتداخل النشاطات والفعاليات والقطاعات وتنوعها. فالبعض يركز على حجم الإنفاق على تسويق النشاطات الرياضية والمعدات والتجهيزات الرياضية في تحديد حجم الصناعة. وما من شك في أن حجم الصناعة كبير ومتنامي ومؤثر، إلا أن القدرة على تحديد الإطار العام والأبعاد المحددة لها يساعد في تحديد وقياس آثارها الفعلية في المقصد السياحي (Shannon, 1999).

ومع تزايد الطلب على مقاصد سياحية جديدة وتنوع وتغير وتطور وتعقيد حاجات وأذواق السياح العالميين، والتهديدات التي خلقتها السياحة الجماهيرية للمواقع الأثرية، وتنوع العرض السياحي وتطور السلوك الشرائي للسياح، توجهت العديد من المقاصد للاعتماد على استراتيجيات إدارية وتسويقية بشكل علمي منظم باستخدام المدخل الشمولي في الإدارة والتسويق بحثا عن التميز والفرادة من خلال توقع حاجات السياح وتوفيرها بشكل منافس (Franch, 2002).

ومع تطور السياحة العالمية وزيادة الاعتماد على الرحلات الجماعية المنظمة، أصبح منظمو الرحلات السياحية يتمتعون بالنفوذ في السوق السياحي العالمي والسيطرة على عملية التوزيع السياحي العالمي. وهكذا أصبح لزاما على المقاصد السياحية أن تسوق خدماتها من خلال منظمو

الرحلات السياحية الذين أصبح لهم كبير الأثر في استقطاب وتنظيم وإدارة السياحة الرياضية ونشاطاتها (Della Corte, 2004; Alvino, 2003) .

ومن ناحية أخرى يؤكد باحثون على الجانب الاقتصادي للأحداث الرياضية في دراساتهم حول عمليات قضاء أوقات الفراغ. ويشير العديد منهم إلى أن الأثر الاقتصادي للأحداث الرياضية الرئيسية ذا أهمية خاصة عند العمل على جذب الاستثمارات في قطاع الرياضة. وبنفس الاتجاه يؤكد العديد منهم أن العوائد الاقتصادية المتوقعة قد حفزت العديد من المدن على المشاركة في حقل السياحة الرياضية (McMahon and Yeoman, 2004). ومن أجل زيادة هذه العوائد هناك ضرورة لإجراء تعاون مستمر بين المؤسسات الرياضية والسياحية. ومن المؤكد انه من خلال العمل التعاوني تستطيع المؤسسات تخفيض كلفة التسويق وبنفس الوقت زيادة حضور جمهور الرياضة من خلال تعزيز دور الرياضة خلال المواسم المختلفة (Graham, *et al*., 2001).كما أن الفوائد الاقتصادية للسياحة الرياضية للمدن المضيفة كبيرة جداً خاصة إذا تم نقل الأحداث الرياضية عبر وسائل الاعلام، أو كانت نوعية الأحداث الرياضية جيدة وقادرة على جذب عدد كبير من المشاهدين، هذا بالإضافة إلى أن السياحة الرياضية يمكن أن يكون لها أبعادا سياسية خاصة لتلك الحكومات الداعمة لها (Masterman, 2004).

فمثلا بلغ الإنفاق على رعاية النشاطات الرياضية 2.5 بليون دولار أمريكي عام 1990 (Schlossberg, 1991). كما أن كل دولار يُنفق على رعاية النشاطات الرياضية يقابله إنفاق خمسة دولارات على جوانب تسويقية أخرى مثل الإعلانات والترويج في الصحف والتلفاز. وقد قدرت النفقات على تسويق النشاطات الرياضية بحوالي 15 بليون دولار أمريكي عام 1991م منها حوالي 23.52 بليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها (Eisenhart, 1988). فالسياحة الرياضية تحقق منافع اقتصادية للمقصد السياحي من خلال طول مدد الإقامة للاعبين والكوادر الفنية والإدارية والمشجعين، وزيادة إنفاقهم، وتكرار زيارتهم. وتعتبر السياحة الرياضية أحد أهم عوامل الجذب السياحي الحديث التي تحقق التنوع والتغيير في مصادر الجذب السياحي للدولة، إلا أن المجال الرياضي الذي كان منذ القدم أحد الوسائل الهامة للتعارف والترويح عن النفس وإظهار القوة والقدرة الجسمانية أصبح الآن أحد الوسائل السياحية التي يتهافت عليها الافراد من كل صوب. ويشير طاهر (2001) إلى أن تحقيق فوائد السياحة الرياضية للدولة يتم عن طريق الإعلام المباشر وغير المباشر قبيل وأثناء وبعد الحدث الرياضي، وتوعية الشعوب رياضياً وسياحياً، والتعبئة العامة للفنادق وأماكن الإقامة على اختلافها، وازدياد الحركة والقوة الشرائية في البلاد، وتشغيل مرافق الدولة من وسائل نقل وترفيه وغيرها.

وعندما حظرت الولايات المتحدة الأمريكية ظهور الإعلانات التلفزيونية للسجائر على الشاشة الصغيرة في عام 1971، وجدت شركات الدخان ملاذها في رعاية النشاطات الرياضية، خاصة

سباقات السيارات ومسابقات التنس (Cornwell, 1989: 289-293). وضمن اولمبيات لوس انجيلوس عام 1984 أصبحت بداية التسويق السياحي الفعلي بتحويل النشاطات الرياضية إلى تجارة ربحية (Schlossberg, 1996) حيث كانت الاولمبيات الأولى التي تعتمد على موارد مالية من القطاع الخاص بدلا من الاعتماد على الموارد المالية الحكومية.وبينما كانت الاولمبيات السابقة تمثل خسائر للمدن المنظمة، أصبحت الاولمبيات مصدر ربح لها، رغم انتقاد العديد لمستوى الإعلانات التجارية لهذه النشاطات الرياضية.

ومع التطور والنمو السريع في النشاطات الرياضية، أصبح هناك توسع وتنوع كبير في النشاطات التي يمكن ممارستها وتسويقها من وجهة نظر سياحية (Ritchie and Adair, 2004). وقد ساعدت زيادة الاهتمام والتغطية الإعلامية العالمية للأحداث والنشاطات السياحية الرياضية على الوصول إلى كل من السياحة والرياضة لشرائح واسعة من الجماهير العالمية (Hudson, 2003). فمثلا حظيت مباريات الغولف العالمية في أمريكا الشمالية وأوروبا واليابان وغيرها باهتمام إعلامي عالمي واسع جعل منها نشاطا عالميا له سوقه الخاص. وساعد هذا في الحد من الموسمية السياحية في العديد من المقاصد السياحية والتي كانت تسوق نفسها اعتمادا على شواطئها الدافئة لتصبح تعتمد على التسويق لغايات ممارسة رياضة الغولف، مما ساعد في إطالة الموسم السياحي وتعظيم المنافع السياحية المتحققة للمقصد. وهنا تعتمد الإستراتيجية على جذب لاعبي الغولف الذين ينفقون مبالغ كبيرة ويقيمون لفترات زمنية طويلة. ومن المقاصد السياحية الأخرى التي نجحت في هذه السياسة على سبيل المثال قبرص والبرتغال وتونس والمغرب وسريلانكا والفلبين (Readman, 2003: 165-201).

ويبدو أن هناك فجوة بين الدول الغنية المصدرة للسياح والدول النامية التي تبحث عن الاستفادة من السياحة من حيث طبيعة فهم حاجات ورغبات السياح وتوفير ما يحتاجونه بدلا من الاعتماد على السياحة التقليدية الجماهيرية (Palmer, 2004). وبالتالي لا بد من فهم طبيعة الزائر وسلوكه في المقصد السياحي على اعتبارها إحدى التحديات المهمة التي تواجه مدراء المقاصد السياحية الرياضية، واعتبار سلوك الزائر خليط من الخصائص المادية، والمشاعر والانفعالات، وفهم سلوك السائح الرياضي بالشكل المطلوب (Millington, *et al*., 2000). وتبين نظرية السلوك المخطط له على أنه يمكن تنبؤ سلوك السائح بناءاً على اتجاهات ومعايير موضوعية، ويتم تقييم سلوكيات السياح بناء على الكلفة والفائدة، وأيضاً بناءاً على المخرجات السلبية والايجابية التي يمكن أن تتولد نتيجة هذه السلوكيات التي يمكن أن تمارسها الأسواق السياحية (Ajzen and Driver, 1992).

هناك العديد من الدراسات التي تناولت تجارب العديد من الدول في مجال السياحة الرياضية. ففي دراسة تحليل النشاطات الترويجية لسياحة المغامرات في اسكتلندا توصلت الدراسة إلى أن وسائل الترويج الجيدة قادرة على جذب الزوار والسياح إلى المناطق المسوق لها بشكل جيد (Page, *et al.* , 2006). وفي دراسة زيادة ولاء الزبائن في منتجعات التزلج في اليونان بيّنت الدراسة انه يمكن التنبؤ بدرجة التعلق بالمكان بشكل كبير من خلال التفاعل بين الزائر والمكان ومن خلال أبعاد نوعية الخدمة المقدمة (Alexandris, *et al.*, 2006). وفي دراسة في منطقة الكاريبي أظهرت نتائج الدراسة وجود نقاط قوة وضعف في البنية التحتية، كما أشارت أيضاً إلى عدم وجود تركيز موجه نحو السياسات والمسائل النظرية والتشغيلية المرتبطة بالسياحة الرياضية (Sinclaire, 2001). وفي دراسة حول سياحة الغوص في استراليا توصلت الدراسة إلى أن تقديم نوعية جيدة وعلى مستوى عالٍ تعتبر من أهم العوامل المساهمة في توجه هؤلاء السياح إلى مقاصد الغطس (O'Neil, 2001). كما أوضحت دراسة أخرى بأن (77.7% من الاستراليين منخرطون بشكل او بآخر في النشاطات الرياضية، وان الرياضة تساهم في توظيف حوالي 2% من الأيدي العاملة (www.draft.gov.au/aib/sport.html). وقد قدرت نسبة السياح القادمين بهدف ممارسة النشاطات الرياضية بحوالي 5-10% من مجمل زوار المملكة المتحدة عام 2002 (www.emda.org.uk).

تحليل البيانات ومناقشة النتائج

وصف أفراد عينة الدراسة

يتضح من الجدول (1) أن معظم أفراد عينة الدراسة (66.3%) هم من فئة الذكور. وقد يعود ذلك لتوجه اهتمامات الذكور نحو الرياضة وإشباع ميولهم ورغباتهم بممارسة الأنشطة الرياضية بدرجة اكبر من الإناث خاصة إذا اقتضت المشاركة والمبيت خارج المنزل أو السفر خارج البلد الأصلي، إضافة إلى ملائمة العديد من النشاطات الرياضية للذكور أكثر منها للإناث كما هو الحال في سباق الدراجات والغوص وراليات السيارات وسباقات التحمل. كما يظهر من الجدول أن معظم أفراد عينة الدراسة هم من الجنسيات الأوروبية بنسبة مئوية بلغت (42.0%) وأقلها الأردنية بنسبة (8.8%).

ويبين الجدول أن (44.4%) من أفراد العينة زاروا الموقع لأول مرة، بينما تكررت زيارة (55.6%) من أفراد العينة. ففي غالب الحالات نلاحظ أن الأردنيين والعرب من زوار المثلث السياحي الذهبي يرغبون بقضاء أوقات الفراغ أو مشاهدة المناظر الطبيعية بدلا من ممارسة النشاطات الرياضية.

والنسبة المرتفعة لتكرار الزيارة يعود في الغالب لكون المثلث السياحي الذهبي الأردني من المعالم السياحية الجاذبة والتي تستقطب العديد من السياح لزيارتها،حيث يتمتع الزائر بجمال المكان وجاذبيته في كل زيارة يقوم بها، ولا يكاد أي برنامج سياحي للمملكة يخلو من زيارة البتراء التي تم تتويجها كأحد عجائب الدنيا الثقافية السبع الجديدة فضلا عن كونها العاصمة السياحية للمملكة. كما أن وجود العقبة كمنفذ بحري وحيد للمملكة على البحر الأحمر بشواطئها الدافئة، وفرادة وادي رم في مجال سياحة المغامرة وقرب هذه المواقع من بعضها البعض وتكامل ميزاتها وتوفر الخدمات والتسهيلات المطلوبة فيها يساهم في تكرار الزيارة لها. (51.3%) من عينة الدراسة زاروا الموقع بغرض ممارسة النشاطات الرياضية، و(35.6%) لقضاء وقت الفراغ، و(21.9%) لزيارة المواقع الأثرية، و(1.3%) للعلاج. وهذه الفئة الأخيرة جاءت بنسبة متدنية نتيجة لطبيعة المكان إذ يغلب عليه طابع التشويق والمغامرة. وهذا التنويع في أهداف الزيارة يمنح فرصاً واسعة لترويج السياحة الرياضية وجذب الشرائح المختلفة من السياح إلى المنطقة. ولا بد من التذكير هنا أن الاستبيان قد تم توزيعه في مناطق ممارسة النشاطات الرياضية في منطقة الدراسة مما زاد من نسبة الإجابات الخاصة بممارسة النشاطات الرياضية كغرض رئيسي للزيارة. كما تعزز هذه الإجابات ما جاء في الدراسات السابقة من علاقة تبادلية وترابط وثيق بين الرياضة والسياحة.

تعرّف (44.4%) من العينة على الموقع من خلال الإنترنت، و(21.9%) من خلال التلفاز، وأقلها عبر الراديو بنسبة (2.5%). وهذا يؤكد الدور المتنامي للشبكة العنكبوتية في مجال ترويج الخدمات السياحية العالمية.وقد سعت المملكة بخطى حثيثة لاستخدام شبكة الانترنت في القطاع السياحي الرسمي والأهلي استجابة للتنافس العالمي المتزايد في هذا الإطار. وتسعى هيئة تنشيط السياحة الأردنية بالتعاون مع الفعاليات والمنظمات السياحية الى ترويج السياحة الأردنية بمختلف المحافل من خلال الانترنت والإعلانات المنظمة في التلفاز والصحف والمجلات والمشاركة في المعارض السياحية.

كما يبين الجدول أن النشاط السياحي الرياضي يغلب عليه طابع الرحلات الفردية غير المنظمة بنسبة (39.4%)، يليها المؤسسات الخاصة (13.8%)، واقلها المؤسسات الرياضية والإتحادات بنسبة (3.8%). وتبرز هنا مشكلة أن معظم النشاطات الرياضية التي يتم تنظيمها في المملكة تأتي ضمن جهود غير منظمة وغياب واضح لشركات السياحة والسفر في تنظيم النشاطات الرياضية في المملكة.

ويبين الجدول (2) أن أكثر الرياضات التي يرغب السياح بممارستها في المنطقة تتمثل برياضة الغوص والسباحة وسباقات التحمل والغطس وتسلق الجبال، وأقلها الرياضات الكروية والطائرات الورقية والرياضات المائية الكروية. وتشهد مدينة العقبة تطورا كبيرا في الآونة الأخيرة

في رياضة الغوص والغطس حيث تم إنشاء العديد من المراكز المتخصصة والمجهزة بأحدث التسهيلات والمعدات والكوادر البشرية المطلوبة.كما أن هناك غياب واضح في استغلال تنظيم النشاطات الرياضية الكروية التقليدية والمائية وغيرها في المنطقة لاستغلال المقومات السياحية المتوفرة وبالتالي مضاعفة المنافع المتحققة من السياحة الرياضية.

جدول (1): توزيع أفراد العينة تبعا لمتغيرات الدراسة

المتغير	التكرار	النسبة المئوية	المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الجنس			**وسيلة التعرف على الموقع**		
ذكر	106	%66.2	الراديو	4	%2.5
أنثى	54	%33.8	الانترنت	71	%44.5
الجنسية			الصحف والمجلات	9	%5.6
الأوروبية	67	%42.0	التلفاز	35	%21.9
الأمريكية	46	%28.6	الأقارب والأصدقاء	16	%10.0
العربية	33	%20.6	المنشورات السياحية	11	%6.9
الأردنية	14	%8.8	الكتب والأدلة السياحية	9	%5.6
عدد الزيارات للأردن			أخرى	5	%3.1
مرة واحدة	71	%44.4	**الجهة المنظمة**		
مرتان	40	%25.0	وكالات سياحية	7	% 4.4 %
ثلاث مرات	3	%1.9	نقابات واتحادات	6	%3.8
أكثر من 3 مرات	46	%28.7	مؤسسة خاصة	22	%13.8
الهدف الرئيسي من الزيارة			مؤسسة حكومية	20	%12.5
قضاء أوقات الفراغ	57	%35.6	مؤسسة رياضية	6	%3.8
مشاهدة المناظر الطبيعية	20	%12.5	رحلة فردية غير منظمة	63	%39.4
التسوق	16	%10.0	غير ذلك	36	%22.3
زيارة المواقع الأثرية	35	%21.9			
العلاج	2	%1.3			
المشاركة بالمؤتمرات	6	%3.8			
زيارة الأقارب	3	%1.9			
ممارسة النشاطات الرياضية	82	%51.3			
أخرى	11	%6.9			

جدول (2): توزيع إجابات أفراد العينة تبعا للرياضات التي يرغب الشخص بممارستها*

الرياضات	التكرار	النسبة المئوية	الرياضات	التكرار	النسبة المئوية
تسلق الجبال	32	%20.0	تزلج على الماء	16	%10.0
المناطيد	24	%15.0	سباق القوارب	11	%6.9
رياضة الخيول والهجن	43	%26.9	الطائرات الورقية	5	%3.1
سباق السيارات	25	%15.6	الرياضات المائية الكروية	8	%5.0
الغوص	57	%35.6	الرياضات الكروية	1	%0.6
الغطس	36	%22.5	مشاهدة النشاطات الرياضية	30	%18.8
السباحة	45	%28.1	أخرى	22	%13.8

* يمكن للسائح اختيار أكثر من إجابة

ما مدى تقويم السياح للخدمات السياحية في المثلث السياحي الذهبي الأردني؟

للإجابة عن السؤال الأول المتعلق بتقويم السياح للخدمات في المثلث السياحي الذهبي تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم السياح لأجزاء مجال الخدمات السياحية في الموقع السياحي والمجموع الكلي لها، كما في جدول رقم (3). ويلاحظ أن تقويم السياح لتوفر الخدمات جاء في المرتبة الأولى، متبوعا بجودة وكفاءة الخدمات، وفي المرتبة الثالثة والأخيرة تكاليف هذه الخدمات. وهذا لا شك يحتاج لمراجعة موضوعية لجميع هذه الجوانب، خاصة وأن المتوسطات الحسابية لإجابات عينة الدراسة اقل من المأمول لجميع المجالات الثلاثة.

جدول (3): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم السياح للخدمات السياحية في الموقع السياحي

المجال	عدد الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
تقويم السياح للخدمات من حيث توفرها	10	3.88	0.75
تقويم السياح للخدمات من حيث الجودة والكفاءة	8	3.79	0.87
تقويم السياح للخدمات من حيث التكاليف	6	3.46	1.21
المجموع الكلي	**24**	**3.71**	**0.72**

وفيما يلي عرض للمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع الفقرات ولكل فقرة من فقرات مجال تقويم الخدمات السياحية في الموقع السياحي على حدا:

تقويم الخدمات السياحية في الموقع السياحي من حيث توفرها

تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات هذا المجال والمجموع الكلي لها. يبين الجدول رقم (4) أن "توفر الأمن في الموقع" قد احتلت المرتبة الأولى تلتها في المرتبة الثانية فقرة "توفر وسائل النقل والمواصلات"، وجاءت فقرة "توفر المعدات والتقنيات اللازمة لممارسة النشاطات الرياضية" في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (3.66). وهنا لابد من ضرورة استغلال عوامل القوة المتمثلة بالأمن وتوفر الخدمات المطلوبة من إقامة وطعام وشراب ونقل ومواصلات واتصالات وتعزيزها من خلال برامج ترويج السياحة الرياضية، والحد من تأثير نقاط الضعف المتمثلة بتوفر النشاطات الرياضية المرغوبة وتوفر التسهيلات والمعدات وإجراءات السلامة الخاصة بممارسة النشاطات الرياضية ومحاولة تحويلها إلى عوامل قوة تساهم في تنمية السياحة الرياضية في المنطقة ومضاعفة المنافع المتحققة منها.

جدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم السياح للخدمات السياحية من حيث توفرها

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
توفر وسائل النقل والمواصلات	4.09	0.99
توفر خدمات الطعام والشراب	3.90	1.05
توفر خدمات الاتصال	3.93	0.98
توفر خدمات الإقامة	4.00	0.95
توفر خدمات الترفيه	3.92	1.01
توفر الأمن في الموقع	4.11	0.98
توفر المعلومات المتعلقة بالموقع السياحي	3.77	1.07
توفر النشاطات الرياضية	3.74	1.02
توفر المعدات والتقنيات اللازمة لممارسة النشاطات الرياضية	3.66	1.06
توفر إجراءات السلامة المرتبطة بممارسة النشاطات الرياضية	3.72	1.00
المجموع الكلي	**3.88**	**0.75**

تقويم الخدمات السياحية في الموقع السياحي من حيث الجودة والكفاءة.

تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات هذا الجزء والمجموع الكلي لها كما في الجدول (5). يظهر من الجدول أن فقرة "جاذبية الموقع السياحي" احتلت المرتبة الأولى تلتها فقرة "نوعية خدمات الإقامة" ثم فقرة "جودة خدمات الأطعمة". وجاءت فقرة "فعالية التنسيق بين الجهات المختصة بتنظيم النشاطات الرياضية" في المرتبة الأخيرة من وجهة نظر السياح الرياضيين.ولا بد هنا من الاستفادة من جاذبية الموقع وجودة الخدمات المقدمة فيه وتعظيم فوائدها، وكذلك خلق أجواء من التناغم والتنسيق بين الجهات المعنية بتنمية وتسويق السياحة الرياضية، وعلى رأسها المجلس الأعلى للشباب وهيئة تنشيط السياحة ووزارة السياحة والنوادي والإتحادات الرياضية وجمعية السياحة الوافدة وغيرها من الجمعيات والمؤسسات السياحية لتحقيق منفعة مشتركة لجميع أصحاب المصالح في تنمية السياحة الرياضية.

جدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم السياح للخدمات السياحية من حيث الجودة والكفاءة

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
جودة خدمات الأطعمة	3.80	1.01
نوعية خدمات الإقامة	3.86	1.00
جاذبية الموقع السياحي	4.05	1.02
مستوى تنظيم النشاطات الرياضية	3.71	1.00
خبرة الجهات المنظمة للنشاطات الرياضية	3.75	0.93
كفاءة المدربين والمختصين في الأنشطة الرياضية	3.76	1.05
فعالية التنسيق بين الجهات المختصة بتنظيم النشاطات الرياضية	3.63	1.03
كفاءة العاملين	3.76	1.08
المجموع الكلي/جودة وكفاءة الخدمات	**3.79**	**0.87**

تقويم الخدمات السياحية من حيث التكاليف.

تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات هذا الجزء والمجموع الكلي لها كما في جدول (6)، حيث جاءت المتوسطات الحسابية لجميع الفقرات متقاربة لحد بعيد. ويظهر من الجدول أن أعلى متوسط حسابي كان لفقرة "تكاليف المواصلات" وتأتي فقرة "تكاليف خدمات الإقامة" في المرتبة الثانية يليها "تكاليف الطعام والشراب". وفي المرتبة الأخيرة كانت فقرة "تكاليف استخدام الأجهزة والمعدات الرياضية". ويلاحظ في العادة أن السياح ينظرون إلى

الأسعار على أنها مرتفعة على اعتبار أن الخدمات السياحية تتسم بارتفاع الأسعار في جميع المقاصد السياحية عالميا، مع الأخذ بالاعتبار التباين النسبي لأسعار المقاصد السياحية. ولا بد من محاولة التغيير في إدراك الزوار حول أسعار خدمات السياحة الرياضية، خاصة ما يتعلق بتكاليف استخدام الأجهزة والمعدات من قبل الرياضيين.

جدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم السياح للخدمات السياحية من حيث التكاليف.

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
تكاليف الطعام والشراب	3.44	1.23
تكاليف خدمات الإقامة	3.52	1.15
تكاليف المواصلات	3.63	1.11
تكاليف ممارسة النشاطات الرياضية	3.41	1.15
تكاليف استخدام الأجهزة والمعدات الرياضية	3.39	1.28
رسوم دخول المواقع السياحية	3.41	1.13
المجموع الكلي/تكاليف الخدمات	**3.46**	**1.01**

هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح للخدمات السياحية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة؟

للإجابة عن السؤال الثاني المتعلق بوجود فروقات دالة إحصائيا في تقويم السياح للخدمات السياحية تبعا لمتغيرات الدراسة، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة تقويم السياح للخدمات السياحية في المواقع السياحية تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة.

يظهر من التحليل أن المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح للخدمات السياحية للذكور والإناث كانت متقاربة حيث بلغ المتوسط الحسابي للذكور (3.78) وللإناث (3.68). كما أن المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح للخدمات السياحية (من حيث توفرها وكفاءتها وتكاليفها) تبعا لمتغير الجنسية بلغت أعلاها للجنسية الأوروبية (4.15) تلاها الأمريكية (4.11) ثم العربية (3.63) وأخيرا الأردنية (3.34). يظهر من الجدول رقم (16) أن المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح للخدمات السياحية تبعا لمتغير عدد مرات الزيارة إلى الأردن بلغت أعلاها في حالة أكثر من ثلاث زيارات (3.91) تلاها ثلاث زيارات (3.86) ثم مرتان (3.78) وأقلها زيارة واحدة (3.20). ومن حيث الغرض الرئيسي من الزيارة تراوحت المتوسطات

الحسابية بين (3.43 و4.22) وكان أبرزها للعينة التي زارت المثلث السياحي الأردني بغرض ممارسة النشاطات الرياضية (4.22) تلاها قضاء أوقات الفراغ (4.12) ثم زيارة المواقع الأثرية (4.07) ومشاهدة المناظر الطبيعية (4.04) والتسوق (3.93) والمشاركة بالمؤتمرات (3.82) وزيارة الأقارب (3.70) والعلاج (3.43) وفي المرتبة الأخيرة أغراض أخرى غير المذكورة أعلاه (3.09).

وبغرض الكشف عن الفروق بين المتوسطات الحسابية السابقة في درجة تقويم السياح للخدمات السياحية في المثلث السياحي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة، تم تطبيق تحليل التباين الرباعي (4- Way-ANOVA) كما في الجدول رقم (7). يظهر من الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح للخدمات السياحية تبعا لمتغيرات (الجنس، والجنسية، وعدد الزيارات)، ووجود فروق دالة إحصائيا بين المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح للخدمات السياحية تبعا لمتغير (الهدف من الزيارة)، حيث بلغت قيمة (ف) لمتغير الغرض من الزيارة (2.96) بدلالة إحصائية (0.00). وبغرض الكشف عن مواقع الفروق تم تطبيق اختبار (Scheffe) للمقارنات البعدية لمتغير الغرض من الزيارة حيث تبين أن مواقع الفروق على متغير الغرض من الزيارة كانت بين (ممارسة النشاطات الرياضية وكل من العلاج وزيارة الأقارب) لصالح ممارسة النشاطات الرياضية، حيث بلغ المتوسط الحسابي لها (4.22) بينما بلغ لهدف العلاج (3.43) ولهدف زيارة الأقارب (3.70). كما تبين وجود فروق بين (مشاهدة المناظر الطبيعية وكل من أهداف العلاج وزيارة الأقارب)، وكانت الفروق لصالح مشاهدة المناظر الطبيعية بمتوسط حسابي بلغ (4.04) في حين بلغ المتوسط الحسابي لأهداف العلاج (3.43) ولأهداف زيارة الأقارب (3.70). بينما لا توجد فروق دالة إحصائيا عند بقية المقارنات.

ما مدى توفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني من وجهة نظر السياح؟

للإجابة عن السؤال الثالث المتعلق بتوفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم أفراد عينة الدراسة لفقرات مجال توفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الأردني، والمجموع الكلي لها كما في الجدول رقم (8).

جدول (7): نتائج تحليل التباين الرباعي (4-Way ANOVA) لكشف الفروق في درجة تقويم السياح لمجال الخدمات السياحية تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة(ف)	مستوى الدلالة
الجنس	0.97	1	0.97	1.92	0.16
الجنسية	5.57	3	1.85	0.92	0.52
عدد مرات الزيارة	3.17	7	0.45	0.90	0.50
الغرض من الزيارة	11.96	8	1.49	2.96	* 0.00
نسبة الخطأ	66.01	131	0.50		
المجموع الكلي	87.68	150			

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∝=0.05)

يظهر من الجدول (8) أن الفقرة الخاصة بعامل "الشعور بالأمن" احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (4.31) وانحراف معياري (0.96)، ثم جاءت الفقرة الخاصة بـ "سمعة الأردن بين دول العالم" بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (4.18) وانحراف معياري بلغ (1.12)، وكانت الفقرة الخاصة بتقويم العوامل من حيث "فعالية تسويق النشاطات الرياضية" قد احتلت المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (2.23) وانحراف معياري (0.84). أما المجموع الكلي لدرجة توفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية فبلغ (3.49). وهذا يشير إلى درجة متوسطة في توفر العوامل المرتبطة بالسياحة الرياضية.

هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح لتوفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة؟

للإجابة عن السؤال الرابع حول وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح لتوفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية تبعا لمتغيرات الدراسة، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتوفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس والجنسية وعدد مرات الزيارة والغرض من الزيارة. تبين أن المتوسطات الحسابية لدرجة تقييم السياح لتوفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية للذكور والإناث كانت متقاربة حيث بلغ المتوسط الحسابي للذكور (3.66) وللإناث (3.56). ومن حيث الجنسية حصلت الجنسية الأمريكية على متوسط حسابي بلغ (3.91)، تلاها الجنسية الأوروبية

بمتوسط حسابي (3.77)، ثم الأردنية بمتوسط حسابي (3.32) وفي النهاية الجنسية العربية بمتوسط حسابي (3.28). ومن حيث تكرار الزيارة، بلغ أعلى متوسط حسابي للزيارة (3 ثلاث مرات فأكثر) حيث بلغ (3.6)، ثم جاء المتوسط الحسابي لعدد الزيارات ثلاث مرات (3.34)، ثم زيارتان (3.25) ثم زيارة واحدة (3.00). كان أعلى متوسط حسابي لهدف ممارسة النشاطات الرياضية (4.05)، ثم جاء المتوسط الحسابي لهدف قضاء أوقات الفراغ (3.80)، ثم لهدف مشاهدة المناظر الطبيعية (3.73) ثم زيارة المواقع الأثرية، والمشاركة في المؤتمرات، وزيارة الأقارب، والتسوق،والعلاج، والأغراض الأخرى بمتوسطات حسابية بلغت (3.72)، 3.68)، 3.54)، 3.50)، (3.26) و(3.11) على التوالي. وبغرض الكشف عن الفروق بين المتوسطات الحسابية السابقة في درجة تقويم العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة، تم تطبيق تحليل التباين الرباعي كما في الجدول (9).

جدول (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم السياح لفقرات مجال توفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية

العامل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الشعور بالأمن	4.31	0.96
سمعة الأردن بين الدول	4.18	1.12
توفر البنية التحتية	3.90	1.05
الأجهزة والمعدات اللازمة لممارسة النشاطات الرياضية	2.43	0.94
ملائمة التجهيزات الرياضية للمعايير العالمية	2.32	0.82
القدرة على تنظيم النشاطات الرياضية على المستوى العالمي	2.30	0.83
اهتمام الجهات الرسمية بدعم النشاطات الرياضية	3.48	1.17
الدعم والرعاية المالية للنشاطات الرياضية	3.60	1.01
فعالية تسويق النشاطات الرياضية	2.23	0.84
التسهيلات والخدمات الرياضية	3.66	1.13
الحضور الأردني الفاعل في النشاطات الرياضية	3.61	1.02
الوعي الرياضي للمواطن الأردني	3.61	0.99
التسهيلات على المعابر والحدود للرياضيين	3.74	1.00
التميز والفرادة بين دول الإقليم	3.70	1.15
مستوى النظافة	3.81	0.92
مستوى الضيافة	3.73	1.12

العامل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التعامل مع الحالات الطارئة	4.08	0.86
الخدمات الطبية الرياضية	3.72	1.00
مستوى الإعلام الرياضي	3.63	0.98
جودة الخدمات الصحية	3.75	0.85
المجموع الكلي	**3.49**	**0.67**

جدول (9): نتائج تحليل التباين الرباعي لكشف الفروق في درجة تقويم السياح لمجال توفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية تبعاً لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد الزيارات، والغرض من الزيارة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
الجنس	0.96	1	0.96	0.51	0.47
الجنسية	1.27	3	0.42	0.56	0.86
عدد الزيارات إلى الأردن	2.45	7	0.35	1.86	0.08
الهدف من الزيارة	9.96	8	1.24	6.62	0.00 *
نسبة الخطأ	24.64	131	0.188		
المجموع	39.28	150			

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a =0.05)

يظهر من الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح لتوفر عوامل السياحة الرياضية في الأردن تبعا لمتغيرات (الجنس، والجنسية، وعدد الزيارات إلى الأردن) ووجود فروق بين المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح لتوفر عوامل السياحة الرياضية تبعا لمتغير (الهدف من الزيارة) حيث بلغت قيمة (ف) لمتغير الهدف من الزيارة (6.62) بدلالة إحصائية (0.00) وهي قيمة دالة إحصائيا لمتغير الهدف من الزيارة. وبغرض الكشف عن مواقع الفروق تم تطبيق اختبار (Scheffe) للمقارنات البعدية لمتغير الهدف من الزيارة. يوضح ذلك الجدول أن مواقع الفروق على متغير الهدف من الزيارة كانت بين (ممارسة الأنشطة الرياضية وكل من العلاج والتسوق) لصالح ممارسة الأنشطة الرياضية، حيث بلغ المتوسط الحسابي لممارسة الأنشطة الرياضية (4.05) بينما بلغ لهدف العلاج (3.26) ولهدف التسوق (3.50). كما تبين وجود فروق بين (قضاء أوقات الفراغ وكل من العلاج والتسوق)، وكانت الفروق لصالح قضاء أوقات الفراغ حيث بلغ المتوسط الحسابي لها (3.80) في حين بلغ

المتوسط الحسابي لأهداف العلاج (3.26) ولأهداف التسوق (3.50)، بينما لا توجد فروق دالة إحصائيا عند بقية المقارنات.

ما مدى تقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الأردني؟

للإجابة عن السؤال الخامس المتعلق بتقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الأردني، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم أفراد العينة لفقرات مجال أهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني، والمجموع الكلي لها،كما في الجدول (10).

يظهر من الجدول أن الفقرة الخاصة بعامل "فعالية تسويق النشاطات الرياضية" والفقرة الخاصة بعامل "مستوى الإعلام الرياضي" جاءتا بالمرتبة الأولى وبمتوسط حسابي(4.25)، أما اقل المتوسطات الحسابية فقد بلغت (3.65) وكانت للفقرة الخاصة بتقويم أهمية العوامل من حيث "التسهيلات على المعابر والحدود للرياضيين". وقد بلغ المجموع الكلي لدرجة أهمية عوامل السياحة الرياضية (3.96). وهذا يشير إلى درجة مرتفعة في أهمية العوامل لتطوير السياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني.

هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة؟

للإجابة عن السؤال السادس المتعلق بوجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الدراسة، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة تقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة. جاءت المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح لأهمية عوامل السياحة للذكور والإناث متقاربة حيث بلغ المتوسط الحسابي للذكور (3.98) وللإناث (3.93). كما أن المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح لأهمية عوامل السياحة الرياضية تبعا لمتغير الجنسية بلغت أعلاها في حالة الجنسية الأوروبية (4.37) تلاها الأمريكية (4.20) ثم العربية (4.06) والأردنية (3.15). ومن حيث عد مرات الزيارة، فقد جاءت في المرتبة الاولى (أربع مرات فأكثر) بمتوسط حسابي (4.12) تلاها (ثلاث مرات) بمتوسط حسابي (3.98) ثم (مرتان) بمتوسط حسابي(3.8) وفي النهاية (مرة واحدة) بمتوسط حسابي (2.65).

ومن حيث الغرض الرئيسي من الزيارة تبين أن أعلى متوسط حسابي كان لهدف ممارسة النشاطات الرياضية حيث بلغ (4.40)، ثم جاء المتوسط الحسابي لهدف مشاهدة المناظر الطبيعية وبلغ (4.06)، ثم لهدف زيارة المواقع الأثرية حيث بلغ المتوسط الحسابي (4.01)، ثم زيارة الأقارب (3.96)، فالتسوق (3.95) فقضاء أوقات الفراغ (3.77) فالمشاركة في المؤتمرات (3.65) فالعلاج (3.22) وفي النهاية الأغراض الأخرى (3.09).

جدول (10): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقويم السياح لفقرات مجال أهمية عوامل السياحة الرياضية

العامل	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**
الشعور بالأمن	4.03	1.03
سمعة الأردن بين دول العالم	3.73	1.05
توفر البنية التحتية	3.81	1.17
الأجهزة والمعدات اللازمة لممارسة النشاطات الرياضية	4.09	0.95
ملائمة التجهيزات الرياضية للمعايير العالمية	4.06	1.11
القدرة على تنظيم النشاطات الرياضية على المستوى العالمي	4.13	1.08
اهتمام الجهات الرسمية بدعم النشاطات الرياضية	4.02	0.99
الدعم والرعاية المالية للنشاطات الرياضية	4.16	1.08
فعالية تسويق النشاطات الرياضية	4.25	0.99
التسهيلات والخدمات الرياضية	4.00	1.07
الحضور الأردني الفاعل في النشاطات الرياضية	3.98	1.16
الوعي الرياضي للمواطن الأردني	3.96	1.03
التسهيلات على المعابر والحدود للرياضيين	3.65	1.08
التميز والفرادة بين دول الإقليم	3.95	1.08
مستوى النظافة	3.94	1.07
مستوى الضيافة	3.93	1.13
التعامل مع الحالات الطارئة	3.89	1.06
الخدمات الطبية الرياضية	3.91	1.07
مستوى الإعلام الرياضي	4.25	0.99
نوعية الخدمات الصحية	3.83	1.12
المجموع	**3.96**	**0.84**

وبغرض الكشف عن الفروق بين المتوسطات الحسابية السابقة في درجة تقويم السياح لأهمية العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني تبعا لمتغيرات الجنس، والجنسية، وعدد مرات الزيارة، والغرض من الزيارة، تم تطبيق تحليل التباين الرباعي (4- Way ANOVA) كما في الجدول (11).

جدول (11): نتائج تحليل التباين الرباعي لتقويم السياح لمجال أهمية عوامل السياحة الرياضية تبعاً لمتغيرات الدراسة.

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)
الجنس	3.52	1	3.52	0.00
الجنسية	11.27	3	3.75	1.32
عدد الزيارات	6.8	7	0.97	1.38
الهدف من الزيارة	5.49	8	0.68	0.96
نسبة الخطأ	93.17	131	0.71	
المجموع	**120.25**	**150**		

يظهر من الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لدرجة تقويم السياح لأهمية عوامل السياحة الرياضية في المثلث السياحي الأردني تبعا لمتغيرات (الجنس، والجنسية، وعدد الزيارات إلى الأردن، والهدف من الزيارة).

نتائج الدراسة

1) معظم أفراد العينة من الجنسيات الأوروبية الذين تكررت زياراتهم للمملكة بهدف ممارسة النشاطات الرياضية.
2) اعتبرت عينة الدراسة أن الانترنت هي الوسيلة الأساسية للتعرف على الموقع السياحي.
3) يغلب على الرحلات السياحية الطبيعة الفردية غير المنظمة مع دور محدود للمؤسسات والاتحادات الرياضية وغياب واضح لشركات السياحة والسفر.
4) أكثر الرياضات التي يرغب السياح بممارستها تتمثل برياضة الغوص والسباحة وسباقات التحمل والغطس وتسلق الجبال، وأقلها الرياضات الكروية والطائرات الورقية والرياضات الكروية المائية.
5) جاء تقييم أفراد العينة مرتفعاً لعوامل الشعور بالأمن، وتوفر وسائل النقل، وتوفر خدمات الإقامة، وجاذبية المكان، ونوعية خدمات الإقامة والطعام، وأقلها توفر التقنيات والمعدات اللازمة لممارسة النشاطات الرياضية.

6) ضمن مجالات الدراسة الرئيسية الثلاث، احتل توفر الخدمات الخاصة بالسياحة الرياضية المرتبة الأولى تلاها جودة الخدمات ثم تكاليفها من وجهة نظر عينة الدراسة.

7) احتلت جاذبية الموقع السياحي ونوعية خدمات الإقامة وجودة خدمات الأطعمة المراتب الأولى، واحتلت عملية التنسيق بين الجهات المختصة بتنظيم النشاطات الرياضية المرتبة الأخيرة.

8) من حيث تكاليف الخدمات، جاءت تكاليف المواصلات بالمرتبة الأولى تلاها تكاليف الطعام والشراب وفي المرتبة الأخيرة تكاليف استخدام الأجهزة والمعدات الرياضية.

9) من حيث العوامل الخاصة بالنشاطات الرياضية جاء الشعور بالأمن في المرتبة الأولى تلاها سمعة الأردن بين دول العالم، وفي المرتبة الأخيرة فعالية تسويق النشاطات الرياضية.

10) لا يوجد فروقات ذات دلالة إحصائية بين تقويم السياح لتوفر العوامل الخاصة بالسياحة الرياضية تبعا لمتغيرات الجنس والجنسية وعدد مرات الزيارة، بينما يوجد فروقات ذات دلالة إحصائية تبعا للغرض الرئيسي من الزيارة لصالح ممارسة الأنشطة الرياضة.

11) من العوامل الهامة لتنمية السياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي الأردني من وجهة نظر عينة الدراسة تسويق النشاطات الرياضية ورفع مستوى الإعلام الرياضي وتوفير الدعم والرعاية المالية لإقامة النشاطات الرياضية في الأماكن السياحية.

12) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تقويم السياح لأهمية عوامل السياحة الرياضية تبعا لمتغيرات الدراسة.

التوصيات

من أهم التوصيات والمقترحات التي تقدمها الدراسة:

1) التأكيد على أهمية تعزيز أهمية السياحة الرياضية ضمن السياسات والإستراتيجيات الخاصة بالمؤسسات السياحية والرياضية في المملكة، والبعد عن التركيز على الأنماط السياحية التقليدية وتعزيز التوجه نحو السياحة البديلة وعلى رأسها السياحة الرياضية لما يتوفر في المملكة من غنى وتنوع فريد في مقوماتها.

2) تعزيز التنسيق والتعاون بين الجهات السياحية الرسمية والأهلية من جهة والمؤسسات والمجلس الاعلى للشباب والاتحادات الرياضية لتعظيم المنافع المتحققة من السياحة الرياضية في المملكة من خلال تعظيم التكامل بين السياحة والرياضة.

3) زيادة الاهتمام بتسويق النشاطات السياحية الرياضية في الأسواق السياحية والاستفادة من التميز والتكامل المتوفر في إطار السياحة الرياضية، والتأكيد على دور المؤسسات الإعلامية في ترويج نشاطات السياحة الرياضية محليا وإقليميا وعالميا.

4) تشجيع القطاع الأهلي على دعم ورعاية النشاطات الرياضية واستضافة الدورات الرياضية ومساندة الرياضة والرياضيين بالتنسيق مع الجهات المعنية في القطاعين السياحي والرياضي.

5) دراسة وتحليل المقومات السياحية الرياضية في المملكة وترويجها باستخدام الأساليب والأدوات العلمية المناسبة، خاصة الشبكة العنكبوتية التي أصبحت في متناول الجميع والأكثر استخداما في العديد من الأسواق السياحية.

6) إبراز عوامل الأمن السياحي وجاذبية الأردن كمقصد سياحي وتنوع المقومات السياحية الرياضية ضمن برامج تنمية وتسويق السياحة الرياضية في المملكة.

7) مضاعفة الاهتمام بالرياضيين الأردنيين وتشجيع المؤسسات والنوادي الاتحادات الرياضية على بناء علاقات بناءة مع مثيلاتها خارج الأردن، خاصة في الوطن العربي.

8) التأكيد على ضرورة إدماج شركات السياحة والسفر ومؤسسات الضيافة في تخطيط وإدارة النشاطات الرياضية في المملكة للوصول إلى أفضل النتائج الخاصة بالسياحة الرياضية.

9) زيادة التركيز على تنمية وترويج السياحة الرياضية في المثلث السياحي الذهبي نظرا لتوفر وتنوع المقومات والخدمات السياحية من مقومات وخدمات خاصة بالسياحة المائية وسياحة المغامرة والسياحة الثقافية، ولما حققته كل من العقبة والبتراء ووادي رم من سمعة سياحية عالمية.فالبتراء ورم تم تسجيلها على قائمة التراث العالمي من قبل اليونسكو، والعقبة هي المنفذ البحري الوحيد للمملكة على البحر الأحمر وتتميز بشواطئها الدافئة وشعبها المرجانية الجذابة.

10) تعزيز جودة خدمات السياحة الرياضية من خلال توطيد أواصر التعاون بين الفعاليات المعنية باستغلال مقومات السياحة الرياضية في المملكة والنهوض بمستواها وتحقيق المزيد من المنافع لكافة الشركاء في تنميتها وتسويقها.

11) التنسيق بين كافة الجهات المعنية، وعلى راسها المجلس الاعلى للشباب وهيئة تنشيط السياحة بتنمية وتسويق السياحة الرياضية في المملكة للحد من إدراك عينة الدراسة لارتفاع تكاليف بعض الخدمات الخاصة بالسياحة الرياضية تشجيعا للرياضة والرياضيين.

12) توفير الخدمات السياحية التي يحتاجها المواطن السائح وبما يتناسب مع امكانياته وقدراته في المواقع الجاذبة للرياضة والرياضيين.

13) ضرورة الاهتمام بالتسويق الجيد للمنتج الأردني من السياحة الرياضية ووضع خطط وسياسات تسويقية وإعلامية لاجتذاب السياح من مختلف الأسواق السياحية من عشاق مختلف أنواع الرياضات وتشجيعهم على زيارة المثلث السياحي الذهبي الأردني وممارسة هواياتهم طوال العام. ويمكن في هذا السياق استغلال المشاركة والدعم الملكي الواضح للرياضة والرياضيين.

14) العمل على جذب الاستثمارات والدعم المالي لإقامة المشروعات الخاصة بتوفير امكانات الترويح والرياضة.

15) إقامة المهرجانات والمناسبات الرياضية بالقرب من المناطق السياحية والأثرية في المثلث السياحي الذهبي الأردني لجذب الشباب الرياضي في العالم للاشتراك بها وجذباً لهواة مشاهدة مثل هذه المناسبات.

16) العمل على إتاحة الفرصة للرياضيين للتمتع ببعض المميزات أثناء انعقاد المناسبات والمهرجانات الرياضية، وفي مقدمتها زيارة المتاحف والمناطق السياحية برسوم تشجيعية بالتنسيق مع وزارة السياحة والاثار وهيئة تنشيط السياحة والمجلس الاعلى للشباب، حيث أن ذلك يعتبر أحد المتغيرات والمحفزات لتكرار الزيارة والبقاء لأطول مدة ممكنة بعد انتهاء المناسبة الرياضية.

17) إعداد وتنفيذ برامج توعية سياحية بهدف التعريف بالسياحة الرياضية وأبعادها وتعزيزها كمفهوم وممارسة من خلال تصميم برامج سياحية تتناسب مع حاجات الشباب الأردني وإمكانياته وتشجيع الشباب على المشاركة بمثل هذا النوع من السياحة.

18) العمل على دعم وتطوير المكاتب السياحية الأردنية في الخارج وخاصة في الدول التي تقع على قمة الدول المصدرة للسياحة إلى الأردن وإلزامها بالقيام بتشجيع السياحة الرياضية وإدراجها ضمن برامجها السياحية.

Developing Sport Tourism in the "Golden Tourism Triangle” in Jordan: Current Situation and Future Development Prospects

Khalid M.A. Magablih, *Department of Tourism, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study sought to investigate the existing status of sport tourism in the "Golden Tourism Triangle" in Jordan, and how to develop it from the point of view of tourists willing to practice sport activities. A purposive study sample of 160 sport tourists in the research area were selected to answer the questionnaire as a main study tool.

The study showed that tourists appreciate the attractiveness and safety of the destination as well as the availability of facilities and services needed by tourists. Tourists placed the availability of tourism services of prime importance, followed by the quality and cost of tourism services. It also revealed the weakness of coordination among the organizations and institutions responsible for sport tourism development and marketing.

The study suggested the necessity of formulating a clear policy for developing and marketing sport tourism in coordination with the concerned institutions and activities. In addition, the study proposed emphasizing the importance of the attractiveness and safety of Jordan as a tourist destination, the need for formulating and implementing effective marketing strategies for sport tourism in targeted markets, and encouraging the private sector to support and sponsor sport activities.

قدم البحث للنشر في 2008/5/22   وقبل في 2009/1/26

المراجع

جنكات، سمير والدويري، لطف الله. (1999). **الرواد: الرياضة والشباب في الاردن، روادها ومؤسسوها**، وزارة الثقافة والشباب /عمان.

خضور، اديب. (1994). **الاعلام الرياضي: دراسة علمية للتحرير الرياضي في الصحافة والاذاعة والتلفزيون**، المكتبة العلمية دمشق – سورية.

دائرة الاحصاءات العامة، **الكتاب الاحصائي السنوي**، العدد 57، عمان – الاردن، 2006م.

الشافعي، حسن. (2004). **الموسوعة العلمية للإدارة الحديثة**، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية.

طاهر، عادل. (2001). **الرياضة والسياحة**، المجلس الدولي للتربية البدنية والرياضية، القاهرة، مصر.

مديرية الإحصاء والمعلومات، وزارة السياحة والاثار، عمان، الاردن، 2007 م.

Ajzen, I. and Driver, B.L. (1992). Application of the Theory of Planned Behavior to Leisure Choice , *Journal of leisure Research*, 24(3):207-225.

Alexandris, K., Kouthari, C. and Melgdis, A. (2006). Increasing Customers' Loyalty in a Skiing Resort: The Contribution of Place Attachment and Service Quality", *International Journal of Contemporary Hospitality Management*, 18(5): 414-425.

Alvino, F. (2003). Sce*lte di valore e politiche di sviluppo delle aziende tour operating*, Giappichelli, Torino.

Augustyn, M. (1996). "*Opportunities for Co-operative Sport Tourism Marketing*", in Pigeassou, C, Ferguson, R. (Eds), The World of Sport Management and Sport Management Throughout the World, Montpellier.

Cornwell, T.B. (1989). "*Tattooed Women and Tractor Pulls: Sports Marketing Examined*", in Gordon, Kellerman (Eds), Advances in Marketing, Proceedings of the Southwest Marketing Association.

De Knop, P. and Standeven, J. (1998). "Sport Tourism: A New Area of Sport Management", *European Journal for Sport Management*, 5(1):30-45.

Della Corte, V. (2004). *La Gestione Strategica e le Scelte di Governo di un'impresa Tour Operator*, Cedam, Padova.

Eisenhart, T. (1988), "*Sporting Chances Zap Competitors*", Business Marketing, pp. 92-97.

Franch, M. (Ed.) (2002). *Destination Management*, Governare il Turismo tra Locale e Globale, Giappichelli, Torino,.

Graham, S., Neirotti, L. and Goldblatt, J. (Eds) (2001). *The Ultimate Guide to Sports Marketing*, McGraw-Hill, NY.

Hall, C.M. (1998). *Imaging Tourism and Sports Events Fever: the Sydney Olympics and the Need for a Social Character for Mega – events*, in Gratton, C. and I.P.Henry (eds.), *Sport in the City: The Role of Sport in the Economic and Social Regeneration*, London: Routledge, PP. 166-183.

Hudson, S. (2003). *Sport and Adventure Tourism*, Haworth, New York, NY,.

Masterman, G. (2004). "*Sport Events: A New Planning Process*", Sport and Leisure Operations Management, London,183-198.

McMahon- Bealtie, U. and Yeoman, I. (Eds.) (2004). *Sport and Leisure Operations Management*, Thomson Learning , London.

Millington, K., Locke, T. and Locke, A. (2000). "Adventure Travel", *Travel and Tourism Analyst*, 4: 65-97.

O'Neil, p.W., Martin, A., Martin, M. and Ronald, G. (2000). "Diving into Service Quality – the Dive Tour Operator Perspective", *Managing Service Quality*, 10(3):131-140.

Page, S., Steele, W. and Gunell, J. (2006). "Analyzing the promotion of A adventure Tourism", Scotland , *Journal of Sport Tourism* , 11:51-76.

Palmer, C. (2004). "More than just a game: the consequences of golf tourism", in Petrick, J.F. (2002)," Experience Use History as A Segmentation Tool to Examine Golf Travelers' Satisfaction, Perceived Value and Repurchase Intensions", *Journal of Vacation Marketing*,8(4):332-342.

Readman, M. (2003), "*Golf Tourism*", in Hudson, S. (Eds), Sport and Adventure Tourism, Haworth, New York, NY.

Ritchie, B. and Adair, D. (Eds) (2004). *Sport Tourism: Interrelationships, Impacts and Issues*, Channel View, Clevedon.

Schlossberg, H. (1991). "Sports Marketing", *Journal of Promotion Management*, 1(1):119-122.

Schlossberg, H. (1996). *Sports Marketing: Global Marketing Perspectives*, Human Kinetics, Cambridge.

Shannon, J.R. (1999). "Sports Marketing: An Examination of Academic Marketing Publications, *Journal of Services Marketing*, 13 (6):517-535

Sinclaire, D. (2005). "Sport Education: A Priority for Caribbean Sport Tourism", *International Journal of Contemporary Hospitality Management*, 17(6):536-548.

Ukman, L. (1984). "*The Special Event: Finding its Niche*", Public Relations Journal, p.21.

www.draft.gov.au/aib/sport.html (accessed on 20/2/2008)

www.emda.org.uk/uploaddocuments/EastMidlandsSportsTourism-FinalReport.pdf (accessed on 20/2/2008).

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 469 - 492

تأثير البرامج التلفزيونية على طلبة جامعة اليرموك

عبدالناصر طبيشات *

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على عدد الساعات التي يتعرض لها طلبة جامعة اليرموك في مشاهدة التلفزيون، ومعرفة اتجاهات الطلبة نحو الموضوعات المعروضة ودور التلفزيون في إشباع حاجات المشاهدين.

واستخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي لتحليل استجابات أفراد العينة في استبانة المقابلة، الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات من مصادر مختلفة.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- إن نسبة الطلبة الذين يشاهدون التلفزيون بين ساعة وساعتين يوميا، كانت النسبة الأعلى بين النسب الأخرى وبلغت (40.7%).
- يفضل غالبية الطلبة مشاهدة التلفزيون في فترة المساء والسهرة، حيث بلغت النسبة (90.7%).
- إن درجة الوعي بين الذكور والإناث تجاه الموضوعات التي تعرض على شاشة التلفزيون تقريبا متساوية.
- معظم المشاهدين يفضلون المحطة التلفزيونية التي تلبي رغباتهم أكثر من تلك التي تلبي حاجاتهم.

أولاً: مقدمة

يعتمد تقدم الدول وتطورها على مدى عنايتها بأجيال المستقبل، على أن هذه الأجيال هي مستقبل الدولة والوطن تعدها كي تحمل مسؤوليتها كاملة، ومن أولويات هذه العناية بالأجيال تخصيص وسائل إعلام لهم في شتى المجالات وبخاصة البرامج التلفزيونية وتحضير أفضل الكفاءات لهم.

إن من أشد احتياجات الوطن الأردني والعالم العربي تركيز المزيد من العناية لأجيال المستقبل التي تشكل نسبة كبيرة من تعداد السكان في الوطن العربي، في حين لا يزيد أي إنفاق على هذه الأجيال طبقا لتقارير المنظمة الدولية على 43%[1] (ولي، 1980).

* قسم الصحافة والإعلام، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ويكتسب التلفزيون أكبر أهمية بين وسائل الإعلام المتعددة، فهم يتميز بأهمية خاصة في حياة الشباب، لأنه وسيلة قادرة على الترفيه والتثقيف سواء بسواء، ومن ثم يؤثر في عقول الأجيال الشابة ووجدانهم ويعد أداة أساسية للتعليم المباشر حيث ينقل للشباب المعلومات والمعارف والأخبار، كما يقدم الكثير من عادات وتقاليد الجماهير المختلفة، كما تزداد أهمية التلفزيون في مجال التثقيف، فهو يجذب الانتباه، ويقضي الشباب مدة طويلة في مشاهدة برامجه.

ولا يقتصر دور التلفزيون في مجال تثقيف الشباب فقط، بل يؤثر في اتجاهاتهم ومواقفهم وسلوكياتهم وتفكيرهم في التعامل مع المجتمع المحيط بهم[(2)] (النجار، 1986).

ولما كان دور التلفزيون مهما لدى الشباب والمجتمع والأسرة، يؤثر ويتأثر الشباب به وببرامجه التي تعرض على شاشاته، فان برامجه قد تتناقض مع أهداف المجتمع، من هنا قام الباحث بدراسة تأثير هذه البرامج على اتجاهات الشباب ومدى توافقها مع أهداف البحث.

مشكلة الدراسة:

رغم ما يبذل من جهود إعلامية لصقل شخصية الشباب ومواهبهم، يبقى الإعلام مقصرا في حجم الاهتمام بالشباب، ذلك الشباب الذي يعد في طبيعته أداة سهلة التشكيل، وعقلية يسهل ملؤها بما يراد. لذا فأمر الشباب يشكل خطرا كبيرا، وبمقدار هذه الخطر لا بد أن يكون مقدار عنايتنا لما يقدم لهم على شاشات التلفزيون، إذ إن الشباب يقضي معظم أوقات فراغه أمام هذا الجهاز الذي يؤثر تأثيرا قويا، ويؤثر في فكرهم ونفسياتهم واتجاهاتهم، ومن هنا تظهر مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

ما أثر البرامج التلفزيونية على طلبة جامعة اليرموك؟

ويتفرع عن السؤال الأسئلة التالية:

- ما عدد الساعات التي يتعرض لها طلبة جامعة اليرموك في مشاهدة برامج التلفزيون؟
- ما هي اتجاهات طلبة جامعة اليرموك نحو البرامج التي يعرضها التلفزيون على شاشاته؟
- ما دور التلفزيون في تحقيق حاجات الطلبة المشاهدين؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

- التعرف على عدد الساعات التي يتعرض لها طلبة جامعة اليرموك في مشاهدة التلفزيون.
- التعرف على اتجاهات الطلبة نحو الموضوعات التي تعرض على شاشة التلفزيون.
- التعرف على أثر ودور التلفزيون في تحقيق حاجات المشاهدين الطلبة.

أهمية الدراسة:

تفيد هذه الدراسة في النواحي التالية:

1. تقدم دليلا للجمهور بأسس مشاهدة التلفزيون اللازمة لهذه الشريحة من الناس.
2. تبرز أهمية برامج التلفزيون بالتأثير على اتجاهاتهم ومعارفهم.
3. تساعد على اكتشاف الآثار السلبية والإيجابية لدى الجمهور.
4. تفتح الطريق أمام بحوث ودراسات أخرى في هذا المجال للمشاهدين بقصد التأثير على اتجاهاتهم ومعارفهم.

حدود الدراسة:

ستقتصر هذه الدراسة على الآتي:

1. طلبة جامعة اليرموك الدارسين في الفصل الدراسي الصيفي للعام الجامعي (2007/2006)، وعددهم (16132) طالبا وطالبة.
2. توزيع استبانة تتكون من (38) فقرة على مستويات: السنة الأولى، السنة الثانية، السنة الثالثة، السنة الرابعة.
3. معرفة أثر برامج التلفزيون على قيمهم ومفاهيمهم وعاداتهم واتجاهاتهم ومعلوماتهم.

منهجية الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات من مصادر متعددة تشخص الواقع دون تأثير، ثم يحلل ويفسر أملا في الوصول إلى تعميمات مقبولة.

مصطلحات الدراسة:

1. التأثير: وهو التغيير الذي يحدث في سلوك الإنسان، ويأتي نتيجة التغيير عن استقبال الإنسان لبعض المعلومات التي تؤثر على مخزونه المعرفي. وبالتالي يتم ترجمته إلى سلوك مغاير للعمل الذي اعتاد أن يقوم به في السابق، وتشترك في التأثير مجموعة من المتغيرات مثل القيم والمواقف والمعتقدات والمعارف والواقع الاجتماعي وآراء الأشخاص الآخرين[(3)] (Schramm, 1977).
2. البرامج التلفزيونية: مجموعة الأعمال التي تقدم للمشاهد من خلال التلفزيون ضمن خريطة تعدها إدارة البرامج.
3. جامعة اليرموك: هي إحدى الجامعات الرسمية الأردنية، وتقع في مدينة إربد في شمال الأردن.

ثانياً: خطوات الدراسة

للإجابة على التساؤلات التي تحددت بها مشكلة الدراسة، اتبع الباحث الخطوات التالية:

1. الدراسة النظرية وتشمل:

أ. عرض لبعض الدراسات التي تناولت برامج العنف في التلفزيون، وما تقوم به هذه البرامج من دور.

ب. الدور التربوي لبرامج التلفزيون

2. الدراسة الميدانية

أ/ الدراسات السابقة

المتتبع لحركة البحث العلمي في مجال الدراسات المختلفة في وسائل الاعلام المسموعة والمرئية، يلحظ تنوعا وتعددا فيها والتي أجريت مع بداية خاصة مع بداية اهتمام الوطن العربي بهذه المرحلة المهمة، لما لها من تأثير كبير على مستقبل الأجيال ومستقبل الأمة.

وليس من هدف هذه الدراسة استعراض مجالات البحث في العنف في وسائل الاعلام المسموعة والمرئية بتفصيل، الا أن الباحث يود ان يشير الى بعض الدراسات التي أخضعت برامج التلفزيون للدراسة والتحليل ومنها:

ـ دراسة صالح (2006)

هدفت هذه الدراسة الى التأكيد على الخروج من تبعية الفكر العربي لأي فكر غربي آخر، حيث استطاع الفكر العربي أن يطور تقنيات الاتصال، الا أنه لم يستطع أن يرتفع بالمعايير الاخلاقية في المجتمع، غير أن المجتمع العربي ما زال أسيراً للتلفزيون وآثاره بشكل واضح خاصة مع انتشار الفضائيات العديدة.

وانتهت الدراسة الى النتائج التالية:

1. أن هناك تشابهافي الافكار بين الرجل والمرأة حول برامج التلفزيون، سواء بالسلوك أو العمل أو الاتجاهات.

2. إن الفضائيات العربية عامة تقدم مضامين في برامجها وموادها الاعلامية بشكل مثير.(4)

ـ دراسة ابراهيم (2004)

قصدت الدراسة معرفة الآثار التي يتركها التلفزيون لدى المواطن في المجتمع الريفي من حيث قيمه وعاداته واتجاهاته ومعتقداته، وجاءت الدراسة رداً على بعض الآثار السلبية التي توصلت اليها بعض الدراسات فيما يختص بالعنف والجريمة والإدمان والارهاب والتطرف والتفكك الاسري واللامبالاة في العمل والسلوك.

وانتهت في نتائجها الى:

1. ان هناك علاقة بين الاتجاهات عند سكان الريف واقتناء التلفزيون وحالة التعليم.
2. احتل التلفزيون المرتبة الاولى لدى الريفيين من حيث نقل المعلومات بين وسائل الاعلام وبخاصة في مشاهدة البرامج الزراعية.(5)

ـ دراسة محمد (2002)

هدفت هذه الدراسة الى معرفة تأثير التلفزيون من حيث اهدافه كوسيلة اعلام مرئية وخصائصه وأهميته في المجال التربوي، والعلاقة بين هذه الوسيلة والقيم الاجتماعية من حيث السلوك، وتحديد العوامل التي تحكم العلاقة كمستوى القدرة والنمو والجنس على ادراك حقيقة ما يراه الفرد ودرجة استثارة المشاهدين، اضافة الى تحديد أهم القيم الاجتماعية التي يمكن للتلفزيون أن ينميها لدى المشاهدين.

وانتهت الدراسة الى النتائج التالية:

1. عدم وجود ارتباط بين القيم الاجتماعية لطلاب الريف ودرجة مشاهدتهم لبرامج التلفزيون بينما يوجد ارتباط عند الطالبات.
2. عدم وجود علاقة ارتباط وثيقة بين قيم الولاء والمشاركة الاجتماعية والمسؤولية الاجتماعية نحو تقدير العمل، ودرجة مشاهدة طلبة الريف الدارسين في الكليات العلمية.(6)

ـ دراسة ثابت (2000)

استهدفت هذه الدراسة معرفة ما يحدث للطالبات المشاهدات لبرامج الفضائيات من زعزعة اخلاقية. واجريت الدراسة على عينة مكونة من (500) طالبة يشاهدن الفضائيات بشكل منتظم.

وتوصلت الدراسة الى النتائج التالية:

حدوث تغييرات كبيرة وواضحة طرأت على سلوكهن في معظم الاوقات نحو الجنس، اضافة الى زعزعة اخلاقية كالتشويش الفكري وضعف الالتزام الدراسي لديهن والتغيب عن المحاضرات والمعانة من الامراض النسائية بشكل عام.[7]

ـ دراسة لباحثين امريكيين (2001)

قصدت هذه الدراسة الى الكشف عن اثر التلفزيون على الاطفال والتعرف على وجود علاقة بين التعرض المبكر لمشاهدة التلفزيون ومشكلات الانتباه في سنوات العمر اللاحقة.

وانتهت الى النتيجة التالية:

1. تزداد المشكلات لدى الاطفال في عملية الانتباه كلما ازدادت اوقات المشاهدة لديهم في السنوات المبكرة من العمر.
2. اصابة الاطفال بالبدانة واللجوء الى العنف كلما افرطوا في مشاهدة برامج التلفزيون، لأن عامل السن مهم لنمو المخ عند الاطفال خلال السنوات الاولى.[8]

- دراسة قسم الدراسات والبحوث الاعلامية في الكويت (1998)

هدف قسم الدراسات والبحوث الاعلامية في الكويت الى رصد السلبيات والايجابيات لقنوات التلفزيون الفضائية العربية، والتعرف على مدى تأثير هذه القنوات على عادات وأخلاق وقيم وسلوكيات أفراد المجتمع، وارشادهم لكيفية استثمار هذه الفضائيات في زيادة الوعي عند افراد المجتمع.

واظهرت نتائج الدراسة الآتي:

1. أظهر الجمهور من كلا الجنسين تخوفه من تأثير الفضائيات على أخلاق وسلوك الافراد.
2. اظهرت مجموعة من الجمهور انه لا يوجد أي تأثير سلبي للتلفزيون على الاخلاق والسلوكيات، كما أظهرت مجموعة أخرى الحياد تجاه هذا الموضوع.[9]

ـ دراسة منصور (1993)

هدفت هذه الدراسة الى استعراض المنافع والاضرار التي يقدمها التلفزيون لمشاهديه من حيث ضياع الوقت وتقطيع اواصر العلاقات بين افراد المجتمع، وأن التلفزيون جهاز حضاري يخدم المجتمع في شتى المواقف.

وخلصت الدراسة الى:

نقص الخبرة عند المعنيين القائمين على تقديم البرامج، اضافة الى ضعف الوازع الديني الضابط لأعمال الانسان، وضعف الثقافة الاسلامية للمشرفين حيث انهم لا يميزون بين البرامج النافعة وبين البرامج الضارة.[10]

تعقيب على الدراسات السابقة

اتضح من العرض الموجز لبعض الدراسات السابقة في مجال الدراسة الحالية مايلي:

1. احتلال موضوع الغزو الثقافي مكانا بارزا في هذه الدراسات، التي أجمعت على ضرورة مواجهة هذا الغزو الذي يسعى الى اجتياح عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا وسلوكياتنا المنبثقة من الدين الاسلامي.
2. بروز موضوع برامج الفضائيات بشكل واضح ضمن وسائل الغزو لمجتمعنا النامي، ذلك البث العالمي الذي يتخذ من الهيمنة الاتصالية والتفوق التقني وسيلة لفرض سلوكيات على شعوبنا مخالفة للقيم والتقاليد.
3. والدراسة الحالية "تأثير الببرامج التلفزيونية على طلبة جامعة اليرموك"، تمزج بين الغزو الثقافي وتحدياته المعاصرة، وبين البث التلفزيوني العالمي ومثالبه المتعددة خاصة وسائل هذا الغزو المتمثل ببرامج العنف.

فالدراسة تأمل في تحديد معالم تربية ثقافية لأفراد المجتمع خاصة أجيال المستقبل، بغية المحافظة على هويته الثقافية والخصوصية الحضارية لثقافة الوطن الام، وتكوين الحصانة الثقافية الذاتية لهذه الثقافة وتمكينها من مواجهة تحديات الغزو، ومثالب البث التلفزيوني المباشر، وهو الامر الذي قد يكون مميزا لهذه الدراسة.

ب. الدور التربوي لبرامج التلفزيون

إن هناك اعتبارات استراتيجية تحددها السياسة الإعلامية والاتصالية العربية كما يراها سعد لبيب، وهذه الاعتبارات هي: الترتيب القيمي، أي مجموعة القيم الاجتماعية التي ينبغي غرسها لدى المتعرضين لوسائل الاتصال وبشكل خاص لدى مشاهدي التلفزيون. وهذا بالضرورة يقتضي غرس قيم اجتماعية جديدة، لمواجهة مجموعة أخرى من القيم التي قد تصبح متخلفة بالنسبة لظروف التطور.

وحيث إن الأطفال والشباب هم أول من يستجيب إلى عمليات التعديل القيمي نظرا لعدم ارتباطهم ارتباطا وثيقا بالسلم القيمي القديم، لذا ينبغي أن يكون لبرامج الأطفال والشباب في هذا المجال الدور الرئيس في تنفيذ هذا الهدف.

وعلى البرامج التلفزيونية أن تركز على نشر وتدعيم الثقافة العربية الأصيلة من خلال تقديمها بطريقة تراعي أصول العمل التلفزيوني دون أضرار أو تشويه لها. كما أن عليها الانفتاح على الثقافات الأجنبية ولكن دون أن تتعارض مع مجموعة القيم الاجتماعية العربية[(11)] (لبيب، 1984).

كما يساهم التلفزيون في خدمة مناهج التعليم وبالذات للكبار، حيث يأتي في مقدمتها حملات محو الأمية، وهي من أساسيات التثقيف في الوطن العربي، لارتباطها بالتنمية الاجتماعية.

ويستطيع التلفزيون من خلال برامجه المختلفة أن يسهم في زيادة الاحتكاك الجماهيري، كما يسهم في ذلك من خلال زيارات الأقارب والتجمع الأسري حول شاشته، ويزيد من التعارف والترابط الأسري وقلة النزاع بين أفراد الأسرة من خلال عملية المشاهدة الجماعية.

كما يقوم بدور تربوي من خلال الاتساع في البرامج التعليمية وبرامج التوجيه والتربية، من خلال إعطائه إحساسا قويا بالتماثل مع المدرس في قائمة الدرس، حيث يمكن أن يوحي للمستقبل أن القائم بالاتصال يتحدث إليه شخصياً[(12)].

ويمكن أن يكون التلفزيون حلقة اتصال سريعة بين عناصر العملية التعليمية المختلفة مثل معرفة مواعيد الامتحانات وبدء العام الدراسي بين المدرسة ووزارة التربية.

وبهذا فإنه يحقق فكرة التعليم المستمر لجمهور المشاهدين، لأن حاجة الإنسان للتعليم لا تنتهي بانتهاء المدرسة، وإنما هي مستمرة طوال حياته[(13)] (عبدالحليم، 1985).

في الدول النامية، هناك ما يسمى بالتلفزيون التعليمي والتثقيفي، حيث يساهم في عملية التنشئة الاجتماعية وأثرها في التنمية، من خلال توحيد الأفكار والمشاعر والعادات والتقاليد للنهوض بالتنمية والقضاء على كل أساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي تؤدي إلى انتشار الجريمة والعنف وغيرها من الأمور السلبية، وكذلك مشكلة تنظيم الأسرة وعلاقتها بالمشكلة السكانية، وهذا بدوره يؤثر على مشروعات التنمية[(14)] (طلعت، 1976).

إن تعدد مزايا التلفزيون وتنوع وظائفه وخصائصه ساهمت بطريقة مباشرة في تطوره وانتشاره بسرعة كبيرة وخلال فترات قصيرة، وتميزه عن غيره من وسائل الاتصال الأخرى.

تأثير التلفزيون في حياة الشباب

يحتل التلفزيون في حياة الشباب مكانة مهمة ينتج عنها تأثيرات كبيرة وعديدة في نواحي مختلفة وتشمل الآتي:

1. التلفزيون والتنشئة الاجتماعية:تعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الأسرة وبالأخص الوالدين، لأن للتلفزيون دورا واضحا في حياة الأسرة، فهو وحده القادر على نقل العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والاتجاهات من المجتمعات الى الشباب داخل اسرهم. فالوالد والوالدة لم يكونا سلبيين امام التلفزيون بل ساهما بايجابية الى حد معين، وعندما أخذ التلفزيون مكانة بين أفراد الاسرة بشكل واضح، أصبح عدد الساعات التي يقضيها الوالدان مع أبنائهما قليلاً، على العكس مما كان بالسابق، حيث كان الشاب يقضي معظم الوقت يستمع لوالديه ويتبع ارشاداتهما وتوجيهاتهما، كما أصبح الشباب الآن ينام وهو يشاهد التلفزيون وبرامجه التي تنقل قيما وعادات وتقاليد لا تقدر الاسرة على التحكم بمضمونها ولا في مشاهدة الشباب لها، ولذلك بدأ الباحثون يهتمون بتأثير التلفزيون على الشباب[15] (العادلي 1991).

2. **أثر التلفزيون في جانب الانفعال لدى الشباب:**

نستطيع القول أن التلفزيون مؤثر قوي على الشباب من حيث الوجدان والعاطفة لأسباب كثيرة وبخاصة في الجانب الإيحائي في تفكيرهم، فهم قاصرو الذهن على إدراك خصائص الحياة لأنهم يتمحورون حول ذاتهم وإن كانت هذه السمات تقل مع الزمن، إلا أنها تظل لديهم مستويات مختلفة تؤثر في تفكيرهم[18] (مصطفى صيرفي، 1985)

إن سمة الواقعية تدعوهم لعدم إدراك الفرق بين الحقيقة والتمثيل، فالخلط لديهم في مبدأ السببية والربط غير المنطقي لما يجري أمامهم على الشاشة ونقص قدرتهم على التمحيص، يدعوهم إلى تبني كل ما يرونه من سلوك ممزوجاً بالتشويق المصاحب، كما يكون لديهم سمة الإقتداء والتعليم بالملاحظة، فالشاب يحب الإقتداء بأبطال البرامج التي يعرضها التلفزيون سواء كان هؤلاء الأبطال رموزا أم حقيقة واقعة.

هذا يعني أن الشباب في هذه السن يتأثرون بالقيم وأنماط السلوك التي تصدر عن أبطال المسلسلات والبرامج الروائية التي تعرض على شاشات التلفزيون[19] (عبدالرحمن 1992).

3- أثر التلفزيون على الجوانب المعرفية:

يعتبر إدراك الشباب لمعاني ومضامين ما يعرضه التلفزيون من موضوعات، هو الذي يحدد مدى التأثير عليه، فالإدراك بهذه الحالة جزء من الجانب المعرفي لديه، ولذلك يحتاج إلى اقتراب الكبار منه لتوضيح ما لا يفهم من معاني لديه، وتأكيد واضح من هذه المعاني لديه، فالشباب في بعض المراحل يستخدم الصور الحسية في ذاكرته لرسم عوالم خاصة به، ومع مرور الزمن يدخل الشباب في مرحلة التحقق من التوهم، ويستعيض عن ذلك باستخدامه المنطق ومنهم الواقع وقبول

الآراء التي لا توافقه حتى يصل إلى مرحلة التعامل مع الصور اللفظية والرمزية غير المحسوسة[20] (يس، 1990).

4. أثر التلفزيون في العنف عند الشباب:

تظهر الدراسات العديدة أن الشباب الذين يشاهدون مشاهد العنف التلفزيونية، من الممكن أن يتورطوا في أعمال العنف عندما يكبرون، كما أن الأبحاث التي أجريت على المجرمين الذين قبض عليهم، توضح أنه كلما مكث الشباب أمام شاشة التلفزيون طويلا كانت جرائمه أكثر عنفا، وإذا لم يكن تأثير العنف إجراميا فهو على الأقل يكون نفسياً، فمشاهدة العنف كثيرا تقلل من قدرة الشباب المشاهد على تحمل الاحباطات والصراعات التي تواجهه في حياته الشخصية، كما أنها تجعله أقل قدرة على التحكم في أعصابه في البيت[21] (طلال، 1993).

كما يرى بعض علماء النفس أن التلفزيون نفسه لا يخلق مشكلات العنف، حيث ثبت لبعض من المختصين في علم الاتصال، أن الشباب ذوي الرغبات العدوانية يختارون برامج العنف، وهذا يعني أنهم يختارون ما يدعم اتجاهاتهم السابقة، أي تأثيرات البيئة والجو المحيط به.

إن هذا يعني أن البيئة التي ينشأ فيها الشاب منذ طفولته متمثلة في الأسرة والمدرسة والجامعة والعوامل المحيطة تستطيع ـ إذا كانت بيئة صحيحة ـ أن تقلل إلى حد كبير من تأثير مشاهد العنف على الشباب، كما يجب على الأسرة العناية الكاملة بأبنائها وشرح الدوافع للسلوكيات التي تظهر في مشاهدة العنف حتى يتفهم الشباب المواقف تماماً، خاصة أن التلفزيون يمارس تأثيره حينما يكرر عرض هذه المشاهد والصور العنيفة، فكلما تكررت الصور وعرضت المسلسلات المختلفة القيم نفسها التي تحمل العنف، فكان تأثيرها أكثر فاعلية[22] (السامرائي، 1979).

وبعد أن تناولنا التلفزيون في حياة الشباب وأجيال المستقبل، وعرفنا مدى خطورة تأثير سواء الايجابي أو السلبي، لابد من الخطوات التالية لتحديد المناسب للشباب من البرامج، وحتى يصل للبرامج المناسبة، علينا أن نوضح حاجات الشباب التي على أساسها توضع البرامج المناسبة، ومن هذه الحاجات:

أ. البناء الخلقي: أي إكساب الشباب المبادىء الخلقية وفضائل السلوك السوي والوجداني.

ب. البناء الفكري والنفسي: تتحقق مسؤولية البناء الفكري والنفسي في الجانب التعليمي والتوعية والصحة العقلية، وعندها يتحرر الشباب من ظواهر عديدة كالخجل وعامل النقص والاستعلاء والحسد والتهور وعدم المبالاة وعدم تحمل المسؤولية.

ج. التكوين الاجتماعي: تتكون شخصية الشاب منذ الطفولة بالتزام الآداب الاجتماعية الصحيحة، وتتكون لديه أصول نفسية نبيلة عن طريق التقوى والرحمة والإيثار والجرأة في قول الحق والثبات عليه، وكذلك عن طريق اعتبار حقوق الآخرين مثل حق والديه وجيرانه ومدرسيه والأصدقاء، إضافة إلى التزام بالآداب اليومية عند الطعام وطرح السلام والاستئذان بالحديث.[23] (أبو معال، 1990).

2- الدراسة الميدانية

تهدف الدراسة الميدانية إلى التعرف على أثر برامج التلفزيون على طلبة جامعة اليرموك.

خطة الدراسة:

1. العينة:

تتكون عينة الدراسة من طلبة جامعة اليرموك الدارسين في الفصل الصيفي للعام الجامعي (2007/2006) وعددهم (16132) طالبا وطالبة، وتم أخذ نسبة (2.5%) منهم، حيث بلغ عدد الطلاب لهذه العينة (403) طالبا وطالبة تم توزيع الاستبانات عليهم، وعاد منها (398) استبانة.

واختار الباحث العينة القصدية غير العشوائية، حيث تم توزيع الاستبانة على الطلبة المتواجدين داخل الحرم الجامعي، سواء من كان منهم داخل قاعات التدريس أو في أماكن أخرى من الجامعة، وذلك توفيرا للوقت والجهد ومن أجل إتمام تعبئة الاستبانة قبل نهاية الفصل الدراسي.

واهتم الباحث بتوضيح خصائص العينة حسب التالي: من حيث النوع (نسبة الذكور ونسبة الإناث)؛ من حيث المستوى الدراسي (سنة أولى، سنة ثانية، سنة ثالثة، سنة رابعة)؛ من حيث التخصص (كليات إنسانية واجتماعية، وكليات علمية تطبيقية)؛ من حيث مكان السكن (مدينة، قرية، بادية، مخيم)؛ من حيث مستوى الدخل (أقل من 300 دينار، من 300 دينار – أقل من 500 دينار، من 500 دينار – أقل من 800 دينار، 800 دينار فأكثر).

2. أداة الدراسة:

استبانة تدور حول استطلاع رأي طلبة جامعة اليرموك حول تأثير برامج التلفزيون عليهم.

3. صدق الاستبانة

ويقصد هنا بالصدق أي قدرة الاستبانة على قياس وتحقيق ما وضعت من أجله، حيث تم التأكد من صدقها من خلال[24]

- عرض الاستبانة بصورتها الأولية على بعض أساتذة الإعلام والمحكمين للتأكد من صلاحيتها.
- مدى تمثيل أسئلتها وعباراتها للغرض الذي وضعت من أجله.
- ملاحظات الزملاء في قسم الصحافة والإعلام وفي كلية التربية وفي قسم الإحصاء، جاءت قريبة لواقع الأسئلة وارتباطها بجوانب الاستبانة الرئيسية في صورتها النهائية.

المعالجة الإحصائية:

تمت معالجة البيانات إحصائيا باستخدام جداول التكرارات والمتوسطات الحسابية ومعاملات الارتباط لحساب التباين ولمعرفة مؤشرات الدراسة.

ثالثاً: نتائج الدراسة الميدانية:

أوضحت الدراسة الميدانية النتائج التالية:

1. متغيرات العينة من حيث الجنس والمستوى الدراسي، بالإضافة إلى التخصص ومكان السكن ومستوى الدخل، كما هو موضح في الجدول رقم (1).

جدول رقم (1): التكرارات والنسب المئوية لعينة الدراسة حسب المتغيرات المستقلة

		التكرار	النسبة
الجنس	ذكر	162	40.7
	أنثى	236	59.3
المستوى الدراسي	سنة أولى	101	25.4
	سنة ثانية	119	29.9
	سنة ثالثة	102	25.6
	سنة رابعة	76	19.1
التخصص	كليات إنسانية واجتماعية	340	85.4
	كليات علمية تطبيقية	58	14.6

		التكرار	النسبة
مكان السكن	مدينة	198	49.7
	قرية	186	46.7
	بادية	8	2.0
	مخيم	6	1.5
مستوى الدخل	أقل من 300 دينار	158	39.7
	300- أقل من 500 دينار	128	32.2
	500- أقل 800 دينار	62	15.6
	800 دينار فأكثر	50	12.6
	المجموع	**398**	**100.0**

ويظهر نسبة الذكور الذين يشاهدون التلفزيون حيث كانت (40.7%). بينما نسبة الإناث (59.3%). كما أن نسبة طلبة السنة الأولى (25.4%)، ونسبة طلبة السنة الثانية (29.9%)، ونسبة طلبة السنة الثالثة (25.6%) ونسبة طلبة السنة الرابعة (19.1%)، وبلغت نسبة طلبة الكليات الإنسانية والاجتماعية (85.4%)، ونسبة طلبة الكليات العلمية التطبيقية (14.6%). أما نسبة الطلبة الذين يقطنون المدينة فبلغت (49.7%)، ونسبة الذين يقطنون القرية (46.7%)، ونسبة الذين يقطنون البادية (2%)، ونسبة الطلبة الذين يقطنون المخيمات فكانت (1.5%)، أما نسبة الطلبة الذين تقل دخل أسرهم عن (300) دينار فكانت (39.7%)، بينما بلغت النسبة (32.2%) للطلبة الذين كانت دخول أسرهم تتراوح ما بين 300 – أقل من 500 دينار. أما الطلبة الذين كان دخل أسرهم تتراوح ما بين 500 – أقل من 800 دينار فبلغت النسبة (15.6%)، وأخيرا بلغت نسبة الطلبة الذين كان دخل أسرهم أكثر من (800) دينار (12.6%).

جدول رقم (2): يبين ظروف مشاهدة برامج التلفزيون

	التكرار	النسبة
دائما	139	34.9
أحيانا	198	49.7
نادرا	55	13.8
لا	6	1.5
المجموع	398	100.0

وتشير بيانات جدول رقم (2) إلى أن نسبة الذين يشاهدون التلفزيون دائماً، بلغت (34.9%)، و(49.7%) للذين يشاهدونه أحياناً و(13.8%) للذين يشاهدونه نادراً و(1.5%) للذين لا يشاهدون التلفزيون مطلقاً.

جدول رقم (3): يبين ساعات مشاهدة برامج التلفزيون يوميا

	التكرار	النسبة
أقل من ساعة	66	16.6
ساعة - ساعتين	162	40.7
ساعتين - 4 ساعات	102	25.6
أكثر من 4 ساعات	68	17.1
المجموع	398	100.0

أما جدول رقم (3) فيشير إلى أن نسبة ساعات المشاهدة يوميا كانت (16.6%) للذين يشاهدون اقل من ساعة يوميا، و(40.7%) للذين يشاهدونه بين ساعة- ساعتين يوميا، و(25.6%) للذين يشاهدونه بين (2-4) ساعات يومياً، و(17.1%) للذين يشاهدونه أكثر من أربع ساعات يومياً.

جدول رقم (4): يبين فترات مشاهدة برامج التلفزيون

	التكرار	النسبة
فترة الصباح	73	18.3
فترة الظهيرة	88	22.1
المجموع	398	100.0
فترة المساء والسهرة	361	90.7

وتشير بيانات الجدول رقم (4) إلى أن نسبة مشاهدي التلفزيون في فترة الصباح (18.3%)، أما في فترة الظهيرة فكانت النسبة (22.1%)، وفي فترة المساء والسهرة فكانت (90.7%) مع العلم أن بعض الطلبة يشاهد التلفزيون في أكثر من فترة واحدة.

جدول رقم (5): يبين نسبة مشاهدي المحطات المختلفة

	التكرار	النسبة
المحلية	114	28.6
العربية	309	77.6
الأجنبية	198	49.7

أما بيانات الجدول رقم (5) فتشير إلى أن نسبة المشاهدين للمحطات المحلية كانت (28.6%)، بينما كانت النسبة (77.6%) للمحطات العربية، و(49.7%) للمحطات الأجنبية، علما بأن بعض المشاهدين يفضلون مشاهدة محطات محلية وعربية أو محلية وأجنبية أو محلية وعربية وأجنبية.

جدول رقم (6): يبين نسبة تفضيل المحطات وأسباب التفضيل

		التكرار	النسبة
أي من المحطات تفضل مشاهدتها؟	المحطة الأرضية	23	5.8
	المحطة الفضائية	253	63.6
	المحطة الأرضية والفضائية معا	122	30.7

وتبين بيانات جدول رقم (6) طبيعة المحطات المفضل مشاهدتها،حيث أظهرت البيانات أن نسبة (5.8%) من المشاهدين يفضلون مشاهدة المحطة الأرضية، و(63.6%) من المشاهدين يفضلون مشاهدة المحطة الفضائية و(30.7%) من المشاهدين يفضلون مشاهدة المحطة الأرضية والفضائية معاً.

جدول رقم (7): يبين أسباب تفضيل مشاهدة المحطات

أسباب تفضيل مشاهدة المحطة لأنها	موضوعية	21	5.3
	ترفيهية	82	20.6
	متنوعة في البرامج	276	69.3

كما تشير بيانات جدول (7) أسباب تفضيل مشاهدة المحطة، حيث كانت نسبة الذين يفضلونها لأنها موضوعية في عرضها للبرامج (5.3%)، و(20.6%)، لأنها ترفيهية، و(69.3%) لأنها تقدم برامج متنوعة، و(4.8%) لأنها تقدم برامج أخرى، لم يتم ذكرها من جانب المبحوثين.

جدول رقم (8): يبين البرامج التلفزيونية المفضل مشاهدتها

أي من البرامج التلفزيونية تفضل مشاهدته؟	البرامج الإخبارية	51	12.8
	البرامج الدينية	65	16.3
	برامج التسلية والترفيه	230	57.8
	أخرى	52	13.1

ثم يبين جدول (8) البرامج التلفزيونية المفضلة لدى الطلبة، حيث أظهرت بياناته أن نسبة (12.8%) من المشاهدين يفضلون مشاهدة البرامج الإخبارية، وان نسبة (16.3%) يفضلون

البرامج الدينية، وأن نسبة (57.8%) يفضلون برامج التسلية والترفيه، بينما تفضل نسبة (13.1%) مشاهدة برامج أخرى حيث لم يتم ذكر هذه البرامج من جانب المبحوثين.

جدول رقم (9): معامل الارتباط بيرسون للعلاقة بين الوعي العام وساعات مشاهدة التلفزيون يومياً

		الوعي العام
كم ساعة تشاهد برامج التلفزيون يوميا؟	معامل الارتباط	.146(**)
	الدلالة الإحصائية	.004
	العدد	398

وتشير بيانات جدول رقم (9) إلى قياس درجة وعي المشاهدين بالنسبة لعدد ساعات المشاهدة يومياً، حيث أن العلاقة ايجابية بين هذين المتغيرين لكنها تبقى ضعيفة.

جدول رقم (10): يبين المتوسطات الحسابية للوعي العام لدى الطلبة المشاهدين حسب ساعات المشاهدة

	العدد	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**
أقل من ساعة	66	2.72	.57
ساعة - ساعتين	162	2.84	.38
ساعتين - 4 ساعات	102	2.88	.39
أكثر من 4 ساعات	68	2.93	.46
المجموع	398	2.84	.44

ويوضح الجدول رقم (10) المعدلات للمجاميع من الطلبة حيث كان المعدل (2.72) للمجاميع التي تشاهد اقل من ساعة و(2.93) لأكثر من (4) ساعات، بينما كانت الأخرى (2.84) و(2.88).

وهذا الجدول أوضح أن لا فرق بين متوسط درجات الوعي بين المستجيبين من الاناث والذكور مصنفين حسب زمن المشاهدة.

جدول رقم (11): يبين المتوسطات الحسابية واختبارات لأثر الجنس على الوعي العام

	العدد	**المتوسط الحسابي**
ذكر	162	2.86
أنثى	236	2.83

الجدول رقم (11) يبين درجة الوعي العام بالنسبة للجنسين الذكور والإناث، حيث ظهر أن لا وجود لفروقات في معدل درجة الوعي بين الطلبة المستجيبين من الجنسين الذكور والإناث.

رابعاً: تحليل النتائج ومناقشتها:

إن الدور الذي يلعبه التلفزيون في حياة الناس كبير، حيث إن من خلال التمعن في النتائج الواردة في الجداول السابقة، تكشف لنا عن طبيعة التغيرات التي طرأت على المشاهدين بعد ظهور التلفزيون وبشكل فاعل في السنوات الأخيرة، وذلك عندما أصبح الوسيلة الإعلامية الأولى من بين وسائل الإعلام الأخرى.

- ونستخلص من هذه البيانات أن نسبة الذين يشاهدون التلفزيون بين ساعة وساعتين يوميا كانت (40.7%) وهي النسبة الأعلى من بين النسب الأخرى.
- إن الفترة الفضلى للمشاهدة كانت فترة المساء والسهرة حيث بلغت (90.7%)، رغم أن بعض الطلبة يشاهدون التلفزيون في أكثر من فترة. وقد يرجع السبب في ذلك لأنها الفترة الأنسب، حيث يكون معظم الطلبة داخل المنازل إما للراحة أو للاستعداد والتحضير لليوم التالي.
- إن درجة الوعي بين الذكور والإناث تجاه الموضوعات تقريبا متساوية، حيث أشارت بيانات جدول رقم (11) إلى عدم وجود فروق بين الجنسين فيما يخص هذا الجانب.
- وبرزت لدى الطلبة المحطات الفضلى للمشاهدة، وهي تلك التي تقدم البرامج الترفيهية والبرامج المتنوعة أكثر من البرامج الإخبارية أو البرامج الدينية. وهذا ما بدا واضحا من بيانات الجداول المعروضة حيث إن نسبة الذين يفضلون المحطة الفضائية عن الأرضية بلغت (63.6%)، وهذا قد يعطي مؤشرا بأن جمهور المشاهدين بشكل عام وجمهور الطلبة بشكل خاص، يفضل الوسيلة الإعلامية والرسالة التي تلبي رغباته أكثر من تلك التي تلبي حاجاته، رغم أن الحاجة في حياتنا أهم وهي تسبق الرغبة. لذلك يمكن ملاحظة أن التلفزيون ليس له دور يذكر في تحقيق حاجات المشاهدين، بل له دور في تحقيق رغباتهم.
- وأظهرت النتائج أن العلاقة إيجابية بين متغير الوعي واتجاهات الطلبة والموضوعات التي تعرض على شاشة التلفزيون، لكنها بنفس الوقت علاقة ضعيفة.

وبهذه النتائج، فإننا نكون قد أجبنا على أسئلة الدراسة الواردة سابقا.

خامساً: التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

- ضرورة أن تأتي البرامج التلفزيونية المعروضة على المشاهدين – وبالذات برامج المحطات الأرضية الرسمية وغير الرسمية – ملبية لرغبات الجمهور وحاجاتهم بشكل أفضل.
- ومن المفيد هنا أن تكون الدورات البرامجية التي ستعرض لاحقا، وبخاصة في مناسبات معينة كشهر رمضان المبارك أو في الأعياد، قد استطلعت آراء المشاهدين فيها، ليكون للجمهور دور في المشاركة الفاعلة، لا أن يكون دوره سلبيا في المشاهدة فقط.
- ضمان أكبر قدر من المشاركة في وضع الخطط الإعلامية وبالذات فيما يتعلق بالتلفزيون، أي أن يكون الأسلوب المتبع في وضعها، أسلوبا ديمقراطيا يتيح الفرصة أمام أكبر عدد من الجمهور في المشاركة من خلال عقد ندوات وبرامج توضح ذلك.
- أن تتوافر العناصر البشرية المدربة العاملة في المؤسسات التلفزيونية القادرة على تنفيذ هذه الخطط بشكل مناسب.
- ضرورة توافر الحوافز المادية والتشجيعية للمشاهدين من أجل استقطابهم للمشاهدة والمشاركة الفاعلة، لتحقيق مستوى أفضل من الأداء وعرض الأفكار والمعلومات بأسلوب جيد.

The Impact of Television Programs to Students at Yarmouk University

Abdel-Nasser M. Tbaishat, *Department of Journalism,Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The study aims to know the number of hours that Yarmouk University students spend watching TV. It also aims at finding the attitudes towards the issues presented, as well as, the role of TV in fulfilling the viewers' desires.

Using a descriptive method, the study concludes the following:

- The percentage of viewers who watch TV from 1-2 hours was the highest (40.7%).
- Most viewers prefer watching TV programs night time rather than day time. The percentage was (90.7%).

- Both males and females have the same degree of awareness towards the subjects presented on TV.
- The majority of viewers prefer television stations which satisfy their wants rather than their needs

قدم البحث للنشر في 2007/9/6 وقبل في 2008/4/10

الهوامش:

1. ولي، عبدا لجبار: دور الراديو والتلفزيون في التنمية: مجلة الفن الإذاعي العدد (86)
2. النجار محمد لبيب، الراديو والتلفزيون كأحدث وسائل للاتصال الجماهيري: مجلة الفن الإذاعي العدد (91)، 1986.

3. Shramm, W. and Donald F., Roberts, **The Process and the Effects of Mass Communication**, University of Illinois Press, Urbana, Illinois, 1977.

4. صالح، ساميه خضر، القنوات التلفزيونية الخاصة ومنزلة التربية الاتصالية: فصلية الإذاعات العربية الصادرة عن اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، تونس، عدد (3)، 2006، ص ص 34-38.
5. إبراهيم، الدسوقي عبده، التلفزيون والتنمية: (دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004).
6. محمد، زكريا عبد العزيز، التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين: (مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2002)، ص 13.
7. ثابت، سعيد (موقع على الإنترنت) : http://www.saaid.net/bahoth

جريدة الوطن، عدد (696) السنة الثانية، الاثنين 17 جمادى الاخرى 1423هـ، 2002.

8. . باحثون أمريكيون (موقع على الانترنت) : http:// woman.bdr130.net1970.htma/-86k
9. . الدراسات والبحوث الكويتية، تأثير القنوات الفضائية على أفراد المجتمع، (موقع على الإنترنت):http://www.saaid.net/bahoth/19.htm-86k
10. منصور، عوض، التلفزيون بين المنافع والأضرار: عمان، الأردن، 1993، ط3.
11. لبيب، سعد، دراسات في العمل التلفزيوني العربي: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج، بغداد، العراق، 1984، ص ص 33-34.
12. الحلواني، ماجي، تكنولوجيا الإعلام في المجال التعليمي والتربوي، ص29 (بلا تاريخ المصدر السابق.

13. عبد الحليم، فتحي، وابراهيم حفظ الله: وسائل التعليم والإعلام، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1985، ص 289.

14. طلعت، شاهيناز محمد، دور وسائل الإعلام في التنمية الاجتماعية في مصر، القاهرة، مصر، 1976، ص 77.

15 . العادلي، محمد فاروق: علم الاجتماع: مؤسسة العهد، الدوحة، قطر، ط5، 1991.

16. مصطفى والصيرفي، يحيى بسيوني وعادل الصيرفي، التلفزيون الإسلامي ودوره في التنمية: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1985.

17. عبد الرحمن، عبد الله تقي، وسائل الإعلام وأثرها على الطفل، ندوة عن أنماط السلوك الاستهلاكي في الجوانب المختلفة للطفل وسبل ترشيده في الفترة من 28- 29 ديسمبر 1992، القاهرة مصر، 1992.

18. يس، زينب، تقرير عن برامج التلفزيون التعليمية: مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع، العدد4، الكويت، الكويت، 1990.

19. طلال، محمد، الاتصال في الوطن العربي، قضايا ومقاربات: الشركة العربية للطباعة والنشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.

20. السامرائي، هاشم جاسم، التلفزيون التربوي: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1979.

21. أبو معال، عبد الفتاح، أثر وسائل الإعلام على الطفل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990.

22. أحمد، سمير نعيم، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية: مكتبة سعد رأفت، القاهرة، مصر، ط1، 1988، ص 396.

قائمة المصادر والمراجع العربية

المراجع العربية:

إبراهيم، الدسوقي عبده. (2004). **التلفزيون والتنمية**: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1.

أبو معال، عبد الفتاح. (1990). **أثر وسائل الإعلام على الطفل**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

أحمد، سمير نعيم. (1988). **المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية:** مكتبة سعد رأفت، القاهرة، مصر، ط1.

ثابت، سعيد. (موقع على الإنترنت): http://www.saaid.net/bahoth

صالح، ساميه خضر. (2006). القنوات التلفزيونية الخاصة ومنزلة التربية الاتصالية: **فصلية الإذاعات العربية الصادرة عن اتحاد إذاعات الدول العربية**، تونس، تونس، عدد (3)، ص ص 34-38.

طلال، محمد. (1993). **الاتصال في الوطن العربي، قضايا ومقاربات:** الشركة العربية للطباعة والنشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

عبد الحليم، فتحي وإبراهيم، حفظ الله. (1985). **وسائل التعليم والإعلام**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ص 289.

عبد الرحمن، عبد الله تقي. (1992). وسائل الإعلام وأثرها على الطفل، **ندوة عن أنماط السلوك الاستهلاكي في الجوانب المختلفة للطفل وسبل ترشيده.** في الفترة من 28-29 ديسمبر 1992، القاهرة مصر.

لبيب، سعد. (1984). **دراسات في العمل التلفزيوني العربي:** مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج، بغداد، العراق، ، ص ص 33-34.

محمد، زكريا عبد العزيز. (2002). **التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين:** مركز الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، ص ص 9، 224، 225، 226.

المراجع الأجنبية:

Belson, W.A. (1978). *Television and Adolescent Boy*, Hampshire, England, Saxon House.

Hetherington, E.M. and Parker, R.D. (1979). *Child Psychology: A Contemporary viewpoint*, 2d ed., Mc Graw Hill Book Co., New York.

Shramm, W. and Donald F.R. (1977). *The Process and the Effects of Mass Communication*, University of Illinois Press, Urbana, Illinois.

استبيانة

بسم الله الرحمن الرحيم

أختي الطالبة أخي الطالب

يقوم الباحث بعمل دراسة ميدانية بعنوان "تأثير البرامج التلفزيونية على طلبة جامعة اليرموك". وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة الأثر الذي يمكن أن يؤديه التلفزيون من خلال برامجه المتنوعة في طرح العديد من الأفكار والمعلومات للمشاهدين واتجاهاتهم، ومدى تأثرهم ببرامج التلفزيون والعوامل والأسباب التي ساعدت في ذلك، والنتائج المترتبة عليها.
لذا يرجو الباحث منكم الإجابة على أسئلة الدراسة بكل موضوعية وشفافية، علماً بأن المعلومات والبيانات المقدمة منكم ستعامل بسرية تامة، وستستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

مقدمين شكرنا لكم لحسن تعاونكم

الباحث

أولاً: أسئلة عامة.

الجنس:

ذكر أنثى

المستوى الدراسي:

سنة أولى سنة ثانية سنة ثالثة سنة رابعة

مكان السكن:

مدينة قرية بادية مخيم

مستوى الدخل الأسري:

أقل من 300 دينار من 300 - أقل من 500 دينار

من 500 دينار - 800 دينار 800 دينار فأكثر

ثانياً: فقرات الاستبانة.

1. هل تشاهد برامج التلفزيون؟

دائماً أحياناً نادراً لا

2. كم ساعة تشاهد برامج التلفزيون يومياً؟

أقل من ساعة ساعة - ساعتين ساعتين - 4 ساعات أكثر من 4 ساعات

3. ما هي الأوقات المفضلة لديك لمشاهدة التلفزيون؟

فترة الصباح فترة الظهيرة فترة المساء والسهرة

4. ما هي المحطات التي تفضل مشاهدتها؟

المحلية العربية الأجنبية (يمكن اختيار أكثر من محطة)

5. أي من المحطات تفضل مشاهدتها؟

المحطة الأرضية المحطة الفضائية المحطة الأرضية والفضائية معاً

6. أسباب تفضيل مشاهدة المحطة لأنها؟

تعرض برامج أكثر ايجابية تحقق احتياجاتي للمعرفة

تحقق رغباتي في الاستمتاع أخرى (تذكر)..........................

7. أي من البرامج التلفزيونية تفضل مشاهدتها؟

البرامج الإخبارية البرامج الثقافية البرامج التسلية والترفيه أخرى (تذكر).........

8. يساعدني التلفزيون كوسيلة إعلام في عملية التفكير:

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لا يساعد

9. يشجعني التلفزيون كوسيلة إعلام في إبراز مواهبي:

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لا يشجع

10. تزيدني مشاهدة التلفزيون فاعلية في الحث على الدراسة:

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لا تزيد

11. يكسبني التلفزيون كوسيلة إعلام ثقافة عامة:

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لا يكسب

12. تمنحني مشاهدة التلفزيون كوسيلة إعلام فرصة لمعرفة ما يدور حولي من أحداث:

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لا يمنحني

13. يمنحني التلفزيون كوسيلة إعلام المصداقية في عرض المعلومات:

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لا يمنحني

14. يدفعني التلفزيون كوسيلة إعلام لمحاولة المشاركة في الأحداث والنقاش في البرامج المقدمة:

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لا يدفعني

15. تحفزني البرامج المعروضة في التلفزيون على الدخول في نقاشات مع من يشاهدونها معي:

دائماً أحياناً نادراً لا تحفزني

16. تعمل مشاهدة التلفزيون على نشر المعرفة الإنسانية الهادفة.

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لاشيء

17. تزيد مشاهدة التلفزيون من فرص التعارف الاجتماعي.

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لاشيء

18. تعمل مشاهدة التلفزيون على الارتقاء بالذوق العام.

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لاشيء

19. تعمل مشاهدة التلفزيون على تغيير نمط الحياة عند المشاهدين.

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لاشيء

20. تكسبني مشاهدة برامج التلفزيون معايير وقيم وسلوكيات مقبولة اجتماعياً .

بدرجة كبيرة بدرجة متوسطة بدرجة قليلة لاشيء

* * *

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 493 - 524

تطور صناعة الخرائط في العالم العربي والإسلامي من (2300 ق.م - 1400 م)

علي الشباطات *

الملخص

تعد صناعة الخرائط بجميع أنواعها وأشكالها، من أهم القضايا التي حظيت باهتمام الإنسان منذ فجر العصور القديمة وحتى الوقت الحاضر على المستويين المحلي والعالمي، وتعد الخارطة البابلية التي أنجزت عام 2300 ق.م هي الدليل الأقدم المكتشف في العالم، ومنذ ذلك التاريخ تطورت المهارات في صناعة الخرائط، وتنوعت مصادرها من الخرائط الوصفية التي تعتمد على القياسات الميدانية إلى الخرائط الرقمية الحديثة التي تقوم على التكنولوجيات المعاصرة مصدرا وإنجازا وإخراجا.

لقد لعب العرب المسلمون دورا بارزا في تقدم هذا العلم وتطوره من خلال الإصلاحات العظيمة لخرائط الأمم التي سبقتهم في هذا المضمار؛ والإبداعات والابتكارات الأصيلة في فن صناعة الخرائط التي اعتمدت بشكل أساسي على تقدم علم الفلك؛ والحركة النشطة للترجمة؛ ونقل الأدب من الحضارات القديمة كاليونانية، والفارسية، والهندية إلى اللغة العربية، والتي بلغت أوج عظمتها ونشاطها في عصر الخليفة المنصور (185 هجري) فيما أطلق عليه " المدرسة التقليدية" التي كان من أهم روادها البلخي، والإصطخري، وابن حوقل، والإدريسي، وغيرهم.

1- المقدمة:

إن مهمة البحث في تطور صناعة الخرائط، وعرض كل مرحلة من مراحل التطور، ومساهمات كل مدرسة من المدارس الجغرافية لرسم الخرائط هي من المهام العسيرة، فمتى تمت أول محاولة قامت بها يد الإنسان لرسم جزء من سطح الأرض؟ سيظل بالتأكيد أمرا خافيا للأبد؛ ولكن محاولة البابليين والمصريين والفينيقيين القدماء لرسم شكل عام للمعمور من الأرض من خلال الخرائط الأثرية المكتشفة في العراق ومصر هي أقدم دليل ملموس على بداية الاهتمام العربي القديم في صناعة الخرائط بأنواعها وأشكالها المختلفة.

* قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الطفيلة التقنية، الطفيلة، الأردن.

إن المكانة المرموقة التي شغلتها الحضارة العربية في تاريخ البشرية تعدّ أمراً مسلماً به من الجميع، وقد شقت هذه الحضارة لنفسها طرقاً ومسالكَ جديدة سواء في عصور ما قبل الميلاد، أو ما بعد بزوغ فجر الإسلام وظهور الحركة الفكرية الواسعة التي تعد من أعظم حركات اليقظة الفكرية في تاريخ الحضارة العربية التي امتازت بأبحاثها المبتكرة في مختلف العلوم اللغوية، والدينية، وعلم الفلك، والكيمياء، والجغرافية والخرائط(المصورات الجغرافية)، وغيرها من العلوم المعرفية التي أسهمت بشكل فاعل في النهضة العلمية والثقافية لأوروبا في مطلع العصور الحديثة[1].

لقد أدى الاهتمام العربي والإسلامي بالخرائط إلى الإبداع، إذ قدموا الكثير من التمثيلات الكارتوغرافية التي استطاعت أن توضح معالم سطح الأرض على خرائطهم، وبذلك أصبحت الخريطة رغم أهميتها العلمية؛ تمثل دلالة حضارية، ومادة أولية لتفسير المستويات الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والتقنية للشعوب والمجتمعات البشرية بمختلف أنواعها منذ العهد البابلي (2300 ق.م) حتى الوقت الحاضر.

لذا، فإن هذا البحث سيتناول باختصار تطور صناعة الخرائط، ودور الحضارة العربية القديمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الخامس عشر الميلادي، وهي الفترة التي شكلت الأساس العلمي لصناعة الخرائط، وارتكزت عليها الجهود التالية للحضارات الإغريقية والرومانية لدحض نظرة الاعتقاد بتبؤ الإغريق والرومان المكانة المرموقة، وإعجاب المؤرخين بتطور صناعة الخرائط على يد بطلميوس وايراتوستين وغيرهم، كما يتناول هذا البحث دور العرب المسلمين في مواصلة تطور الفكر الكارتوغرافي لعدة قرون من الزمان بتركيز وإبداع مدهشين إلى أن وصلوا بحكم التاريخ إلى الركود[2].

لذلك، تناول هذا البحث عرضا لمنهجية الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، ثم استعراض لأهم الإنجازات الكارتوغرافية التي وصلت إلى هذا العلم من الحضارة العربية القديمة بخاصة حضارة ما بين الرافدين والحضارة المصرية، والتي استفادت منها الحضارتان: الإغريقية والرومانية في تأسيس مدارسهم الجغرافية، وفي صناعة الخرائط التي عدّل العرب المسلمون الكثير من أخطائها الفنية والعلمية منذ القرن الثالث هجري وحتى القرن الثامن الهجري.

كما ارتكز هذا البحث على أهم المنجزات الكارتوغرافية التي أنجزت ضمن البيئة الثقافية العربية والإسلامية في صناعة الخرائط سواء ما كان يتعلق بالجغرافية الرياضية، أو بالمدارس الجغرافية التقليدية والمجدّدة، التي كان لكل منها أثر واضح في تقدم علم الخرائط الذي انتقل إلى الحضارة الغربية من خلال ترجمة العديد من المخطوطات العربية والأزياج، مما أسهم في تصويب الأخطاء التي وردت في الخرائط الإغريقية والرومانية القديمة، ثم جاء في نهاية البحث أهم

الإخفاقات والنجاحات التي حققها العرب في تطور صناعة الخرائط، واشتمل البحث على خاتمة احتوت أهم النتائج التوصيات.

2- المنهجية:

اعتمد البحث في طرح قضية تطور صناعة الخرائط على التتبع التاريخي بصورة متسلسلة من خلال المنهج التركيبي البنيوي (Structural approach)، الذي يهدف إلى توضيح طبيعة المظاهر الأدبية وتطورها، لقدرته على الإيضاح، ودقته في تحليل العلاقة التاريخية القائمة بين التطور التاريخي والمعرفي للعلوم، من خلال توظيف أدواته التحليلية، التي تؤدي للتوصل إلى فهم أعمق لنظام تطور صناعة الخرائط العربية منذ نشأتها الأولى في بلاد الرافدين، وحتى بداية القرن الخامس عشر عندما أفل نجم الحضارة العربية.

3- هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى عرض تاريخي لتطور صناعة الخرائط عند العرب والمسلمين منذ العهد البابلي، وحتى بداية القرن الخامس عشر الميلادي، وبذلك يمكن دحض الآراء الاستشراقية لكراتشوفيسكي التي تنعت الكارتوغرافيا العربية بأنها خضعت للنظريات العلمية الموروثة من الأوائل(3)، رغم أن هذه النظريات أدت إلى استكمال، أو تعديل، أو إهمال النظر وصرفه عن الكثير من النظريات العلمية الخاطئة حول هيئة الكون.

لذلك، جاءت هذه الدراسة لتوضح دور الحضارة العربية القديمة (حضارة العراق، ومصر)، والحضارة العربية الإسلامية(ما بين القرن السابع والقرن الخامس عشر) في تطور المفاهيم الأساسية لصناعة الخرائط من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما مدى أصالة الكارتوغرافيا العربية؟

2- ما دور المدارس العربية والإسلامية في تصحيح النظريات الخاطئة حول هيئة الكون التي ظهرت على خرائط العالم القديم؟

3- ما الدور الذي قام به علماء العرب والمسلمين في إدخال مفاهيم كارتوغرافية جديدة إلى علم الكارتوغرافيا الحديث؟

4- الدراسات السابقة:

تعتمد هذه الدراسة على المصادر الأساسية، التي ترتكز على الاكتشافات الأثرية في مناطق مختلفة من العالم القديم، كالمكتشفات الأثرية للخرائط العراقية القديمة مثل خارطة نزوى، وخارطة نفر، والخرائط المصرية القديمة، كبردية الذهب، وغيرها، وكتابات الباحثين– سواء كانت متعلقة بموضوع الدراسة، أم منهجيتها - أما الكتابات المتعلقة بموضوع الدراسة فهي تلك

الدراسات التي تناولت الجوانب الأثرية للخرائط المكتشفة من خلال أعمال الحفريات الأثرية التي تناولها العديد من الباحثين في كتاباتهم من أمثال: فاروق الراوي، 1985، الذي تناول أهم الإنجازات العلمية والمعرفية في الجغرافيا والخرائط في بلاد الرافدين[4]، وكتابات أحمد سوسة، 1983، في تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، الذي أكد فيها على الدور البارز الذي قدمته تلك الحضارة في الإنجازات الخرائطية المكتشفة[5]، وكتابات طه باقر،1980، الذي بين أهم الإنجازات العربية في العلوم والمعارف ومن ضمنها الخرائط الجغرافية المكتشفة في بلاد الرافدين[6]، في حين أوضح عبد المنعم الماجد،1963، دور الحضارة المصرية في تقدم صناعة الخرائط من خلال رسمهم للعديد من خرائط المُلكيات، وقنوات الري، والخرائط الزراعية، واستخدامهم الألوان في تلك الخرائط[7].

في حين تناولت الدراسات المتعلقة بالمنهج، الأسس التي تناولت تطور الفكر الكارتوغرافي العربي في صناعة الخرائط، فكان من أهمها: دراسات مارتن، 1962، حول استخدام الخرائط كمنهج أساسي في تخطيط المدن قبل البدء بتنفيذ المخططين لعملية البناء، مما أدى إلى تقدم منهجية الرسم الكارتوغرافي في حضارة ما بين الرافدين[8]، أما شاكر خصباك، وعلي المياح، 1983، فقد أكدا على أصالة تطور الفكر الكارتوغرافي عند العرب القدماء، وما الخرائط اليونانية والرومانية إلا اقتباس عن مبادئ الخرائط العربية القديمة[9]، في حين نجد أن فلاح شاكر،1988، انتهج منهجا تاريخيا في استعراض الفكر الجغرافي لتطور المفاهيم الأساسية لعلم الخرائط من خلال دراسته لكم كبير من الخرائط عند العرب والمسلمين[10]، أما الحكيم والليثي،1966، فإنهم جمعوا ما بين الأصالة والحداثة في تطور صناعة الخرائط، موضحين أهم الأسس المتبعة في رسم الخرائط[11]، في حين ركز سيزكين، 2000، على الجغرافية الرياضية والكارتوغرافيا عند العرب والمسلمين واستمرارها في الغرب من خلال عرضه لمجمل مراحل الأسس الرياضية الفلكية، مستعرضا أهم الأصول العربية في الخرائط الأوروبية[12]، أما عبد المنعم الشامي 1981، فقد أكد على جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط من خلال توضيح الاتجاهات وعوامل الارتقاء في فن الخرائط الإسلامية ومناهجها[13].

5- الخرائط العربية القديمة:

5-1 الخرائط العربية العراقية القديمة:

5-1-1 خارطة العالم البابلية:

تمتد جذور حضارة العراق القديم إلى عصور ما قبل التاريخ في السهول الرسوبية من بلاد سومر وآكد، ولكن هذه الحضارة ازدهرت بشكل واضح منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد،

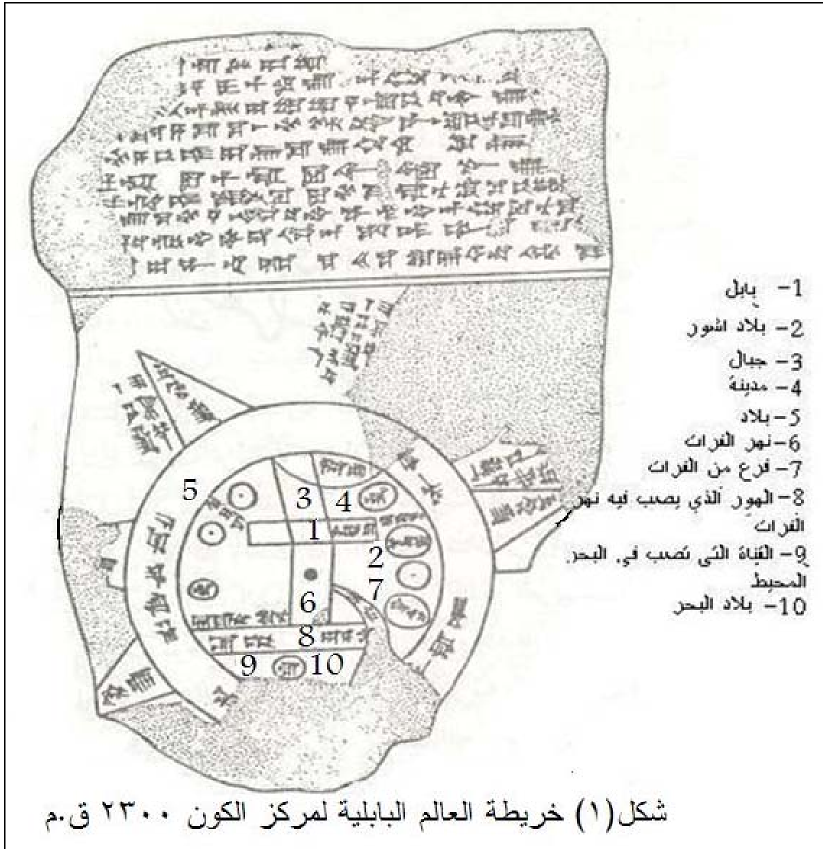
واستمرت حتى بداية العهد الميلادي[14]، والعراق القديم - كما هو معروف- مشهور بالزراعة المروية، وبعلاقاته التجارية التي غطت مناطق وبلدان قاصية ودانية، فمن أواسط آسيا الصغرى شمالاً إلى الخليج العربي والجزيرة العربية جنوباً، ومن (مهنجو دارو) في وادي السند وبلاد فارس في الشرق إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وبعض الجزر فيه ومصر وليبيا وغيرها من البلدان الإفريقية في الغرب، وكثيرا ما تناولت النصوص المسمارية طرق المواصلات البرية والمائية وأمدتنا بتسمية البحار، والأنهار والمدن، والقرى الواقعة على تلك الطرق، مما جعلهم يعتقدون بأن عاصمتهم بابل هي مركز العالم بأسره؛ فرسموا أقدم خارطة تصويرية للعالم مكتشفة حتى الوقت الحاضر[15]، وتصور هذه الخارطة الأرض على هيئة دائرة يحيط بها الأوقيانوس السماوي، ويظهر فيها نهر الفرات الذي يخترق وسط الدائرة من الشمال إلى الجنوب على شكل خطين متوازيين، رسمت عليه بابل العاصمة برمز هندسي مستطيل الشكل يتقاطع مع النهر في نقطة تقع فوق وسط الدائرة، وكتب داخل دائرة صغيرة إلى يمين المستطيل (بلاد آشور)، ورسمت دوائر صغيرة لتمثل المدن البابلية، كما كتبت كلمة جبال في الشمال، ورسمت سبعة مثلثات خارج المحيط الأوقيانوسي، سجلت عليها المسافات فيما بينها بالساعة البابلية[16]، وكتب على المثلث الشمالي – حيث لا ترى الشمس - مما يدل على أن البابليين عرفوا القطب الشمالي والظلام الذي يسوده، كما هو موضح في الشكل (1).

ويتضح من الخارطة البابلية العالمية أن الحضارة السومرية والأكدية كانت الرائدة بين الحضارات القديمة في علم البلدان (cosmographic)؛ ففكروا في الكون ومركزهم منه، فقادهم تفكيرهم إلى تصور الأرض على هيئة نصف كرة طافية في المحيط مقسمة إلى ثلاثة أقسام[17]: يسكن البشر قسمها العلوي، وأرواح الموتى في القسم السفلي، أما الوسط فتحتله المياه، وظل هذا الاعتقاد لكروية الأرض سائدا حتى عصور متأخرة من القرن الرابع والخامس عشر الميلاديين؛ حيث أكد ابن خلدون في مقدمته المشهورة بأن العلماء أجمعوا على أن الأرض عبارة عن كرة محفوفة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه.

2-1-5 الخرائط الطبوغرافية والموضوعية:

لم يقتصر الاهتمام العراقي القديم على الخريطة العالمية فقط، بل اهتموا بالخرائط الطبوغرافية والموضوعية التي ترتبط بحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والتنموية، فاهتموا بتخطيط المدن وصنعوا الخرائط لها، كخريطة نفر (نيبور)، التي يرجع تاريخها إلى العهد السومري/ البابلي القديم، كما عثر على خرائط كادسترائية تبين الحيازات الزراعية موضحاً عليها الحدود والمساحات كما هو موضح في الشكل (2)، ومن الخرائط الموضوعية التي اهتموا بها أيضا هي خرائط تنظيم الري، وتثبيت ملكيات الحقول الزراعية والقرى التي يبينها الشكل (3)، والعائد

تاريخها إلى 3500 ق.م[18]، والتي يمكن أن نعدها نوعاً من أنواع خرائط استعمالات الأراضي Land use maps لتوضيحها لأنواع الأراضي المستعملة، ومساحاتها، ومسافاتها، واتجاهاتها الخاصة لكل حقل زراعي، وشبكات ريه، والطرق المؤدية إليه، ففيها نجد موقع الحقل المَلكي (حقل القصر) بالنسبة للحقول المجاورة، وحقول الرهبان، كما رسمت القرى على شكل دوائر صغيرة، أما الطرق المؤدية إلى تلك القرى فقد رسمت بتمثيل كارتوغرافي صحيح بواسطة خطين متصلين كما يستعمل في الخرائط الحديثة.



شكل(١) خريطة العالم البابلية لمركز الكون ٢٣٠٠ ق.م

المصدر: الراوي، 1985، ص280

ومن خلال الخرائط القديمة التي تم العثور عليها في بلاد ما بين النهرين يمكن أن نعد البابليين هم أول من وضع أسس فن صناعة الخرائط في العالم القديم، الذي انتقل بواسطة الاحتكاك الحضاري إلى مصر القديمة والصين وغيرها[19].

شكل (٢) خارطة كادستروسومرية

المصدر :اسود،١٩٨٨،ص ١١

وقد دونت مساحة كل من القطع الهندسية كالاتي

1-القطعة ك ج ف ي =(٢) بور +(١) ايكو +(١) اوبو=٣٦٧٥ سار

2-القطعة ي م س د = (١) بور +(١) ايكو +(١) اوبو = ١٩٥٠سار

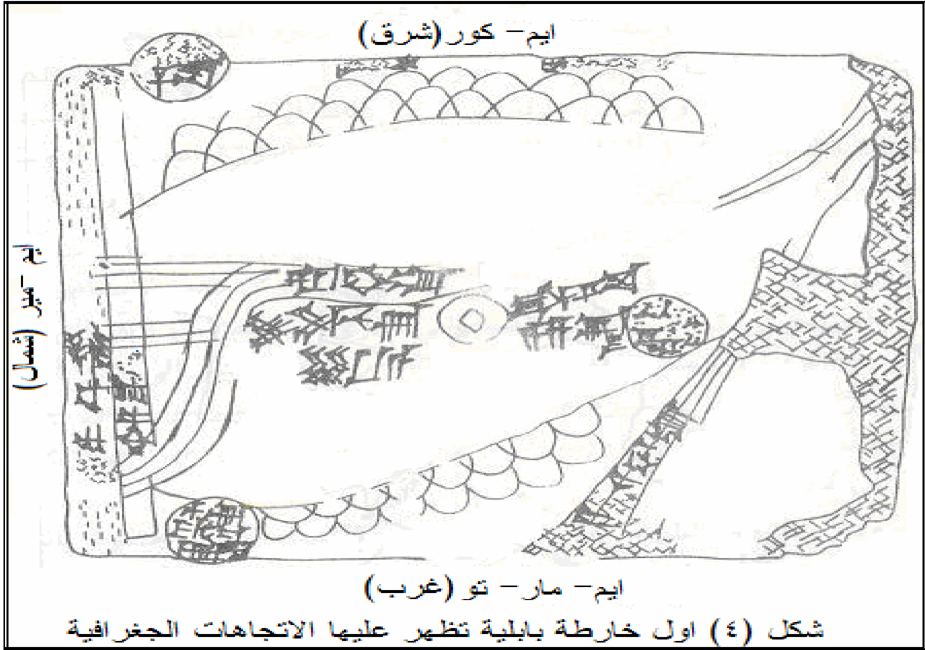
3-القطعة م ف س = (١) ايز +(٣) ايكو +(١) اوبس=٩٢٥ سار

4-القطعة ل ص ف = (٢) ايكو +(١) اوبو = ٢٥٠ سار

شكل(٣) شبكة قنوات الري من العصر البابلي (٢٠٠٠-١٥٩٤)ق.م

المصدر بتصرف: الراوي، 1985، ص288

ويوضح الشكل (2) أساس مسح الأرض، وقياس مسافاتها بطرق هندسية لا تكاد تختلف كثيرا عن مخططات ملكيات الأراضي المستخدمة في وقتنا الحاضر، مما يوحي بأن صناعة الخرائط كانت متقدمة إلى حد بعيد في مرحلة مبكرة من تاريخ حضارة ما بين الرافدين، والدليل على ذلك، هو التنوع الكمي والكيفي في إنتاج الخرائط التي كشفت عنها الحفريات الأثرية في العراق كخارطة مدينة لكَش (تلو) المرسومة على لوح من الطين طوله12.7 سم وعرضه 10.8 سم، لتغطي قطعة من أرض زراعية بلغت مساحتها حوالي 640 إيكو أي نحو 9.2 هكتار[20] يعود تاريخ إنتاجها إلى 2029-2006 ق.م، مما يعني أن العراقيين القدماء كانوا على علم ودراية تامة بالتمثيل النسبي بشكل جيد، رغم أنهم لم يحدّدوا مقياس الرسم الذي استخدموه، إنما اعتمدوا بشكل أساسي على القياسات المساحية.



شكل (٤) اول خارطة بابلية تظهر عليها الاتجاهات الجغرافية

المصدر:(الراوي، 1985:ص284).

كما اهتم العراقيون القدماء بتمثيل ظاهرات سطح الأرض الطبوغرافية على ألواح مستوية من الطين، كما هو موضح في خريطة نزوى الطبوغرافية الشكل (4)، التي عثر عليها في مدينة نزوى قرب كركوك وهي أقدم خريطة تضاريسية تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد[21]، وتشمل منطقة واسعة من الأرض، تظهر عليها الجبال كأنصاف دوائر، أو ما يطلق عليه في علم الخرائط الحديث البانوراما، وكانت أبرز الإسهامات المبكرة في صناعة الخرائط العراقية القديمة، هو تحديد

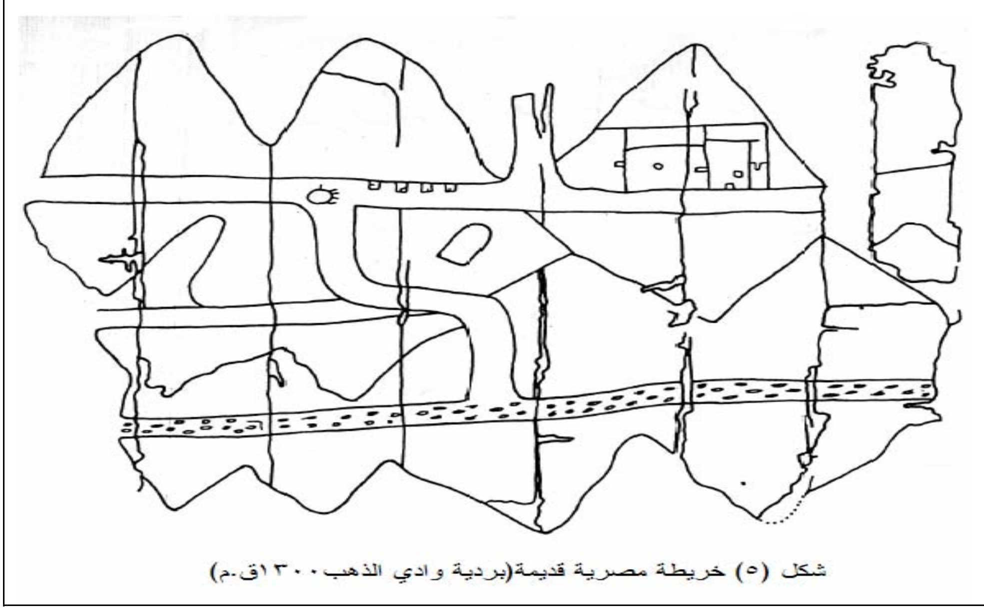
الاتجاهات الجغرافية وأهميتها العظيمة في توجيه الخريطة، والذي لم يظهر على الخرائط إلا في وقت متأخر من القرن العاشر للميلاد، فوضعوا الشرق في أعلى الخريطة والغرب في أسفلها، والشمال في جانبها الأيسر، كما دوّنوا أسماء مناطقهم من مدن، وجبال، وصحارى، وأنهار ومسطحات مائية، وأسماء المدن والبلدان التي فتحها ملوكهم ومساحاتها مقدرة بالساعة البابلية المضاعفة، إضافة إلى ما تركه بعض الملوك من منحوتات تصوّر الجبال والأهوار وغيرها، كمسلة النصر (لنرام – سين)، والنحت البارز على جدران قصر آشور بانيبال[22].

2-5 -خرائط المصريين القدماء:

تمثل حضارة وادي النيل- التي ازدهرت فيها مختلف العلوم والمعارف بما فيها الخرائط- الرافدَ الثاني للحضارة العربية القديمة[23]، وقد وصلت تلك الحضارة إلى درجة من الرقي في تصور هيئة الكون، ورسم الخرائط الموضوعية أكثر مما كانت عليه الحضارة اليونانية والرومانية، وأرقى مما عرفته الحضارة الأوروبية قبل عصر النهضة؛ فتصميم الأهرام كان يتطلب دقة متناهية في علوم المساحة والرياضيات، وحساب تذبذب مياه نهر النيل، ومعرفة تامة في علم الأنواء الجوية، وإعادة مسح الأراضي الزراعية وتحديدها ورسمها بعد كل فيضان للنيل، فكل هذا المجهود تحتاج إلى مهارة وسرعة عاليتين في الإنجاز.

لقد تميز المصريون عن العراقيين القدماء من جهة النظرة الفلسفية للكون، ففي حين اعتمد قدماء المصريين على عمليات المساحة التفصيلية الدقيقة؛ كدافع أساسي لحساب الضرائب التي كانت تقدر سنويا على مستأجري الأراضي من الدولة بعد كل فيضان للنيل بالمزاد، نجد بالمقابل أن العراقيين اعتمدوا على نظرة أكثر رقيا في فلسفتهم للكون رغم براعة المصريين في الرياضيات؛ إلا أنهم لم يتركوا لنا أثرا لخريطة عالمية كما فعل العراقيون، وقد يعود السبب في ذلك إلى اعتمادهم في رسم خرائطهم على ورق البردي.

وتعد بردية تورينو - المعروفة ببردية الذهب- المؤرخة في عام 1320 ق.م[24]، أقدم خريطة مصرية مرسومة على ورق البردي، وكانت الغاية من رسمها، هي تحديد موقع منجم الذهب في وادي النوبة من خلال رسم أهم المعالم الجغرافية التي تقود لهذا الموقع من جبال وأنهار وطرق كما يوضحها الشكل(5)، كما كشفت الحفريات الأثرية عن عدد من لوحات الخرائط المصرية التي تعود بتاريخها إلى عهد رمسيس الثاني (1300 ق.م)[25]، وتحدد هذه الخرائط بدقة متناهية الأحواض الزراعية والأقسام الإدارية التابعة لها، وحدود الملكيات الزراعية، كما يوجد في متحف تورينو لوحة خرائطية توضح الطريق الذي سلكه ستي الأول أثناء عودته من حملته العسكرية على سوريا، موضحا عليها القناة التي تربط النيل ببحيرة التمساح.



شكل (٥) خريطة مصرية قديمة(بردية وادي الذهب ١٣٠٠ق.م)

المصدر: عبد الحكيم والليثي 1966، ص3.

6- دور العرب في الخرائط اليونانية والرومانية القديمة:

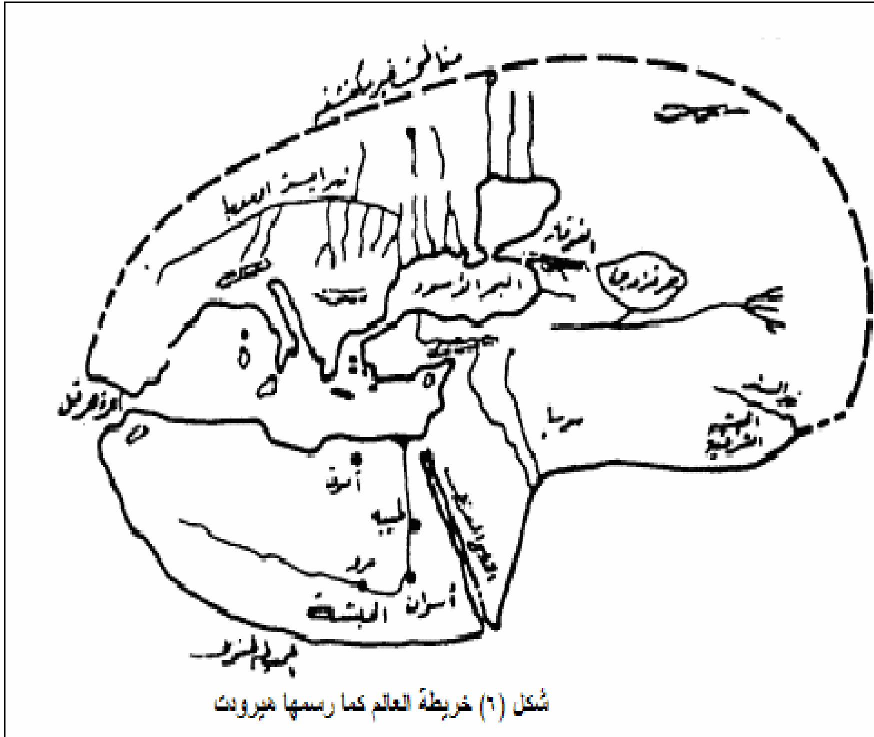
6-1- الخرائط اليونانية القديمة

أخذت الخطوط الأساسية لعلم الخرائط تتضح على أيدي العراقيين، والمصريين القدماء، من خلال الكم الهائل من الخرائط المتنوعة التي اكتشفت في بلاد الرافدين وبلاد النيل، والتي تمثل قمة التقدم الكارتوغرافي في تلك العصور، والتي ما زال الكثير من معالمها الأساسية؛ كمقياس الرسم، واتجاه الخرائط، والرموز الخرائطية، والمظاهر الطبوغرافية مستعملاً في الخرائط الحديثة في الوقت الحاضر.

لذلك، نجد أنه من الواضح أن اليونانيين القدماء لم يبتكروا فكرة الخريطة بل اقتبسوها من الفكر العربي القديم، وأن بداياتهم في صنع الخرائط لم تخرج عن الأساليب المتبعة في صناعة الخرائط عند قدماء العراقيين والمصريين، ويمكن أن نميز بين مدرستين أساسيتين في تلك الحضارات هما: **مدرسة أثينا، ومدرسة الإسكندرية.**

أ- مدرسة أثينا:

يعد أرسطوطاليس مؤسس المدرسة الأيونية (مدرسة أثينا)، أول المدارس التي أسهمت في نشأة الجغرافية العملية، ووضعت الأسس العلمية لعلم الهندسة المستوية، بناءً على القواعد العلمية لمسح الأراضي؛ ولكن هذه المدرسة لم تستطع أن تغير مفهوم الاعتقاد السائد عند قدماء العراقيين والمصريين بأن الأرض طافية فوق الماء، وانعكست تلك المفاهيم على خرائطهم فرسموا الأرض على شكل قرص مستدير يحيط بها الأوقيانوس، واحتلت اليونان قلب العالم المعمور كما فعل البابليون، كما سار هيكتيوس (550-476 ق.م)، وهيرودوت (484-436 ق.م)[26]، على نهج بطلميوس في تصورهم لاستدارة العالم وإحاطته بالأوقيانوس، ولكن هيرودوت جعل البحار الثلاث (الأسود، والمتوسط، والخزر) تحتل وسط خرائطه، كما أنه وقع في الكثير من الأخطاء الجغرافية والكارتوغرافية التي صححت فيما بعد على أيدي العلماء العرب والمسلمين في القرن العاشر الميلادي - كوصله نهر النيل بالمحيط الأوقيانوسي- كما أنه أطلق على البحر الأحمر اسم الخليج العربي، وأظهر بحر الخزر كخليج يرتبط في المحيط الأوقيانوسي، ونهر النيل يتجه إلى الغرب- كما هو موضح في الشكل (6).



شكل (٦) خريطة العالم كما رسمها هيرودت

المصدر: www.ju.edu.sa/edu/1/geo.

ب- مدرسة الإسكندرية:

تأثرت الثقافة الإغريقية بالحضارة العربية القديمة؛ نتيجة لاتصالها المباشر مع تلك الحضارة، بخاصة الحضارة العراقية والمصرية، فأسست مدرسة الإسكندرية في أواخر القرن الثالث ق.م التي ضمت عدداً من العلماء منهم: اريستارخوس، وايراتوستين، وهيبارخوس، وبطلميوس الذين برعوا في الجغرافية الرياضية والفلك، وكان أشهرهم بطلميوس، الذي رسم خريطة العالم وفقا لخطوط الطول والعرض، رغم ما شابها من أخطاء علمية كثيرة صححت على أيدي كارتوغرافيي وجغرافيي المدرسة الكلاسيكية العربية.

بدأ الفكر الجغرافي الروماني بالاضمحلال منذ تحول الدولة إلى الديانة المسيحية في القرن الثالث الميلادي (324م)، وأصبحت الكنيسة المسيطرة على الفكر الثقافي، فأنكرت كروية الأرض، وأيدت تسطحها وأن طولها ضعف عرضها، وهي طافية فوق الماء ومحاطة به[27].

7- تطور صناعة الخرائط العربية في العصور الوسطى (القرن 3-7 الهجري):

عند تقييمنا للخرائط العربية في العصور الوسطى نضع في أذهاننا الجهود المضنية التي بذلها نفر من الباحثين من أمثال: كونراد ميللر، ويوسف كمال لتقدير صحيح لدور العرب المسلمين في صناعة الخرائط، إلا أن الكثير من أصول الخرائط التي أنتجها العرب هي التي في متناول اليد، فلم يعثر على أثر لأصول جهود الخوارزمي (خريطة المأمون التي تصور العالم)، والبلخي، والإصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، وحتى خرائط الإدريسي الموجودة نجدها صورة منقولة لا يعدو تاريخها القرن الخامس عشر.

وهكذا يبدو من الصعب الحكم على الإنجاز العربي الإسلامي في صناعة الخرائط بشكل عقلاني[28]. ولكن الجزء اليسير المتبقي من أصول الخرائط العربية في القرون الوسطى، يدل بصورة واضحة على تطور وازدهار صناعة الخرائط عامة خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث هجري وحتى نهايات القرن السابع لأسباب دينية، وسياسية، وثقافية واقتصادية وإدارية، وأصبحت الخريطة تمثل وسيلة إيضاحية هامة عند جغرافيي المسلمين في العصور الوسطى، وبالتالي لم نجد كتاباً من الكتب الجغرافية المشهورة إلا واحتوى على عدد كبير من الخرائط التوضيحية، ولذلك قام المسلمون برسم عدد كبير من الخرائط وضمنوها كتبهم الجغرافية، وبرعوا في صناعة الخرائط من خلال عدد من المدارس الجغرافية كان أهمها: المدرسة الجغرافية الفلكية، والمدرسة التقليدية، والمدرسة المجددة[29].

1-7- المدرسة الجغرافية الفلكية والرياضية:

أطلق العرب على علم الفلك اسم "علم الهيئة"، وقد عرّفه ابن خلدون بقوله: "علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة، ويستدل بكيفيّات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك"[30].

تمتد المعلومات الفلكية عند العرب لعصور قديمة، ومن الخطأ القول بأن العرب اقتصرت معرفتهم على مجموعة قليلة من النجوم، والكواكب، والأبراج، ومنازل القمر، وتجاوز اهتمام الفلكيين العرب والمسلمين مرحلة الملاحظة العابرة، ليصل إلى المعرفة المنظمة مع بدايات الدعوة الإسلامية، التي انبثق عنها التطبيق العملي للفلك مبنيا على الرصد، والحسابات الهندسية، وتعليل الظواهر الفلكية والكونية[31]، فاستطاع العرب المسلمون بفضل انتشار المراصد الفلكية؛ كمرصد الشماسية في بغداد، ومرصد سامراء، ومرصد جبل قاسيون في سوريا وغيرها، أن يدحضوا الكثير من النظريات الخاطئة عند اليونان حول الميل الأعظم للشمس مثلا، فالمقدار الذي حسبه الخجندي كان 23 درجة و32 دقيقة و22 ثانية، والفرق بين هذه القيمة، والقيمة التي أثبتها علم الفلك الحديث هو عبارة عن دقيقتين فقط[32]، كما أكدوا كروية الأرض والتي بقيت مكان جدل حتى في القرون الوسطى، عندما سيطرت الكنيسة على أوروبا.

1-1-7- أثر الجغرافية الرياضية على تطور صناعة، وتصحيح قياسات اليونان:

لم يكن تطور الجغرافيا الرياضية وعلم الخرائط في الحضارة العربية القديمة، والحضارة العربية الإسلامية مقتصرا على التقليد، بل كان علما أصيلا، والدليل على ذلك هو أن افتراض الإغريق لكروية الأرض في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، جاء بناء على نقلهم التقسيم البابلي لقبة السماء إلى 360° نسبة للدائرة الكبرى على الأرض، لوضع الأسس لضبط المعمور من الأرض ضبطا رياضيا، وبذلك ستطاع مارينيوس الصوري رسم خريطة للعالم المعروف آنذاك بإسقاط يقوم على أساس توازي خطوط الطول ودوائر العرض التي اعتبرت الأساس الوحيد لخريطة بطلميوس.

إن التطور العلمي الكبير الذي بلغه العرب المسلمون في علم الفلك وتطور آلات الرصد الفلكي مثل: اللبنة[33] التي استخدمت لتحديد عرض المكان، وذات الحلق[34]، وذات الشعبتين[35] التي استعملت في القياسات الفلكية والمسحية؛ أسهم بشكل واضح في تقدم علومهم الكارتوغرافية من الناحيتين التقنية والمساحية، فأعادوا قياس محيط الأرض من خلال خط منتصف النهار بناء على طلب المأمون عام 827م، والذي أوكل هذه المهمة إلى خالد بن عبد الملك المروزي، فقام بقياس محيط الأرض من خلال فرقتين: إحداهما عملت بين تدمر والرقّة على

الفرات، والأخرى عملت في وادٍ في أرض الجزيرة بالقرب من سنجار بين درجتي عرض 35° و36° شمالا، وحين عرضت النتائج على المأمون أخذ بالرقم المتوسط وهو 56.6 ميلا، فضربها بـ 360 درجة فحصل على محيط الأرض، وبالتالي مكنت هذه النتائج العلم المعاصر من حساب المعادل المتري لمقاسات المأمون، كما مكنت من معرفة القياس الحقيقي لمحيط الأرض(36).

إلا أن ابن خلكان (681 هجري) يورد في كتابه وفيات الأعيان بأن المأمون كلف بني موسى بقياس محيط الأرض، فقاسوا درجة واحدة من وجه الأرض فوجودها 66 ميلا وثلثي الميل وضربوها بـ 360 درجة لقياس محيط الأرض(37)، وقد أكد هذا القول نالينو، عندما ذكر بأن العلماء المسلمين تمكنوا من قياس درجة واحدة من سطح الأرض فوجدوها 56 ميلا وثلث الميل، وهو الرقم الذي يقترب من الواقع لطول الدرجة الواحدة حاليا والذي يصل عنده وفقا لقياساته إلى 111.8 كم(38)، فإذا عرفنا أن أكثر المقاسات انتشارا في القرن التاسع عشر وهو مقياس **بيسيل** قد قدر الدرجة بنحو 110.938 متراً(39)، ظهر لنا جليا بأن الخطأ في المقاييس العربية يقل عن الكيلومتر الواحد؛ مما يمكن أن نرجعه بيسر إلى النقص في الأجهزة المستعملة في القرن التاسع الميلادي.

كما قادت القياسات الدقيقة العرب المسلمين إلى تقسيم الكرة الأرضية إلى خطوط ودوائر عرض تقترب من الواقع بدرجة كبيرة، فقسمت إلى 360 درجة طولاً و180 درجة عرضاً، وحددوا مداري الجدي والسرطان، مما سهل رسم الخرائط وتحديد الأماكن الجغرافية ضمن سبعة أقاليم، أو أحزمة استنادا إلى خطوط العرض مرتبة من الجنوب إلى الشمال في موازاة خط الاستواء، فانعكست بذلك الدراسات التطبيقية لعلم الفلك العربي الإسلامي على تطور صناعة الخرائط، وذلك بإيجاد حل للعديد من المشكلات التي تواجه الكارتوغرافي في تحديد مواقع الأماكن وقياس المسافات بينها بدقة، وتحديد الاتجاهات بواسطة تحديد خط منتصف النهار (شمال- جنوب)، لذلك استطاعوا توجيه خرائطهم توجيها صحيحا ينطبق على الواقع، سواء كان هذا التوجيه نحو الشمال أم نحو الجنوب، فكلتا الحالتين لا تعيب دقة الخريطة.

إن إعادة الأرصاد الفلكية من جديد من قبل العرب المسلمين، أدى إلى تصحيح الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها بطلميوس أشهر علماء مدرسة الإسكندرية في تحديد الأطوال والعروض، وعند مقارنة الأماكن التي حددها العرب المسلمون مع مثيلاتها الإغريقية يتضح لنا مقدار التقدم الذي حققه العرب المسلمون في عملية الضبط المكاني لخطوط العرض والطول، ثم تحديد الأماكن بما لا يتعدى بضع دقائق، في حين نجده قد فاق الدرجات عند الإغريق بخاصة عند بطلميوس، الذي جعل البر الإفريقي يتصل بالبر الآسيوي، مما جعل المحيط الهندي والهادي عبارة عن بحيرات، وبالغ كذلك في تحديد طول البحر المتوسط الذي اختزله الزركالي إلى 42°

في أزياجه المسماة (جداول طليطلة)، أي أنقص من قياس بطلميوس بـ 20°، كما بالغ في حجم جزيرة سيلان وغيرها[40].

7-2-1 – أثر تقدم علوم الرياضيات عند العرب المسلمين على تطور صناعة الخرائط عند العرب:

أسهمت معرفة العرب المسلمين التامة بحساب المثلثات، وجيب الزاوية، واستخداماتها على يد نصير الدين الطوسي؛ في قدرتهم على حساب أضلاع المثلثات للمثلث الكروي التي بدأها ثابت بن قرة، وبذلك استطاعوا تأسيس علم المثلثات الكروية الذي يستخدم حديثا في رسم مساقط الخرائط، فكانت فكرة الإسقاط المستوي المتعامد القطبي بداية التوجه الصحيح، والخطوات الأولى للدراسة العلمية لمفهوم الإسقاط المنظور[41]، وقد وضع سهراب في مؤلفه "عجائب الأقاليم إلى نهاية العمارة" شرحا وافيا لطريقة رسم خريطة العالم على مسقط مستو، كما استعمل الإدريسي المساقط وسماها لوح الترسيم الممثل لخطوط الطول والعرض على سطح الكرة الأرضية، وذلك لتثبيت المواقع الجغرافية على خرائطه التفصيلية مستخدما المقسِّم (Divider) لضبط المسافات[42]، لذلك جاءت خرائطه مقاربة للواقع المعروف في الوقت الحالي.

7- 2- المدرسة التقليدية وأثرها في تطور صناعة الخرائط عند العرب المسلمين:

يعد القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) هوعصر الازدهار الحقيقي للحضارة العربية الإسلامية، وبلغت صناعة الخرائط طورا خلاّقا كحركة مستقلة قائمة بذاتها، اعتمدت على المسح الميداني من خلال الرحالة العرب كالمسعودي، والجيهاني، والخوارزمي، والإدريسي، والقزويني وغيرهم، وقد أبدى هؤلاء العلماء الكثير من الجرأة العلمية في تقسيم الأقاليم السبعة حسب درجة العرض، مخالفين بذلك تقسيمات مارينيوس الصوري، الذي عدّ خطوط ايراتوثينس Eratothenes هي الحدود الجنوبية لأقاليمه، بينما جعل الخوارزمي على سبيل المثال حدود مارينيوس الصوري الجنوبية هي الحدود الشمالية لأقاليمه، والخط الجنوبي المعمور من الأرض هو خط العرض 25 °25 جنوبا[43]، وبذلك نجد أن الخوارزمي لم يعتمد على نظرية استحالة السكنى في الأقاليم الحارة على الساحل الشرقي لإفريقيا، والهند، وجنوب شرق آسيا.

لذلك نجد أن الأصالة والابتكار في الخرائط العربية الإسلامية تختلف اختلافا تاما عن الخرائط المعروفة في العصور القديمة، كما شهد هذا القرن ميلاد أكثر آثار الكارتوغرافيا العربية أصالة وهو ما أطلق عليه أطلس الإدريسي[44]، والذي يمثل أوج ما بلغته الكارتوغرافيا العربية الإسلامية، كما قام برسم خريطة العالم على مسقط مركاتور مصححا الكثير من الأخطاء الفنية

والعلمية عند من سبقوه من يونان ورومان ومسلمين[45]، أما أهم الإسهامات للمدرسة التقليدية في تطور صناعة الخرائط فيمكن إجمالها بالآتي:

(1) الاهتمام بخطوط الطول ودوائر العرض(الإحداثيات الجغرافية) فقد أدخل الإدريسي مفهوم الترابط بين الخرائط - أن كل خريطة من الخرائط الإقليمية تُكوّن جزءاً من الخريطة العالمية- لأنه صمم خرائطه على شبكة من الإحداثيات سميت بلوح الرسم كما يوضحه شكل (7)، لذلك جاءت أسماء البلدان ودرجات طولها وعرضها قريبة من الواقع.



شكل (٧) خريطة العالم للادريسي

المصدر: http://www.palvoice.com/forums/showthread

(2) التزام هذه المدرسة بخاصة في عصر الإدريسي على الأقل بمقياس الرسم.

(3) استخدام الرموز في تمثيل الظاهرات الجغرافية.

(4) استخدام الألوان التي تدل على المعالم الطبيعية؛ كاللون الأزرق الذي يمثل المياه المالحة، واللون الأخضر الذي يمثل المياه العذبة، واللون الأصفر الذي يمثل الرمال وغيرها من الألوان.

(5) ابتكار توجيه الخريطة باتجاه الشمال.

(6) تطوير مفهوم صناعة الكرات الأرضية.

(7) لقد ساهمت خرائط هذه المدرسة وبخاصة أطلس الإدريسي في استفادة جغرافيي أوروبا في القرون الوسطى من خرائطه، بمقارنتها مع خرائط بطلميوس، بعد أن فاقت أوروبا من سيطرة الكنيسة على مؤسساتها العلمية، وبدأت تعود إلى مؤلفات العرب المسلمين، فنشطت حركة الترجمة للعديد من الكتب والمراجع والمؤلفات مثل: مؤلفات البتاني، والإدريسي، والفرغاني وغيرهم، وبناء على ما وصلوا إليه من معرفة بخرائط العرب والمسلمين أعادوا النظر في خرائط بطلميوس، ومن ثم قاموا برسم خرائط أوروبا، والهند، وإفريقيا، والبحر المتوسط، والخليج العربي، وبحر الخزر وغيرها؛ بشكل أكثر دقة.

7-2-1- المدرسة المجددة في رسم الخرائط (أصحاب أطلس الإسلام):

يعد البلخي (850-933م)، هو مؤسس المدرسة المجددة في القرن العاشر، وقد أظهر ومعاصروه من رواد هذه المدرسة من أمثال: المسعودي، والإصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، وياقوت لحموي وغيرهم ممن مثلوا هذه المدرسة الكارتوغرافية، التي أنتجت مجموعة كبيرة من الخرائط العربية الإسلامية الخالصة الأصيلة، تمثلت في أطلس الإسلام الذي يحتوي على 21 خريطة، يبدأ بخريطة العالم المستديرة، ثم خرائط جزيرة العرب، والمغرب، والجزيرة العربية، والعراق، وخوزستان، وفارس، وكرمان، والسند، وأرمينيا، ومعها آران، وأذربيجان، والجبال، وتيلان، وطبرستان، وبحر الخزر، وصحراء فارس، وسجستان، وخراسان، وما وراء النهر ومن أهم صفات ومميزات خرائط أطلس الإسلام أنها ممثلة لأقاليم العالم الإسلامي، وما تتضمنه من معالم بشرية وطبيعية، وبهذا كانت أكثر احتواء للتفصيلات details من خرائط المدرسة التقليدية، لتركيزهم على أقاليم جغرافية طبيعية أو إدارية، أو حتى عرقية.

لذلك، تميزت خرائط المدرسة المجددة بعدة خصائص ساهمت في تطور صناعة الخرائط في العصور الوسطى والحديثة، كان من أهمها:

1- خلو هذه الخرائط من أشكال الحيوانات والناس التي كانت تحفل بها خرائط أوروبا في العصور الوسطى.

2- رسمت معظم المعالم الجغرافية وفقا لمفاهيم وأسس كارتوغرافية متعارف عليها عند أصحاب المدرسة التقليدية، فظهر الرسم الكارتوغرافي برموز خرائطية موحدة، مثل: الدوائر وأنصافها، والخطوط المستقيمة وغيرها.

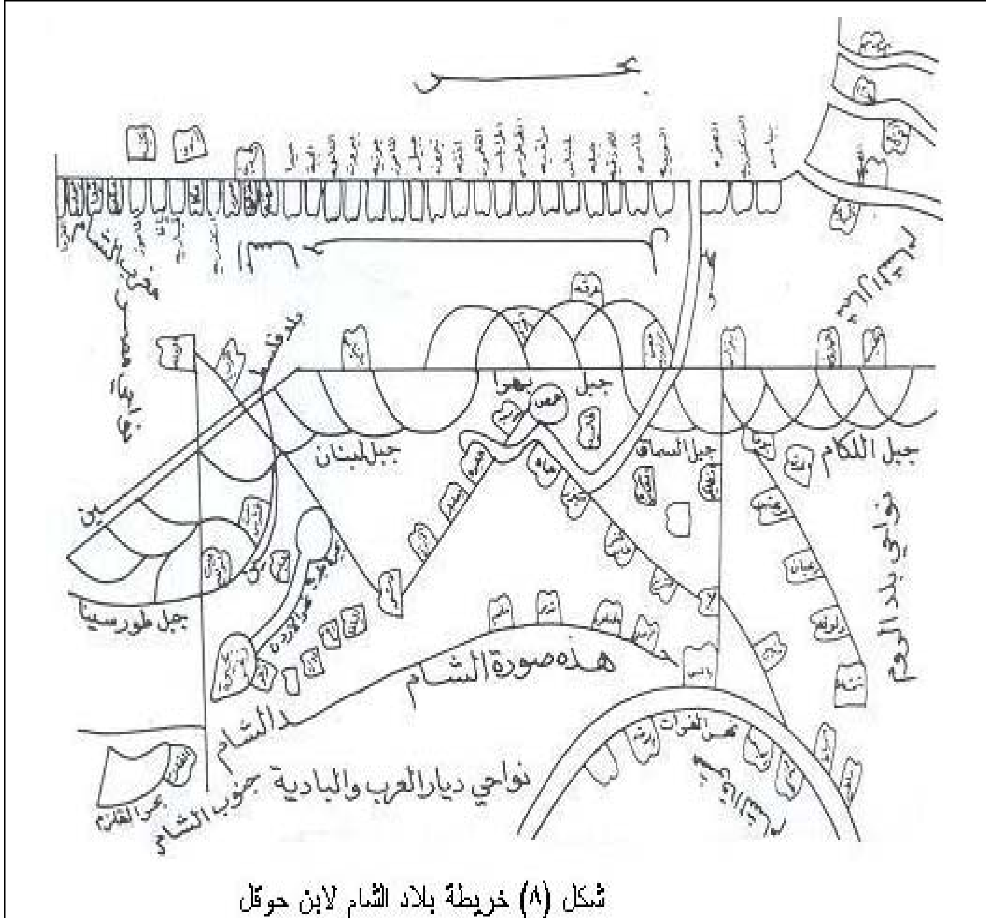
3- كان لكل خريطة منها غرض سياسي، أو حربي، أو اقتصادي؛ كخريطة الديلم، أو خريطة البطيحة المجاورة للبصرة.

4- اهتمت الخرائط في أطلس الإسلام بالحقائق العلمية على حساب الدقة في الرسم الكارتوغرافي، لذا جاءت أقرب إلى الخرائط التخطيطية الهيكلية (Sketch).

5- لقد أسهم كارتوغرافيو المدرسة المجددة في القرن العاشر، وخاصة الاصطخري في تقسيم العالم الإسلامي إلى عشرين إقليما، ليس بالمعنى المعروف كأحزمة تضم عدداً من الدرجات الجغرافية كما هو الحال عند غيرهم من الأمم التي سبقت من فرس، وإغريق، ورومان، وإنما كمناطق جغرافية واسعة، أطلق عليها اسم الأقاليم (Regions)، وأصبحت هذه الطريقة شائعةً في المصنفات الكارتوغرافية العربية الإسلامية التي توضح هذه الأقاليم: كخرائط ابن حوقل، والإصطخري[46]، الموضحة في شكلي (8) و(9)، وما توضحه من معالم حضرية، ونواح، وجبال، وبحار، وأنهار، وجسور، واتجاهات، وحدود لدول الجوار.

وبالرغم من هذه الجهود في صناعة الخرائط العربية الإسلامية نجد من يقلل من هذا الإنجاز كالمستشرق الروسي كراتشوفيسكي، ويعده إنجازا خضع لنظريات علمية موروثة من الأمم السابقة، بخاصة الإيرانيين الذين قسموا الأرض إلى سبعة أقاليم (كشاور)[47]، وما أطلس الإسلام في رأيه، إلا إحلالا للأقاليم الجغرافية العربية مكان الأقاليم الجغرافية الإيرانية، فهذا النقد المقلل للجهد العربي الإسلامي في تطور صناعة الخرائط يتجافى مع الواقع والحقيقة التي نلمسها من خلال الجهد المتواصل في الرقي بالكارتوغرافيا العربية التي اعتمدت على التجارب العلمية والعملية في تطبيق العديد من المفاهيم الكارتوغرافية، واستعمال العديد من النظريات المعدلة لشكل الأرض وكرويتها وأبعادها، وبذلك لا بد لنا من إبراز الجهد العربي القديم والعربي الإسلامي في العصور الوسطى في تطور صناعة الخرائط من خلال النقاط الآتية:

أولا: برز التطور الحقيقي لعلم الكارتوغرافيا العربية قديما من خلال الفلسفة البابلية، وتصورها للكون قبل أن تولد الحضارة اليونانية والرومانية.

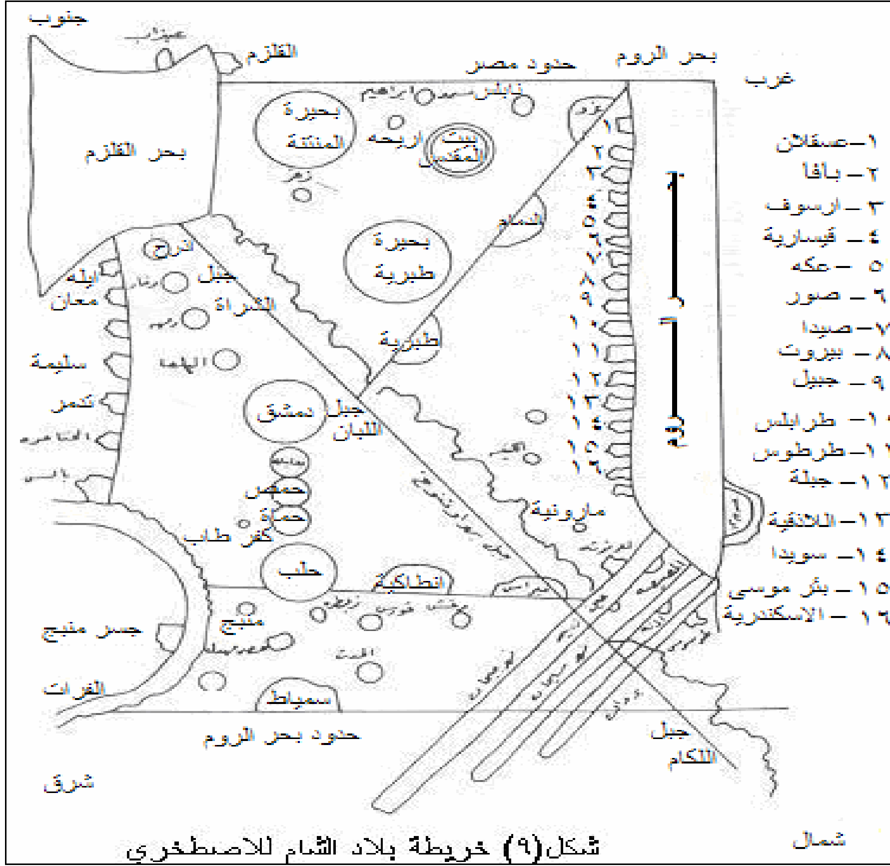


شكل (٨) خريطة بلاد الشام لابن حوقل

المصدر:اسود، 1988.

ثانيا: تعد الخريطة المأمونية من أهم الخرائط العالمية التي رسمت في العصر العباسي (185هجري)، والتي تعد في الأدب الغربي قمة التقدم الكارتوغرافي للعرب المسلمين، ففاقوا بها خرائط بطلميوس بكثير، ويدل رسم هذه الخريطة على القدرة العلمية العالية التي وصل إليها الرسامون العرب المسلمون في تحديد المفاهيم الأساسية لصناعة الخرائط المعتمدة في الوقت الحالي، سواء من حيث التوجيه وتحديد المواقع الجغرافية أم حسن الإخراج، واستخدام الألوان كما يوضحه الشكل (10)، الذي نستشف منه أن العرب المسلمين

وبخاصة الخوارزمي والإدريسي أدخلوا العديد من الإصلاحات الجوهرية على الخرائط اليونانية القديمة(خريطة بطلميوس) والموضحة في الشكل (11)، من حيث[48]:

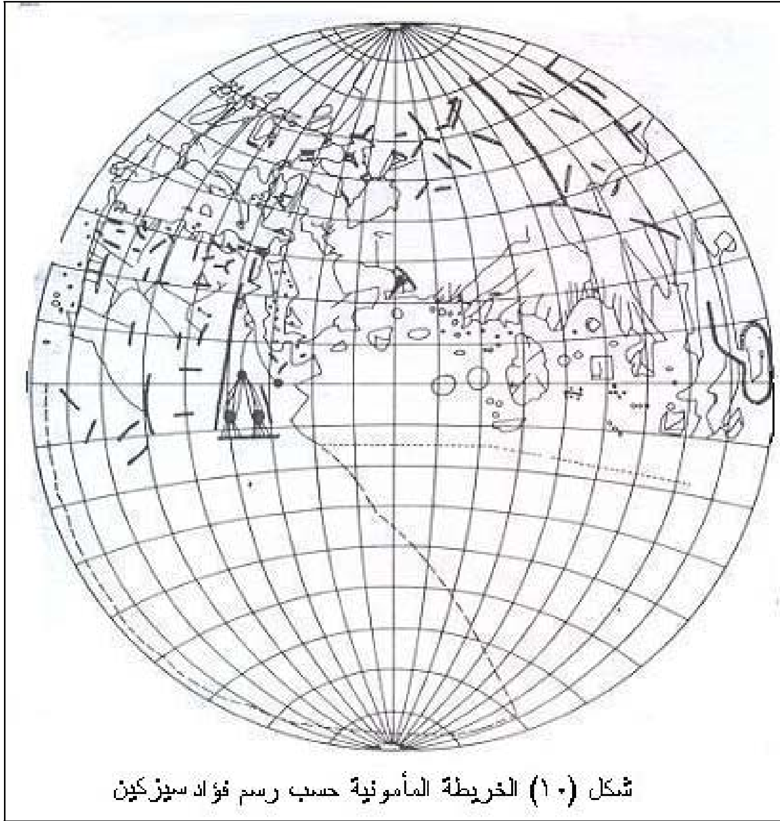


شكل(٩) خريطة بلاد الشام للاصطخري

المصدر: أسود بتصرف، 1988، ص111.

- أرقام خطوط الطول والعرض لدى الخوارزمي وضعت على أساس الحروف وليس الأرقام كما عند بطلميوس.
- قسم بطلميوس العالم إلى ثلاث قارات: أوروبا، وآسيا، وأفريقيا، بينما الخوارزمي نهج النهج الإسلامي في تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم موازية لخط الاستواء.
- أغلب الأسماء عند الخوارزمي ما زالت معروفة بأسمائها العربية، بينما يندر أن تعرف الأسماء من خريطة بطلميوس.

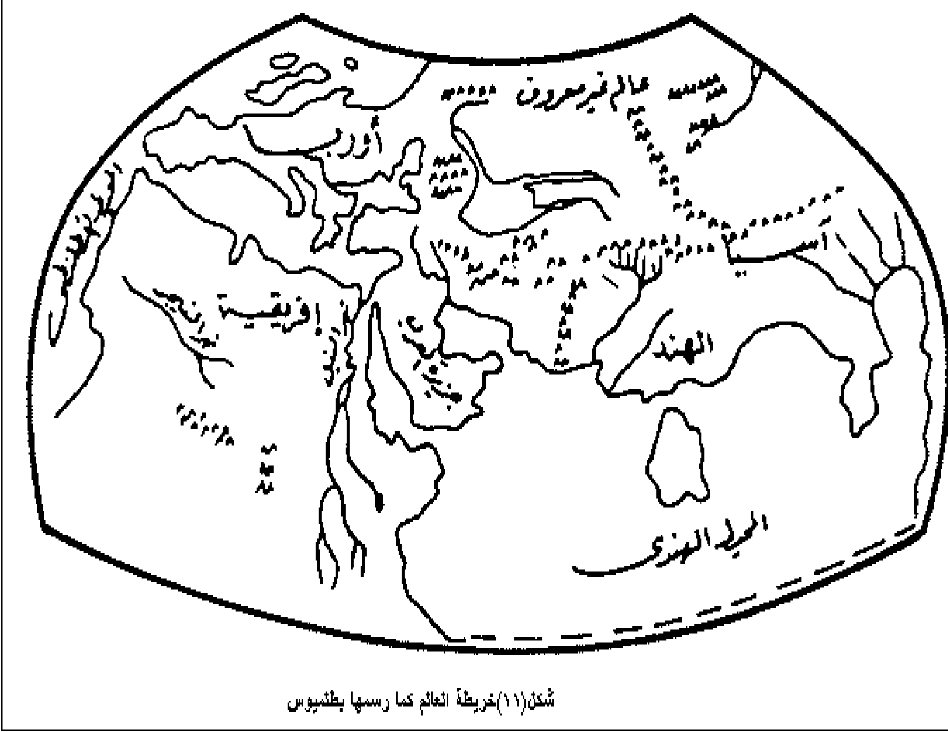
- اعتمد الخوارزمي على المسقط الاسطواني البسيط، في حين كان مسقط بطلميوس هو المسقط المخروطي.
- لم يتفق خط الصفر عند كليهما، إذ وضعه بطليموس عند جزر الكناري(الخالدات)، بينما وضعه الخوارزمي في ساحل إفريقيا.
- كانت المعلومات عند الخوارزمي أكثر دقة؛ فقد رسم بحيرة خوارزم (آرال) المفقودة لدى بطلميوس، وجعل نهر سيحون وجيحون (سارداريا، وموردراريا) يصبان في بحيرة خوارزم، وبذلك صحح الخطأ الذي وقع فيه بطلميوس والذي رسمهما يصبان في بحر الخزر (قزوين)[49].
- شكل بحر الخزر، والخليج العربي أقرب إلى الشكل الحقيقي عند الخوارزمي منه عند بطلميوس.



شكل (١٠) الخريطة المأمونية حسب رسم فؤاد سيزكين

المصدر: سيزكين، 2000، ص82.

ثالثاً: العرب المسلمون هم أول من وضع خريطة العالم في مقدمة الخرائط الإقليمية، وما يزال هذا النهج مستعملا في الوقت الحاضر في كثير من الأطالس العالمية.



شكل(١١)خريطة العالم كما رسمها بطلميوس

المصدر: www.palvoice.com/forums/showthread

الإنجازات الكارتوغرافية العربية الإسلامية في صناعة الخرائط:

تعد خرائط الجيهاني نقطة تحول جوهرية في علم الخرائط، وبذلك مثلت الدور المستقل والمتحرر في الكارتوغرافيا العربية، فجاءت خريطته العالمية على شكل دائرة يحيط بها المحيط الأوقيانوسي، كما جاءت خرائطه الإقليمية خالية من خطوط الطول والعرض، وبذلك نجد أن تفكير الجيهاني أثر في فكر البتاني، وقاده إلى مخالفة الخرائط اليونانية، وحتى الخرائط العربية التي سبقته؛ فاعتمد الشكل الهندسي في تصوير المعالم الجغرافية جاعلا الشمال في أعلى الخريطة، والغرب في أعلى الجزيرة العربية، علما بأن الإجماع العربي في توجيه الخرائط كان عكس ذلك، وسار على نهجه في رسم الخرائط البلخي (ت:312 هجري)، والذي كانت فكرته أيضا ضبابية عن البحر الأسود، وجعل البحر المحيط يتصل مع المتوسط بواسطة قناة، وظهرت بحيرة آرال على شكل دائرة، ولم يظهر بحر الخزر على خرائطه رغم كبر حجمه بالنسبة لبحيرة آرال، واختفى بحر

أزوف، ولكن بالرغم من ذلك فإن البلخي يعدّ أحد أهم رواد المدرسة الكلاسيكية التي كان لها الباع الطويل في رسم أطلس الإسلام، الذي خص كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية[(50)].

لقد أعاد الإصطخري (ت:340 هجري) صياغة خرائط البلخي، وأدخل فيها الألوان ولكنها كانت للزينة، ولا تمثل الحقيقة كرسمه للأنهار باللون البني[(51)]، كما تميزت أعماله بخلوها من مقياس الرسم، ولكن الأبعاد النسبية بين المدن يمكن أن تقترب من الواقعية، كما أنه وضع الجهات الأربع بشكل مقلوب، فالشمال للأسفل والشرق إلى اليسار، وهو بذلك يخالف منهجية البلخي في تعيين الاتجاهات، لكنه سار على نهج البتاني في اعتماده على الشكل الهندسي في رسم الظاهرات الجغرافية أكثر من اعتماده على الانحناءات الشكلية الطبيعية، فرسم على سبيل المثال البحيرات بشكل دوائر، والأنهار بشكل مستقيم، وقد أدخل هذا العالم الرموز الخرائطية (Symbol's) لأول مرة إلى علم الخرائط، فرسم المدن برموز مختلفة؛ كورقة شجر، أو وردة، أو مستطيل يعلوه قبة، كما هو الحال في المنهجية الحديثة في الكارتوغرافيا المعاصرة التي تمثل بعض الظاهرات بالرموز كالمدارس أو المساجد التي تظهر على الخرائط الحديثة برمز مربع فوقه هلال، أو ما يشابه ذلك، كما رسم الجبال على هيئة صورة لأنصاف دوائر تمثل البانوراما الحديثة، أو نظام الخرائط التهشيرية.

ولكن الدقة الكارتوغرافية تختلف عند الإصطخري من إقليم إلى إقليم، ففي حين نجد أن بعض الأقاليم تخلو من التفصيلات كمصر مثلا، نجد أن أقاليم أخرى مثل الأقاليم الشرقية للعالم الإسلامي تزخر بهذه التفصيلات؛ مما يدل على أن معرفته بكافة الأقاليم لم تكن كافية، أو ما يطلق عليه حديثا نقص معلومات التكملة الميدانية(Field Completion)، مما حدا بابن حوقل المعاصر للإصطخري والمتوفى سنة 366 هجري، من تعديل وتصحيح خرائط الإصطخري، مما جعل خرائطه تتميز بالجودة والدقة، وذلك باعتماده على الدراسة والمسح الميداني، التي كانت تعوز الإصطخري، فرسم نحو 23 خريطة بهذا الأسلوب[(52)].

ونهج المقدسي (335-390 هجري) نهج الإصطخري إلا أنه ميز بين ديار الإسلام والكفر، وبذلك أهمل أقاليم الكفر من خرائطه حسب تعبيره، فجاءت خرائطه ملونة بشكل يوضح المعالم الطبيعية، ولذلك يمكن الاستدلال على هذه المعالم من خلال النظر إلى خرائطه مباشرة دون الرجوع إلى كتاب لتفسيرها، وهو النهج المستخدم حاليا في خرائط الأطالس الحديثة التي تبين المناسيب من خلال الألوان المستخدمة.

وبذلك يمكن إيجاز أهم الإنجازات العربية في صناعة الخرائط سواء المتفق عليها أم المختلف في إنتاجها كالآتي:

1. **تمثيل الظاهرات الطبيعية:**

- استطاع الكارتوغرافي البابلي قبل نحو 4500 سنة من تمثيل الجبال بخطوط متعرجة أو مقوسة للدلالة على الارتفاعات، وما زال هذا النهج مستعملا في بعض الخرائط الحديثة.
- استخدم رسامو الخرائط العرب القدماء ورسامو الخرائط المسلمون في العصور الوسطى نظام التهشير في بعض الظواهر الجغرافية، وما زال هذا النهج مستعملاً في الوقت الحاضر.
- استخدم الكارتوغرافي العربي الرموز الهندسية في تمثيل الظاهرات الخطية كقنوات المياه، وتحديد النطاقات الرملية بحدود واضحة ميزت باستخدام التنقيط، وما زالت هذه الرموز تستعمل في الخرائط الحديثة.
- أدخل الكارتوغرافي المصري الألوان على الخرائط، وما زال هذا النهج مستعملا في الخرائط منذ أكثر من 3300 سنة.
- استخدام الرموز الدالة على الأشجار المميزة، كرسم الإصطخري شجرتين في خريطته التي رسمها لتوضح بداية الحدود المصرية الشمالية الشرقية.

2. **تمثيل الظاهرات البشرية:**

- مراكز الاستقرار البشري: خاصة القرى والمدن على اختلاف حجمها أو وظيفتها رسمت منذ العهد البابلي على شكل دوائر هندسية وما زال هذا الرمز يستخدم في الخرائط الحديثة.
- الطرق: رسمت منذ العهد البابلي على شكل خطوط مفردة أو مزدوجة.
- توقيع المواقع المهمة: كتوقيع منارة الإسكندرية والهرمين، وحائط القلاص وغيرها[53].
- تسجيل المسميات الجغرافية، كما ورد في الخرائط المصرية والبابلية، للأنهار والبحار والمدن والحقول الزراعية.
- انتهج الكارتوغرافيون العرب في العصور الوسطى تسجيل بعض ملاحظاتهم الميدانية على بعض الخرائط على سبيل الشرح والتوضيح، بدلا من استعمال مفتاح للخريطة كما هو متعارف عليه في الخرائط المعاصرة.

الخاتمة:

مرت معرفة علم الخرائط العربية بمراحل وأطوار مختلفة، ابتداء من الرسم على جدران المغارات والكهوف والصخور التي توضح وتهدي إلى الأماكن الحيوية التي يهتم بها الإنسان كطرق

الصيد وآبار المياه وأماكن الرعي، وغيرها؛ وما لبثت أن أصبحت أحد أهم العلوم التي اهتم بها العرب القدماء منذ أن بدأ الاستقرار في المدن والقرى وتشكيل الممالك والدول، وجاءت الخريطة البابلية المرسومة على لوح من الطين المشوي كأقدم أثر مدون يعود تاريخه إلى 2300 ق.م، ومنذ ذلك التاريخ خضعت الخرائط العربية لتغيرات مختلفة وفقا للمستوى العام لثقافة الحضارات العربية المتعاقبة التي وصلت إلى مرحلة الازدهار في القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين.

وقد أسهمت صناعة الخرائط العربية وتطويرها، وتكوين النظريات العلمية الخاصة بصناعة الخرائط؛ دورا بارزا في التقدم الكارتوغرافي الذي يشهده العالم في وقتنا الحاضر بعد أن تعرفت الحضارة الأوروبية المعاصرة على الأدب العربي في صناعة الخرائط والجغرافية العملية من أمثال مارينو سانودو صاحب كتاب الأرض، الذي كتبه في بداية القرن الرابع عشر، وضمنه خريطة للعالم لتوضيح فكرته التي ترمي لمحاصرة العالم الإسلامي اقتصاديا.

لقد استطاع العرب - إضافة إلى دورهم في نشأة علم الكارتوغرافيا - تصحيحَ النظريات التي تتعلق بالكون، وقادتهم معرفتهم إلى دحض بعض النظريات الخاطئة، فاستطاعوا أن يصححوا قياسات اليونان لسمت الشمس، فصححت إلى 53" 23" 23°، وهي قريبة جدا للرقم الحقيقي وفقا لأحدث آلات الرصد المعاصرة، كما صححوا أخطاء بطلميوس في تحديد أطوال وعروض البلدان، واتصال قارتي آسيا وأفريقيا، كما تمكنوا من قياس محيط الأرض لدرجة قريبة من الرقم الحقيقي وفقا للقياسات الجيوديزية الحديثة 110.9 كم، وساهموا مساهمة فعالة في الحسابات الجيوديزية والمثلثات الكروية، وبذلك أسسوا لفكرة الإسقاط الخرائطي، وهم أول من استخدم الفرجار في ضبط الأزياج، كما أدركوا أهمية مساقط الخرائط لتثبيت المواقع الجغرافية فضبطوا خرائطهم وفقا "للوح الترسيم" الذي استعمله الإدريسي، كما التزم العديد منهم بمقياس الرسم وتوجيه الخرائط، وكان أول من حدد اتجاه الشمال للخرائط هو الخوارزمي، ويعد العرب القدماء أول من أدخل الألوان في الخرائط (الخرائط المصرية القديمة)، ثم جاء الإصطخري ليدخل الرموز إلى الخرائط، ولم تقتصر إسهاماتهم في الخرائط على ذلك بل نهجوا المنهج العلمي في التحقيق والتدقيق الميداني أو ما يطلق عليه في الكارتوغرافيا الحديثة التكملة الميدانية.

لذلك، كان للعرب القدماء والعرب المسلمين الدور البارز في ضبط جودة صناعة الخرائط "الكارتوغرافيا" التي أسهمت في تطور صناعة الخرائط الحديثة التي تعد من أهم الوسائل في إيصال الأفكار وتخطيط المشاريع وتنفيذها ورسم الواقع كما نعيشه أو كم يجب أن نعيشه.

لذلك، ألقينا الضوء في هذه الدراسة على أهم الأدوار والطرائق التي انتهجها العرب في صناعة الخرائط والإسهامات الثقافية العربية في تطور أهم العلوم التي انبثق عنها جملة من

المعارف والعلوم الحديثة مثل: نظم المعلومات الجغرافية، وأنظمة تحديد المواقع العالمية التي تستخدم في المجالات المدنية والعسكرية، وخلصت هذه الدراسة بالتوصيات الآتية:

1- لقد أسهمت الخرائط العربية الإسلامية في النهضة الفكرية لتطور علم الكارتوغرافيا الحديثة، لذلك لا بد من إعادة إحياء التراث العربي الإسلامي في صناعة الخرائط.

2- دفع الباحثين لمزيد من الأبحاث التي توضح الدور التاريخي للعرب والمسلمين في تعزيز مفهوم الخرائط في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

3- العمل على دحض الآراء الإستشراقية التي تتعمد التقليل من أهمية الدور العربي في تطور صناعة الخرائط من خلال الأبحاث الجادة.

العمل من خلال جمعيات إحياء التراث العربي الإسلامي على إعادة هيكلة الخرائط القديمة ضمن أطلس تاريخي.

Development of Maps Industry in the Arab Islamic World

Ali Al-Shabatat, *Department of Humanities and Social Sciences, Tafila Technical University, Tafila, Jordan.*

Abstract

The development of maps produce has gained people's attention since the ancient ages whether at the national or international levels. The Babylonian map, which was drawn in (2300 BC), is the oldest specimens found in the world. Since then several kinds of maps have been produced such as the descriptive map, which is based on field measurements and digital maps in which modern technology is employed.

The Arabs and Muslims have played a significant role in the development of mapmaking. This can be demonstrated by repairing the maps of ancient nations and introducing original innovations in the art of maps based on astronomy and translation from Greek، Persian and Indian into Arabic. Mapmaking reached the peak during the reign of Al Mansour (185 Hijri) which is called the Classical Approach. Al Balkhi، Al Estakhri، Ibn Hawqal and Al Idrisi were among its pioneers.

قدم البحث للنشر في 2007/10/25 وقبل في 2008/4/10

الهوامش

1. حداد، جورج، 1958، **المدخل إلى تاريخ الحضارة**، مطبعة الجامعة السورية، دمشق- سوريا، ص[420-419]..

2. كراتشوفيسكي، اغناطيوس يوليانوفيتش، 1963، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين هاشم، القسم الأول. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة-مصر، ص[68-89].

3. كراتشوفيسكي، 1963،ص23-25.

4. الراوي، فاروق، 1985، **حضارة العراق**، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص279-292.

5. سوسة، احمد، 1983، **تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية**، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص20-355.

6. باقر، طه، 1980، **موجز تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات العربية القديمة والحضارة العربية الإسلامية**، مطبعة جامعة بغداد، ص[101-5].

7. عبد المنعم، ماجد، 1963، **تاريخ الحضارة في العصور الوسطى**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص20-236.

8. Martin A.Beek,1962, Atlas of Mesopotamia, Translated by: D. R Welsh, Nelson، p70-80.

9. خصباك، شاكر، وعلي المياح، 1983، الفكر الجغرافي –تطوره وطرق بحثه، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ص[50-45].

10. اسود، فلاح شاكر، 1988، **علم الخرائط: نشأته وتطوره ومبادئه**، جامعة بغداد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بيت الحكمة، بغداد، ص[23-9].

11. عبدالحكيم، محمد صبحي، وماهر عبد الحميد الليثي، **علم الخرائط**، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، 1966، ص 2-120.

12. سيزكين فؤاد، 2000، **الجغرافية الرياضية والكارتوغرافيا عند العرب والمسلمين واستمرارها في الغرب**، ترجمة مازن عماوي، مطبعة شتراوس، مورلنباخ، ألمانيا الاتحادية، ص9-95.

13. الشامي، عبدا لعال عبد المنعم، 1981، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، **مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية**، العدد26، الكويت.

14. الراوي، مصدر سابق، ص279.

15. **The New** Encyclopedia **Britannica**, Vol $_{23}$, 15th Ed, p516.

16. اسود، مصدر سابق، ص9.

17. الساعة البابلية = ضعف زمن الساعة الحالية، وتقدر المسافة التي يقطعها الإنسان في الساعة البابلية حوالي فرسخين (= 10.8كم). انظر الراوي، المصدر نفسه، ص282

18. فليحة، أحمد نجم الدين،وجميل نجيب عبدالله،2003، **علم الخرائط والدراسة الميدانية**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية- مصر، ص8-9.

19. فليحة، وجميل نجيب، نفس المصدر،ص10

20. اسود، مصدر سابق، ص12

21. الراوي، مصدر سابق، ص284

22. الإيكو = 1.4375 دونم، والدونم يساوي الف متر مربع

23. ديورانت، ول، 1965، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج2.مج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص87-120.

24. عبد الحكيم والليثي، مصدر سابق، ص3.

25. ماجد، عبد المنعم، 1963، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ص236.

26. اسود، فلاح شاكر،،مصدر سابق، ص34.

27. الحكيم والليثي، مصدر سابق ص5

28. الحكيم والليثي، المصدر نفسه، ص18.

29. ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن، 1992، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر** مج1، ط1، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ص47.

30. نالينو، كرلو، 1911، **علم الفلك- تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، روما، ص281-292.

31. سيزكن، فؤاد، مكانة الفلكيين المسلمين والعرب في تاريخ علم الفلك، **مجلة الثقافة الجزائرية**، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، ص2-5.

32. **اللبنة:** جسم مربع مستو، يستعلم به الميل الكلي وأبعاد الكواكب وعرض المكان(دائرة عرض المكان)

33. **ذات الحلق:** أعظم الآلات هيئة ومدلولا، وهي ست دوائر من النحاس: الأول دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الأرض.

34. **ذات الشعبتين:** وهي ثلاث مساطر على كرسي يعلم بها زاوية الارتفاع، وهي عبارة عن ساقين من خشب ومن هدفة، تتكون من خيط يستعمل في القياسات الفلكية والمسحية.

35. نالينو، كرلو، مصدر سابق، ص281-292.

36. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج(1)، القاهرة، 131 هجري، ص79-80.

37. نالينو، المصدر نفسه، ص[289].

38. كراتشوفيسكي، 1963، مصدر سابق.ص83.

39. سيزكين، مصدر سابق، ص[35-32]

40. العبادي، خضر، **الكارتوغرافي، مساقط الخرائط**، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد،1980، ص[115-91].

41. كراتشوفيسكي، 1963، المصدر نفسه.ص[104-101]

42. سوسة، أحمد، 1974، الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية، نقابة المهندسين العراقيين، بغداد، ص316-321.

43. للمزيد من المعلومات انظر فؤاد سيزكين، 2000، **الجغرافية الرياضية والكارتوغرافيا عند العرب والمسلمين واستمرارها في الغرب**، ترجمة مازن عماوي، مطبعة شتراوس، مورلنباخ، المانيا الاتحادية، ص9-95.

44. اسود، مصدر سابق، ص147-156.

45. الاصطخري (أبو اسحق إبراهيم)، المتوفي سنة 366-هجري، المسالك **والممالك**، تحقيق محمد جابر، 1960، دار القلم، القاهرة.

46. كراتشوفيسكي، مصدر سابق، ص22- 25.

47. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، مراجعة عبدالله الصاوي، مكتبة خياط، بيروت، 1938، ص32-33.
48. اسود، 1988، مصدر سابق، ص88.
49. لوبون، غوستاف، 1969، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص456.
50. الإصطخري، 1960، مصدر سابق، ص15.
51. المقدسي، (ت: 390 هجري)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، بريل، لندن، 1956، ص9-10.
52. الشامي، مصدر سابق، ص61-63
53. كراتشوفيسكي، مصدر سابق، ص 26

المصادر والمراجع العربية:

ابن خلدون، عبد الرحمن. (1992). **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**، مج1، ط1، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ص47.

ابن خلكان. (131 هـ). **وفيات الأعيان**، ج(1)، القاهرة، ص79-80.

اسود، فلاح شاكر. (1988). **علم الخرائط: نشأته وتطوره ومبادئه**، جامعة بغداد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بيت الحكمة، بغداد.

الإصطخري، (أبو اسحق إبراهيم). (1960). **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر، دار القلم، القاهرة.

باقر، طه. (1980). **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، حضارة وادي الرافدين.

بلال، لؤي. (1993). الإسطرلاب في المصادر العربية، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، ع(2)، أيلول، ص38.

حداد، جورج. (1958). **المدخل إلى تاريخ الحضارة**، مطبعة الجامعة السورية، دمشق- سوريا، ص419-420

خصباك، شاكر والمياح، علي. (1983). **الفكر الجغرافي – تطوره وطرق بحثه**، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ص[50-45].

ديورانت، ول. (1965). **قصة الحضارة**، ترجمة محمد، ج2. مج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنش، ص22.

الراوي، فاروق. (1985). **حضارة العراق**، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد.

سوسة، أحمد. (1974)، **الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية**، نقابة المهندسين العراقيين، بغداد، ص316-321.

سوسة، أحمد. (1983). **تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية**، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص20-355.

سيزكين فؤاد. (2000). **الجغرافية الرياضية والكارتوغرافيا عند العرب والمسلمين واستمرارها في الغرب**، ترجمة مازن عماوي، مطبعة شتراوس، مورلنباخ، ألمانيا الاتحادية، ص9-95

سيزكين، فؤاد. (1985). قضية اكتشاف الآلة الرصدية(عصا يعقوب)، **مجلة تاريخ العلوم العربية الإسلامية**، مج(2)، ص1-3.

سيزكين، فؤاد. (د.ت). مكانة الفلكيين المسلمين والعرب في تاريخ علم الفلك، **مجلة الثقافة الجزائرية**، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر.

الشامي، عبدا لعال عبد المنعم. (1981). جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، **مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية**، العدد26، الكويت.

العبادي، خضر. (1980). **الكارتوغرافي، مساقط الخرائط**، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ص21.

عبد المنعم، ماجد. (1963). **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص20-236.

عبدالحكيم، محمد صبحي والليثي، ماهر عبد الحميد. (1966). **علم الخرائط**، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، ص 2.

فليحة، احمد نجم الدين وعبدالله، جميل نجيب. (2003). **علم الخرائط والدراسة الميدانية**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية- مصر، ص8-9.

كراتشوفيسكي، اغناطيوس يوليانو فيتش. **(1963). تار أدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين هاشم، القسم الأول.مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهر، ص40-60.

لوبون، غوستاف. (1969). **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص456.

المؤمن، عبد الأمير. (1996). المراصد الفلكية الإسلامية، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، ع(12)، آذار، ص53.

مركز جمعية الماجد، مركز المخطوطات. (1993). المخطوط في علم الهيئة، **مجلة آفاق الثقافة والتراث-** ع(3)، كانون أول، ص59.

المسعودي. (1938). **التنبيه والإشراف**، مراجعة عبدالله الصاوي، مكتبة خياط، بيروت، ص32-33.

مظهر، جلال. (د.ت). **حضارة الإسلام وأثرها في الشرق العالمي**، دار مصر للطباعة، القاهرة، ص394-412.

المقدسي. (1956). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، بريل، لندن، ص9-10.

نالينو، كرلو. (1911). **علم الفلك- تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، روما، ص281-291.

المصادر والمراجع الأجنبية:

Martin A. Beek. (1962). *Atlas of Mesopotamia*, Translated by: D. R Welsh, Nelson, p70-80-3.

The New Encyclopedia Britannica, Vol $_{23}$, 15th Ed, p516.

www.palvoice.com/forums/showthread

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 525 - 562

أثر العولمة الاقتصادية على السيادة في الدول النامية

مسعود الربضي وعبد الرحمن ربابعة *

ملخص

سعت هذه الدراسة لمعرفة مدى تأثير العولمة بمؤسساتها الاقتصادية على السيادة في الدول النامية، حيث تناولت هذه الدراسة العولمة الاقتصادية والتطور التاريخي لمفهوم السيادة ومظاهرها وعناصرها وخلصت الدراسة إلى: -

1. أن الدولة لم تعد الفاعل الرئيسي في العلاقات الاقتصادية الدولية، أذ برز فاعلون جدد أبرزهم مؤسسات العولمة الاقتصادية المتمثلة بصندوق النقد والبنك الدوليين ومنظمة التجارة العالمية.
2. شكلت العولمة الاقتصادية عنصرا من عناصر التحديد والتحجيم لسيادة الدولة.

ساهمت مؤسسات العولمة الاقتصادية بتفويض السيادة وتهميشها من خلال السياسات الاقتصادية لهذه المؤسسات، كتحرير التجارة ورفع القيود والحواجز الجمركية أمام تدفق السلع والخدمات عبر الحدود فقد أطيح بالمفهوم التقليدي للسيادة.

المقدمة:

تُعدّ السيادة واحدة من أبرز الموضوعات التي تناولها علم السياسة باعتبارها ميزة الدولة الأساسية وواحد من أهم أركانها، ويُعدّ المفكرون: جان يودان، توماس هوبز، وجان جاك روسو، وجون أوستون، وقبلهم أرسطو من أهم المفكرين الذين عالجوا موضوع السيادة وعلاقته بالدولة والنظام السياسي.

وأكد ميثاق الأمم المتحدة على أن تقوم هيئة الأمم المتحدة على مبدأ المساواة بين جميع أعضائها، فأعلنت جميع الدول الأعضاء تمسكها بهذا المبدأ وضرورة احترامه، باعتباره أحد الأعمدة الرئيسية التي قام عليها النظام الدولي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي العقد الأخير من القرن العشرين، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية وحيدة في العالم بدأت

---

* قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية تقوم على الانفرادية والهيمنة، وبدا انهيار النظام الاقتصادي الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي كما لو أنه انتصار للنظام الاقتصادي الرأسمالي.

وفي هذه الأثناء شاع استخدام مصطلح العولمة، واتسع نطاق تداوله في المجالات والحقول المعرفية كافة، السياسية منها والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، بما يعنيه من تنامٍ لدور الشركات متعددة الجنسية، والمؤسسات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد والبنك الدوليين على حساب الدور التقليدي للدولة، وهو ما يمكن أن يُسمى تآكل دور الدولة من الأعلى والأسفل، فالدولة تتآكل من الأعلى من خلال جهود القوى العاملة التي تعمل على إضعاف سلطة الدولة المركزية، وتتآكل من الأسفل نتيجة تبلور مطالب اقتصادية محلية ليست مرتبطة بالإطار الوطني، وبعد تهميش دور الدولة تبرز سلطة الشركات متعددة الجنسية والمؤسسات الاقتصادية العالمية التي لا تقوم على أسس وأهداف وطنية، وتبدأ بالترويج لمفاهيم عالمية، مثل المجتمع المدني، والاعتماد المتبادل والتجارة الحرة محاولة التركيز على الجوانب الإيجابية لهذه المفاهيم، الأمر الذي يهدد الوظيفة التقليدية للدولة.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها محاولة للتعرف على مدى تأثير العولمة بآلياتها الاقتصادية على السيادة في الدول النامية للوصول إلى نتائج حول العلاقة بين المتغيرين.

كما تأتي أهمية هذه الدراسة من محاولتها وضع تفسير علمي لظاهرة سياسة اقتصادية معاصرة، ومحاولة الربط بين المتغيرات السياسية والاقتصادية لهذه الظاهرة، ومدى تأثير المتغير الاقتصادي على المتغير السياسي.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما هو تأثير العولمة الاقتصادية بمؤسساتها المختلفة على السيادة الوطنية للدولة.
2. هل للتشابك والترابط الدوليين المتزايدين تأثير على السيادة الوطنية في الدول النامية؟
3. هل السيادة بمفهومها التقليدي ما زالت قائمة في ظل العولمة الاقتصادية؟

مشكلة الدراسة

يمكن تحديد مشكلة الدراسة بمعرفة مدى تأثير العولمة الاقتصادية بمؤسساتها الاقتصادية على السيادة الوطنية في الدول النامية، فالعولمة مرحلة من مراحل تطور النظام الاقتصادي

الرأسمالي وما حملته من تغيرات سياسية واقتصادية أحدثت تأثيرات على دور الدولة الاقتصادي لصالح تنامي دور الشركات متعددة الجنسية والمؤسسات الاقتصادية الدولية وعلى رأسها البنك وصندوق النقد الدوليين، وتدخل هذه المؤسسات في الشؤون الداخلية للدول متجاوزة الحدود السياسية والسيادية لها بشكل يهدد سيادتها واستقلالها.

فرضية الدراسة

تقوم فرضية الدراسة على وجود علاقة عكسية تربط بين العولمة الاقتصادية وبين السيادة الوطنية في الدول النامية، بمعنى أنه "كلما زادت درجة العولمة الاقتصادية في الدولة تراجعت وتهمشت فيها السيادة الوطنية".

وعليه فقد عُدّت العولمة الاقتصادية متغيراً اقتصادياً مستقلاً والسيادة الوطنية متغيراً سياسياً تابعاً، ولذلك تسعى هذه الدراسة لمعرفة نمط العلاقة بين المتغير الاقتصادي (المستقل) والمتغير السياسي (التابع)، واختبار هذه الفرضية للتأكد من صحتها أو عدمه.

منهجية الدراسة

تستخدم هذه الدراسة المنهج التاريخي ومنهج تحليل النظم، فالمنهج التاريخي لتتبع الظاهرة تاريخياً؛ لأنه لا يمكن عزل أي ظاهرة اجتماعية أو سياسية عن سياقها التاريخي، أي أن هذه الظاهرة ليست وليدة اللحظة ولابد لها من جذور ومقدمات تاريخية ساعدت على بلورتها وتكاملها، قد تعود هذه الجذور والمقدمات لعشرات السنين، وبذلك سيتم استخدام هذا المنهج في دراسة التطور التاريخي لظاهرتي العولمة والسيادة.

أما منهج تحليل النظم، والذي يقوم على افتراض أن النظام هو وحدة التحليل الرئيسية، والنظام هو مجموعة من العناصر المترابطة بشكل منتظم لتصل إلى الاعتماد المتبادل، أي أن كل عنصر أو جزء من الأجزاء المكونة للنظام يؤثر ويتأثر ببقية الأجزاء[1]، وعليه فإن أية ظاهرة يمكن دراستها نظاماً مستقلاً كلاً مركباً من أجزاء عديدة يرتبط كل منها بغيره ويؤثر فيه ويتأثر به. وبما أن النظام الدولي يتكون من مجموعة من النظم الفرعية التي تتفاعل فيما بينها وتتشارك للوصول إلى الاعتماد المتبادل فإن هذا المنهج أحد المناهج المناسبة لدراسة هذا النظام.

والنظام وفق هذا المنهج يتكون من مداخلات ومخرجات، فقد عُدّت العولمة الاقتصادية إحدى المدخلات، والتأثير على سيادة الدولة المخرجات.

ولذلك سيتم الاستفادة من هذا المنهج لدراسة ظاهرة العولمة الاقتصادية على أنها تشير إلى تزايد الترابط والتداخل العالمي، وأن آلياتها المختلفة تعدُ مدخلات جديدة تؤثر على السيادة.

وسيتم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية: الفصل الأول يتناول ظاهرة العولمة من حيث مفهومها ومؤسساتها الاقتصادية المتمثلة بصندوق النقد والبنك الدوليين ومنظمة التجارة الدولية بالإضافة للشركات المتعددة الجنسية. وفي الفصل الثاني سوف يتناول موضوع السيادة ومحدداتها. والفصل الثالث يتناول أثر آليات العولمة الاقتصادية على سيادة الدولة.

الفصل الأول

مفهوم العولمة الاقتصادية

مقدمة:

شاع استخدام مصطلح العولمة الاقتصادية في نهايات القرن العشرين خصوصاً في العقد الأخير منه، بما تعنيه من زيادة الترابط والتداخل العالميين في مختلف المجالات، وللعولمة أبعاد وانعكاسات مختلفة، سياسية، اقتصادية وثقافية، وقد ساعد على الدفع باتجاه العولمة العديد من العوامل والمتغيرات لعل أبرزها انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية عظمى، وبدا هذا الانهيار لدول الكتلة الشرقية كما لو أنه انتصار حتمي للرأسمالية الغربية، كما يُعتبر التقدم التكنولوجي وتطور شبكة الاتصال والمعلومات إحدى أهم العوامل التي دفعت باتجاه توحيد العالم وتقريب المسافات بين أجزاءه المتباعدة والمختلفة.

وتعتبر المؤسسات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد والبنك الدوليين، ومنظمة التجارة الدولية، والشركات متعددة الجنسية، أبرز مرتكزات العولمة الاقتصادية، التي تعتمد على مبادئ الليبرالية الاقتصادية وحرية وتحرير التجارة، وإعطاء دور أكبر للقطاع الخاص في الشأن الاقتصادي.

المبحث الأول: تعريف العولمة:

يُعرف قاموس ويبستر "Webster" العولمة بأنها "إكساب الشيء طابع العالمية وجعل الشيء منتشراً في كافة أنحاء العالم وتطبيقه عالمياً"[(2)] أي نقله من حيز الدولة "المحدود" إلى الحيز العالمي "اللامحدود" ليكون العالم كله إطاراً للحركة والتعامل والتبادل والتفاعل. ويُعرفها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بأنها "مصطلح يجمع بين وصف الظاهرة وتحديد مبادئها، أما الوصف فهو تعبير عن اتساع وعمق التدفقات الدولية في مجال التجارة والمال والمعلومات في سوق عالمية متكاملة"[(3)]، أما صندوق النقد الدولي فيعرفها بأنها "الاعتماد الاقتصادي المتبادل المتنامي لجميع بلدان العالم الذي نتج عن تزايد حجم وتنوع التعاقدات والصفقات عابرة الحدود للموارد والمنتجات والخدمات، والانتشار المتسارع المطلق للتكنولوجيا[(4)].

ويشير مفهوم العولمة إلى زيادة كثافة التفاعلات الدولية، فهي تمثل عملية الترابط المتزايد بين المجتمعات، وتنامي شبكات الاعتماد المتبادل على صعيد العالم على نحو أكثر وأكثف وأعمق[5]. وقد ساعد على تكثيف النشاطات والعلاقات ظهور وسائل الاتصال الحديثة التي أصبحت تربط بين المواقع المتباعدة بطريقة تجعل من الأحداث المحلية تكتسب طابع العالمية، ولذلك فهي مزيج مركب من عمليات تعمل بأساليب وأدوات مختلفة بحيث ينتج عنها أشكال جديدة من التحالفات[6].

وتُعرِّف موسوعة الثقافة السياسية العولمة بأنها إضفاء طابع كوني على النشاطات والفعاليات الإنسانية في المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية بهدف ربط التطور التكنولوجي والاقتصادي وما يرافقها من تحرير للتجارة وتبادل السلع والخدمات المختلفة لتأسيس حضارة كونية جديدة قوامها توحيد النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتشير كذلك إلى الاندماج المتسارع للاقتصاد العالمي عبر التجارة، وتدفق رؤوس الأموال، وانتقال التكنولوجيا، وانتشار شبكات الاتصال عبر العالم[7].

وتتضمن العولمة زيادة في تقارب المسافات وانكماش العالم وتقليصه، وهو ما يعبر عنه روبرتسون (Robertson) بأنها عملية تتماشى في الأساس مع التسارع المتزايد للاعتماد المتبادل، وتشير إلى ضغط العالم وتصغيره[8].

وبهذا المعنى يقوم مفهوم العولمة على فكرة ضغط الزمان والمكان وتكثيفهما، وزيادة الترابط بين الوحدات، وتزايد تأثير الداخل بالخارج، بما يؤثر على هوية الوحدات وقدراتها المركزية، بحيث تبدو هذه التغيرات في الدول والمجتمعات نتاج تطور المنظومة العالمية والتفاعلات داخلها[9].

وهناك مَن يرى أنّ العولمة تمثل مرحلة تاريخية للرأسمالية، وتُعبر عن مشروع الرأسمالية لإدارة أزمتها، وأنها تعني سيطرة النظام الرأسمالي على العالم، بإقامة شبكة من العلاقات والتفاعلات متعددة الجنسية ووسيلة لتجاوز الحدود المعيقة لتراكم رأس المال على الصعيد العالمي، لتُشكل عملية استعمار جديد بهدف هيمنة القوى الرأسمالية على أسواق الجنوب وإلحاق اقتصاداتها بقوى العولمة الاقتصادية[10]، بمعنى أنها أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن سعي النظام الرأسمالي العالمي لأحكام سيطرته على دول الجنوب.

ويرى سمير أمين أن العولمة ليست ظاهرة حديثة في تاريخ الرأسمالية إلا أنها دخلت مرحلة جديدة من تطورها وتعمقها خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين وأن هذا التغير تزامن مع

أزمة التراكم على الصعيد العالمي، مما أدى لتآكل قدرة الدولة الوطنية على إدارة الاقتصاد المحلي[11].

المبحث الثاني: العولمة الاقتصادية:

يأتي البعد الاقتصادي للعولمة في مقدمة الأبعاد الأكثر وضوحاً واكتمالاً، إذ تشير العولمة الاقتصادية إلى بروز عالم بلا حدود اقتصادية، يجري فيه النشاط الاقتصادي على الصعيد العالمي، وانتقال حر لرأس المال والسلع والخدمات عبر شركات عابرة للجنسيات والقارات، لا تخضع نشاطاتها لسيطرة الدول وتدخلها، وللرقابة الحدودية التقليدية إلا بالقدر القليل[12].

وبرزت التجليات الاقتصادية للعولمة، وتسارعت في أعقاب انهيار دول المنظومة الاشتراكية، وتميزت العلاقات الاقتصادية الدولية في هذه الحقبة بمجموعة من الميزات أبرزها[13]:

1. التحرير المتزايد للاقتصادات والأسواق الوطنية من التدخلات الحكومية، والتحول نحو اقتصاد السوق الرأسمالي، وذلك في إطار الأخذ ببرامج التثبيت الاقتصادي والتكيف الهيكلي في الدول النامية، والتراجع في مفهوم دولة الرفاه في كثير من الدول الرأسمالية.
2. تسارع معدلات النمو في التجارة الدولية في السلع والخدمات ونمو حركة رؤوس الأموال عبر الحدود الوطنية للدول غير آبهةٍ بالحدود الجغرافية والسياسية والسيادية للدول وبخاصة تلك الأموال التي تبحث عن الربح السريع من عمليات المضاربة وليس بهدف الاستثمار في أصول إنتاجية.
3. بروز دور الشركات متعددة الجنسية فاعلاً رئيسياً في التجارة والإنتاج وزيادة النفوذ الاقتصادي لهذه الشركات.
4. ظهور تقسيم دولي جديد للعمل وزيادة درجة التكامل والاعتماد المتبادل بين الاقتصادات الوطنية، إلا أن الاعتماد والتكامل بين الدول النامية والدول الصناعية والرأسمالية غير متكافئين.
5. تقلص سلطة الدولة الوطنية وانحسار قدرتها على رسم السياسات الاقتصادية وتنفيذها بما ينسجم وخصوصية كل بلد وفق منظور وطني، وتحول هذه الصلاحيات من الدولة إلى مؤسسات اقتصادية دولية.
6. التقدم التكنولوجي خصوصاً في مجالي الاتصالات والمواصلات والذي تلعب الشركات متعددة الجنسية الدور الرئيسي فيه، وما أدى إليه هذا التقدم من إمكانات فائقة للحركة والانتقال عبر الحدود الوطنية، وما صاحب ذلك من سهولة انتقال السلع والخدمات ورؤوس الأموال والمعلومات.

ومن الممكن القول: إن العولمة الاقتصادية هي محصلة لبروز التكتلات التجارية العالمية الكبرى والتغيرات العميقة في سوق العمل وأساليب الإنتاج وبروز القوى الاقتصادية والصناعية الجديدة والسريعة[14]، إنها –العولمة- عبارة عن تحول نوعي من اقتصاد مُدول كانت فيه "الاقتصاديات القومية" المنفصلة هي المسيطرة رغم اتساع النشاط بين الدول، إلى اقتصاد معولم أصبحت فيه الاقتصاديات القومية المختلفة جزءاً من النظام، بواسطة عمليات أو تعاملات دولية.

وكما تعني العولمة الاقتصادية تحول نمط الإنتاج الرأسمالي من التركيز على التبادل والتوزيع والسوق والتداول إلى التركيز على تقسيم مراحل دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج، من نشرها في كل مكان خارج مجتمعات المركز الأصلي ودوله، وهي بهذا المعنى رسملة العالم على مستوى العمق بعد أن كانت رسملته على مستوى السطح[15].

ويرى توماس فريدمان (T. Friedman) أن العولمة الاقتصادية هي: عملية ديناميكية مستمرة تنطوي على ذلك التكامل في الأسواق وفي الدول الأمم والتكنولوجيا بطريقة تُمكِّن الأفراد والشركات من التجول حول العالم، والوصول إلى مسافات أبعد بصورة أسرع وأعمق وأرخص من أي وقت مضى، وأن الفكرة الدافعة وراءها هي رأسمالية السوق الحرة، إذ كلما تركت قوى السوق تحكم فتحت أبواب الاقتصاد أمام التجارة الحرة والمنافسة الكاملة وأصبح الاقتصاد أكثر قوة وكفاءة وازدهاراً، وهي تعني انتشار رأسمالية السوق الحرة إلى كل دولة تقريباً في العالم ولها مجموعة خاصة من القوانين الاقتصادية تدور حول انفتاح اقتصاد كل دولة وإلغاء القوانين المنظمة له، وخصخصته[16].

وتتسم العولمة الاقتصادية بتطور العمليات والمؤسسات عبر الأممية الأجنبية كنمو حركة التجارة العالمية وزيادة التدفقات المالية والاستثمارات المباشرة وغير المباشرة في ظل إزالة الحواجز السياسية والسيادية أمام نقل رؤوس الأموال ونفوذ المؤسسات الاقتصادية العالمية في اتخاذ القرار الوطني في ظل سياسات الخصخصة وكسر الاحتكارات الحكومية[17]، فقد نما الاستثمار الأجنبي المباشر منذ عام 1995م بنسبة 59% عما كان عليه عام 1960م وبلغت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر (315) مليار دولار عام 1995م[18]، وفي المرحلة بين عامي (1986-1992م) بلغ المعدل السنوي للاستثمار الأجنبي غير المباشر (205.3) مليار دولار، بينما لم يتجاوز في نهاية السبعينات مليار دولار[19].

أما في عام 2006م فقد بلغت قيمة أرصدة الاستثمار الأجنبي المباشر أكثر من (10) ترليون دولار كان نصيب الدول المتقدمة منه أكثر من (7) ترليون دولار بينما كان نصيب الدول النامية منه أقل من (3) ترليون دولار[20].

وإلى جانب الاستثمارات الأجنبية المباشرة تلعب الشركات متعددة الجنسية دوراً بارزاً في العولمة الاقتصادية، فيُوجد حول العالم (65000) شركة (أم) متعددة الجنسية و(850000) شركة منتسبة لها تساهم هذه الشركات بحوالي عُشر الناتج المحلي الإجمالي العالمي وثُلث الصادرات العالمية[21]، وتشكل المبادلات التجارية بينها حوالي ثلث مجمل التجارة العالمية[22].

وعليه يمكن القول إن العولمة الاقتصادية هي سلسلة مترابطة متشابكة من الظواهر الاقتصادية، تتضمن تحرير التجارة وخصخصة الأصول، وسرعة انتقال رؤوس الأموال، وزيادة التكامل والاعتماد المتبادل عبر الحدود، باستخدام التكنولوجيا الحديثة خاصة في مجالي الاتصالات والمواصلات، وانسحاب الدولة من أداء بعض وظائفها الاقتصادية وإفساح مجال أوسع وأرحب للقطاع الخاص ممثلاً بالشركات متعددة الجنسية، ولذلك فهي عملية قفز على الحدود السياسية والسيادية والجغرافية، وتهميش لكل هذه العوائق أمام تدفق السلع والخدمات ورؤوس الأموال المعيقة لتراكم رأس المال على الصعيد العالمي.

المبحث الثالث: آلية العولمة الاقتصادية:

- صندوق النقد الدولي.
- البنك الدولي.
- منظمة التجارة الدولية.
- الشركات متعددة الجنسية.

أولاً: صندوق النقد الدولي

تم إنشاء صندوق النقد الدولي عام 1946م بعضوية 39 دولة واتفق على أن تكون واشنطن العاصمة مقراً دائماً للصندوق حيث يتألف الصندوق من[23]:

- مجلس المحافظين الذي يمثل السلطة التشريعية للصندوق ويكون لكل دولة عضو ممثل ويكون في العادة محافظ البنك المركزي أو وزير المالية لتلك الدولة العضو ويجتمع مرة كل سنة ويهدف لرسم السياسة العامة للصندوق وقبول الأعضاء الجدد وعقد الاتفاقيات مع المنظمات الدولية والإقليمية.
- مجلس المديرين التنفيذيين: الذي يُعدّ السلطة التنفيذية للصندوق ويقوم بالأعمال اليومية وإعداد التقارير السنوية والموافقة على تقديم المساعدات الفنية للدول الأعضاء.
- مدير الصندوق: يعينه مجلس المحافظين كما يعين نائباً له على أن يكون النائب أمريكي الجنسية، ويقوم المدير بالتنسيق بين مجلس المحافظين ومجلس المديرين التنفيذيين

والدول الأعضاء كما يتولى إدارة أعمال الصندوق وتنفيذ توجيهات مجلس المديرين التنفيذيين.

- مجموعة الخبراء المتخصصين: وهم مجموعة من الخبراء في الشؤون الاقتصادية والمالية يقومون بمراقبة تطور الوضع الاقتصادي الدولي وإعداد الدراسات الخاصة بالدول الراغبة بالاستفادة من موارد الصندوق المالية.
- مجموعة الموظفين الإداريين: ويتم اختيارهم من بين الدول الأعضاء في الصندوق.

وهكذا تم إنشاء الصندوق ليُشكل الركن الأساسي للنظام الاقتصادي العالمي برأس مال (8) مليارات دولار (عند التأسيس) موزعة على الدول الأعضاء بحسب الحجم الاقتصادي لكل بلد، وحصة العضو هي التي تحدد قوته التصويتية بحيث يكون لكل عضو (250) صوتاً يضاف لها صوت واحد عن كل مائة ألف دولار. تم تعديلها فيما بعد إلى مائة ألف وحدة سحب خاصة، وكانت الحصة الأكبر فيها للولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت تساهم بِ (2750) مليون دولار تليها بريطانيا (1300) مليون دولار.

وهكذا نُلاحظ الهيمنة الأمريكية الواضحة على التصويت في الصندوق، إذ بمقدورها أن تعطل أي قرار لا يتناسب ومصالحها الاقتصادية والتجارية، بحكم نظام التصويت الذي يُعطي القوة الأكبر للدولة صاحبة رأس المال الأكبر في الصندوق حيث تتخذ القرارات في الصندوق بأغلبية 80% من مجموع الأصوات، وبما أن الولايات المتحدة تمتلك 36% من مجموع الحصص عند التأسيس فإن بمقدورها أن تعطل القرار الذي لا ينسجم وسياساتها الاقتصادية والتجارية[(24)].

ثانياً: البنك الدولي:

يمثل البنك الدولي الركن الثاني من أركان النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، وجاءت نشأة البنك الدولي بالتزامن مع نشأة صندوق النقد الدولي عام 1944 إثر التوقيع على اتفاقية (بريتن وودز) وبدأ البنك أعماله عام 1946م[(25)].

ويُشكل البنك الدولي للإنشاء والتعمير المؤسسة الأهم لما أصبح يُعرف فيما بعد بمجموعة البنك الدولي والتي تتألف من خمس مجموعات مترابطة متكاملة هي[(26)]:

1. البنك الدولي للتعمير والتنمية.
2. مؤسسة التنمية الدولية.
3. هيئة التمويل الدولية.
4. وكالة ضمان الاستثمارات متعددة الأطراف.
5. المركز الدولي لتسوية منازعات الاستثمار.

وتقوم سياسة البنك الاقتصادية على الفكر الاقتصادي الليبرالي حيث يسعى لتقليص التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي، وتسريع الاندماج في السوق العالمية، وربط الدول النامية بنظام السوق وقواعده(27). كما يُنادي بالحرية الفردية، وحرية التملك، وتحرير الأسواق وكف يد الحكومات عن التدخل في الشؤون الاقتصادية، فالسياسات التي يفرضها البنك الدولي تنسجم والشكل الليبرالي الاقتصادي واعتماد القواعد الدولية التي تتبعها الدول الرأسمالية، ويؤكد البنك أن المشاريع الحرة وآليات السوق واحترام الملكية الخاصة هي مبادئ ثابتة لا تتزعزع(28).

ثالثاً: منظمة التجارة العالمية:

تُعدّ الركن الأساسي الثالث في النظام الاقتصادي الدولي، وجاء إنشاؤها إثر مقترح تقدمت به الولايات المتحدة الأمريكية إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة لعقد مؤتمر دولي للتجارة والتوظيف، حيث عُقد هذا المؤتمر في لندن عام 1946م بحضور ممثلين عن خمسين دولة، وصدر عن المؤتمر الوثيقة الختامية التي عُرفت فيما بعد بوثيقة هافانا التي تضمنت مجموعة من القواعد الهادفة لتحرير التجارة الدولية(29)، ووضع الأسس للتوصل لاتفاقية التجارة الدولية، والعمل لإنشاء منظمة التجارة العالمية (I. T. O) (International Trade Organization) وفي عام 1947 عُقد مؤتمر دولي في جنيف للبحث في صياغة ترتيب دولي لتخفيض الضرائب والرسوم الجمركية بين الدول المشاركة، وتمخض هذا المؤتمر عن ولادة الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة General Agreement on Tariff and Trade والتي عُرفت فيما بعد باسم الجات (GATT) فأصبحت هذه الاتفاقية سارية المفعول منذ عام 1948م واستمرت خلال ثماني جولات للإشراف على تحرير التجارة الدولية(30)، كان آخرها جولة (أروجواي) والتي استمرت بين عامي 1986-1993م وتم التوقيع عليها عام 1994م بمدينة مراكش بالمغرب) وكان عدد الدول الموقعة عليها (117) دولة وشهدت هذه الجولة إحلال منظمة التجارة العالمية محل الجات وأصبح أكثر من 95% من التجارة الدولية يقع ضمن نطاق الدول الأعضاء في هذه المنظمة(31).

بناءً على ما تقدم يُمكن القول بأن الجات (GATT)، هي الأساس القانوني والعملي لمنظمة التجارة الدولية وأن الانضمام لها مرهون بالانضمام لاتفاقية الجات التي عقدت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبروز الولايات المتحدة قوة عظمى، فسعت الولايات المتحدة لعقد اتفاقية بعيدة عن الأمم المتحدة؛ لأن إنشاء مثل هذه المنظمة في إطار الأمم المتحدة يعني أن تكون المنظمة ملبية لحاجات جميع الدول، وبما أن العالم في ذلك الوقت كان منقسماً إلى معسكر شرقي ممثل بالاتحاد السوفييتي يعتمد النظام الاقتصادي الاشتراكي الذي يقوم على ملكية الدولة لوسائل

الإنتاج، ومعسكر غربي ممثلاً بالولايات المتحدة يعتمد النظام الاقتصادي الرأسمالي الحر، بمعنى أن العالم كان ينقسم اقتصادياً إلى كتلة ترى أن من مهام الدولة الأساسية التدخل في الشؤون التجارية الداخلية والخارجية والسيطرة على وسائل الإنتاج، وكتلة تدعو لحرية التجارة وتهميش دور الدولة في الشأن الاقتصادي وإعطاء حرية مطلقة للأفراد والقطاع الخاص(32).

شكل هذا الخلاف عائقاً أمام إنشاء منظمة تجارية عالمية لأن هذا يعني أن تخضع إحدى هاتين الكتلتين للأخرى، وحتى تتجنب الولايات المتحدة الأمريكية الخضوع لمنظمة دولية لا يكون لها الدور الأساسي فيها لجأت لعقد مؤتمر دولي لتدشين اتفاقية تجارية دولية في جنيف بسويسرا عام 1947 بهدف تنمية التجارة الدولية وتحريرها من القيود والحواجز الجمركية(33) وتحقيق قدر متزايد من حرية تدفق التجارة الدولية وسهولتها لهذا كان لابد من إجراء سلسلة من المفاوضات على شكل جولات متعاقبة شاركت بها الدول الأعضاء في الاتفاقية بهدف توسيع إطار المشاركة وكانت هذه الجولات كما يأتي (34):

1. جولة جنيف عام 1948م في سويسرا.
2. جولة أنسي عام 1949م في فرنسا.
3. جولة توركاي عام 1951م في إنجلترا.
4. جولة جنيف عام 1956م في سويسرا.
5. جولة ديلبون عام 1960-1967م في سويسرا.
6. جولة كندي عام 1964-1967م في سويسرا.
7. جولة طوكيو عام 1973-1979م في سويسرا.
8. جولة اورغواي عام 1986-1993م.

وتعدّ جولة الأورغواي أهم جولات (الجات) وأطولها وتمخض عنها إقرار إنشاء منظمة التجارة العالمية، وإعادة رسم الخريطة الاقتصادية الدولية، ووضع القوانين الناظمة لحركة التجارة الدولية من منظور النظام العالمي الجديد الذي بدأ بالتشكل في منتصف الثمانينات من القرن العشرين، والذي عكس حرص الدول الصناعية الرأسمالية على مواصلة سيطرتها على النظام الاقتصادي العالمي، وتم توقيع الاتفاقية في 15 نيسان عام 1994م في مراكش بالمغرب معلنة ولادة منظمة التجارة الدولية(35) لتشكل مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير الركن الثالث من أركان النظام الاقتصادي الدولي، وتمثل هذه المنظمة أحد أبرز مرتكزات العولمة الاقتصادية متمثلة بتحرير التجارة وإزالة العوائق والقيود التي تعيق حرية التجارة العالمية، وحرية انتقال السلع والخدمات بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل وما يتبع ذلك من سيادة مبادئ

الليبرالية الاقتصادية وهيمنة اقتصادية سياسية تعطي للدول الكبرى الأفضلية في توجيه التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية[36].

رابعاً: الشركات متعددة الجنسية:

تعد الشركات متعددة الجنسيات من الظواهر البارزة في الاقتصاد العالمي لما لها من تأثير كبير في حركة الاقتصاد العالمي والتجارة الدولية، ولا يمكن دراسة العولمة الاقتصادية وانعكاساتها المختلفة دون تناول دور هذه الشركات في العلاقات الاقتصادية الدولية نظراً لدورها في التأثير على هذه العلاقات حيث أصبحت تلعب دوراً أكثر أهمية من دور الحكومات والدول، وتجلى دورها في تدويل الاستثمار والإنتاج والخدمات والتجارة والمساهمة في تشكيل نظام التجارة الدولي.

وتتخذ هذه الشركات أشكالاً وأحجاماً مختلفة وتتميز هذه الشركات بتوحيد الإنتاج والتسويق على المستوى الدولي بحيث يمر إنتاج السلعة الواحدة في أكثر من دولة، ويتم التسويق في دولة أخرى، وتتميز هذه الشركات بما يأتي[37]:

1. انتشار نشاطها في عشرات الدول بهدف الاستفادة من أي ميزة نسبية توفرها أي دولة، وغالباً ما تحصل هذه الشركات على تمويل محلي من كل بلد يمتد إليه نشاطها، كما يتم انتقاء كوادرها حسب الكفاءة والإدارة بغض النظر عن الجنسية.
2. تعدد النشاطات التي تعمل ضمنها فقد تعمل الشركة في قطاع الكهرباء، والصناعات الثقيلة والكيماويات والمصارف.
3. تعتمد على التكنولوجيا وتساهم مساهمة فاعلة في عمليات البحث العلمي والتطوير جنباً إلى جنب مع الدولة في كثير من الحالات، ففي ألمانيا مثلاً، تعادل نسبة الإنفاق على البحث والتطوير ما يعادل 37.2 مليار دولار تساهم الشركات بأكثر من 60% من هذه النسبة. وفي اليابان تساهم هذه الشركات بأكثر من 86% من نسبة الإنفاق على البحث العلمي والتكنولوجي، وفي الولايات المتحدة تساهم هذه الأبحاث بحوالي 58%.
4. ازدياد النشاط المالي لهذه الشركات إذ ازدادت مساهمتها في تجارة الأسهم والسندات المالية والمضاربة في الأسواق المالية ويُقدر حجم التعامل اليومي لها مع الأسواق المالية بحوالي ترليون دولار.
5. الانتشار الواسع لهذه الشركات وضخامة حجم إيراداتها وسيطرتها على أكثر من ثلثي التجارة الدولية في قطاعي السلع والخدمات بالإضافة إلى تحكمها بالإنتاج والتبادل والتوزيع والتسعير وانتقال رؤوس الأموال[38].

وتتوزع الشركات متعددة الجنسية جغرافياً في أنحاء العالم كافة إلا أنها ليست موزعة بالتساوي فمن بين أكبر (500) شركة هناك (418) شركة منها تتخذ مقارها في ثلاث مناطق اقتصادية هي: الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وتقدر الثروة في هذه المناطق بحوالي (20) ترليون دولار أي أكثر من 80% من الإنتاج القومي العالمي وتستأثر بأكثر من 85% من إجمالي التجارة الدولية(39).

وفي عام 1998م بلغ إجمالي إيرادات الشركات الخمسمائة الكبرى في العالم حوالي 11.4 ترليون دولار، أي ما نسبته 45% من الناتج المحلي الإجمالي لدول العالم البالغ 25 ترليون دولار، وحوالي 149% من حجم الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية البالغ 7.7 ترليون دولار، أما حجم إيرادات هذه الشركات مقارنة بالدول النامية فيساوي حوالي 194% البالغ حوالي 5.9 ترليون دولار(40). وتبلغ قيمة الأصول لهذه الشركات أكثر من 34 ترليون دولار(41).

وفي عام 2001م تم رصد (65) ألف شركة متعددة الجنسية تمتلك حوالي 850 ألف فرع خارجي، وتسيطر على أكثر من (60%) من التجارة العالمية تنتمي أغلب هذه الشركات لدول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية(42).

ورغم أن هذه الشركات تحقق أرباحاً طائلة وهي في زيادة مستمرة من عام لآخر، ففي عام 1994م كان مجمل أرباح الشركات الخمسمائة الكبرى حوالي (2810) مليار دولار ارتفع عام 1995م ليصل إلى (323) مليار دولار، ورغم كل هذه المداخيل التي تحققها إلا أن نسبة التشغيل فيها منخفضة إذا ما قورنت بحجم الأرباح المتحققة فهي لا تستخدم سوى (35) مليون عامل فقط(43).

الفصل الثاني

مفهوم السيادة

المبحث الأول: تعريف السيادة:

السيادة مفهوم تتداخل فيه الأبعاد السياسية والقانونية، ورغم الاختلاف في تحديد المفهوم إلا أنه يعني السلطة العليا التي لا تعلوها سلطة، وهو خاصية مُلازمة للدولة تُميزها عن غيرها من أشخاص القانون الدولي.

فالموسوعة الأمريكية تُعرِّف السيادة بأنها: السلطة المُطلقة غير المحددة للدولة وهي بهذا تربط بين السيادة والقوة اللامتناهية التي يخضع لها الأفراد جميعهم[44].

ويُعرفها قاموس بنغوين للعلاقات الدولية بأنها: (الاستقلال في السياسة الخارجية والاختصاص الحصري في الشؤون الداخلية، فالسيادة الداخلية تُشير إلى سلطة عليا لصنع القرارات وتنفيذها في إقليم معين وسكان معينين، والسيادة الخارجية تشير إلى عدم وجود سلطة دولة عليا تعلو سلطة الدولة)[45].

وتعرِّفها موسوعة السياسة بأنها: "السلطة العليا التي لا تعلوها سلطة الدولة وميزتها الأساسية الملازمة لها، والتي تتميز بها عن كل ما عداها من تنظيمات داخل المجتمع السياسي المنظم، ومركز إصدار القوانين والتشريعات والجهة الوحيدة المخولة بمهمة حفظ النظام والأمن والمُحْتَكِرة الشرعية الوحيدة لوسائل القوة، ولحق استخدامها لتطبيق القانون"[46].

وتُعرفها الموسوعة البريطانية بأنها: السلطة المطلقة في صنع القرار في الدولة وفي عملية حفظ السلام والأمن[47]، أما موسوعة (Webster News World) فتُعرفها بأنها: السلطة المطلقة على منطقة جغرافية معينة وأن حيازة السيادة هي الصفة المميزة للدولة عن غيرها[48].

وعرَّفها جان بودان (Jean Bodin) (1530-1596) بأنها: القدرة الفعلية للدولة على الاحتكار الشرعي لأدوات القمع في الداخل ورفض الامتثال لأية سلطة تأتيها من الخارج وهي مرادفة للاستقلال وهي دائمة لا تفوض ولا تخضع للتقادم ولا يحد منها القانون[49]. ويرى أنها السلطة العليا المسيطرة على المواطنين والرعايا دون تقييد قانوني ما عدا القيود التي يفرضها القانون الطبيعي والشرائع السماوية[50].

أما توماس هوبز (Thomas Hobbes) فقد عرَّفها بأنها: السلطة العليا التي تستطيع فرض النظام والسلطة، وذهب إلى أن الإنسان مصلحي وذاتي التفكير ولا يُحافظ على عهوده ولا يمتثل للقوانين إلا إذا انسجمت مع ميوله ومصالحه، ولهذا فإن احتمالية الصدام بين الفئات الاجتماعية تبقى قائمة، فنشأت الحاجة لوجود سلطة عليا تفرض القانون والنظام، وعليه فإن سلطة الدولة وسيادتها ضروريتان للبقاء والاستمرار[51].

أما في الفكر السياسي الإسلامي فقد ارتبط مفهوم السيادة بشخصية الخليفة عن طريق البيعة فتجسدت السيادة في شخص الحاكم بموجب نظرية الحق الإلهي، فالحاكم هو المسؤول عن تطبيق القانون الإلهي أمام الله.

أما السيادة من المنظور الماركسي فإنها مرتبطة بأصل وجود الدولة، فالدولة في الفكر الماركسي ليست سوى أداة قمع طبقي تستخدمها الطبقة البرجوازية لقهر طبقة الأكثرية الكادحة، وحسب المفهوم الماركسي فإن الصراع الطبقي بين الأكثرية الكادحة والأقلية البرجوازية سيؤدي لإقامة دولة البروليتاريا القائمة على الأسس الاشتراكية تمهيداً لخلق المجتمع الشيوعي وإلغاء وجود الدولة ثم إلغاء ظاهرة السيادة[52].

المبحث الثاني: مظاهر السيادة:

للسيادة مظهران داخلي وخارجي:

- السيادة الداخلية: بمعنى أن تمتلك الدولة السلطة الشرعية المطلقة والحصرية على جميع الأفراد والجماعات داخل إقليمها[53]، وحرية الدولة في إدارة شؤونها دون تدخل خارجي، وحرية الدولة في تنظيم حكوماتها بالشكل الذي تراه مناسباً واعتماد الدستور الذي يتفق مع حاجاتها، وهو ما يعبر عنه الاستقلال الداخلي بمعنى أن الدولة هي صاحبة السيطرة المطلقة داخل إقليمها وتمارس سلطانها من غير تدخل من أي قوى خارجية.
- السيادة الخارجية: أي أن الدولة صاحبة السلطة المطلقة بإدارة علاقاتها الخارجية ومن غير الخضوع لأي سلطة[54]. وهذا لا يعني التحرر من القيود التي تطرحها قواعد القانون الدولي العام الذي تقره جميع الدول وتلتزم به[55].

وقد أكدت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة على أنه ليس لأية دولة الحق في التدخل في الشؤون الداخلية والخارجية لأية دولة أخرى، وعليه فقد عُدّت الأعمال التالية مخالفة لميثاق الأمم المتحدة:

- استعمال إجراءات اقتصادية وسياسية، أو من طبيعة أخرى لإكراه دولة ما على ممارسة أعمال خارجة عن إرادتها.
- استعمال القوة لحرمان الشعوب من "هويتها القومية" وهذا ما نصت عليه الفقرة الرابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على أنه "يمتنع أعضاء المنظمة في علاقاتهم الدولية من اللجوء للقوة أو التهديد ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة".
- التدخل في الصراعات الداخلية لدولة ما وهذا يرتبط بحرية الدولة أو الجماعة داخل الدولة في اختيار النظام السياسي والاقتصادي الذي يتناسب مع هذه الجماعة.

- حق الشعوب في اختيار النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. فللدولة أن تختار نظام الحكم الذي يلائمها وأن تضع لنفسها الدستور والقوانين والأنظمة التي تتوافق مع مصالحها، ولها أن تغير نظامها وحكومتها من غير أي تدخل من قوة أجنبية.

المبحث الثالث: خصائص وأشكال السيادة

خصائص السيادة:

- مطلقة: أي أنها السلطة التي لا تعلوها سلطة ولا يوجد لها حدود في سن القوانين داخل إقليم الدولة، وهي أعلى صفة للدولة وأنه ليس هناك داخل الدولة ولا خارجها هيئة تتمتع بسلطات أعلى منها ولا يحد هذه السيادة إلا الحدود القانونية التي يضعها القانون الدولي العام.
- شاملة: أي أنها تطبق على المواطنين كافة داخل إقليم الدولة، ولا يُستثنى من هذا الشمول سوى ما يتمتع به الممثلون الدبلوماسيون من حصانات وامتيازات.
- دائمة: أي أنها تدوم بدوام الدولة وتزول بزوالها.
- غير قابلة للتجزئة: أي أنه لا يوجد داخل الدولة سوى سيادة واحدة، وما دامت مطلقة، وتمثل الإرادة العامة وتشمل الإقليم الجغرافي للدولة فلا يمكن تجزئتها(56).
- غير قابلة للتنازل: أي أن الدولة لا تستطيع التنازل عن سيادتها لأنها عندئذ تفقد ذاتها، وبما أنها ليست سوى ممارسة الإرادة العامة فإنها لا تستطيع التنازل عن ذاتها الذي هو كائن جماعي ليس لأحد حق الادعاء بالتنازل عنه(57).

أشكال السيادة:

- السيادة القانونية: بمعنى أن صاحب السيادة هو الشخص أو الهيئة التي يمنحها القانون حق ممارسة السيادة وإصدار الأوامر والنواهي في الدولة، وفي كل دولة جهاز خاص لإصدار القوانين وهذا الجهاز هو صاحب السيادة القانونية وهي بهذه الصفة عائدة للدولة على أنها شخص معنوي(58).

وتتمثل السيادة القانونية في أنها السلطة العليا لتشريع القوانين ويوجد في كل دولة شخص أو مجموعة أشخاص يمتلكون السلطة العليا التي تمكنهم من إصدار الأوامر والنواهي، وهؤلاء هم أصحاب السيادة القانونية وعلى سائر الأفراد الإذعان لهذه الأوامر والانقياد لها.

- السيادة السياسية: وهي القوى التي تقوم بتنفيذ القانون، وهذه القوى تأتي في الأنظمة الديمقراطية عن طريق الانتخابات. بمعنى سيادة أولئك الذين لهم حق الانتخابات وهم الذين

يتم بواسطتهم اختيار صاحب السيادة القانونية، فالسيادة القانونية هي الأداة التي تنفذ إرادة السيادة السياسية والحكومات الصالحة هي التي تطور وتوثق العلاقة بين السيادتين.

- السيادة التامة والسيادة الناقصة: الدولة تامة السيادة هي الدولة التي لا تخضع في شؤونها الداخلية أو الخارجية لأي هيمنة من دولة أخرى، وهي الدولة المستقلة تماماً داخلياً وخارجياً. وهذا لا يعني أن الدولة تامة السيادة غير خاضعة لمبادئ القانون الدولي العام بل هي مطلقة السيادة بما وفقاً للقانون الدولي[59]. أما الدولة ناقصة السيادة فهي التي تخضع في شؤونها الداخلية أو الخارجية لدولة أخرى كالدول التابعة أو المحمية أو المستعمرة أو الخاضعة للانتداب.

فالدولة تامة السيادة تتمتع بمظاهر سيادتها كلها داخل إقليمها وفي محيطها من غير أن يكون لأي جهة أخرى حق التدخل في شؤونها، وهذا هو الوضع الطبيعي الذي يجب أن يتمتع به أعضاء المجموعة الدولية كافة.

أما الدولة ناقصة السيادة فهي التي ليس لها كامل الحرية في ممارسة سيادتها لارتباطها بدولة أخرى أو خضوعها لها بأي صورة من صور التبعية[60].

المبحث الرابع: محددات السيادة:

رغم أن السيادة توصف بأنها مطلقة وغير مقيدة، إذ إن التقييد يتناقض مع مبدأ الإطلاق إلا أن هناك مجموعة من القواعد والقوانين الدولية التي يجب على الدولة أن تلتزم وتتقيد بها بوصفها جزءاً من المجتمع الدولي، فهل تشكل القواعد الدولية والمعاهدات وقواعد إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الدول والتحالفات الثنائية والمتعددة قيوداً على السيادة؟ فمن هذه العلاقات والالتزامات التي تتقيد بها الدولة تبدأ الدولة بفقدان جزء من سيادتها[61]، بناءً على هذه النظرية فإنه ليس هناك فوق الأرض دولة تتمتع بسيادة مطلقة، فهي مقيدة خارجياً بمعاهدات ومواثيق دولية، وهناك من يرى أن هذا الالتزام من الدولة بالمعاهدات والقواعد القانونية الدولية لا يُعد انتقاصاً من سيادتها كون هذا التقيد بالقانون الدولي يهدف لتحقيق السلم والأمن والتعاون الدولي والذي يعبر عن إرادة المجتمع الدولي[62] وعليه فإنه يمكن القول أن هناك مجموعة من القيود والمحددات التي تساهم بالحد من السيادة وإسقاط صفة الإطلاق عنها وهذه المحددات هي:

1. القانون الطبيعي:

تستند هذه النظرية إلى وجود قانون طبيعي يكمن في الروابط الاجتماعية، والعقل الإنساني هو الذي يكتشف هذا القانون، وبناءً عليه يقوم بصياغة القانون الوضعي، وكلما كان القانون الوضعي أقرب للقانون الطبيعي كان أقرب للكمال.

وفكرة القانون الطبيعي فكرة قديمة تعود لعهد القانون الروماني إلا أنها تجددت في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين إثر ما ساد من أفكار عن السيادة المطلقة للدولة فبرزت الحاجة لفكرة القانون الطبيعي للدفاع عن حقوق الأفراد وحرياتهم ضد طغيان الدولة(63).

وخلاصة القول إن الدولة ليست مطلقة الحرية في صياغة القواعد القانونية، فالقانون الطبيعي يحدد هذه السيادة ويقيد السيادة حتى سيادة الشعب بوصفه المثل الأعلى الذي يذود عن حرية الإنسان وكرامته.

2. الحقوق الفردية(64):

تستند هذه النظرية إلى أن للفرد حقوقاً طبيعية ولدت معه، وهذه الحقوق يتمتع بها الفرد قبل أن ينتقل لحياة الجماعة بموجب العقد الاجتماعي، والفرد عندما انتقل لحياة الجماعة لم يتنازل عن حقوقه بل لجأ للجماعة لحماية هذه الحقوق وصيانتها، وبما أن السلطة وجدت لهذا الهدف فهي ملزمة باحترام حقوق الأفراد الطبيعية.

إذن فالسيادة ليست مطلقة وإنما مقيدة بمراعاة حقوق الأفراد وهي لم توجد إلا لحماية هذه الحقوق، وعليه تشكل الحقوق الفردية محدداً من محددات السيادة.

3. التحديد الذاتي للسيادة:

تقوم هذه النظرية على أن الدولة هي التي تضع القانون ثم تتقيد به بإرادتها، صحيح أن الدولة تملك حق تغيير أو تعديل القانون إلا أنها تبقى ملتزمة به ما دام معمولاً به، فالسلطة هي التي تضع القانون وتتقيد به فكأنها سعت لتقييد نفسها به، الأمر الذي يعد أحد محددات السيادة المطلقة للدولة.

4. القانون الموضوعي:

تقوم هذه النظرية على أن الدولة مقيدة بتصرفاتها بقواعد القانون الموضوعي الناشئ عن مقتضيات التضامن الاجتماعي، فالإنسان ينخرط بالجماعة لشعوره بالحاجة للحياة الجماعية وينشأ بين الأفراد شعور بالتضامن الاجتماعي، وهذا التضامن هو الذي أنشأ الدولة وهو الذي يفسر مشروعية السلطة السياسية والقانونية فيها، فممارسة الدولة لسلطاتها لا تكون مشروعة إلا إذا كانت منسجمة مع مقتضيات هذا التضامن، والتضامن الاجتماعي هو أساس القاعدة القانونية.

وعليه فإن التضامن الاجتماعي يشكل أحد محددات السيادة للدولة والسلطة السياسية فيها وهذا التضامن يعد قيداً محدداً لممارسة السلطة لسيادتها مما ينفي عنها صفة الإطلاق.

5. القانون الدولي:

تعد قواعد القانون الدولي أحد أهم محددات السيادة المطلقة وأبرزها، إذ تفرض هذه القواعد على الدول مجموعة من القوانين عليها الدول الالتزام بها[65].

6. عضوية الدولة في المجتمع الدولي:

تشكل عضوية الدولة في المجتمع الدولي أحد القيود المحددة للسيادة مثل قيود منظمة الأمم المتحدة التي تفرض على جميع الدول الأعضاء لتحقيق السلم والأمن الدوليين.

7. دخول الدولة في المعاهدات:

يشكل دخول الدولة في معاهدات ثنائية أو متعددة قيداً على حريتها وإعاقة لحركتها، إذ يجب عليها الالتزام بنصوص هذه المعاهدات والتقيد بها، وهذا يشكل محدداً آخر من محددات السيادة المطلقة.

8. وجود الدول الكبرى:

يأتي هذا القيد نتيجة الوضع المتميز الذي أعطي للدول الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وبريطانيا، والصين وروسيا) حق الاعتراض على قرارات مجلس الأمن الدولي وهو ما يعرف بحق النقض "الفيتو" وهو ما يعطى لهذه الدول الحق في التحكم بمجريات العلاقات الدولية وقواعدها وهذا الامتياز أعطي لبعض الدول في اتخاذ القرارات في بعض المؤسسات الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي حيث ترتبط القوة التصويتية للدولة بحجم ما تساهم به الدولة من ميزانية البنك الدولي، أي أن القوة التصويتية بحجم ما تساهم به الدولة من رأس مال البنك وهو ما يعطي للدول الغنية ميزة لا تتمتع به الدول الفقيرة وهذا يتناقض مع مبدأ المساواة في السيادة الذي نصت عليه المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة في فقرتها الأولى[66].

ثم إن فكرة المساواة بين الدول ليست إلا مسألة شكلية مما يعني أن بعض الدول ليست ذات سيادة تامة وليست محصنة من التدخل في شؤونها الداخلية من قوى إقليمية أو دولية، الأمر الذي يتنافى ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الذي نصت عليه الفقرة السابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة.

المبحث الخامس: الدول النامية

مفهوم الدول النامية:

تعرف الدول النامية بأنها تلك الدول التي لم تصل إلى مرحلة التطور الاقتصادي الذي يتميز بنمو التصنيع وبلوغ الدخل القومي مستوى يمكن من توفير الادخار المحلي المطلوب لتحويل الاستثمار لعمليات النمو المستقبلية، وهي الدول التي رزحت تحت السيطرة الاستعمارية، وما تزال تحت الهيمنة الإمبريالية التي تسيطر على السوق العالمية، والمحلية لهذه الدول، بحيث أصبح اقتصادها ملحق وتطورها مرهون ببرامج الاقتصاد الإمبريالي، وهي دول ذات مستوى معيشي منخفض مقارنة بالدول المتقدمة، ولا يستقيم فيها التوازن بين سرعة نمو السكان ودرجة التقدم الاقتصادي، وتسعى لتنمية مواردها الاقتصادية وزيادة طاقتها الإنتاجية لتجاوز حالة التخلف الاقتصادي، وقد استطاع الاستعمار القديم تجزئة وتفتيت الكيان السياسي والاجتماعي لهذه الدول مما أضعف قدرتها المستقبلية على النمو واللحاق بركب الدول المتقدمة[67].

ويطلق على هذه الدول اصطلاح العالم الثالث وهي الدول التي شكلت ظاهرة اقتصادية اجتماعية، سياسية متميزة خلال الحرب الباردة، وهذه الدول تمتلك مصادر الثروة الخام خاصة مصادر الطاقة وتسيطر الشركات الاحتكارية الأجنبية على هذه المصادر، وتسمى هذه الدول أحياناً "بلدان تمر بمرحلة التنمية" و"بلدان متخلفة" و"أقطار أقل تقدماً" وكل هذه المفاهيم والاصطلاحات تدل على معنى واحد يُميز هذه الدول ذات السمات المتشابهة عن باقي الدول المتقدمة أو الأكثر تقدماً[68].

ويعرف البنك الدولي الدول النامية حسب المعيار الاقتصادي والذي يستند إلى نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، وهي الدول التي يتراوح نصيب الفرد فيها بين (745-9206 دولارات)[69].

ويتميز اقتصاد هذه الدول بارتفاع حجم المديونية حيث اندفعت للاستدانة الخارجية للتعويض عن النقص الحاد في مدخراتها الوطنية، فخلال الفترة بين عامي 1970م-2001م ارتفع حجم الديون لهذه الدول على النحو التالي:

1970م – 62 بليون دولار.

1980م – 481 بليون دولار.

1990م – 1539 بليون دولار.

1996م – 2038.8 بليون دولار.

2001م أكثر من 2.5 ترليون دولار.

وقد سددت هذه الدول خلال الفترة بين عامي 1980م – 2001م أكثر من (4500) بليون دولار ورغم ذلك فقد ارتفعت مديونية هذه الدول إلى أكثر من ترليونيّ دولار كما تشير الأرقام السابقة، مما أدى إلى تفاقم أزمة المديونية في هذه الدول فأعلنت عجزها عن سداد أعباء هذه الديون وظهر هذا العجز في كل من السودان، مصر، المكسيك، الأرجنتين، تركيا، حيث أصبحت أعباء خدمة الدين تشكل ما نسبته حوالي 67% من ميزان المدفوعات كما الحال في تونس، و55% في مصر الأمر الذي ساهم في زيادة تبعية هذه الدول الاقتصادية والمالية والتجارية والتكنولوجية للدول الرأسمالية الدائنة(70).

وقد استغلت الدول الرأسمالية الدائنة أزمة المديونية الخارجية لهذه الدول ووظفتها لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية والمتمثلة بما يلي:

1. التدخل في شؤون الدول المدينة والتأثير على قرارها الوطني.
2. فرض مزيد من الشروط الاقتصادية والسياسية على الدول المدينة.
3. تعميق تبعية هذه الدول للنظام الرأسمالي العالمي(71).

مما سبق يمكن القول أن الديون الخارجية للدول النامية ساهمت في تدخل الدول الدائنة في الشؤون الداخلية لهذه الدول، مما منعها من انتهاج سياسة اقتصادية مستقلة، وشكلت هذه المديونية المدخل الذي دخلت منه المؤسسات الاقتصادية الدولية للتدخل في الشأن الداخلي لها، وهي ما سيتم بحثه في الفصل التالي.

الفصل الثالث

العلاقة بين العولمة الاقتصادية والسيادة

المبحث الأول: إطار نظري لتحليل العلاقة بين العولمة والسيادة

أدت المتغيرات العالمية في مجالات العولمة إلى إفراز تحولات خطيرة تحيط بالمفهوم التقليدي للدولة والأمة معاً، فالعولمة وما يتبعها من انعكاسات سياسية اقتصادية، ثقافية اجتماعية ضربت مفهوم الدولة في الصميم فانهارت الحدود ومعطيات السيادة وأدت إلى مضاعفات تسير باتجاهين متناقضين، أحدهما توحيد العالم من جهة، وتفتيته من جهة أخرى، فالتوحد المتسارع لاقتصاديات العالم وأسواقه عرّض كيانات سياسية في معظم أرجاء العالم بما فيها كبريات الدول إلى خطر التحلل والتفكك والتجزئة بسبب عجز الدولة عن حماية مواطنيها من تحكم الاقتصاد العالمي بحاضرها ومستقبلها، هذا التفكك والتحلل سيؤدي إلى تعزيز الكيانات والهويات الإقليمية الجديدة حيث ستطالب هذه الكيانات الصغيرة التي قد تنشأ بالانضمام لهذه الكيانات

الإقليمية[72]، وفي الدول النامية فإن عملية دمج أو إدماج دولة في الاقتصاد العالمي سيؤدي إلى تفكك هذه الدول.

هذه المتغيرات كان لها انعكاسات على الدولة وأسسها وعناصرها التقليدية التي عرفت بها الدولة وأبرزها عنصر السيادة، فالسيادة للدولة هي كالحرية للفرد، وبما أن الدولة هي صاحبة السيادة بمفهومها التقليدي وهي الإرادة العليا التي لا تعلوها إرادة، فهل ما زالت الدولة مطلقة السيادة في ظل أوضاع العولمة الاقتصادية بمؤسساتها المختلفة؟

إذا كانت الإجابة بالنفي فهذا يعني أن الدولة فقدت حريتها أو فقدت سيادتها أو على أقل تقدير تحولت هذه السيادة من سيادة كاملة مطلقة إلى سيادة ناقصة محدودة بهذه الأوضاع والمتغيرات التي عصفت بالعالم في السنوات الأخيرة.

وإذا كان مفهوم العولمة يشير إلى التداخل الواضح للاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك من غير اعتبار للحدود السياسية للدول ذات السيادة، ودون الحاجة لإجراءات حكومية، إذا كانت العولمة تعني كل هذا، فما هو مصير السيادة بمفهومها التقليدي والذي ميز الدولة عن غيرها من أشخاص القانون الدولي والعلاقات الاقتصادية الدولية.

وهناك ثلاث تيارات رئيسية تناولت علاقة العولمة بالسيادة وهذه التيارات هي:

التيار الأول: يعتبر أنه لم يعد هناك مبرراً لتطبيق السيادة المطلقة في الحالات التي تمارس فيها الدولة دوراً سياسياً حكومياً وتدخل فيها الدولة في معاملات تجارية واقتصادية، هذا التحول الذي حدث في نهايات القرن العشرين كان السبب الرئيسي في التنازل عن السيادة المطلقة وتبني نظرية السيادة المقيدة لتشجيع الدولة في أداء دورها في النظام الاقتصادي العالمي، ويرى أتباع هذا التيار أن الجغرافيا السياسية التي كانت تحكم وتُنظِّم العلاقات الاقتصادية الدولية تراجعت لصالح علاقات جديدة قائمة رفع القيود أو حرية التجارة وإزالة كافة القيود والحواجز أمام تدفق السلع والخدمات وتخلي الدولة عن أداء دورها الاقتصادي لصالح القطاع الخاص[73].

في ظل هذه الأوضاع الجديدة ظهر ما يُسمى بنظام التحكيم التجاري الدولي كقضاء خاص ينافس قضاء الدولة بشأن الفصل في المنازعات الناشئة عن عقود التجارة الدولية هذا النوع الجديد من القضاء يعتبر أداة لنزع عقود التجارة الدولية من سلطة القوانين الوطنية لصالح نظام التحكيم التجاري الدولي الأمر الذي ساهم بالانتقال من مرحلة السيادة المطلقة للدولة إلى مرحلة السيادة المقيدة.

التيار الثاني: يرى أن المحددات الخارجية للقرار السياسي تفوق المحددات الداخلية بمعنى أن الأحداث العالمية تنعكس على القرار السياسي للدولة أكثر من الأحداث المحلية فذهب أتباع

هذا التيار إلى أن تحول العلاقات الاقتصادية الدولة من خلال تنامي المصالح المشتركة ذات البعد العالمي سيقلل النزعة الحربية التي كانت تُعد الوظيفة التقليدية للدولة، لصالح التوجه نحو الاعتماد المتبادل، ومع ازدياد المصالح المشتركة فإن المؤسسات الاقتصادية الدولية سوف يزداد نشاطها وتأثيرها على حساب الدولة(74)، بمعنى أن هذه المؤسسات (صندوق النقد والبنك الدوليين، ومنظمة التجارة العالمية، والشركات متعددة الجنسية) بدأت تمارس نشاطها وتتدخل في الشأن الداخلي للدول، مما يُعد خرقاً لسيادتها الوطنية.

التيار الثالث: يرى هذا التيار أن الدولة في ظل العولمة الاقتصادية قد تغير دورها الوظيفي، وهذا التغير مرّ بمراحل تاريخية مختلفة، وفي كل مرحلة من مراحل النظام الاقتصادي العالمي كان النظام الرأسمالي يعاني من أزمة، وكان يبتدع آليات جديدة للخروج من أزمته.

ففي بداية القرن العشرين تعرضت الأفكار الاقتصادية الكلاسيكية التي كانت تدعو لعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي لهزات وأزمات كان أبرزها الأزمة الاقتصادية عام 1929م مما دفع باتجاه إعادة النظر في المسلمات الاقتصادية التي كانت تقوم عليها النظرية الاقتصادية الكلاسيكية، فكان لابد من إعطاء دور أكبر للدولة للتدخل في الحياة الاقتصادية. وفي الثلث الأخير من القرن العشرين أعيد النظر بهذه الأفكار باتجاه كف يد الدولة عن التدخل في الشأن الاقتصادي لصالح القطاع الخاص(75).

المبحث الثاني: أثر مؤسسات العولمة الاقتصادية على السيادة

شهد النظامان العالميان: الاقتصادي والسياسي في بداية العقد الأخير من القرن العشرين تغيراً جوهرياً بالتحول نحو النظام أحادي القطبية مما أدى إلى هيمنة النظام الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وكان هذا الانهيار لدول المنظومة الاشتراكية فرصة تاريخية نادرة للرأسمالية كي تملأ الفراغ الذي خلفه هذا السقوط، فسارعت في منتصف التسعينات من القرن العشرين للسيطرة سياسياً واقتصادياً على العالم حيث تم إنشاء منظمة التجارة العالمية ليصبح العالم محكوماً بمثلث قيادي اقتصادي يضم كلاً من (صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية)، وكان من أبرز نتائج هذا التحول الضغوط التي مورست على الدول النامية لإعادة هيكلة اقتصادياتها باتجاه الخصخصة وتحرير التجارة الخارجية، فاتجهت التشريعات القانونية والاقتصادية الداخلية لهذه الدول باتجاه تنازل الدولة عن ملكيتها وإدارتها للمشروعات الاقتصادية من قوانين الخصخصة وقوانين تشجيع الاستثمار الأجنبي داخل حدودها وما صاحب ذلك من تعديل التشريعات الداخلية لهذه الدول كي تنسجم والوضع الجديد.

وقد ساهمت مؤسسات العولمة الاقتصادية في تهميش سيادة الدولة من خلال:

أ. المديونية الخارجية:

نظراً للارتباط الوثيق بين سياسات التكيف وإعادة الهيكلة التي يفرضها البنك الدولي وبين مديونية الدول النامية فإنه لا يمكن دراسة ظاهرة العولمة وأثرها على السيادة من غير إلقاء نظره على أزمة المديونية لهذه الدول، فالمديونية وأزمة القروض التي عانت منها هذه الدول كانت بمثابة المدخل الذي دخلت منه هذه المؤسسات الدولية إلى السياسات الداخلية لهذه الدول.

في بداية العقد السابع من القرن العشرين وبالتحديد عام 1971م اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية قرار وقف قابلية تحويل الدولار إلى ذهب وتعويم الدولار من غير استشارة البنك الدولي، ومنذ ذلك التاريخ تغيرت القواعد التي تحكم مسار العلاقات الاقتصادية الدولية، واضطربت أسواق النقد الدولية، ثم اتخذت الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية سياسات حمائية ورفعت سعر الفائدة، كل هذا تزامن مع ارتفاع أسعار المواد الغذائية والصناعية والاستهلاكية ارتفاعاً حاداً مما أدى إلى تفاقم أزمة القروض للدول النامية على نحو غير مسبوق.

لقد أدى تراكم رأس المال في النظام الرأسمالي إلى فوائض مالية ضخمة، هذه الفوائض لم يكن من المجدي استثمارها داخل هذه الدول بسبب تدني معدلات الربح، لهذا لم تجد هذه الفوائض مجالات إنتاجية في الدول الرأسمالية، فبدأت تبحث لها عن مجالات خارجية، من هنا بدأت الاقتصادات الرأسمالية تستخدم هذه الفوائض لإحكام هيمنتها وسيطرتها على الدول النامية بتقديم القروض لهذه الدول، وهذه القروض قادت إلى نتيجتين مهمتين(76):

الأولى: التخفيف من أزمة الكساد في الاقتصاد الرأسمالي والتخلص من الفوائض المالية الضخمة، إذ إن الجزء الأكبر من هذه القروض كان مشروطاً بشراء سلع وخدمات من الدول الدائنة، وبهذا ساعدت هذه القروض في التخفيف من حدة البطالة وتحريك عجلة الاقتصاد في تلك الدول.

الثانية: زيادة إحكام سيطرة الدول الدائنة على البلاد المدينة ودمجها في النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي.

وعليه فقد كانت القروض الدولية وسيلة للتخفيف من أزمة الكساد الاقتصادي الرأسمالي ووسيلة لنهب مقدرات الدول المدينة، إلا أنه وفي بداية الثمانينات من القرن الماضي وبالتحديد عام 1982م انفجرت أزمة الديون في ثلاثة من كبار الدول النامية هي: المكسيك والأرجنتين والبرازيل حيث توقفت هذه الدول عن دفع أعباء ديونها الخارجية التي أصبحت تهدد أوضاعها

السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب زيادة أسعار الفائدة وتدهور شروط التبادل الدولي، حيث بلغ حجم هذه الديون في ذلك الوقت حوالي (551) مليار دولار وبلغ معدل خدمة الدين للدول النامية (مدفوعات الفوائد والأقساط نسبة مئوية من حصيلة الصادرات) حوالي 21% وبلغ إجمالي الدين المستحق على هذه الدول نسبة مئوية من صادرات هذه الدول حوالي 117% ونسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي لهذه الدول حوالي 26%[(77)]، في ظل هذه الأرضية الاقتصادية المأزومة لجأت المؤسسات الاقتصادية الدولية (صندوق النقد والبنك الدوليين)، لتقديم قروض جديدة لهذه الدول وإعادة جدولة بعض ديونها الخارجية[(78)].

وعملية جدولة الديون لا تتم إلا إذا وافقت الدولة المدينة على تنفيذ شروط صندوق النقد الدولي المتمثلة بما يلي:

1. تخفيض قيمة العملة للدولة المدينة.
2. إلغاء الرقابة على الصرف والسماح بالتعامل بالنقد الأجنبي.
3. إلغاء كافة القيود المتعلقة بسياسة الاستيراد وإجراءات تشجيع الصادرات والسماح للقطاعين العام والخاص بالاستيراد.
4. تحرير التجارة ورفع كافة القيود أمام تدفق السلع والخدمات.

وفي تسعينات القرن العشرين تعرضت العديد من الدول النامية لأزمات اقتصادية وأبرز هذه الأزمات هي، أزمة المكسيك عام 1995م، وأزمة دول جنوب شرق آسيا عام 1997م التي بدأت بتنفيذ سياسات ووصفات صندوق النقد والبنك الدوليين بالتحرر والخصخصة، فبدأ المستثمرون الأجانب بتوظيف أموالهم بكثافة داخل هذه الدول مما أدى لزياد الناتج المحلي وانخفاض معدل التضخم، إلا أن هذه الاستثمارات كانت بغالبها قصيرة الأمد وتسعى للحصول على الربح السريع عبر مضاربات مالية في سوق الأسهم والسندات والأوراق المالية، بمعنى أنها كانت استثمارات وهمية أكثر منها حقيقية ورغم تزايد عمليات التصدير فإن فاتورة الواردات تصاعدت بسرعة مما أدى لعجز في الحساب الجاري لهذه الدول وفي هذه الأثناء ارتفعت معدلات الفائدة في الاقتصاد الأمريكي مما أدى لهروب الاستثمارات من هذه الدول باتجاه السوق الأمريكية فهبطت قيمة العملة الوطنية لهذه الدول مقابل الدولار، فلجأت الولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذها من الأزمة[(79)].

وكانت أسباب هذه الأزمات متشابهة، حيث أدت السياسات المالية المتبعة إلى زيادة حجم القروض الخارجية قصيرة الأجل، ففي تايلاند مثلاً بلغ حجم المديونية عام 1996م حوالي (46) مليار دولار وبمعدلات فائدة مرتفعة، وفي المكسيك أدت بها هذه السياسة المالية إلى اللجوء للولايات المتحدة الأمريكية وصندوق النقد الدولي لإنقاذها من أزمتها فوافق الصندوق على

تقديم (30) مليار دولار، والولايات المتحدة وافقت على تقديم قرض بقيمة (20) مليار دولار مقابل أن تقدم المكسيك صادراتها من النفط لمدة خمس سنوات[80].

كما أن سياسات الانفتاح وتحرير الأسواق من الرقابة المالية أدت إلى هروب رؤوس الأموال والاستثمارات المالية من هذه الدول مما أدى لانهيار العملات الوطنية لهذه الدول، وتشير الدراسات إلى أن نسبة نجاح برامج البنك الدولي أقل من (33%) في مجموع الحالات[81].

ب. سياسات التكيف وإعادة الهيكلة.

تعني سياسات التكيف وإعادة الهيكلة مجموعة السياسات التي تركز على جانب العرض بهدف تحسين توزيع الموارد وزيادة الكفاءة الاقتصادية وتوسيع القدرة الإنتاجية عن طريق استراتيجيات موجهة إلى السوق وتشمل هذه السياسات تدابير تهدف لزيادة الإنتاجية الموجودة وتحسين التكنولوجيا والإدارة والمهارات، اتخذت البلدان النامية هذه التدابير الإصلاحية تحت ضغط المؤسسات الدولية في حين اتخذت دولاً أخرى سياسات التكيف الهيكلي استجابة لظروفها في حين أن هذه السياسات تم تطبيقها في البلدان استجابة لضغوط المؤسسات الاقتصادية الدولية "البنك وصندوق النقد الدوليين" وقد ارتكزت هذه السياسات على التحرر الاقتصادي وقوى السوق وتحجيم دور القطاع العام والحد من تدخل الدولة في الشان الاقتصادي، وغالباً ما تستخدم الحكومات التي تطبق سياسات وبرامج هاتين المؤسستين الاقتصاديتين الدوليتين اصطلاح الإصلاح الاقتصادي أما الاسم الرسمي لهذه السياسات فهو "التكيف الاقتصادي وإعادة الهيكلة" ومعنى ذلك أن تغير الدولة أعضائها امتثالاً لما يراه البنك أما برامج الصندوق فتسمى برنامج التثبيت بمعنى استقرار سعر صرف العملة[82].

ولا تخلو هذه الوصفات والسياسات من دوافع سياسية دون الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة لهذه الدول متجاهلة لطبيعة اقتصاديات هذه الدول بشكل متميز ضد القطاع العام لصالح القطاع الخاص، ثم أن هذه الإجراءات المتعلقة لسياسات التكيف وإجراءات التثبيت التي تتم بدعم الصندوق والبنك هي بمثابة شروط تفرضها هاتين المؤسستين عندما تلجأ الدول النامية إليها، وتشمل هذه الإجراءات وصفة جاهزة لكل الدول تتمثل بتخفيض أسعار الصرف، وتقليص دور القطاع العام وتحرير التجارة وإلغاء الحماية الوطنية ورفع الدعم عن السلع الأساسية[83].

إن هاتين المؤسستين تعبران عن النهج الرأسمالي للتنمية مع تجاهل واضح للأوضاع الاقتصادية الخاصة بالدول النامية حيث أن أفكارهما تترجمان وجهة نظر مدرسة اقتصاديات جانب العرض التي تهدف لتقليص تدخل الدولة إلى الحد الأدنى لتعزيز الاقتصاد الوطني وعليه فإن الليبرالية الاقتصادية –كما يراها الصندوق- هي الطريق المثالي لمعالجة الاختلالات باعتبار أن

القطاع الخاص أكثر كفاءة في إدارة الموارد الاقتصادية، ولهذا أخذ كل من البنك والصندوق يشترطان تصفية القطاع العام كجزء من برامجهما عند تعاملهم مع الدول النامية ولهذا يسعى البنك لتقديم كل أنواع المساعدات لبرامج الخصخصة في حين يقدم الصندوق برامج إصلاحية بفرضها على الدول النامية تقوم على العمل بآليات السوق والاهتمام بتعظيم دور القطاع الخاص المرتبط بالاستثمارات الأجنبية ليقتصر دور القطاع العام على مجالات محددة كما يفرض الصندوق على الدول النامية وضع برنامج شامل لتحرير التجارة الخارجية تحريراً كاملاً.

وعلى الرغم من تبني الدول لسياسات ووصفات صندوق النقد والبنك الدوليين إلا أنها لم نتمكن من استعادة التوازن والمالي والتجاري الناتج عن تخلف العرض عن الطلب، وتخلف الصادرات عن الواردات وعدم تحقيق تقدم حقيقي حجم الاستثمار والإنتاج وتحسين مستويات المعيشة وزيادة الإنتاجية ويمكن القول أن هذه السياسات في الدول النامية أدت إلى ما يلي:

1. ن التطبيق العملي لسياسات ووصفات صندوق النقد والبنك الدوليين لم تأت بنتائج إيجابية على الاقتصاد الوطني لهذه الدول كما أن تحويل ملكية القطاع العام للقطاع الخاص أدى إلى الإضرار بمصالح محدودي الدخل واتساع التعاون في توزيع الدخل والثروات وزيادة حجم النقد. كما أدى انسحاب الدولة من أداء دورها الاقتصادي لصالح القطاع الخاص إلى تدني الإنفاق على التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية في حين كانت هذه القطاعات من أهم القطاعات التي تنفق عليها الدولة.
2. لم تفلح هذه السياسات في تقليص الديون المترتبة على هذه الدول وتخفيض العجز في موازين نفقاتها، وإذا كانت هذه الإجراءات تتوافق مع اتجاه عالمي لتحرير مختلق الأنشطة الاقتصادية وإفساح المجال أمام الشركات متعددة الجنسية للتغلغل في مفاصل الاقتصاد لهذه الدول فإن هذه السياسات لم تنجح في توطين رأس المال الوطني في هذه الدول[(84)].

إن هذه السياسات والإجراءات من قبل المؤسسات الاقتصادية الدولية بالإضافة إلى تدخلها لخفض سعر العملة الوطنية للدول النامية تعد خرقاً واضحاً لسيادتها واستقلالها.

ج. منظمة التجارة الدولية:

تعد منظمة التجارة الدولية الركن الثالث الأساسي من أركان النظام الاقتصادي الرأسمالي الدولي إلى جانب صندوق النقد والبنك الدوليين، والولايات المتحدة هي صاحبة الفكرة في انتشائها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وقد جمد الكونجرس الأمريكي إنشاء هذه المنظمة حتى عام 1994م عندما أصبحت الظروف الدولية (انهيار الاتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية) تخدم المصلحة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء هذه المنظمة بحيث أصبحت

تستخدمها كوسيلة للهيمنة على التجارة الدولية بصرف النظر عن مبادئ حرية التجارة التي تعد أحد أهم مرتكزات الفكر الاقتصادي الليبرالي.

ويعد انهيار الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية أحد أبرز الظروف التي ساعدت على إنشاء هذه المنظمة وأصبح على الدول النامية إعادة النظر في استراتيجية التفاوض مع الدول المتقدمة لإقامة نظام اقتصادي عالمي، وأدركت هذه الدول أن الدول الرأسمالية تسعى من وراء الدفع باتجاه العولمة الاقتصادية إلى تحقيق الهيمنة التجارية وتحقيق مصالح شركاتها الخاصة على حساب اقتصاديات هذه الدول.

كما أن حرية التجارة من وجهة نظر الدول الرأسمالية تعني تمكين المراكز الرأسمالية من النفاذ إلى أسواق العالم والهيمنة على اقتصاديات الدول النامية وتحطيم صناعاتها النامية والتي لا تستطيع المنافسة أمام جودة وكمية السلع ذات المنشأ الغربي ولهذا يكمن الهدف الحقيقي لمنظمة التجارة العالمية من وراء عولمة التجارة هو تحقيق مصالح وغايات الشركات والمؤسسات الاقتصادية التي تعد أحد أهم أذرع الرأسمالية الجديدة بعد أن خرجت هذه الشركات من الإطار الوطني المحلي إلى الإطار الدولي أو أصبحت المؤسسة السياسية والعسكرية الغربية تعمل لخدمة هذه الشركات ولخدمة الرأسمال الخاص، وبهذا يتناقض مع الخطاب الآيدولوجي للرأسمالية المعولمة حول حرية التجارة فالليبرالية التجارية الجديدة في ظل منظمة التجارة العالمية تقوم على تيار كاسح لإزالة كل إجراءات الحماية التي كانت تفرض لحماية الصناعات الناشئة في الدول النامية وتسعى لتحطيم كل أنظمة الرقابة على التجارة في هذه الدول لتصبح الأسواق في الدول النامية مفتوحة على مصراعيها للسلع والخدمات القادمة من المراكز الرأسمالية[85]. وأن مفهوم الحرية التجارية التي تنادي به هذه المؤسسات هو مفهوم أحادي الجانب لأنه يفرض على الطرف الأضعف من جانب الطرق الأقوى خاصة وأن منظمة التجارة الدولية تعتمد مبدأ الحماية لخدمة مصالح الدول الرأسمالية وحماية أسواقها مقابل فتح أسواق الدول النامية وبعولمة التجارة تستكمل الرؤية الإصلاحية المالية والنقدية والتجارية لمجتمعات الأطراف بما يسهل دمج هذه الأطراف في السوق العالمية وإلحاق اقتصادياتها بمراكز الرأسمالية العالمية.

وتتمثل شروط المؤسسات الاقتصادية الدولية على الدول النامية بما يلي:

1. تخفيض قيمة العملة للدولة المدينة.
2. إلغاء الرقابة على صرف العملة الوطنية.
3. إلغاء كافة القيود المتعلقة بسياسة الاستيراد.
4. تحرير التجارة ورفع كافة القيود أمام تدفق السلع والخدمات.

5. كف يد الدولة عن التدخل في الشأن الاقتصادي.
6. تحرير الأسعار.
7. إلغاء أي شكل من أشكال الدعم.
8. خصخصة المؤسسات الحكومية انسجاماً مع البند الخامس أعلاه.
9. توفير شروط المنافسة الكاملة انسجاماً مع إلغاء الدعم وتحرير الأسواق.
10. التخلي عن سياسة الحماية للصناعات الوطنية.
11. تقديم تنازلات للتعرفة الجمركية على السلع والخدمات.
12. وقف الدعم عن الشركات الوطنية.
13. تطبيق مبدأ الشفافية أي أنه على الدولة العضو في منظمة التجارة الدولية أن تعدل قوانينها الداخلية بما ينسجم مع قوانين المنظمة بمعنى أنه إذا تعارضت اتفاقية المنظمة مع القوانين الداخلية للدول الأعضاء فإن العبرة تكون بما ورد في الاتفاقية، وقد نصت الفقرة (4) من المادة (16) من اتفاقية المنظمة على أن يعمل كل عضو على مطابقة قوانينه ولوائحه وإجراءاته مع التزاماته المنصوص عليها في الاتفاقية.
14. حق منظمة التجارة الدولية بمراقبة القوانين والأنظمة للدول الأعضاء حتى لا تتناقض هذه القوانين مع قواعد المنظمة وذلك انسجاماً مع مبدأ الشفافية.
15. رفع الدعم عن السلع الأساسية للمواطنين كالتعليم والصحة والضمان الاجتماعي.
16. تخفيض الرسوم والضرائب الجمركية على الواردات.
17. رفع الدعم عن المحاصيل الزراعية[86].

ويتضح مما سبق:

1. أن ميلاد منظمة التجارة الدولية جاء منسجماً مع مفهوم العولمة الاقتصادية، فالتحررية التجارية وعولمة التجارة تعد ركناً أساسياً من أركان العولمة الاقتصادية.
2. إن مراكز (البنك الدولي، صندوق البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية) النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي أصبحت تهيمن على إدارة الاقتصاد العالمي بعد أن اكتمل مثلث الهيمنة الاقتصادية على اقتصاديات الدول النامية.
3. بظهور أركان العولمة الاقتصادية انتقلت عناصر السيادة الوطنية من الدولة إلى الشركات الخاصة والعابرة للقومية وانتقل القرار الاقتصادي من قرار وطني محلي إلى مركزي عالمي تتحكم به مراكز الاقتصاد الرأسمالي العالمي وأصبح على الدول النامية الراغبة في الدخول

في منظمة التجارة العالمية أن تعدل قوانينها الداخلية بما ينسجم مع قواعد ومبادئ المنظمة أي أنه أعطيت قوانين المنظمة الأولوية على القوانين الداخلية.

من خلال هذه الشروط التي تمليها المؤسسات الاقتصادية الدولية على الدول النامية نجد أنها تتناقض مع مبدأ السيادة لهذه الدول على مواردها وثرواتها، وأن هذه المؤسسات أصبحت تتدخل تدخلاً مباشراً في الشؤون الداخلية للدول، كالتدخل في مراقبة القوانين والأنظمة وضرورة أن تعدل هذه الدول قوانينها بما ينسجم مع مبادئ وأهداف هذه المؤسسات، كما أن إجبار هذه الدول على التخلي عن دعم صناعاتها الوطنية ووقف الدعم عن السلع الأساسية للمواطنين كما تعطي هذه الشروط للمؤسسات الاقتصادية حق مراقبة القوانين والأنظمة الداخلية لهذه الدول حتى لا تتعارض مع مبادئ وأهداف هذه المؤسسات وذلك انسجاماً مع مبدأ الشفافية مما يؤدي لتآكل فكرة سيادة الدول لصالح المؤسسات الاقتصادية الدولية.

الخلاصة:

أولاً: أن العولمة الاقتصادية لم تلغ السيادة بشكل مطلق، بل ساهمت في تحديدها وتهميشها، فهي تشكل إضافة جديدة لمحددات السيادة، وأن السيادة لم تكن مطلقة فقط بل كانت محددة ومقيدة بمجموعة من المحددات، ثم جاءت العولمة الاقتصادية بمؤسساتها الرئيسية لتضيف محدداً آخر من محددات السيادة.

ثانياً: إن الدولة لم تعد الفاعل الوحيد في العلاقات الاقتصادية الدولية، بل برز فاعلون جدد في هذه التفاعلات والعلاقات، ويأتي في مقدمة هؤلاء الفاعلين المؤسسات الاقتصادية الكبرى (صندوق النقد والبنك الدوليين، ومنظمة التجارة الدولية والشركات متعددة الجنسية) وأصبحت هذه المؤسسات تتدخل في الشأن الداخلي للدول مما يُعد خرقاً لسيادتها. وقد ساعد على هذا الاختراق لسيادة الدول عدد من العوامل أبرزها:

- الاختراق الإعلامي والمعلومات للحدود السياسية والسيادية للدول، ففي عصر الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض والقادرة على تصوير باطنها ناهيك عن ظاهرها، لم يَعُد هناك مجال للحديث من السيادة بمفهومها التقليدي.
- التجارة الحرة والتجارة الإلكترونية وزيادة الاعتماد المتبادل جعلت ما يتعرض له بلد ما في العالم يؤثر على مختلف الأجزاء خصوصاً في ظل التقدم التكنولوجي المتسارع.

ثالثاً: إن المؤسسات الاقتصادية الدولية "آليات العولمة الاقتصادية" من خلال تبنيها للفكر الليبرالي استطاعت أن تجد آليات جديدة للتكيف تتناسب مع الأزمات التي عانى منها النظام الاقتصادي الرأسمالي، من خلال السعي للحد من التدخل الحكومي في الشأن الاقتصادي، وتسريع

وتيرة الاندماج في السوق الرأسمالي العالمي. من خلال سياسات التكيف وإعادة الهيكلة والدفع باتجاه الخصخصة مما يؤكد أن هذه المؤسسات الاقتصادية تدفع باتجاه انتهاج سياسات اقتصادية تنسجم مع الأيديولوجية الليبرالية لهذه المؤسسات. وأصبحت هذه المؤسسات قادرة على التدخل في الشأن الداخلي لهذه الدول الأمر الذي يُعد تدخلاً في شؤونها الداخلية وتقويضاً لسيادتها الوطنية.

رابعاً: كانت الدولة –في الغرب- الحاضن للمنشآت الاقتصادية، فخاضت حروباً استعمارية لخدمة، شركاتها التجارية والصناعية، وبعد أن وصلت هذه الشركات من التطور والتقدم بحيث لم تعد بحاجة لدعم الدولة، جاءت الأسس التي تقوم عليها الليبرالية الجديدة معبرة عن هذا المفهوم فراحت تنادي برفع الحواجز وإلغاء دور الدولة الاقتصادي، أما في الدول النامية فإن صناعاتها ومنشآتها الاقتصادية ما تزال في طور النمو وغير قادرة على المنافسة. ولهذا فإن تحرير التجارة سيؤدي لنتائج سلبية على هذه الدول.

خامساً: تراجع أهمية الجغرافيا السياسية لصالح الجغرافيا الاقتصادية بسبب سيطرة رأس المال وسطوته وهيمنة قوى الاقتصاد الحر القائمة على تحرير التجارة وإلغاء القيود الاقتصادية وغير الاقتصادية أمام تدفق السلع والخدمات، كل هذا ساهم في الحد من قدرة الدولة على التحكم بشؤونها الاقتصادية.

سادساً: إن التطور المتسارع في مجال الإعلام والاتصال ساهم في خرق السيادة، بحيث إن الدولة لم يعد بوسعها أن تحتكر وسائل الإعلام، ولم تعد صاحبة الحق المطلق في سن القوانين والتشريعات الناظمة للإعلام والتوجيه، ولم يعد بمقدور الدولة أن تمنع الزخم الهائل من المعلومات المتدفقة داخل الدولة بوسائل شتى.

سابعاً: إن مفهوم العولمة الاقتصادية قد أطاح بالمفهوم التقليدي لسيادة الدولة، وبدّل وظائفها من خلال إيجاد شبكة جديدة من العلاقات فوق القومية. مما أدى إلى تراجع وظائف الدولة القومية في حدود معينة، بفعل الليبرالية الجديدة وما طرحته من تحرير رأس المال، وإطلاق عمليات التخصيص للمرافق والمنشآت العامة. ناهيك عن تداخل العلاقات بين الدول بصورة لم يعهدها العالم من قبل، ذلك بفعل ثورة الاتصالات والمعلوماتية.

ثامناً: أدت العولمة الاقتصادية إلى زيادة جبروت رأس المال في البلدان الصناعية المتقدمة وزيادة تبعية الدول النامية بحيث تبلورت ظاهرة العولمة الاقتصادية من خلال اندماج الشركات والمؤسسات الاقتصادية مع بعضها مما أدى لزيادة وتضخم حجم رأس المال لهذه المؤسسات بحيث أصبحت تتحكم بأدوات السياسة الخارجية للدول الرأسمالية.

The Effect of Economic and Globalization on Sovereignty in Developing Countries

Masaoud Al-Rabadi and Abdelrahman Rababaeh, *Department of Political Science,Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at finding out the effect of economic & globalization on sovereignty in developing countries, focusing on the Concept of economic globalization and the historical development of the idea of sovereignty and its a speeds and elements.

The study has reached the following conclusions:

1. The state is no longer the key player in international economic relations. As effective players in economic and globalization.

2. Economic and globalization is on of the elements limiting state sovereignty.

3. Economic and globalization organization have marginalized and even Demolished state sovereignty through these organizations economic Polices, such as trade liberalization and lifting restrictions and Customs barriers in front of flow of goods and services across Borders. Thus, the traditional concept of sovereignty has been done away with.

قدم البحث للنشر في 2007/9/11 وقبل في 2008/14/15

الهوامش: -

(1) المنوفي، كمال، **أصول النظم السياسية المقارنة**، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1987م، ص95،94.

(2) Mariam–Webster, Webster's Ninth New collegiate Dictionary, London Mariam-Webster, INC Publishers, 1990, p521.

(3) مصطفى، هالة، العولمة، دور جديد للدولة، السياسة الدولية، القاهرة، العدد 134، 1998، ص43.

(4) البزاز، حسن، عولمة السيادة، حال الأمة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2002م، ص82.

(5) سميث، ستيف، وبيليس، جون، الجزء الأول من عولمة السياسة في عولمة السياسة العالمية، تحرير جون بيليس وستيف، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي، ط1، 2004م، ص13.

(6) جيدنز، أنطوني، بعيداً عن اليسار واليمين، ترجمة شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد286، أكتوبر 2002م، ص11.

(7) موسوعة الثقافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، تحرير عامر رشيد مبيض، دار المعارف للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 2000م، ص963.

(8) روبرتسون، رونالد، العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة أحمد محمود ونور أمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م، ص27.

(9) بارتلسون، جنز، ثلاثة مفاهيم للعولمة، مجلة الثقافة العالمية، الكويت، عدد (106)، 2001م، ص39-40.

(10) أدا، جاك، عولمة الاقتصاد من التشكل إلى المشكلات، ترجمة، مطانيوس حبيب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1998م، ص21

(11) غليون، برهان، وأمين، سمير، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 1999م، ص72.

(12) Jan. Sholte, Global Capitalism and the State, International Affairs, vol. 73, July 1997, p135.

(13) العيسوي، إبراهيم، التنمية في عالم متغير، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2000م، ص46.

(14) Druker, Peter, Global Economy and the Nation-State, Foreign Affairs, vol. 76, No. 5, Sep. October 1997. P145.

(15) حنفي، حسن وجلال العظم، صادق، ما العولمة؟ دار الفكر، دمشق، 2002م، ط2، ص23.

(16) فريدمان، توماس، السيارة ليكساس، وشجرة الزيتون، ترجمة ليلى زيدان، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص30-31.

(17) Helton, Robert. Globalization and the Nation – State, London, Macmillan press, 1998, p52, 80.

(18) تقرير منشور لحساب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) بعنوان العولمة أمم فقيرة وقوم فقراء، مجلة الاجتهاد، بيروت، عدد 38، 1997م، ص89.

(19) Frieden, Jeffry A. and Lake, David, International Paitical Economy Perspectives on Global Power and Wealth, London, Routledge, 1995, p206.

(20) تقرير الاستثمار العالمي لعام 2006م.

(21) United Nation – UNCTAD, World Investment Report: Transnational Corporations and Export competitiveness, 2002.

(22) Yeung, Henry Wai – Chung, and Dicken, Peter, Economic Globalization and the Tropical World in the New Millennium, p226.

(23) عجام، ميثم صاحب علي محمد سعود، التمويل الدولي، دار الكندي، إربد، الأردن، 2003م، ص193-197.

(24) عجام، ميثم صاحب، وعلي محمد سعود، التمويل الدولي، ص181-182.

(25) عجام، ميثم صاحب وعلي محمد سعود، التمويل الدولي، دار الكندي، إربد، الأردن، 200م، ص264.

(26) المهدي، عادل، عولمة النظام الاقتصادي العالمي ومنظمة التجارة الدولية، ص116.

(27) العابدي، زكي، التاريخ السري للبنك الدولي، ترجمة سيناء للنشر، مراجعة ريشار جاكمون، تحرير علي حامد، سيناء للنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1992م، ص23.

(28) قرم، جورج، دور البنك الدولي في العلاقات الاقتصادية الدولية، طرابلس، لبنان، معهد الاستثمار العربي، ط1، 1977م، ص78.

(29) المجذوب، أسامة، الجات، مصر والبلدان العربية من هافانا إلى مراكش، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1996م، ص35.

(30) المهدي، عادل، عولمة النظام الاقتصادي العالمي ومنظمة التجارة الدولية، ص137-138.

(31) عبدالمطلب عبدالحميد، الجات وآليات منظمة التجارة العالمية، الدار الجامعية، جمهورية مصر العربية، 2003م، ص45-47.

(32) الفتلاوي، سهيل حسين، منظمة التجارة العالمية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م، ص12-15.

(33) اللقماني، سمير، منظمة التجارة العالمية، آثارها السلبية والإيجابية على أعمالنا الحالية والمستقبلية بالدول الخليجية والعربية، دار حامد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003م، ص27.

(34) العبادي، عبدالناصر نزال، منظمة التجارة العالمية واقتصادات الدول النامية، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 1999م، ص39-54.

(35) عبدالحميد، عبدالمطلب، الجات وآليات منظمة التجارة العالمية، ص45.

(36) الفتلاوي، سهيل حسين، منظمة التجارة العالمية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م، ص145.

(37) عزوز، عبدالقادر، الشركات متعددة الجنسيات ودورها في الاقتصاد العالمي، بحث منشور على موقع www.jamahir.alwehda.gov.sy 2006/10/15م، ص3.

(38 الفتلاوي، سهيل حسن، منظمة التجارة الدولية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص164.

(39) عزوز، عبدالقادر، الشركات متعددة الجنسيات ودورها في الاقتصاد العالمي، ص2.

(40) بحث منشور على شبكة الإنترنت "دون مؤلف"، الشركات متعددة الجنسية www.elghad.org/program/2.doc 2006/10/26م.

(41) علي عبدالمنعم السيد، العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، عدد83، 2003م، ص70.

(42) عواد، محمد، لماذا تخلفنا، بحث منشور على موقع www.egyptiangreens.com/docs/general/index.Phd، 2006/10/20م.

(43) عبدالله، إسماعيل صبري، الكوكبة: الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، مجلة الطريق، عدد4، تموز، 1997م، ص58.

(44) The Encyclopedia Americana, 1986, p347.

(45) قاموس بنغوين للعلاقات الدولية (تحرير) غراهام ايفانز، وجيفري نوينهام، مركز الخليج للأبحاث، دبي، ط1، 2004، ص690.

(46) الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م، ص356.

(47) Britannia, University of Chicago, volume 11, 15 edition, USA, 1999, p26.

(48) Webster News World Encyclopedia, Prentical Hall Publishers Ny, VSP, 1992, p472

(49) سباين، جورج، تطور الفكر السياسي، ترجمة رشيد البراوي. ج3، دار المعارف للنشر، القاهرة، 1971م، ص548-556.

(50) الكيالي، عبدالوهاب، الموسوعة السياسية، 1993م، ص357.

(51) البزاز، حسن، عولمة السيادة، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للنشر، ط1، 2002م، ص25.

(52) الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ص357-358.

(53) عباس، عبدالهادي، سيادة الدولة، مجلة المعرفة، عدد 402، 1997م، ص45.

(54) العطية، عصام، القانون الدولي العام، مطبعة جامعة بغداد، 1982م، ط2، ص211.

(55) علوان، عبدالكريم، الوسيط في القانون الدولي العام، الكتاب الثاني، القانون الدولي المعاصر، دار الثقافة، للنشر والتوزيع، عمان، 2006م، ص11-12.

(56) عباس، عبدالهادي، السيادة، ص65.

(57) روسو، جان جاك، في العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت، ص63-65.

(58) غالي، بطرس، وعيسى، محمود خيري، المدخل في علم السياسة، ص185.

(59) علوان، عبدالكريم، الوسيط في القانون الدولي العام، الكتاب الأول، المبادئ العامة، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 1997م، ص155.

(60) العطية، عصام، القانون الدولي العام، مطبعة جامعة بغداد، 1982م، ط3، ص250-252.

(61) الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ص356

(62) أبو هيف، علي صادق، القانون الدولي العام، الإسكندرية، مصر، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1995م، ص122-123.

(63) البنا، محمد عاطف، النظم السياسية، أسس التنظيم السياسي وصوره الرئيسية، ط2، 1985م، دار الفكر العربي، د.م، ص108-129.

(64) البنا، محمد عاطف، النظم السياسية، ص110-125.

(65) عباس، عبدالهادي، السيادة، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1994م، ص42-46.

(66) البزاز، حسن، عولمة السيادة، ص42.

(67) الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ج2، ص701-702.

(68) ديكتسون، ج.ب، جغرافية العالم الثالث، ترجمة، عيسى علي إبراهيم وفايز محمد العيسوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج.م.ع، 1994م، ص9.

(69) Word bank, world bank development indications: 2003, p 14-16

(70) الحمداني، عودة، المديونية الخارجية للبلدان النامية وأثرها على اقتصاديات البلدان المدينة، بحث منشور على موقع www.rezgar.com/debat/show.art.asp

(71) الحمداني، عودة، المديونية الخارجية للبلدان النامية وأثرها على اقتصاديات البلدان المدينة، بحث منشور على الموقع www.rezgar.com/debat/show.art.asp.

(72) الشريف، عزيزة، مدى التزام الدول بمطابقة التشريعات الوطنية مع أهداف اتفاقيات وسياسات منظمة التجارة العالمية، مؤتمر الجوانب القانونية والاقتصادية لاتفاقيات منظمة التجارة العالمية، غرفة الصناعة والتجارة، دبي، أيار، 2004م، ص174.

(73) أحمد، عزت السيد، انهيار مزاعم العولمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000م، ص105.

(74) عبدالحي، وليد، تأثير العولمة على الدولة القومية في العرب والتحديات السياسية والاقتصادية والثقافية للعولمة، تحرير، محمد الأرناؤوط، منشورات جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، 2000م، ص99.

(75) عبيد، سعودي علي، التطور التاريخي لوظيفة الدولة الاقتصادية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عدن، المجلد السادس، العدد 11، يونيو، 2003م، ص39.

(76) زكي، رمزي، أزمة القروض الدولية، الأسباب والحلول المطروحة مع مشروع صياغة لرؤية عربية، القاهرة-مصر، الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية بجامعة الدول العربية، ط1، 1987، ص19-23.

(77) عوض الله، صفوت عبدالسلام، السياسات التكييفية لصندوق النقد والبنك الدوليين وأثرها على علاج الاختلالات الاقتصادية في الدول النامية، ص4.

(78) زكي، رمزي، أزمة القروض الدولية، الأسباب والحلول المطروحة مع مشروع صياغة لرؤية عربية، القاهرة، مصر، الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية بجامعة الدول العربية، ط1، 1987م، ص13.

(79) كفالجيث، سنغ، عولمة المال، ترجمة: رياض حسن، دار الفارابي، بيروت، 2001م، ص77-100.

(80) كفالجيث، سنغ، عولمة المال، ص77-100.

(81) ألكسندر شكولنيكوف وجون سوليفان، شروط الإقراض الدولي بحث منشور على موقع www.marHoum.com/press5/144

(82) حسين ، عدنان السيد، تطور الفكر السياسي من الاشتراكية الى الليبرالية الجديدة ، بيروت، دار أمواج ، ط1 ، 2002 ، ص ص. 157 -159.

(83) الجيلي ، حميد ، التحررية الاقتصادية الجديدة في ضوء منهج صندوق النقد الدولي ، دراسة نقدية ، بغداد ، ط1 ، 1999 ، ص ص. 66 - 67.

(84) الجميلي ، حميد نفس المصدر ، ص ص. 69 - 82.

(85) السامرائي ، هناء عبد الغفار ، العرب في مواجهة عولمة التجارة ، مجلة الحكمة ، بغداد ، العدد 23 ، شباط ، فبراير 2002، ص ص. 67 – 73.

(86) نوري ، برهان محمد ، محمد ، منظمة التجارة العالمية تمل ثلاثي الهيمنة على اقتصاديات العالم ، مجلة الحكمة ، بغداد ، شباط ، فبراير ، 2002 ، ص ص. 74 – 76.

جدلية العلاقة بين لامية الشنفرى وسينية البحتري

(لوحتا الذئاب وانطاكيا نموذجاً)

حسن بكور *

ملخص

عاش البحتري حياة حافلة بالرفاه والنعيم وعطايا الخلفاء والولاة والأغنياء الذين حظوا بمدحه، حتى إنه أضحى صاحب ضياع وأملاك كثيرة، خاصة في عهد الخليفة العباسي المتوكل، ولما قُتل المتوكل ذهب ولي نعمة البحتري فانتكس مادياً ونفسياً، وتحول إلى هجرة اللون العربي في كل شيء، فتوجه إلى إيوان كسرى يصفه ويمدح الحضارة الفارسية المجيدة من خلاله، وذلك كنمط تغييري في الانتماء، فجاءت قصيدته (السينية المشهورة) في وصف هذا الإيوان متجاوبة إلى حد بعيد مع حالته النفسية المضطربة الحزينة، وقد حاول الاتكاء على تجربة الشنفرى النفسية في الانسلاخ والانتماء والتعبير عن الظلم والخسارة والبحث عن بديل جديد بدا غريباً على مدرسة البحتري. وقد شكلت الموسيقا والنغم والإيقاعات الداخلية والانحناءات العروضية والجرس الموسيقى وكل عالم القصيدة النغمي عوامل إضافية في ربط النغم والصورة والمعنى الأمر الذي دفع بهذه القصيدة إلى تفوق فني مشهود.

رؤى الفكر وآلية الإبداع

يشكل الشعر منذ فجر حياة الإنسان المدنية وجهاً حضارياً وثقافياً وفكرياً، وقد تابعه في هذا ألوان أخرى من الإبداع الفني الإنساني ظلت ترفد معه حياة البشر بكل ما هو ثقافي وحضاري وفكري وإن كان فنياً في أشكاله الأولى، ومن هنا اقتربت رؤى الشعراء والمبدعين برؤى الفلاسفة والحكماء، وربما تورطت بعض هذه الرؤى إلى حد التمثل برؤى الأنبياء والمصلحين.

ولما كانت قيمة المبدع وفضله تتجليان في توليد هذه الرؤى المتميزة الجديدة فلا بدّ إذن أن يكون ثمة تميز في أداة هذا الإبداع وهي اللغة ليضمن تميزه، في هذا الصعيد، على العادي، فتتولد لديه "قدرة في استخدام اللغة وتفجير طاقاتها وتوسيع دلالاتها وتوليد أساليب وتراكيب جديدة لم تكن دارجة أو شائعة في الاستعمال، فالمبدع يشكل اللغة حسبما تقتضي حاجته غير آبه بالحدود والأنظمة والدلالات الوضعية، فهو يعمد إلى الانتقال مما هو ممكن إلى ما هو غير

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحسين بن طلال، معان، الأردن.

ممكن من خلال استخدامه الخاص للغة... يسعى المبدع إلى تجاوز الدلالة المعجمية ويتخطاها لأنه يطمح إلى تقديم رؤيته وإحساسه بالطريقة التي يراها أكثر تأثيراً"[1].

وفي هذا الخصوص نفسه نكتشف أن "ربط الغريب بما هو عجيب وطريف وبديع يكشف عن الأثر النفسي الذي يتجلى في تجاوز المألوف والعادي، وإن انبهار النفس بما هو غريب يتكشف من خلال قدرة الشاعر على إكساب لغته الذاتية فرادة وتميزاً عن لغة الآخرين"[2].

ولما كان الإبداع الأدبي، والإبداع الشعري خاصة، يركب قناة اللغة كأداة توصيل، فإن هذه اللغة لا بّد أن تتجسد في البلاغة والفن والخيال لتضمن التفرد والتميز، ومن هنا جاء تميز اللغة الشعرية عن اللغة النثرية العادية، واستطاعت هذه المهارة – بل إنها يجب أن تستطيع – صهر هذه التجربة الإنسانية التي مرّ بها الشاعر، فنقلها إلينا بطريقته الخاصة، الأمر الذي جعلنا نصفق له إعجاباً على الرغم من أننا نحس التجربة نفسها ونعانيها، ولكنه استطاع أن يصوغ هذه اللحظة صياغة فنية جمالية حتى خلنا أنه نقلها من المألوف فأصبحت كأنها غير مألوفة، وهكذا فإن التجربة ليست ألفاظاً وجملاً ولغة فقط، بل هي "شيء خارج عن الألفاظ والجمل، فإن الألفاظ لا تستطيع إيصالها إلا بصفتها رموزاً وإشارات، ومقدرة الألفاظ على أن ترمز للتجارب تتوقف مقدرتها على تنبيه ملكة الخيال في الناس، ولذلك يلجأ الأدب إلى استخدام مختلف القوى التي تستطيع بها الألفاظ أن تؤثر في الإفهام سواء أكان هذا من ناحية المعنى أم ناحية اللفظ والصورة"[3].

إن التجربة الأدبية تمتاز بالمادة المتكونة منها إضافة إلى الوحدة التي تنتظم هذه المادة، فإيصال التجربة لا بّد أن يكون من خلال إيصال المادة والوحدة لهذه التجربة. ويشكل اللفظ الأدبي الرمز لمادة التجربة، والصورة الأدبية هي الرمز لوحدتها، ولا بّد من تجزئة أدوات التجربة، اللغة والألفاظ لكي يمكن إيصال هذه التجربة، لأن الألفاظ لا تخرج دفعة واحدة، بل لفظاً لفظاً، وكلما تقدمَ النص الأدبي أخذت أجزاؤه تتحد بحيث يتكون من الكلام صورة ومتى كمل النص كملت الصورة، ومتى اكتمل النص الأدبي أمكن لنا حينئذ النظر إليه بصفته وحدة كل جزء منه قوي الصلة بكل جزء آخر.

ولقد أكد الدكتور طه حسين عملية الحذق فيسلّم في تكوين النص الشعري، ولم تسلمً أبداً بأن الشاعر مجرد حالة من الخيال، لأنه "ليس من الحق في شيء أن الشعر خيال صرف، وليس من الحق في شيء أن الملكات الإنسانية تستطيع أن تتمايز وتتنافر، فيمضي العقل في ناحية لينتج العلم والفلسفة، ويمضي الخيال في ناحية لينتج الشعر، وإنما حياة الملكات الإنسانية الفردية كحياة الجماعة رهينة بالتعاون، ومضطرة إلى الفشل والإخفاق إذا لم يؤيد بعضها بعضاً"[4].

ويؤكد الدكتور يوسف بكار، من جديد، قضية الإبداع والتجربة التي يسميها المجال الثقافي للشاعر أو الإطار، يقول: "وواضح أن الاتجاه المذكور ينطوي على أمرين: ثقافة الشاعر أو "الإطار"، وتجاريبه ومعاناته النفسية، ويفصل بينهما فصلاً تاماً، ويجعلهما ندّين أو خطين متوازيين، في حين أنهما يجب أن يلتحما ويندمجا حتى يولّدا معاً العمل الإبداعي الخلاّق، وإلاّ تظل المسألة أسيرة التصور الشائع بأن الإبداع وحي أو إلهام حسب، وليس ثمة من حاجة إلى قراءات متعددة، وتمرس بالفكر، ومجاهدة للنفس على التحصيل الثري"(5).

الرؤية الطللية وتكوين نص السينية عند البحتري

شكّل الوقوف على الأطلال ظاهرة تلفت النظر في الشعر العربي القديم، خاصة الفترة الجاهلية التي شهدت هذه اللازمة الشعرية شبه الإجبارية، وإذا كان لهذا النزوع ما يبرره من إحساس بالفقد والتيه والضياع وعدم وجود دوغمائية فكرية ودينية تريح الإنسان والشاعر، وتجيب عن تساؤلاته الوجودية فإن هذا القلق والهوس الوجودي قد بدأ يخف في وجود الأجوبة الشافية في الإسلام الجديد، فاطمأنت نفس الإنسان الشاعر إلى الإجابات الجديدة عن تساؤلات الإنسان المصيرية وإحساسه الوجودي والعبثي، حتى بدأت هذه الظاهرة بالانحسار والغياب، وانطلق الشاعر الإسلامي الجديد انطلاقة عملية واقعية تناسب روح الدعوة الجديدة، وأرجأ كل قلقه الوجودي وتساؤلاته القديمة بما شرحه له الدين الجديد.

ومن جهة أخرى فقد كانت المقدمة الغزلية أو الطللية تمثل شريحة شبه أساسية في القصيدة العربية القديمة، وكان لا بدّ للشاعر أن يمر في أجزاء قصيدته متأنياً أو متعجلاً حتى يصل إلى النقطة المركزية في الخطاب الشعري، لكنه بدأ يستغني عن إلزامية هذه المحطات، ليدخل إلى نقطته المركزية مباشرة متخلصاً بذلك من الشكل الفني الموروث والطاغي، ليرسم شكلاً فنياً جديداً تسيطر فيه وحدة الموضوع والمضمون. إلا أن الحنين الطاغي إلى هذا النموذج العربي القديم ظل هاجساً يناغي الشاعر حتى استطاع الاحتيال إلى العودة إلى هذا النموذج بما فرضته عليه الأحداث التاريخية العاصفة والمتغيرة التي أثرت على نفسيته الخاصة.

ولعل البحتري أحد هؤلاء الذين احتالوا في العودة إلى الأطلال، فنراه بعد مقتل سيد نعمته الخليفة المتوكل يشعر بالضياع والتيه والفقد، فيبدأ بالبحث عن التوازن واستعادة إعمار التشظي والتهشم الذي أصاب حياته، فنفذ "إلى موضوع هو الحديث عن آثار الفُرس ممثلة في إيوان كسرى على نحو ما هو معروف في قصيدته السينية التي تعد من روائع الشعر العباسي، وفيها يصور أطلال هذا الإيوان، وكان قد زاره بعد قتل المتوكل، فبكى همومه وأشجانه، وبكى الأطلال الكسروية ودولة الفرس القديمة ودولتهم الجديدة، وإنه ليذكر يد الفرس في العصر العباسي الأول

وتشييدهم لحضارته ومدنيته، مما يجعله ينوه بمجدهم القديم حتى ليكاد يرفعهم على العرب... وهو لا يكاد يتماسك حزناً وحسرة ولوعة[6].

يستهل البحتري قصيدته هذه في وصف إيوان كسرى بمقدمة يستعرض فيها أحزانه ولوعته وآلامه وتيهه الجديد قارئاً معاناة الشنفرى في العصر الجاهلي:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدور مَطِيِّكُم   فَإنّي إلى قَومٍ سِواكُم لَأَميَلُ
فَقَد حُمَّت الحَاجَاتُ واللّيلُ مُقمِرُ   وَشُدَّت لِطَيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرحُلُ
وَفِي الأَرضِ مَنأَى لِلكَريمِ عَن الأَذى   وَفِيهَا لِمَن خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعَمرُكَ ما بِالأَرضِ ضِيقٌ عَلَى امرِئٍ   سَرَى رَاغِبَاً أَو رَاهِبَاً وَهوَ يَعِقلُ
وَلِي دُونَكُم أَهلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ   وَأَرقَطُ زُهلُولٌ وَعَرفَاءُ جَيأَلُ
هُمُ الأَهلُ لاَ مُستَودَعُ السِّرُّ ذَائِعٌ   لَدَيهِم وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخذَلُ

إلى أن يقول:

وَلَكِنَّ نَفسَاً مُرَّةً لاَ تُقِيمُ بِي   عَلَى الذَّأَمِ إلاَّ رَيثَمَا أَتَحَوَّلُ[7]

إن الشنفرى يهرب إلى عالم جديد يستبدل به أهله وقومه، إنه عالم الصحراء والحيوان والطبيعة حيث النقاء والانسجام بعد أن فقد هذا الطعم لدى أهله وقومه، "فقد خرج هذا الصعلوك عن المنظومة القبلية في الحي متوجهاً إلى حياة التوحش التي دخل فيها ومارس حياته ممارسة فعلية عبر التوحد مع الذئب والذئاب، فماذا وجد؟ وجد قمعاً تمارسه الطبيعة عليه وعلى غيره أشد وأنكى من القمع الذي تمارسه القبيلة ضده، ولكنه قمع مادي جسدي يتحمله الصعلوك الأبي ويفضله على القمع الاجتماعي النفسي (الذل، الأذى) الذي يتعرض له في القبيلة، فهو يتغنى غناءً عدمياً بقدرته على تحمل قمع الطبيعة وتفضيله على قمع القبيلة"[8]. وهكذا يرسم الشنفرى حالة فريدة من التمرد والانسجام الجديد، وشكلاً فريداً من أشكال التكيف والتأقلم وصراع البقاء بطريقة فنية فذة كذلك، "فلم يطلعنا على موقف الصعلوك وأسرار حياته وحسب، بل لقد ارتفع في تصوير هذه الحياة إلى مستوى الخلق الفني الموهوب حتى صارت لامية العرب واحدة من أهم وثائق الفن والحياة المعبرة عن المعيشة الجاهلية وعن نموذج الصعلوك الضاري المتوحش الخارج عن دائرة المنظومة القبلية"[9]. وكذا شأن البحتري الذي يهرب إلى العجم مستبدلاً بهم أهله وقومه من العرب، إنها تجربة الانسلاخ من الأصل، والإحساس بالخوف والعزلة والوحدة، والبحث بالتالي، عن البدائل الغريبة.

لقد ترك البحتري موطنه الأصلي الشام راحلاً إلى العراق لعله يتجاوز ما كان يمرُ به من مشكل البحث عن المجد والمال، وها هو الآن يتحول من بغداد العز والمجد والمال إلى المدائن بعد إحساسه بالخسارة والفقد، يناجي إيوان المجد الغابر بعد أن خسر المجد الحاضر، إنه التحول المكاني إذن، ذلك الذي يعصف بالشاعر ليوقعه في محطات من التحول الذاتي والموضوعي والفكري والقومي، فالمكان الذي يشكل مصدر قلق وتوتر يغدو دافعاً للبحث عن البديل، للعمارة والحضارة، إنه إيوان كسرى، هذا المثل الحي الشاهد على العظمة التي يتحول إليها الشاعر.

إن البحتري يستحضر التراث الشعري العربي – الشنفرى نموذجاً، بما قد يقربه من مفهوم التناص، منطلقاً من خلاله إلى استكناه أبعاد الحياة وجمالياتها الفكرية والحضارية، وهو يتعامل مع هذا النموذج التراثي بوعي وفهم يقومان على المحاورة والنهوض بالفن البلاغي، فلا يذوب في سياقاته ومداخله، وإنما يكوّن إبداعه ويرسمه ضمن رؤية خاصة به، وموقف متميز يشي بتفرد في الرؤية والتوجه والاستقلالية:

وإذا ما جُفِيت كُنتُ جَديراً أنْ أُرىَ غَيْرَ مُصبِحٍ حيثُ أُمْسِي[10]

إنه لا يرضى الذل والهوان، وتتأبى نفسه العزيزة مواطن الإذلال فيتحول إلى مواطن الإجلال، وكذلك فإن الشنفرى لا يقيم على مواطن الأذى، وإذا ما أحس به فإن له نفساً زكية تتحول عن هذه المواطن إلى حيث العزة والكرم والأهل الجدد.

إن ثمة نقاط اتفاق وافتراق بين البحتري والشنفرى في رؤاهما ضمن هاتين القصيدتين، أما على صعيد الاتفاق فقد "أملى الاستحضار الذهني والفني لأبيات الشنفرى في لاميته ذكر العنس بالجمع كما هي المطايا و(رحلي) هي موازاة مع أرحل، ثم إن لفظة (حضرت) في موازاة مع (حُمَّتْ) ثم إن الهموم بالتعريف لهي الحاجات، ولقد أملى ذكر الليل المقمر في لامية العرب ذكر (بالنصب) البياض في إيوان كسرى، علاوة على ذكر الأبيض الإصليت في لامية الشنفرى، ولقد تحول الشنفرى عن بني أمه إلى الصحراء ليجد المعادل الموضوعي لموضوع فنه، ولقد تحول البحتري عن قومه إلى إيوان كسرى ليعاكس اتجاه الصحراء، ولكن مع معاكسته لاتجاه الصحراء ظل البحتري عيناً له على الصحراء ولو في طريق المقابلة والفخر اللين الهين"[11]. كمثل قوله:

حِلَلٌ لم تكُنْ كأطْلالِ سُعْدىَ في قِفَارٍ من البَسابس فلْسِ

وَمَساع، لَوْلا المحابـاةُ مِنِّى، لم تُطِقْها مَسْعاةُ غَنْسٍ وعَبْسِ[12]

لقد تحول الشنفرى إلى عالم الصحراء وفضائها البعيد عن قيم القبيلة التي أهانته، ومازج الحيوان في ذلك الفضاء وأنسنته وجعله بديلا لعالم البشر وقيوده المذلة،أما البحتري فقد استدار من عالم البشر الذي يمارس قادته القتل والإهانة إلي عالم من البشر يرى أنهم يملكون قيما حضارية قادرة على تنظيف الواقع وتجديده، وأعادة بث الحياة فيه.

رحل الشنفرى إلى ناحية من مكان قومه الصحراء البعيدة ورحل البحتري إلى ناحية من مكان قومه إلى المدائن حيث إيوان كسرى، وحملا رؤيتين مختلفتين في المعالجة الفنية للمكان نبعت من الحاجة الخاصة بكل منهما.فإذا كان الشنفرى يريد تكوين جماعة ذات نظم وقوانين تحترم ذاته، فان البحتري يبحث عن جماعة ترد العدوان وتغيث قومه في مواجهة الآخر الذي بغى وقتل المتوكل ولي نعمته.

وقد نجح الشنفرى نجاحا فنيا متميزا في أنسنة جماعة بديلة داخل نصه الشعري تمثلت فيما شكله من لوحتي الذئاب والقطا في الأبيات من (26-42) التي تعد لباب قصيدته اللامية، ونجح البحتري نجاحا فنيا متميزا في بعث الحياة في آثار جماعة الإغاثة القادرة على مد يد العون لقومه والمتجسدة فنيا في اللوحة الجدارية (صورة انطاكيا).

ولعل هذا ما جعل رؤى الشاعرين الوجودية تختلفان،فالشنفرى منسلخ ورافض ومهاجر يود تكوين مجتمع جديد، لذا ينحو منحى يعتمد على الذات ويضخمها لتكون محور عالمه الجديد بضبابيته وسعي الآخر لتهديمه وصعوبة تكوينه،وتخدم الصور الفنية على امتداد فضاء قصيدته هذا المنحى.

أما البحتري فهو حزين باك يشعر بالظلم والقهر وضياع الفرصة المتاحة، ويدرك معالم الطريق إلى من يساعده، فيتوجه إلى عالم يتجسد عيانا في لوحة فنية جميلة،تملك القدرة على الإيحاء لكنها انخرست ويود أن تنطق: هل يتمنى أن ينطق صانعو هذه اللوحة ويساعدوا في إزاحة القتلة من العنصر التركي.

"لقد نجح البحتري في إطلاق بالونات التضليل الفني وساعده فنه الخاص به كما ساعده معجمه الشعري على احتواء هذا الاستيحاء الفني للامية الشنفرى ومجاوزتها ألفاظاً وموسيقا وموضوعات، ثم إنه (البحتري) وقد كان البحر الطويل أثيراً لديه في أقصى درجات السرور والكآبة على حد سواء، وهو البحر الذي تقوم عليه اللامية – قد هجره إلى الخفيف في هذه القصيدة بالذات، فقد أبعد المرمى، وأحسن المناورة، وأبدع في ذلك وأجاد، لقد استجمع الصورة الحضارية والفنية للاّمية وأبدعها إبداعاً حضارياً جديداً، فإذا المعاني تتراقص أطيافها في العربية من جديد، وهو ليس إبداعاً جزئياً على مستوى البيت ونصفه وربعه، ولكنه الإبداع المستند إلى

رؤية حضارية تأخذ فيها القيم والعلاقات روابط جديدة بعيون جديدة، وإن صح التعبير تكون لامية الشنفرى قد ولدت في سينية البحتري ولادة حضارية جديدة[13].

البعد الطللي:تبدل الصورة الجزئية من الحيز المكاني إلى الحيز اللفظي

أن الثورة والسخط التي عمرت نفس الشنفرى، فطلب من أهله الرحيل على الرغم من انه هو الراحل:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُم فَأَنِّي إِلَى قَومٍ سِوَاكُم لأَميَلُ[14]

هي التي حفزته على تشكيل صوره الجزئية، لتملأ فضاء المكان الذي رحل إليه مهددا قومه بتكوين بديل قوي قادر على نقض مجتمعهم وتقويض مكتسباته المادية، وتهديد أمنهم بأدوات خارقة تصل إلى الارتباط بالمغيبات كالجن:

فَإن يَكُ مِن جِنٍّ لأبرَح طَارِقَاً وإن يَكُ إنسٌ مَا كَذَا الإنسُ تَفعَلُ[15]

والثورة والسخط التي عمرت نفس البحتري، دفعته إلى الترفع عن عطاء اللئيم والتماسك أمام تبدلات الدهر وتحولاته، ودفع ناقته للوقوف على أطلال إيوان كسرى بدل أطلال (سعدى)

حَضَرتْ رَحلِيَ الهُمُومُ فَوَجَّهْ تُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنسِي[16]

وهي التي دعته إلى تكوين صوره الجزئية، لتنتقل من المجسد المكاني إلى المجسد اللفظي، لأن ما رحل من أجله البحتري يستطيع البيان اللفظي أن يصل إليه عن طريق التذكير بقيم الحضارة، لعلها تنير الهمم للخلاص مما هو جاثم على صدر الحياة لحظة القول وبناء النص الشعري.

كلا الشاعرين ينطلق من رؤية خاصة به، يشكل الطلل ظلالا يستظل بها وخلفية لصوره الفنية التي تكون معمار القصيدة، فرحيل الشنفرى أوحى له فنيا في أن يرسم لنفسه صورة تجتمع فيها عناصر المثال الأخلاقي الاجتماعي للبطل في عصره الجاهلي، وتنفي عنها ما دون ذلك من صفات العبيد:

وَلســـتُ بِمِهيَافِ يُعِشّي سَوَامَـهُ مُجَدَّعَـــةً سُـــــقبَانَهَا وَهيَ بُهَّــلُ
وَلَستُ بِمِحيارِ الظَّلاَمِ إذا انتَحَت هُدَى الهَوجَلِ العِسِّيفِ يَهمَاءُ هَوجَلُ[17]

وكذلك رسم الشنفرى لوحات فنية للبيئة التي انتقل إليها فنيا، فرسم لوحة للمجتمع البديل (الذئاب والقطا) ولوحة لمباغتة القبيلة وتقويض مكتسباتها، وجميعها تستظل بلوحة الرحيل

والطلل. وكذلك فعل البحتري حين رحل نحو الطلل الكائن عيانا والمجسد بناء (إيوان كسرى)، وركز عدسته نحو لوحة فنية مجسدة على جدار الإيوان وهو (صورة معركة إنطاكية) وانبجست الصورة الفنية المكونة في القصيدة من الطلل وانغلت باتجاهه، لأن رؤية الشاعر ترى في الطلل حلا فنيا لمشكلة النص، فالإيوان هو الطلل الكلي هدف الرحيل ووسيلة التسلي عن الهموم وصورة معركة إنطاكية هي الذروة الفنية والرمز الذي يختزل هدف الرحيل الأساسي، والصحراء هي الطلل الواسع وهدف الرحيل ووسيلة بناء المجتمع البديل ومكانه، ولوحة الذئاب والقطا الفنية هي لباب عالم الشنفرى المؤنسن، الذي يختزل المجتمع البديل المتجانس للقبيلة، فالصور المشكلة تفتقها طبيعة الرؤيا الشعرية التي يملكها كل من الشنفرى والبحتري ولنتثبت من ذلك اختار صورة من السينية وهي (صورة معركة إنطاكية) وصورة من اللامية هي (لوحة الذئاب) لقراءة أثر الصورتين الإشعاعي في النصين.

ويؤطر الشنفرى لمجتمعه البديل انطلاقا من الذات واقتدارها،فيجعل نفسه محورا لذلك المكًون (البكر)، ويضفي على شخصيته (المتفرّدة ميزات مثالّية ينتزعها من الآخر ويلبسها لذاته وللمجموعة الجديدة، يقول:

هُمُ الأهلُ لا مُستودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ   لَدَيهِم وَلا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخذَلُ

وَكُلٌّ أَبِيّ بَاسِـــلٌ غَيرَ أَنَّـــنِي   إذَا عَرَضَت أُولَى الطَّرَائدِ أَبسَلُ[18]

فالأهل الجدد يتميزون بالوفاء والإخلاص،فهم يجيرون المضطر إذا استجار بهم ولا يذيعون سره، ويكتمون سره ولايبدوه لأحد وهم لا يقبلون الضيم ويتصفون بالشجاعة، أما الشنفرى محور ذلك المجتمع المتشكل فنياً فهو الأشجع والأقدر على قيادة الخيل ومهاجمة الآخر المعادي، فهو جدير بالقيادة.

ويواصل الشنفرى رسم معالم طريقه انطلاقا من رؤيته الوجودية للحالة التي يعانيها الإنسان الصعلوك وسط معمار المجتمع القبلي (الجاهلي)، ويحاول تشييد بناء جديد بديل، ومن جدر ذلك البناء الفني الجديد اللوحات الوصفيّة لذاته وهو يهاجم القوم بتفوق يوصله إلى درجة أسطورية تصل قدرة الجن لقوله تعالى ((أنا أتي بها قبل أن يرتد إليك طرفك))[19] ولوحات فنية لمكونات مجتمعه الذئاب والقطا، وتنفرد لوحة الذئاب (لباب القصيدة) بامتلاك مؤشرات على قدرة الشاعر الفنية على تركيز عصارته الذهنية والعاطفية واخراج قطعة فنية تمتلئ بالحركة والنشاط والإيحاء، فالشنفرى بعد أن يمجّد ذاته ويثبت كيانها، ويؤكد اقتدارها على تجاوز جغرافيا المكان وتحدي الزمان، ينطلق نحو تجسيد ذلك ضمن مجتمع واقعي يتحدى المكان والزمان لكنه لا يلغي المعاناة. يقول الشنفرى:

وَأَطوِي عَلَى الخُمصِ الحَوَايَا كَمَا انطَوَت		خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفتَلُ
وَأَغدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا		أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطحَلُ
غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا		يَخُوتُ بِأَذنَابِ الشِّعَابِ وَيَعسِلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ القُوتُ مِن حَيثُ أَمَّهُ		دَعَا فَأَجَابَتهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ
مُهَلهَلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كَأَنَّهَا		قِدَاحٌ بِكَفَّي يَاسِرٍ تَتَقَلقَلُ
أَو الخَشرَمُ المَبعُوثُ حَثحَثَ دَبرَهُ		مَحَابِيضُ أَردَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ
مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَهَا		شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ
فَضَجَّ وَضَجَّت بِالبَرَاحِ كَأَنَّهَا		وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوقَ عَليَاءَ ثُكَّلُ
وَأَغضَى وَأَغضَت وَاتَّسَى وَاتَّسَت بِهِ		مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتهُ مُرمِلُ
شَكَا وَشَكَت ثُمَّ ارعَوَى بَعدُ وَارعَوَت		وَلَلصَّبرُ إن لَم يَنفَعِ الشَّكوُ أَجمَلُ
وَفَاءَ وَفَاءَت بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا		عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجمِلُ[20]

تبدو شخصيّة الشنفرى ساطعة بقوة في الصورة، فهو المحور الذي تنبني حوله مكونات اللوحة الفنية، فهو الذي يمتلك القدرة على أن يطوي أمعاءه ويقاوم الجوع باقتدار وثبات، يفعل ذلك ويؤكد برسم صورة فنية جميلة لذلك الاقتدار وهي صورة منتزعة من بيئة الشاعر البدوية. صورة ماري الذي يقوم بعملية فتل الخيوط وطيها حول المغزل، فالشنفرى يجعل من أمعائه مادة عينية يلفها حول الجوع فيختنق الجوع وينتهي، كما يلف ماري الخيوط حول مغزله فيختفي.

فالتحدي الذي يواجه الشنفرى أثناء بناء مجتمعه الفني البديل هو الجوع وعدم توفر الطعام، لذلك يتوجه إلى احدى مكونات مجتمعه الجديد ليبرز أثر هذا التحدي على تلك الجماعة وهي جماعة الذئاب، ويبين كيفية مواجهتها لظاهرة الجوع وعدم توفر الطعام.

تتكون لوحة الذئاب الفنية من خلال الشنفرى، فهو الذي يغدو مبكرا مستعينا بزاد قليل جدا،وهو أساس اللوحة الفنية والطرف الأساس فيها، فهو المشبه،أما الطرف الثاني فهو المشبه به وهم مجموعة الذئاب في حركتها ومكوناتها ومواجهتها تحدي الجوع وسط صحراء لا تنبت شيئا.

ينقل الشنفرى صورا حسية ترتكز على توظيف جميع عناصر الصور الحسية من حركة ولون وصوت وبصر ويسبغ عليها روحا إنسانية تجعل اللوحة الفنية المتكونة تسبح في بحر من المشاعر البشرية التي يحن إليها الشاعر في أعماقه،فالذئب (المشبه به) يغدو مبكرا ناحل الجسد وسط صحراء قاحلة وقد تلون بلونها،فأصبح مغبرا على بياضه،يطوي في داخله جوعا شديدا،لكنه يتحدى الجوع فيجري سريعا يعارض فيه الريح في سرعته،وينقب في تلك الفلاة عن قوته فينقض على أطراف شعابها، وتعتريه الهزة والارتجاف عندما لا تسعفه أذناب الشعاب بشيء،فيرتد إلى ذاته وتزداد هزته،فيتوجه إلى الجماعة والمجتمع لعله يسعفه ويخفف بلاءه.

لقد امتنع القوت على الذئب وكان هدف حركته وسط القفر،فماذا يفعل؟ انه يملك بقايا صوت (عواء) يدعو فيه أقرانه،فيرتد إليه الصدى ليخبره أن أقرانه من الذئاب حالها كحاله في شدة الجوع والهزال، لكنها تهرع إليه بصورتها البائسة فهي شديدة الضعف، يعتري وجوهها الشيب،ليس لها غير الجلد والعظم،تمشي مضطربة، تسمع صوت عظامها وهي تتحرك فكأنها صوت القداح التي تحركها كف المقامر.

والذئاب في حركتها الجماعية وتوجهها نحو الذئب الشنفرى وما يصدر من تلك الحركة من أصوات تستدعي في ذهن الشاعر الصورة الصوتية لدوي النحل الذي أهاجه مشتار العسل بأداته الباحثة عن العسل وسط تجمعه، صورتان صوتيتان تجسدان الضعف الشديد للذئاب، أصوات القداح وأصوات النحل لا ترضيان الشاعر في قدرتهما على التعبير عن بؤس الذئاب في تحديها للجوع، فيمعن في الوصف الحسي للذئاب فيعتمد صورة بصرية تبرز الذئاب في شدة نحولها، فأفواهها المفتوحة كريهة المنظر تبدو كالعصي المشقوقة، تبلغ الصورة غايتها في النقل الحسي لمدى معاناة الذئاب من الجوع لتنتقل إلى الأدوات الممكنة لتجاوز المحنة ومواجهة التحدي وإرساء قواعد الجماعة البديلة للشنفرى وإمكانات استمراريتها، فتبدأ أنسنة جماعة الحيوان وإيجاد العلاقات المشتركة الموصلة للمجتمع البديل الذي يساعد الشاعر على مواجهة القبيلة، ونقض قيمها الطبقية الظالمة، تتجه اللوحة الفنية للذئاب إلى أيجاد علاقات التواصل والتوازي فالذئب ورفاقه يضجون في وسط الصحراء الواسعة، وينعكس عن ذلك الضجيج الحس المشترك

بالمأساة،ثم يشترك الذئب ورفاقه في الإغضاء ويعزي بعضهما الأخر بسبب قلة الطعام ذلك الهم المشترك، ويتشابه الجميع في التعبير عن المأساة، ثم يتبادل الذئب مع مجموعة الرفاق الشكوى والتواصي بالصبر والإنفاق المشترك على ضرورة الصبر، انطلاقا من قناعته إن لم ينفع الشكو فالصبر أجمل، وينتهي المشهد بالاتفاق على كتمان الألم الناتج عن الجوع والعودة المحمودة إلى البحث في الشعاب والأرض عن الطعام، وتأطير التعامل بالحسنى داخل المجتمع الجديد.

يلحظ القارئ لمكونات لوحة الذئاب عند الشنفرى الرؤية الفكرية التي أنطلق منها الشاعر في بناء نص اللامية كلها، وهي تكوين مجتمع قادر على إرضاء الشاعر بديل لمجتمع القبيلة التي ظلمته في بعض قيمها.

يجعل الشاعر ذاته محور اللوحة الفنية فهو المشبه،والذئب في علاقته مع مجموعة الذئاب المشبه به وهم جميعا يسعون إلى تكوين جماعة قادرة على مواجهة التحدي الأساسي الناتج عن مجافاة القبيلة وهجرها وهو الجوع،واللافت للنظر أن الشاعر يؤنسن الجماعة الحيوانية ويجعل (الذئب الشنفرى) محرك الجماعة هو المبادر للتعبير عن مشاعره، وتبادل تلك المشاعر مع الجماعة كفرد من أفرادها لا رئيسا أو زعيما متعاليا على مشاعر جماعته،وحاجاتهم المادية والنفسية.

ولعل البحتري في بنائه لنص (السينية) كان يعاني معاناة مماثلة،لما عاناه الشنفرى، فالبحتري هم بهجر قومه لاختلافه معهم في أمر مقتل المتوكل، فاتجه نحو طلل الحضارة الفارسية، يود أن يستنهض أصحاب هذا الطلل الكائنين عيانا في الحياة العباسية، ويبادروا لامتلاك زمام الأمور من عسكر الترك، فيصل البحتري إلى حل أشكاله بهذه الطريقة، كما توجه الشنفرى إلى مجتمع الحيوان، لإيجاد بديل للقبيلة، ليحل مشكلته، وكلاهما عمل ذلك على صعيد الفن وجسد ذلك في نصه الشعري الخالد..

لا شك أن التصوير الفني البارع هو الذي سيطر على جو السينية، وإذا كانت اللغة قد خدمت إرادة الشاعر في ترجمة أحاسيسه وأحزانه وفقده، خاصة في بدايات القصيدة، فإن هذه اللغة ستخدم الشاعر كذلك في رسم لوحات ومشاهد فنية جميلة قلما عرف الشعر العربي القديم مثلها، فالبحتري "لا يبارى في تصويره الحسي، حتى لكأنما ينقل المشهد بحذافيره، لا لنبصره فحسب، بل أيضاً لنلمسه بأيدينا، فهذا الإيوان لم يعد إيوان قصر يكتظ بالترف والنعيم، بل أصبح بناء قبر ضخم لحضارة الفرس الباذخة، وحال كل ما كان فيه من أعراس إلى مآتم، غير أن صفحة منه لا تزال ناطقة بشجاعة الفرس ومجدهم الحربي، إذ تجسدت فيها صورة معركة إنطاكية بين الروم والفرس، وكسرى هاجمٌ بجموع جيشه تحت العلم الفارسي الكبير، يمزق جموع الروم،

والفرسان بين مهاجم ومدافع ولا صوت في المعركة ولا جلبة، إنما هو تصوير، ولكن بلغ من نطقه وقوة تعبيره أن تظن العين أنها المعركة كأنما تحدث تحت بصرها"[21]

وان يُزجِي الصُّفُوفَ تَحتَ الدِّرَفْسِ　　والمنَايَا مواثِلٌ وأنوشَـرْ

فَرَ يَختـالُ في صبيغةِ وَرْسِ　　في اخضِرارٍ من اللِّباسِ على أصـ

في خُفوتٍ منهم وإغماضِ جَـرْسِ　　وعِرَاكُ الرِّجالِ بيْنَ يَـديه

ومُلِيحٍ من السِّـنان بِتُرْسِ　　مِنْ مُشيحٍ يَهوِي بعاملِ رُمـحٍ،

ءٍ لهُمْ بيـنهم إشَارةُ خُـرْس　　تَصِفُ العيْـنُ أنَّهمْ جِدُّ أحْيا

تَـتقرّاهُمُ يــدَايَ بلمْسِ[22]　　يَغْتَلي فِيهِمُ ارتِيَـابِي حَـتَّى

يرسم البحتري هذه اللوحة الفنية الحية لهذا المكان بما فيه من نقوش ورسوم وتماثيل، فصورة إنطاكية تحكي وقائع المعركة بين الروم والفرس، يلتقط الشاعر هذه الصورة من ذلك النقش المحفور في الإيوان، حيث يقف الناظر مدهوشاً مسحوراً، كسرى يحاصر المدينة في حملة عسكرية ضخمة، والموت يخيم على المدينة، وأنو شروان في حلة القتال تحت اللواء، يحث الجنود على القتال، وهم يستجيبون له في صمت وثبات قد استخدموا لغة البرق والإشارة، فهم بين رام لرمح أو متّق بترس، والصمت الرهيب يخيم على ميدان المعركة على الرغم من الحركة والقتال الحار، والجميع في حركة دائبة نشطة، يتكلمون بأيديهم ويتفاهمون بعيونهم، ويتراسلون بأعضائهم، "ما يجعل العين تتيقن من فاعليتهم وحيويتهم وحركتهم لولا الصراع النفسي المشحون بالشك الذي نجم عن الموازنة بين الرسم المنقوش والصورة الحية، ولذا فقد أراد الشاعر أن يجلّي الموقف لتنطق الحواس بالحقيقة، ويفيض الواقع عن اللوحة، وتعرف سحر الخيال الذي أنطق هذا الساكن وحركه في صورة فنية رائعة[23]

إن سر الهزيمة التي تتبدى ظاهرياً عند البحتري قد شكلها الزمن الرديء الذي خلخل أمانة وهدوءه، لكنه في الداخل غير مهزوم، فقد استطاع أن يؤسس بديلاً جديداً لخسارته مع الزمن في بحث داخلي جديد "وتغرق الذات في إدراك عميق للانهائية النفي والتشرد ولاستحالة استعادة الزمن الضائع أو الصحب المشتتين، وأمام هذا الإدراك لا تنهار الذات، بل تكتسب لنفسها صلابة داخلية عميقة رغم تمزيق الانفعالات لها، وفي صلابتها هذه تتجوهر في كون بديل مطلق، كون يشكل نقيضاً للكون الذي تفتت وتمزق وانهار، وتبدأ حركة الكون البديل بالتبلور وطناً جديداً وأرضاً جديدة، وقوى حافلة بالحيوية والحياة، وزمناً جديداً... الخ"[24] وهكذا فإن روح الحياة

والفرح والنشاط والأمل تنعكس في وصف هذا الموات / الإيوان، وذلك بعد أن قرر الشاعر الوضع الإيجابي الجديد، فها هي الصور تتحرك وتنطق حتى لتكاد تكون حية فعلاً:

مِنْ مُشيحٍ يَهوِي بعاملِ رُمحٍ، ومُلِيحٍ من السِّنان بِتُرْسِ
يَغْتلي فِيهِمُ ارتيَابِي حَتَّى تَتقرّاهُمُ يدَايَ بلمْسِ

وإنه لفرط ارتيابه يتتبع الحقيقة ليزداد علماً بها، ويزيد صورته روعة بإسناد الفعل إلى اليدين وهو المبصر القريب مما يصف، إن المعنى بهذه الدقة "قد أعطى الشك قيمة، وأصبح الشك نفسه ذا دلالة فائقة على براعة التصوير في تلك الصور الماثلة على الجدار – لهذه المعركة التي كان عنصر الحركة فيها مثار الدهش ومبعث الشك، وسبباً لفقدان الثقة في العين البصيرة المتمكنة، ومن ثم استدعت اليد لترى وتحس معها طلباً لتتبع الحقيقة والتيقن منها"[(25)]

إن هذا الحماس الغريب الذي نقتنصه من شعور الشاعر هنا هو ما يؤكد تماماً عالم الشعراء الغريب والمتميز عن الناس العاديين، فالشاعر كفنان يحيل الأشياء إلى عوالم مدهشة مثيرة ومقنعة في أحيان كثيرة لأن "الاستثناء الوحيد القائم بين الشعراء وغيرهم من البشر يتجلى في التكوين النفسي للشاعر، وهو تكوين متميز يقوم على الإحساس المرهف والخيال الخارق، وهذا التكوين الخاص أو المتميز يجعل الشعراء والفنانين وسائر المبدعين في حالة قلق دائم وتوتر مستمر، ولذلك فقد قيل إن أعصاب البشر تحت جلودهم أما الشعراء فأعصابهم فوق جلودهم، وبفضل هذا الاختلاف في التكوين النفسي وفي وضع الأعصاب تكون استجابة الشاعر لكل من الألم والفرح فورية وآنية، ويتركز في تلك الاستجابة أكبر قدر من الانفعال باللحظة الراهنة، واللحظة الأسيرة لأي من المؤثرين: الألم الطاحن أو الفرح البهيج"[(26)]، وهكذا يكون البحتري في موقعه الرؤيوي والنفسي والفني مع هذا المتغير الجديد الطارئ في حياته، وهذا الذي خضه وهزه وألقاه في شبك اللحظة، فأجمل اللوحات الفنية هي تلك التي "صدرت عن فرح عظيم أو حزن عظيم، ومن امتلك طاقة هائلة من الفرح أو طاقة هائلة من الحزن، وكان شاعراً أو فناناً فقد امتلك موهبة لا تقهر، واستوى على عرش من الإبداع لا تستطيع أية قوة في الأرض أن تمنعه عن الظهور والاستعلام"[(27)]

هكذا نرى البحتري الفنان إذن وهو يمتلك الحزن العظيم على ما كان، والفرح العظيم بما هو كائن، فينبري فناناً مجلياً في هذا الوصف، فهو يصرف الشك في حوار باطني؛ إن ما أرى رجال أشداء يخوضون غمار الحرب، وإن سألت فأصواتهم لا ترتفع، وجلبتهم لا تشتد، لكن الجواب يأتيك من خلال نافذة العين بأنهم أحياء يتكلمون لغتهم الخاصة بهم، الإشارة الخرساء، "ولا يفضح حلم الشاعر الذي غاب فيه سوى اقترابه من الجدار، وتحسسه هذا الجدار، فينتبه من

غافل حيرته ليجره المشهد إلى حيرة أخرى ليس يدري معها أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس"[28]

إن هذا الرسم الفوتوغرافي الذي تنقله العين البشرية يتحرك ليتجاوز فن العين في نقل المشهد، لتصبح الكلمة الفن الشعري هنا هي الأداة الأكثر ترجمة عن نقل المشاهد ورسم اللوحات، فصورة المعركة بين الفرس والروم قائمة "الموت أمامك في تشخيص قل مثيله، المنايا ماثلة في المعركة، تروح وتجيء، فيزيد هذا من روعة الصورة، ويصبح اللامنظور منظوراً، واللاملموس ملموساً وتتحول الصفات المعنوية أثراً حسيّاً بين المعالم، وتبين الألواح واضحة بكل خطوطها واختلاف أشكالها، والمقاتلون في عراك بين يدي كسرى، صورة منحوتة في الصخر أو مرسومة على الجدار، يخرجها الشاعر أثراً يلحظ ويرافق في مشاركة الوجدان أحد العناصر المتممة لعملية الخلق ذاك"[29]

إن هذا ما يفعله الشاعر البحتري في هذا النص الشعري، إنه يتحرك في الأفق الآخر، أفق الفن وليس أفق النحو والصرف الجامد المؤدي إلى لغة نثرية توصل المعنى دون اللعبة الجمالية، فالشعر" ليس نثراً يضاف إليه شيء آخر، بل هو نقيض النثر تماماً، وطبيعة الفارق بين النثر والشعر لغوية تكمن في نمط خاص من العلاقات التي يُقيمها الشعر بين الدال والمدلول من جهة، وبين المدلولات أنفسها من جهة أخرى"[30]، وفي هذا المعنى يصبح الشعر " انزياحاً أو انحرافاً عن معيار هو قانون اللغة، إلا أن هذا الانزياح ليس فوضوياً، وإنما هو محكوم بقانون يجعله مختلفاً عن غير المعقول، أما الانزياح المفرط الذي يستعصي على التأويل فتسقط عنه السمة المميزة للغة ألا وهي التواصل"[31]

وتستمر هذه اللوحة الممثلة بمشهد المعركة في توجيه الخطاب الشعري هنا بصيغ فيها الكثير من تحريك الخاطر والتنويه بالصورة وإيحاءاتها ودلالاتها، وأكثر ما في هذا التصوير هو إبراز الحرص على القتل في الجانب الأول، وإبراز الحرص على النجاة في الجانب الآخر، وإبراز لصورة المحارب في كل وضع من هذه الأوضاع بما يعطي التشكيل الأخاذ سواء في محاولة النزول بسنان الرمح بكل ثقل وتركيز، وما يتبع ذلك من حركة العضلات وتقطيبات الوجه والانحراف بالجسم على درجة معينة، أو محاولات الاتقاء من هذا النزول من أسفل إلى أعلى بكل التصميم الذي يجعل من عضلات الجسم وانحرافه في درجات انحراف معينة مع الصورة الكلية التي تجعل القسمات والتعرجات والانحرافات واضحة في الصورة القريبة من يدي الجواد، وتحت عيني فارسه أنو شروان، وتجعل القسمات والتعرجات والانحرافات غير واضحة في أعداد الجيوش الكثيفة في الأطراف من الصورة، فيما كان من الطرف المقابل لصورة جواد أنو شروان بما لا يخفى: تصف العين أنهم جد أحياء لهم بينهم إشارة خرس وقول البحتري هذا "فيه إيحاء على أن

الرسام في عمله هذا – أي في الصورة – يكاد يكون ضرباً من السحر والعمل الخيالي لتفوقه وإبداعه، وهذا ترسم لقوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم، وجاؤوا بسحر عظيم﴾[32] والفعل المضارع (تصف)، والتوكيد (أنهم) مع إضافة (جد) إلى (أحياء) يجعل الصورة معبرة تموج بالحياة[33]"

نحن إذن أمام صورة حافلة بالتفاصيل الوضعية ذات القيم الفنية والجمالية التي تركز على العناصر الثابتة والمتحركة، فنتعرض للثابت منها من خلال الجمل الاسمية المتتالية، وللمتحرك من خلال جمل فعلية أفعالها مضارعة جاءت أخباراً لمبتدآت فتجمع بين الاسمية والفعلية، تمثيلاً لواقع جمع الثابت والمتحول. فمن الجمل الاسمية المستخدمة (المنايا مواثل، أنو شروان يزجي الصفوف)، وقد أكثر الشاعر من استخدام حرفي الجر (في ومن) اللذين يفيدان الحلول والظرفية، ويركز الشاعر على المصادر الدالة على الحدوث المجردة (الاخضرار، العراك، الخفوت والإغماض، وأسماء الفاعلين)، واسم الفاعل، عادة، يدل على حدوث الفعل أيضاً، وهو حدوث متغير وليس ثابتاً.

ويوظف الشاعر المفردات التصويرية مثل (ارتعت)، "فحرف العين حلقي توسط بين تاءين توحيان بالارتباك، لأن التاء تشير إلى التأتأة الناجمة عن الاضطراب، والعين حرف حلقي يصور حالة من حالات الاختناق والذهول، كما أن امتزاج اللونين الأحمر والأصفر يشارك في تصوير هذه الحالة المرتبكة أثناء المعركة، ومن المفردات التصويرية الأخرى (الخفوت والإغماض) فهما يوحيان بجرسهما وينبئان عن حالة صمت"[34]

ولعل هذا يجعل المرء يؤكد وجود فوارق بينة بين لغة الخطاب العادي ولغة الخطاب الشعري، التي تشكل هذه القصيدة نموذجاً طيباً لها، فإذا كانت اللغة النثرية "تعمل على ضمان سلامة الرسالة بترتيب ما، فإن الشعر يعمل على تشويهما بالتقديم والتأخير، وإذا كانت اللغة العادية تسند إلى الأشياء صفات معهودة فيها بالفعل أو بالقوة، فإن الشعر يخرق هذا المبدأ حين يسند إلى الأشياء صفات غير معهودة، من مثل: السماء ميتة، الجبال تبكي..."[35]

البعد الطللي وتبادلية الرؤى

يظهر إيوان كسرى في مكان عال مشرف تكل العيون حينما تنظر إليه، "وإن الحائط الذي ينحدر السقف الإهليجي باتجاهه، إنما هو جبل (القبق)، ويكون ثمة يمين الجبل (خلاط) ويساره (مكس)، وتقديم الخبر على المبتدأ (مغلق بابه) فيه تسليط الضوء على الإغلاق، وهو وصف معماري هندسي لانحدار السقف الإهليجي ذي الخواتم المعقودة باتجاه الحائط، ويعضد هذا

التفسير أن السياق بعد البيت يتحدث عن التفوق المعماري والحضاري والمهارة المعمارية الرائعة.[36]

وتبدو صورة الإيوان رائعة المنظر، متفوقة على الأطلال المقفرة في الصحراء، فقد وصف البحتري الإيوان بأنه (حلل لم تكن كأطلال سعدى)، وربما كان في هذا تعريض بالعرب وحضارتهم ومعالمهم المدنية، فهو مقارنة صارخة الميل نحو تمجيد الحضارة الساسانية الفارسية وتفضيلها على الحضارة العربية من خلال إشارة الاسم العربي التقليدي القديم (سعدى)، إنها مقارنة بين الحضارة والبداوة، بين المحبوب والمبغوض، بين الكائن وما كان، ولعل الدافع لهذا الميل الهزة النفسية والسخط الذي يعمر نفسه ويلاحقه نتيجة رؤيته للمتوكل وهو يقتل بمؤامرة من ابنه ولي عهده، وبأيدي ثلة من جنود الترك)[37]

مرة أخرى تتفتق شاعرية البحتري عن فيض فني جديد يوشح هذا الإيوان، ولكن هذه المرة يغلب الشجن والحسرة عليه، ومع ذلك فإنه يظل عظيماً:

وكأنَّ "الإيوانَ" مِن عَجَبِ الصَّنْـ عَةِ جَوبٌ في جَنبِ أرعَنَ جِلْسِ

يُتَظَنَّى مِنَ الكــآبةِ إذْ يَبْـ دُو لعيْني مُصبِّحٍ أو مُمَسِّي

مُزعَجاً بالفِراقِ عَنْ أُنــسِ إلفٍ عَزَّ، أو مُرهَقاً بتطليقِ عِـرْسِ[38]

إن تعلق الشاعر النفسي الجديد بهذا الإيوان يقوده دائماً إلى رسم صور جميلة له تتبدى في إبداعاته المعمارية المزركشة بالألوان، كأنه أرض فسيحة أصابها الغيث، فأجابت بمختلف النبات، وكأنه جبل مشرف عال يصوره الشاعر وهو مستند إلى جبل(القبق) كأنه رجل حزين يشير بالتحية صباحاً ومساءً، وقد فارقه أهله وأحبته أو زوجه الحبيب[39]

إن البحتري يكاد يحيل أطلال الإيوان "إلى شخوص تتحرك خلال جنباته، وتحس وتتألم، فهو مزعج بالفراق، ويبدي تجلداً"[40]

يرسم الشاعر الإيوان إنساناً يبدي تجلداً وتصبراً، لكن الدهر يلقي بثقله عليه – شأنه في ذلك شأن جبل ابن خفاجة الأندلسي – ليكون عاجزاً عن القدرة على الاستمرارية في التجلد. وإن أنسنة الإيوان بامتلاك الحزن والجلد والصبر والمشاعر دليل

على انتباه الشاعر لعملية المعادل الموضوعي، فالشاعر يمر بمراحل الحزن والكآبة، وكذلك تحمل أعباء الحياة وثقلها، وحالات التوتر المهاجمة، فالقصر تستهدفه عوادي الزمن الكثيرة من

طمس وعوامل تعرية ومناخ وتقادم عهد، ولم يحتفظ بتماسكه، وهو فعل الرجل الذي يبدي تجلده"[41]

يبدي الشاعر إعجابه بهذا الصرح العظيم فيترجم هذا الإعجاب من خلال ملكة خاصة لا يمتلكها الإنسان العادي، إنها ملكة الذوق والإحساس بالجمال، "فالذوق أو الإحساس بالجمال فطري من ناحية، ومكتسب من ناحية أخرى، فهو في أصله هبة طبيعية تولد مع الإنسان، ويظهر أثرها في ميله منذ بواكير حياته إلى روائع الأدب متذوقاً ومحاكياً، وهو أمر لا يتاح لمن لم يتح لهم مثل هذا الاستعداد الفطري إذ إن الجمال في كل أشكاله ليس أموراً حسية ذات قياسات وأطوال يستطاع قياسها بالأدوات الحسية، بل هو قيم معنوية لا تستجلى بغير الأذواق السليمة التي صقلت بما اكتسبته من ثقافة ومعرفة وطول ممارسة[42]، وهكذا يتجلى البحتري الذي وهب هذه الملكة الفريدة في الاستمرار بوصف القصر وسجاجيده العجمية وطنافسه، وشموخه وارتفاعه الذي يلوح للناظر من جبل رضوى، وهذه الشرفات تبدو بيضاء اللون ناصعة كأنها غلائل القطن:

لابساتٌ مِنَ البياضِ فَمَا تُبْـ صِرُ منها إلاَّ غَلائلَ بُرْسِ[43]

ويقف ثَمَّ مشدوهاً متسائلاً بكل حيرة ودهشة عن اليد التي بنت هذا القصر، هل بنته الإنس للجن؟ وفي هذا إشارة واضحة إلى أنه خلو من ساكنيه الآن، إذ لم يعد يسكنه غير الجن، ثم يعود للتساؤل مرة أخرى: هل بنته الجن للإنس؟ وفي هذا إشارة واضحة إلى الإبداع وفنية العمارة والعمل – كفعل الجن مع سليمان عليه السلام – إذ ينسب الفعل العجيب في الذاكرة العربية العامة إلى الجن المدهش:

لَيسَ يُدْرَى أصُنْعُ إنسٍ لجنٍّ سكنوهُ، أم صُنعُ جنٍّ لإنسِ[44]

وفي هذا عود جديد إلى شبهة تناصية فيها استدعاء لقول الشنفرى:

فَإن يَكُ مِن جِنٍّ لَأَبرَح طَارِقَاً وَإن يَكُ مِن إنسٍ ما كذا الإنسُ تَفعَلُ[45]

وإذ يذكرنا هذا البيت الشعري بمشكل التناص الذي ربما ظهرت بعض ملامحه عند البحتري في قصيدته هذه من خلال مرورها – ربما عن غير قصد – بلامية الشنفرى، فإنه حري بنا ألا نقع في شبهة السرقات الأدبية أو الإيهام المنطقي أو غيره من المصطلحات السالبة في هذا الخصوص، فقد يتضمن النص "تناصات أدبية متنوعة في أجزائها المختلفة حسب حتمية اندماج المقروء الثقافي في ذاكرة الشاعر ثم تسربه إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصور أو الأسلوب أو الرؤية إلى غير ذلك، وقد تكون هذه التناصات الأدبية أو الثقافية مباشرة أو غير مباشرة، بمبناها أو بمعناها، بوعي أو دون وعي، غير أن تقصي مثل هذه التناصات يدخلنا في متاهات لسنا بصدد

دخولها، كما أن مثل هذا التقصي سيجنح بنا مرغمين إلى نوع من التحليل القائم على التخمين والظن واحتمالات التناص أو التأثر أو التقليد..."[46]

لم يكن البحتري مجرد وصّاف أو مسجل أو رسام لكل ما شاهد في هذا الإيوان، وإنما تعدى هذا إلى أنه "مزج بينه وبين مشاعره، فجاءت رؤيته له جديدة، أحيا بها هذه المشاهد التي انفعل بها وجدانه"[47] فكان في وصفه يرى الأشياء رؤية خاصة تمر خلالها بمشاعره، وتمتزج بها، وتحمل أثراً من اهتزاز تلك المشاعر، فهو عندما يصف الإيوان يتجاوز الوصف إلى تجسيد إحساسه وشعوره إزاء ما يصف، ففي تصويره لما في الإيوان من مناظر فيها أنو شروان مرتدياً زيه، متقدماً جنوده يخوضون المعركة ضد الروم بين تأثير ذلك على شعوره، فهو "يكاد يرى الحياة تدب في هذه الصورة ويتخيل أن ما أمامه أجناد حقيقية من لحم ودم يمد يده كي يراها ويلمسها"[48]

وقصيدة البحتري هذه في وصف الإيوان تسجل ردّ فعل الحضارة الفارسية في نفسه، ولذلك وقف فيها مضطرباً بين الإعجاب بتلك الحضارة وسخطه على الزمن الذي ذهب بأهلها، "ومن هنا يأتي جمال تصويره للإيوان من حيث أنه قام على تخيل ما فيه، أما القصور العباسية فقد مثلت واقعاً حضارياً عايشه وشاهده، فأصبحت أمام خياله مادة الواقع جاهزة يستمد منها ليبدع ويصور"[49]

إن نظرة متأنية إلى النص لا شك ستفضي إلى قراءة عناوين التعاسة والشقاء والخسران التي تحتل الشاعر، فقد اختلت الموازين ودوائر الاستقرار لديه بعد مقتل سيد نعمته الخليفة المتوكل، كما أشرنا، ولذا فإنه يدخل في مدارات الارتباك والاضطراب والقلق النفسي، لكنه يكابر على الجرح، ويؤكد أنه حاول الصمود أمام الشبهات، وهذا ما ينفيه تاريخه الذي يؤكد أنه (البحتري) مسكون بالكدية والطلب والمدح والبخل والثراء، وعلى الرغم من كل هذا التاريخ الذي ينقض كبرياء البحتري، إلا أنه مصرٌ على الترفع عن طلب اللؤماء:

صُنْتُ نَفْسي عَمَّا يُدَنِّسُ نفسي وتَرَفَّعتُ عن جَدا كلِّ جِبْسِ[50]

وإذا كان هذا مؤشراً إلى ترفعه عن الطلب الآن، فإن هذا مؤشر آخر إلى أنه كان ينعم بالرفاهية والخير الوفير، لكن الخليفة الآن يقتل، فلم يعد لديه أمام هذا الواقع الجديد المُرّ سوى (بلغ من صبابة العيش). وفي ظل كل هذه الأوضاع المأساوية الجديدة، فإنه يعزم أمره على الصمود والثبات أمام كل هذه الظروف المستجدة، ولملمة جراحاته والتماسك:

وتماسكْتُ حِينَ زَعزَعَنِي الدَّهْـ ـرُ التِمَاسَاً مِنهُ لِتَعسِي ونَكسِي[51]

قراءة في التشكيل الموسيقي والفاعلية النفسية للصورة

ليس من أدنى شك في اتفاق كل نقاد الشعر ومتذوقيه على أهمية الموسيقا والإيقاع والنغم، هذا الجانب المطرب الذي شكل علامة امتياز للشعر على النثر، بل ذهب كثير منهم إلى ربط المضامين بالصور والنغم وتأكيد وجود علاقة بدهية تربط المعنى بالصورة والنغم، وفي هذا المعنى يكون التشكيل الموسيقي "إيقاعاً وزنياً، أو وحدات موسيقية صوتية تخضع لاختبار الشاعر نفسه، وهو بدوره يضعها – كما يشاء – في الإطار النفسي أو الشعوري الذي يجد نفسه خاضعاً له أثناء الكتابة الشعرية، وليس هناك بالضرورة وزن حزين ووزن مبهج، وإنما هناك لحظة شعرية تعبر عن الحالة الشعورية للشاعر، وهذه اللحظة هي التي تتحكم في الأوزان وفي حركة التشكيل الشعري، موقعة ما تشاء من الألحان الحزينة أو السارة "[52].

ولقد استطاع البحتري أن يتمثل هذا الربط الواعي بين المعنى والنغم، فجاءت أوزانه الشعرية –في غالب الأحوال– منسجمة مع حالاته النفسية المضطربة القلقة التي تناوح بين الانكسار وشدّ الظهر.

تتكون هذه القصيدة من تسع دوائر وزنية يتوزع عليها مائة واثنا عشر شطراً، ويلاحظ أن البيت الواحد لا تنتظمه دائرة عروضية واحدة إلا ما ندر، إذ ينتقل الشاعر في جميع أشطر القصيدة من دائرة إلى أخرى بصورة تصاعدية، ثم يعود إلى الدائرة الأولى، وهكذا، لتشكل هذه العملية حركة دائبة فاعلة باستمرار، وهذه الحركة السريعة من دائرة إلى أخرى تتوازى تماماً مع الغليان الداخلي العامل في نفس الشاعر، يبدأ بالصعود إلى القمة، ثم سرعان ما يتحول هبوطاً إلى القاعدة، وإن نظرة سريعة إلى الخريطة العروضية (مرفق) تؤكد لنا تلك التوترات العاملة في أعماق الشاعر وذاته المضطربة، إذ تشكل الخطوط المرسومة الموزعة على تلك الدوائر حركة موسيقية غير ثابتة أو مستقرة، فهي ملفتة للنظر من جهة عدم ثبات الأشطر الشعرية عند دائرة وزنية واحدة، ثم تنتقل إلى أخرى، بل نجد الشطر الأول، مثلاً، نظم على (فاعلاتن مستفعلن فعلاتن). ثم ينتقل الشطر الثاني إلى دائرة أخرى (فعلاتن متفعلن فاعلاتن)، وكذلك فإن الشطر الثالث ينتقل إلى الدائرة الثالثة (فعلاتن متفعلن فعلاتن)، والشطر الرابع إلى الدائرة الرابعة (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن)، ثم يعود الشطر الخامس إلى الدائرة الثانية، وينتقل الشطر السادس إلى الدائرة الخامسة، ثم يعود الشطر السابع إلى الدائرة الثالثة، وهكذا هو الحال على جميع جسم القصيدة، فتتشكل رؤوساً مدببة في الأعلى والأسفل، وهذه الحركة الموسيقية للأشطر الشعرية تنسجم مع الحالة النفسية المتغيرة القلقة لدى الشاعر. إن المتتبع لهذه الدوائر الوزنية يلحظ أن الشاعر قد ركز على الدائرة السادسة (فاعلاتن متفعلن فاعلاتن)، ويوزع عليها ستة وعشرين

شطراً من القصيدة، وكأنها الترجيعة الرئيسية التي تنتظم القصيدة مثل اللازمة، ويليها الدائرة الثالثة (فعلاتن مستفعلن فعلاتن).

إن هذا التناغم بين الوزن والمضمون يدل على مدى التلاحم بين أجزاء القصيدة جميعها، فلما كان الشاعر قلقاً مضطرباً غير متوازن فإن أوزانه قد جاءت كذلك من حيث تعددها وتوزعها على جسم القصيدة.

إن وقع (الدهر) وتكرار هذه المفردة في النص، وبيان دلالاتها المزعجة، وغيرها من المفردات الكثيرة التي تحمل عناوين الضغط والمعاناة والسلبية (زعزعني، التماس، تعس، نكس، رابني، الأخس، محمول هواه، الخطوب، جدا، جبس، الليالي...الخ) ليولّد هذا الاضطراب الملموس في الأوزان الشعرية المتمثلة في هذه الدوائر المتعددة، مما يؤكد من جديد أثر المعنى في التشكيل الموسيقي.

إن جميع فاعليات هذه المفردات الصعبة سابقة الذكر قد تحولت، في غالب أحوالها، إلى صور فنية شقية وجميلة، فكأن البحتري يغمض عينيه لتتابع أمامها صور الأشياء المأساوية التي يعانيها، ويضع رأسه بين يديه ليتذكر بحزن ما كان، فيبكي ويستنهض الحاضر عله يكسر به غول الماضي الجميل / الأليم، وكأنه يرسم طرقاً وقنوات يستعيد بها ومن خلالها الأشياء، مازجاً أحاسيسه وإدراكا ته لأن الشيء المدرك والمحسوس حاضر، في حين تفترض الصورة غياب المؤثر، وتتبدل بتبدل عواطفه واهتماماته ومشاغله، فللصورة حركتها وحياتها النفسية الذاتية، وقد نضيف عليها من خيالنا ومشاعرنا ما يبعدها عن الواقع.

ولقد برع البحتري في اصطفاء جرس موسيقي رائع من خلال انتخاب الوزن العروضي وحرف الروي والإيقاعات الداخلية في النص، فاستطاع أن يحقق "مدى مقابلاً لا يقل روعة، وهو مدى الجمال الصوتي البديع، بحيث استطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والمواءمة بينها في الجرس، بل بين حروفها وحركاتها ملاءمة رفعته إلى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها سابق ولا لاحق، كأنما كانت له أذن داخلية مرهفة، تقيس كل حرف وكل حركة وكل ذبذبة صوتية، فإذا به ينظم شعراً مصفى مروقاً... الخ"[(53)]

وهذه شهادة أخرى تأتي من باحث متخصص في الأدب العباسي، يقول الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي في حق البحتري في هذا الخصوص "إننا لا نستطيع أن نغفل الاختيار الدائم لدى البحتري للألفاظ المموسقة التي تنم عن موضوعها بنغمات مفرداتها، وهذا ما عرف في النقد بالتناسب بين المباني والمعاني لدى الشعراء عامة، ولدى البحتري بشكل خاص... "[(54)].

وهكذا يكون البحتري قد حقق إنجازا مميزاً في مجال الإبداع الشعري، يتمثل في عملية انتقاء المفردات والجمل ذات الإيقاع الموسيقي الداخلي والخارجي منسجماً مع الموضوع والفكرة التي يطرحها، فغدا شعره مثالاً في هذا المجال، يشهد له في هذا التفوق الباحثون القدامى والمحدثون،فكان شعره محطً إعجابهم لبراعته في إحداث الإيقاع الموسيقي، والمواءمة بين الألفاظ والحروف في الجرس،ولرهافة أُذنه الداخلية التي طُبعت على تذوق الشعر المصاحب للإيقاع الموسيقي الجميل، الذي يُحدِثُ المتعة الفنية في نفوس المتلقين، مع القدرة على استلهام الموروث وصياغته الذي يعبر عن تجربته الذاتية المنسجمة مع النغم الموسيقي الجميل.

خاتمة البحث

فيما مضى يلحظ الباحث قدرة الشاعر على الانتقال باللغة من حيز الواقع والدلالة المعجمية، إلى آفاق أرحب حيث الخيال وتجاوز الشكل والسطحية إلى الإيحاء والرمز والمجاز، فتحمل هذه الأساليب والتقنيات هموم الشاعر وانفعالاته وتجاربه الحياتية، ولعل البحتري الذي كان يتقلب في نعيم الخليفة المتوكل، ويعيش حياة الرفاهية، تحولت حياته إلى معاناة وحسرة وقسوة، بعد فقده الخليفة وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، ويلجا الشاعر إلى توظيف الموروث الشعري، لينطلق منه إلى نقل تجربته، والإفصاح عن معاناته، فيجعل من الطلل متكأً، لتفريغ إحساسا ته وانفعالاته.

ويستذكر البحتري معاناة الشاعر العربي الشنفرى في لاميته الذي يصف فيها انسلاخه عن قومه الذين آذوه وظلموه، فشعر بالمهانة والذل، فاستبدلهم بمجتمع الحيوانات في الصحراء التي أنس إليها، وعلى الرغم من قسوة الطبيعة والمكان، إلا أنه أعاد لذاته الحرية المفقودة، وتخلص من المعاناة النفسية التي أثقلته في ربوع أهله وقومه، وهكذا مًر البحتري بتجربة مماثلة للشنفرى مع بعض الفوارق البسيطة، فحينما رأى البحتري الأنظمة والقوانين تتحطم أمام عينيه، فَيُقتل الخليفة ولي نعمته، فتتهاوى طموحاته وآلامه، ويستشعر بالذل والانكسار أمام ظلم القادة الأتراك، ويصمم على التخلص من هذا الواقع الأليم، فيتوجه إلى إيوان كسرى، مستصرخاً ومستغيثاً، لعلً الفرس ينهضون بمسؤولياتهم، فيزيلوا الظلم عن المجتمع العباسي أسير الحكم التركي.

ويرى البحتري في تهدُم تلك القصور انسجاماً مع حالته ومعاناته، ومن هنا فإنً الصورتين متشابهتان، فالشنفرى يرسم لوحة الذئاب على أنها البديل الموضوعي لقومه، ومن خلالهم يثبت المقدرة على التحدي ومواجهة الصعاب في الصحراء، وتجتمع الذئاب حول الذئب في مشهد حزين، غير أنهم لاييأسون، فيقرروا مواجهة الصعاب بإرادة صلبة لا تلين، إنه الانسجام التام بين الذئب وجماعته، والشنفرى يضفي على نفسه تلك الصفة للذئب متمنياً أن يكون مع قومه، يواجهون معا تحديات الحياة ومشكلاتها.

والبحتري في بنائه لسينيته كان يعاني المعاناة التي مرّ بها الشنفرى، فكلاهما هجر مجتمعه لعدم تآلفه معه، ويسعى إلى بناء مجتمع جديد بديل، يعيد لنفسه العزة والكرامة من خلال هذه اللوحة الفنية الجميلة لصورة إنطاكية المحفورة في الإيوان، التي تجسِّد انتصار الفرس على الروم.

ولعل صورة الإيوان وتمجيده من قبل البحتري، توحي بعظمة الحضارة الفارسية، وانتقاصٍ من العرب الذين ساءت أحوالهم، فكانوا أداة تحركها أيد دخيلة على العنصر العربي. ويضفي البحتري على الإيوان مشهداً ينبض بالحياة، فيبدي جلده وصبره على عاديات الزمن التي أحالته إلى أطلال، ومن هنا تتأكد عملية مقصد الشاعر إلى جعل الإيوان يحمل حالته، ويعادلها ألماً وكآبةً وحزناً. وأخيراً فإن البحتري أظهر مقدرة فنية عالية في إحداث التوازن والانسجام بين الفكرة والموسيقى، من خلال الدوائر الوزنية العروضية التي كانت تنسجم وحالته النفسية صعوداً وهبوطاً،فكان حقاً شاعراً،يشهد بفنه وإبداعه كل متذوق للشعر.

Dialectical Relationship between Al – Buhturi and Shanfara Seatri-Ray (And Wolves to Ouhta Antioch Model)

Hasan Lbkoor, *Department of Arabic Language and Literature, Al-Hussein Bin Talal University, Ma'an, Jordan.*

Abstract

Al – Buhturi lived a luxurious life deriving its prosperity and affluence from the gifts given to him from the caliphs, the rich and the rulers whom he praised in his poems. He owend some lands particularly during the reign of the Abassid caliph-Al-Mutawakil, When Al—Mutawakil was killed, he suffered a financial and psycholoical set back; thus disserting every Arab trend. He directed his interest into describing Kissra’s mansion and praising the percian civilization. His famous poem “Al – siniyyah” has, therefore, come as ature reflection to his fluctuating sad psychological mood. He tried to imitate Al-shan fara’s psychological experience in alienation and in expressing unjust and loss. The musical harmony the internal rehthems, the twisting verses, and all the tones of the poem have formed additional factors in combining the tone, the image and the meaning; a matter which brought about the artistic fame of this poem.

قدم البحث للنشر في // وقبل في 2008/8/21

الهوامــش

(1) د. موسى ربابعة :الانحراف مصطلحاً نقدياً، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الرابع، 1995، ص 154

(2) المرجع نفسه، ص 148..

(3) أحمد محمد عنبر : قضية الأدب بين اللفظ والمعنى قديماً وحديثاً، ص 19، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1954.

(4) د. طه حسين :حافظ وشوقي، ص 130، دار الخانجي – القاهرة، د.ت..

(5) يوسف بكار :الوجه الآخر، ص 10، دار الثقافة – قطر، 1986..

(6) شوقي ضيف:العصر العباسي الثاني.دار المعارف.مصر.1975.ط2.ص229

(7) الشنفرى،لامية العرب، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1974 ص51-57.مطيكم:جمع مطية وهي الناقة. أميل: اسم تفضيل من مال. حمّت: قدرت وتهيأت. الطيات: الحاجات. القلى: البغض. راغب: رغب الشيء أي أحبه. راهب: الخوف، ويقصد بأن المرء العاقل لا بد أن يجد له مكانا في الأرض إذا سرى إليه راغبا أم راهبا. السيد: الذئب. العملس: القوي على السير. الأرقط: النمر. الزهلول: الأملس. العرفاء: ذات العرف وهو الشعر. جيّال: علم للضبع. ذائع: منتشر. الجاني: القاتل. جر ّ: جنى جناية. مرّة: أبية وحرة.

(8) د. سعود الرحيلي :لامية العرب أو رحلة التوحش، ص 28، مركز البحوث–جامعة الملك سعود – الرياض، 1991.

(9) د. سعد عبد الرحمن البازعي :مقدمة لامية العرب سابقة الذكر.

(10) البحتري،الديوان ،شرح وتقديم حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، 1995، مجلد 2، ط1. 19.

(11) د. محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لسينية البحتري، ص 56 – 57، مكتبة المحتسب – عمان.

(12) البحتري، الديوان ، ص19، البسابس: القفار. الملس: الخالية من النبات. المساعي: المكارم، والأعمال العظيمة.

(13) أبو حمدة، د. محمد علي: في التذوق الجمالي لسينية البحتري، ص 58 – 59.

(14) الشنفرى. لامية العرب. ص51

(15) المصدر نفسه 69

(16) البحتري، الديوان، ص19. العنس: الناقة الشديدة.

(17) الشنفرى. لامية العرب ص54+55. المهياف: الذي يشتد عطشه وسط النهار. عشي السوام: رعى البهائم ليلا. المجدعة: السيئة الغذاء. السقبان: جمع سقب وهو ولد الناقة. البهل: جمع باهلة، وهي النوق لا صغار لها. المحيار: اسم مبالغة من الحيرة. انتحت: اعترضت وحالت. الهوجل: الرجل الطويل الذي فيه تسرع وحمق. العسيف: الذي يسير على طريق غير واضح. اليهماء: الفلاة التي لا يهتدى فيها. الهوجل الثانية: صفة لهذه الفلاة.

(18) الشنفرى، اللامية ص52

(19) سورة النمل آية (40)

(20) الشنفرى. لامية العرب ص58-60، الخمص: الجوع. الحوايا: ما يحوي البطن. الخيوطة: الخيوط، والتاء تدل على كثرة الجمع، ماري اسم فاتل الخيوط. الأزل: القليل لحم الوركين، صفة للذئب المحذوف. التنائف: جمع تنوفة وهي الفلاة التي لا تنبت شيئا، الاطحل: الذي لونه بين الغبرة والبياض أي كلون الطحال. الطاوي: الجائع. يعارض الريح: أي يفعل فعلها من الجري. يخوت: ينقض. الشعاب: الطرقات الجبلية، يعسل: يسرع باهتزاز. لواه القوت :امتنع عليه. أمّه: قصده. النظائر: الأشباه والأمثال. نحل: ضعيفة لشدة الجوع. المهلهلة: الضعيفة. شيب الوجوه: مبيغة. قداح: جمع قدح، وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله. الياسر: اللاعب هام الميسر يحركه بين يديه. تتقلقل: تتحرك وتضطرب. الخشرم: رئيس النحل. المبعوث: المنبعث للسير. حثحث: حض وطلب منه الاسراع. الدبر: جماعة النحل. المحابيض: جمع محبض وهي عيدان يتخذها مشتار العسل فيثير بها النحل. أرداهن: ثبتهن وأركزهن. سام: اسم فاعل أردأهن وهو الذي يرتقي كي يشتار العسل. مهرتة. مشقوقة الفم. فوه جمع أفواه أي المفتوح الفم. كالحات: عابسات الوجوه. بسّ جمع باسل وهو الكريه المنظر والموسخ الوجه. البراح: الأرض الواسعة التي لا نبت فيها. نوح: جمع نائحة. علياء: جمع العليا، وهي البقعة المشرفة. ثكل: جمع ثاكل وهي التي فقدت

أولادها أو زوجها. اتسى:امتثل واقتفى. مراميل: جمع مرمل وهو الذي لا زاد معه. عزاها:سلاها. شكا :بث حزنه. ارعوى: ترك ويقصد أن الذئب بث شكواه لاخوته، ولكنه تذرع بالصبر عندما لم تنفعه هذه الشكوى. فاء: رجع. بادرات: مسرعات. النكظ. شدة الجوع. المجمل: المحسن حاله.

(21) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص230.

(22) البحتري، الديوان ص20. يزجي الصفوف: يدفعها. الدرفس: العلم الكبير، والموقعة التي يشير إليها الشاعر وقعت بين الفرس والروم سنة 540م. الورس:نبات يحتوي على مادة حمراء تستعمل لتلوين الملابس الحريرية.الخفوت :سكون الصوت. إغماض الجرس: اخفاء الصوت. المشيح: الحذِر المجدّ. عامل الرمح: صدره الذي يلي السنان. المُليح: الحذِر. يغتلي: يتجاوز الحد. ارتيابي:شكي في أنهم أحياء.تتقراهم :تتبعهم.

(23) علي علي صبح: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر – المكتبة الأزهرية. وانظر: محمد صالح الشنطي: في الأدب العربي القديم، عصوره واتجاهاته ونماذج مدروسة منه، دار الأندلس – حائل، ص 72.

(24) كمال أو ديب: جدلية الخفاء والتجلي، ص 222 – 223، دار العلم للملايين – بيروت، 1979.

(25) أبو الأنوار: الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، ص 434، مكتبة الشباب – القاهرة، 1983.

(26) المقالح، عبد العزيز :الشعر بين الرؤيا والتشكيل، ص 26، دار العودة – بيروت، 1981.

(27) المرجع نفسه، ص 26.

(28) مرعشلي، نديم :البحتري، ص 227، طلاس للدراسات والنشر، 1987، ط2.

(29) العبد الله، كامل: شعراء من الماضي، ص 300 – 301، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1962.

(30) كوهين: بنية اللغة الشعرية، ص 49، ت: محمد الولي ومحمد العمري، دار طوبقال للنشر – المغرب، 1986

(31) المرجع نفسه، ص 6.

(32) الأعراف آية 116

(33) أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسينية البحتري، ص 80.

(34) إبراهيم أنيس :الأصوات اللغوية، ص 88، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979، ط5.

(35) بسام قطوس: استراتيجيات القراءة، ص 204، دار الكندي، 1998

(36) أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسينية البحتري. ص68

(37) ضيف، شوقي. العصر العباسي الثاني. ص229

(38) البحتري، الديوان ص20+21. الجوب: الخرق، فكأن هذا الإيوان قد حرق في الجبل لضخامته. الأرعن :الجبل ذو الرعن أي الأنف. الجلس: الجبل العالي.

(39) التطاوي، عبد الله: القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص207، مكتبة غريب، 1983.

(40) الموافي، محمد عبد العزيز: حركة التجديد في الشعر العباسي، ص279، مطبعة التقدم – القاهرة.

(41) أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسينية البحتري، ص 111

(42) المجالي، د. جهاد: موقف النقاد العرب القدامى من قضية الذوق الفني، ص 169، مجلد مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن، العدد الثاني، 1993.

(43) البحتري، الديوان، ص21

(44) المصدر نفسه ص21

(45) الشنفرى. لامية العرب. ص69

(46) الزعبي، د. أحمد: دلالات التناص، ص 2107، مجلة دراسات، المجلد الثاني والعشرون، العدد الخامس، 1995.

(47) الموافي، محمد عبد العزيز حركة التجديد في الشعر العباسي، ص 279.

(48) المرجع نفسه، ص 271.

(49) التطاوي، عبد الله: قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية، ص 409.

(50) البحتري، الديوان ص18. الجدا :العطاء. الجِبس: الجبان اللئيم.

(51) المصدر نفسه ص18. تماسكت: ثبتُّ. النكس: انقلاب الرجل على رأسه.

(52) المقالح، عبد العزيز، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، ص 116.

(53) العصر العباسي الثاني، ص 228

(54) الساريسي، د. عمر عبد الرحمن: في أدب العصر العباسي، ص 30، أمانة عمّان، 2004.

المصادر والمراجع

أبو الأنوار، محمد. (1983). **الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية**، مكتبة الشباب – القاهرة.

أبو حمدة، محمد علي. (د.ت). **في التذوق الجمالي لسينية البحتري**، مكتبة المحتسب – عمان.

أبو ديب، كمال. (1979). **جدلية الخفاء والتجلي**، دار العلم للملايين – بيروت.

أنيس، إبراهيم. (1979). **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5.

البازعي، سعد عبد الرحمن. (د.ت). **مقدمة لامية العرب أو رحلة التوحش.**

بكار، يوسف. (1986). **الوجه الآخر**، دار الثقافة – قطر.

التطاوي، عبد الله. (1983). **القصيدة العباسية قضايا واتجاهات**، مكتبة غريب.

التطاوي، عبد الله. (د.ت). **قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية.**

حسين، طه. (د.ت). **حافظ وشوقي**، دار الخانجي – القاهرة.

ربابعة، موسى. (1995). الانحراف مصطلحاً نقدياً، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، المجلد العاشر، العدد الرابع.

الرحيلي، سعود. (1991). **لامية العرب أو رحلة التوحش**، مركز البحوث–جامعة الملك سعود – الرياض.

الزعبي، أحمد. (1995). دلالات التناص، **مجلة دراسات**، المجلد الثاني والعشرون، العدد الخامس.

الساريسي، عمر عبد الرحمن. (2004). **في أدب العصر العباسي**، أمانة عمّان.

الشنفرى. (د.ت). **لامية العرب**. شرح وتحقيق: محمد بديع شريف، دار مكتبة الحياة – بيروت.

صبح، علي علي. (د.ت). **البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر** – المكتبة الأزهرية.

الصيرفي، حسن كامل. (1973). **ديوان البحتري**، دار المعارف بمصر، مجلد 2، ط2.

ضيف، شوقي. (1975). **العصر العباسي الثاني**، دار المعارف بمصر، ط2.

العبد الله، كامل. (1962). **شعراء من الماضي**، دار مكتبة الحياة – بيروت.

عنبر، أحمد محمد. (1954). **قضية الأدب بين اللفظ والمعنى قديماً وحديثاً**، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

قطوس، بسام. (1998). **استراتيجيات القراءة**، دار الكندي.

كوهين، جان. (1986). **بنية اللغة الشعرية**، ت: محمد الولي ومحمد العمري، دار طوبقال للنشر – المغرب.

المجالي، جهاد. (1993). موقف النقاد العرب القدامى من قضية الذوق الفني، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، المجلد الثامن، العدد الثاني.

مرعشلي، نديم. (1987). **البحتري**، طلاس للدراسات والنشر، ط2.

المقالح، عبد العزيز. (1981). **الشعر بين الرؤيا والتشكيل**، دار العودة – بيروت.

الموافي، محمد عبد العزيز. (د.ت). **حركة التجديد في الشعر العباسي**، مطبعة التقدم – القاهرة.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 591- 627

تحليل نمط توزيع جرائم السرقة في مدينة حائل السعودية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية

قاسم الدويكات * وخالد بن حمد الفيصل**

ملخص

الجريمة هي ظاهرة اجتماعية تسعى الجغرافيا لدراسة متغيراتها وأحجامها واتجاهاتها وأشكالها وتوزيعها. ويفترض البحث الجغرافي وجود أنماط مكانية محدَّدة لانتشار حالات الجريمة التي تتأثر بصفات الموضع والموقع الذي يعيش فيه الإنسان. والمنهج الكارتوغرافي هو أحد أقدم مناهج دراسة الجريمة. ونظم المعلومات الجغرافية (GIS) التي استخدمتها هذه الدراسة، هي أحد ث التقنيات الكارتوغرافية لتمثيل وتحليل نمط انتشار حالات الجريمة. فقد تم توقيع حالات السرقة في مدينة حائل بالمملكة العربية السعودية على الخريطة الرقمية للمدينة باستخدام نظام التوقيع العالمي (GPS)، وتحليل نمط انتشارها واتجاهاتها، ومدى ارتباطها بالكثافات السكانية، والامتداد العمراني، ومكان سكن الجناة، وصفات الأماكن الطبيعية واستخداماتها.

وقد وجدت الدراسة أن نمط توزيع جرائم السرقة في حائل كان متجمعا بالنسبة لمواقع حدوث جرائم السرقة عامي 1997م و2007م وأماكن سكن الجناة. كما أظهر التحليل الكارتوغرافي والإحصائي وجود ارتباط قوي بين مواقع السرقة ومواقع سكن الجناة. كما كشفت عن وجود ارتباط قوي بين المراكز المتوسطة لحوادث السرقة وأماكن سكن الجناة من ناحية، وبينها وبين مركز المدينة أو قلبها الحيوي من ناحية أخرى. وتبين من خلال التحليل المكاني للإحداثيات الرقمية لمواقع الجريمة، وأماكن سكن الجناة تبدل في اتجاه انتشارها بين عامي 1997م و2007م. حيث تحول اتجاه انتشارها من الشمال الغربي عام 1997م، نحو الشمال الغربي عام 2007م، متأثرا بشكل واتجاه الامتداد العمراني، الذي تأثر بدوره بالامتداد الجغرافي لسلسلة جبال آجا في شمال غرب المدينة.

المقدمة

تُعد الجريمة من الظواهر البشرية التي لازمت الإنسان منذ بداياته على سطح الأرض. وكلما زاد عدد السكان واتسعت المساحة التي يقطنها الإنسان، زادت حاجاته واحتدم الصراع على

* قسم الجغرافيا، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

** باحث في الجغرافيا، حائل، المملكة العربية السعودية.

الموارد. وازدادت حالات وقوع الجريمة وتنوعت، رغم كل القوانين والتشريعات التي تحمي مكتسبات البشر، وتطور وسائل تنفيذها.

وتهتم الجغرافيا بدراسة علاقة الإنسان مع بيئته الطبيعية والبشرية التي يعيش فيها. وحيث أن الجريمة سمة من سمات تفاعل الإنسان مع بيئته، ظهر الاهتمام الجغرافي بدراسة الجريمة. (الخريف، 1999) ونشأت جغرافية الجريمة في أوروبا في القرن التاسع عشر تحت مظلة علم الإجرام الكارتوغرافي Cartographic Criminology (السبعاوي، 1995). وأدى تطور علم الإجرام الكارتوغرافي إلى ظهور مجموعة من الدراسات الايكولوجية Ecological studies of crime اهتمت بدراسة علاقة الإنسان بمحيطه الجغرافي. ثم تبلور ضمن إطارها العام عدة اتجاهات متميزة في معالجة الجريمة مكانياً. (الأصم، 1991).

وتحولت دراسات جغرافية الجريمة من التركيز على الأماكن والأقاليم والولايات والمدن والأحياء، نحو التركيز على دراسة العلاقات بين صفات عناصر محدَّدة من التركيبة الحضرية للجريمة، والصفات الطبيعية للمكان، والفرص المتاحة للجريمة. وميزت بين موضع الجريمة وموقعها الذي قد يضم الحي والمجتمع والمدينة التي تحيط بمكان أو موضع الجريمة(Eck and David, 1995).

وتسعى هذه الدراسة إلى تحديد نمط التباين المكاني لظاهرة السرقة في مدينة حائل من خلال التعرف على نمط توزيعها المكاني، وشكل واتجاه انتشارها، والمتغيرات الجغرافية المؤثرة في ذلك. ويقدم هذا الوصف التفسيري لأنماط الجريمة، معلومات تساعد المخطط وصانع القرار والمؤسسات والأجهزة التنفيذية المعنية بحماية المجتمع ومكتسباته على محاربة الجريمة، والحد من تكرار حدوثها.

مشكلة الدراسة

زاد حجم جرائم السرقة في مدينة حائل من 365 حالة عام 1997م، إلى 635 حالة عام 2007م. (الأمن العام، 2007) ولا يمكن أن نعزو ذلك للزيادة السكانية فقط، بل إلى ما يترتب على عملية التحضر من تفاوت في البنية الاجتماعية والاقتصادية، للأفراد والأسر والأحياء والمجتمعات. وترتبط بعض الجرائم بالصفات الطبيعية والاجتماعية للأماكن. ويطلق الباحثون على المناطق والأحياء التي تتركز فيها الجريمة بالنقاط الساخنة Hot Spots. وتسعى هذه الدراسة للتعرف على احتمال وجود مثل هذه النقاط في مدينة حائل. وكيف تتوزع جرائم السرقة على صفحة اللاندسكيب، وطبيعة وشكل اتجاهها، والمتغيرات المؤثرة في ذلك.

أهمية الدراسة

تبحث هذه الدراسة في العناصر الجغرافية للجريمة. وتستمد أهميتها من معالجتها لموضوع حيوي يؤثر على المجتمع. وما قد ينجم عنه من خطورة كبيرة على الأفراد والمجتمع على حد سواء. وهي تبحث في التوزيع الجغرافي لجريمة السرقة في مدينة حائل، وعلاقتها ببعض الخصائص المكانية، والسكانية، والاجتماعية، والاقتصادية. الأمر الذي قد يساعد صانع القرار على تحديد مواطن الخطر من الناحية الجغرافية وسبل معالجتها.

ولم يسبق دراسة هذه الظاهرة في مدينة حائل بخلاف عدد من المدن في المملكة العربية السعودية. فحظيت مدينة الرياض بعدد من الدراسات في هذا المجال مثل دراسة (مرشان، 1992)، و(الخليفة، 1993) و(الوليعي، 1993) و(آل حسين، 1987). وحظيت مدينة جدة أيضاً بعدد من الدراسات مثل دراسة (زعزوع، 1987).

أسئلة الدراسة

1. ما هو نمط التوزيع المكاني لجرائم السرقة في أحياء مدينة حائل؟
2. ما هو اتجاه انتشار جرائم السرقة، والفواعل التي تؤثر فيها؟
3. ما علاقة مكان سكن السارق بموقع السرقة؟
4. ما مدى ارتباط نمط توزيع الجرائم بالقلب الحيوي للمدينة؟
5. هل هناك نقاط ساخنة في مدينة حائل تتكدس فيها جرائم السرقة؟

منطقة الدراسة

سكنت قبيلة طي في مدينة حائل بعد انهيار سد مأرب بين جبلي أجا وسلمى. وتُعد حائل من أهم وأكبر محطات طريق الحج، التي كان يمر بها درب زبيدة، القادم من الكوفة إلى مكة المكرمة. ومنطقة حائل واحدة من مجموعة مناطق إدارية تتكون منها المملكة العربية السعودية، وفقا للأمر الملكي رقم (أ / 92) الصادر في 1412/8/27 هـ، الذي قسَم المملكة إلى 13 منطقة هي: الرياض، مكة المكرمة، المدينة المنورة، القصيم، المنطقة الشرقية، عسير، تبوك، حائل، الحدود الشمالية، جازان، نجران، الباحة، والجوف.

وتقع منطقة حائل في شمال وسط المملكة العربية السعودية، على بعد 650 كلم من العاصمة الرياض، عند تقاطع خط الطول 26 38 41 شرقا، مع دائرة العرض 56 30 27 شمالا. (شكل رقم 1). ويحدها من الشمال منطقتي الحدود الشمالية والجوف، ومن الجنوب منطقتي المدينة

المنورة والقصيم، ومن الشرق منطقتي الحدود الشمالية والقصيم، ومن الغرب منطقتي المدينة المنورة وتبوك.(الشريف، 2005).



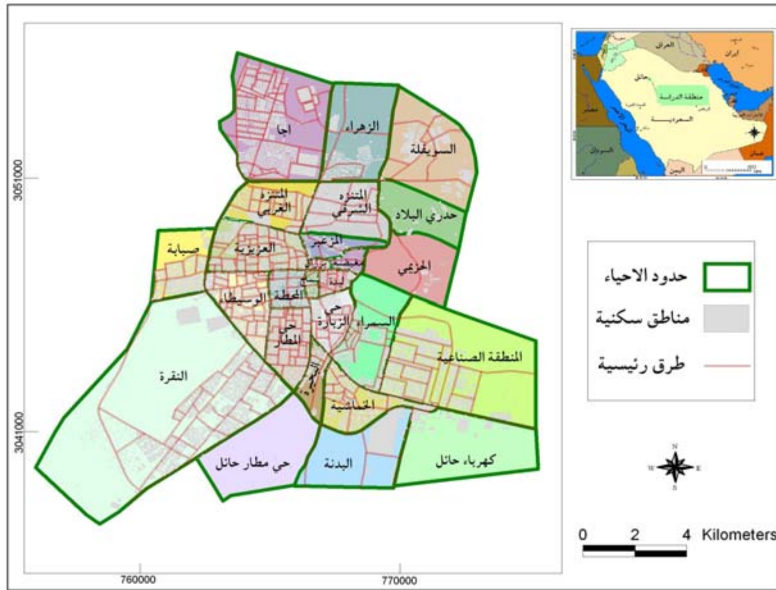
شكل رقم (1): موقع مدينة حائل

وتشُكل منطقة حائل نحو 6٪ من مساحة المملكة العربية السعودية، وتقسم إلى ثلاث محافظات هي: بقعاء، والغزالة، والشنان. وتبلغ مساحة مدينة حائل عاصمة المنطقة، نحو187 كم^2. وتقع في وسط منطقة حائل. ويحدها جبل أجا من الغرب، وجبل أم الرقاب من الشمال، وجبل شمّر من الشرق. شكل رقم (2).

وبلغ عدد سكان مدينة حائل نحو 298,879 نسمة، عام 2005م، يتوزعون على ستة وعشرون حياً هي: المنتزه الشرقي، المزعبر، برزان، لبدة، سماح، الزبارة، السمراء، المنطقة الصناعية، الخماشية، البحيرة، المطار، المحطة، الوسيطاء العزيزية، المنتزة الغربي، أجا، الزهراء، السويفلة، حدري البلاد، الخزيمي، كهرباء حائل، البدنه، مطار حائل الإقليمي، النقرة، صبابة، والمغيضة. (شكل رقم 3)



شكل رقم (2): موقع مدينة حائل بالنسبة لمنطقة حائل والمناطق المجاورة



شكل رقم (3): أحياء مدينة حائل

الخلفية النظرية

جاءت المحاولات الأولى لدراسة الجريمة من وجهة نظر جغرافية تحت مفهوم "العلاقة بين الجريمة والبيئة الطبيعية". وتدرس جغرافية الجريمة الاختلافات المكانية في توزيع الجرائم والسلوك الإجرامي أو الخوف من الجريمة، ومحاولة تفسير ذلك في ضوء المتغيرات البيئية الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية (الخريف، 1998). وينظر إليها البعض على أنها: "دراسة التوزيع المكاني لوقوعات الجريمة والتنظيم الاجتماعي والحضاري للسلوك الإجرامي من منظور مكاني" (الوليعي، 1995). ولذلك فإنها تربط الظاهرة الإجرامية بمكان الجريمة الذي هو أحد عناصرها الأساسية المتمثلة في القانون، والجاني، والهدف، والمكان (Rosenbaum and Paul, 1995).

وركز الاتجاه الكارتوغرافي في دراسة الجريمة على تمثيل الحدث الجرمي على خرائط، وإظهار مدى التباين الجغرافي في توزيع الجريمة على مظهر سطح الأرض. (المهيرات، 2001) و(Brantingham and Brantingham, 1981). ودرس البعض العلاقة بين المناخ، وأنواع الجريمة ومعدلاتها. في حين اهتم البعض الآخر بدراسة فصلية الجريمة، وتطوير نموذج يربط بين درجات الحرارة ومعدلات الجريمة.(Harrics, 1974)

وقد اهتم أتباع المنهج الإيكولوجي من أصحاب مدرسة شيكاغو بدراسة الجريمة الحضرية، وتحديد الأنماط الجغرافية للجريمة في المدن. وخلصت كثير من الدراسات إلى وجود علاقة عكسية بين معدلات الجريمة والقرب الجغرافي من القلب الحيوي للمدينة أو مركز المدينة.

وتأثرت الدراسات الجغرافية الحديثة للجريمة بالفكر السلوكي الذي بدأ يسيطر على البحث الاجتماعي في الثمانينيات من القرن العشرين. حيث بدأ التركيز على سلوك الأفراد ومدى تأثره بالخلفية الاجتماعية والاقتصادية والعرقية والدينية.

ونتيجة لهذه التطورات المتلاحقة التي شهدتها دراسات جغرافية الجريمة، بدأ هذا الفرع من الجغرافيا بالظهور كفرع مستقل من فروع الجغرافيا البشرية. فظهرت مجموعة "جغرافية الجريمة" في اتحاد الجغرافيين الأمريكيين عام 1972م. (العمر، 2000م).

ونتيجة لذلك، حظي المكان باهتمام كبير بين الباحثين في مجال الجريمة. فنجدهم يركزون أحيانا على صفات المكان، ودورها في حدوث الجريمة وجذب الجناة. حيث تشجع بعض الأماكن المفتوحة للمارة، والتي تفتقر للحماية، الجناة على ارتكاب الجريمة. في حين تحول صفات بعض الأماكن دون تعرضها أو تعرض قاطنيها أو مستخدميها للجريمة.(Newman, 1972)

ومن خلال مقابلة السارقين وجد (Rengert and Wasilehick, 1990) أن وجود أماكن الاتجار بالمخدرات، وسهولة الوصول للأماكن، وحركة الناس، وإمكانية الوصول للمكان بواسطة الطرق الرئيسية، وزيادة عدد المارين في الشارع، كلها عوامل ساعدت في زيادة حوادث السرقة. وأن التباين في معدلات الجريمة في أحياء تتشابه فيها الأنشطة يعود لعوامل ومتغيرات أخرى كوجود الحماية المشدَّدة، أو نتيجة لطبيعة البنية الاجتماعية في تلك المناطق والأحياء.

وقد أثبتت الدراسات أن تبادل المعلومات بخصوص الحركات المشبوهة في المكان، يساعد على التقليل من حجم الجريمة. كما أن المراقبة التقنية للأماكن، أو بواسطة الموظفين والعمال، تساعد على الحد من معدلات الجريمة فيها. كما أن إدارة الأماكن قد يؤثر على قابلية المكان للسرقة. حيث تكثر حوادث السرقة في العقارات والأماكن التي تضعف إدارتها، أو لا يستطيع ملاكها إداراتها أو السيطرة على ساكنيها. فضلاً عن أن بعض الأماكن تتصف بصفات طبيعية واجتماعية تشجع على ارتكاب الجريمة. (Ekblon, 1987)

وركز بعض الباحثين على دراسة النقاط الساخنة Hot spots التي تظهر مدى تجمُّع وتكرار الجرائم في منطقة جغرافية محدَّدة. وتظهر النقاط الساخنة في المدن نتيجة عدم الحماية، أو بسبب التركيب الاجتماعي، أو البيئة الاقتصادية، أو التركيب العرقي. وأن اختيار المكان من قبل الجناة قد لا يكون دائماً نتيجة التخطيط، بل قد يكون بمحض الصدفة، ونتيجة القيام بنشاط روتيني (Burger, 1995).

ولا شك أن لحركة الجاني بعدا جغرافيا حظي باهتمام الباحثين. وعناصر الحركة هي المسافة والاتجاه. وغالبا ما يرتبط مكان الجريمة بمكان سكن السارق أو الجاني. وغالباً ما تقل معدلات الجريمة بالابتعاد عن مكان سكن الجاني، رغم أن معظم الجناة يتفادون الأماكن القريبة من سكنهم. فالجناة الذين يرتكبون جرائمهم بالقرب من منازلهم هم أكثر عرضة للاعتقال.

وقد أثبتت تجارب الشرطة في نيوجرسي New Jersey بالولايات المتحدة الأمريكية أنه غالباً ما يتم القبض على المجرمين بالقرب من الأماكن التي ارتكبوا فيها جرائمهم. وهذا يعكس المناطقية Territoriality في الجريمة. وتختلف الحركة بين المجرمين تبعاً للعمر والجنس والنوع. فصغار السن من الجناة لا يتحركون مسافات بعيدة ، كما أن الزنوج من الجناة لا يسافرون كثيراً لارتكاب الجريمة كالبيض مثلاً، وتسافر النساء لارتكاب الجريمة أكثر من الرجال (Phillips, 1980).

الدراسات السابقة

أ. الدراسات العربية

حاولت (زعزوع، 1987) في دراستها الموسومة بـ "الأنماط المكانية لجرائم السرقة في مدينة جدة: دراسة تطبيقية في الجغرافيا الاجتماعية"، إظهار الأبعاد المكانية للجريمة في المدينة السعودية. وذلك من خلال التعرف على الأنماط المكانية لجرائم السرقة، وإبراز التباين المكاني في توزيع الجريمة بأنواعها المختلفة. ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتي تتعلق بحركة الجاني، أن متوسط المسافة التي قطعها الجاني لارتكاب جريمته كانت نحو 3,7 كم.

وسعى (الوليعي، 1993) في دراسته المعنونة بـ "السرقة في مدينة الرياض: دراسة تحليلية ميدانية في جغرافية الجريمة". إلى إبراز التباين في أعداد السرقات بين أحياء مدينة الرياض، وأسباب ذلك التباين. وصنفت الدراسة الجناة حسب خصائصهم الاجتماعية، وأبرزت نمط التوزيع الجغرافي لجرائم السرقة. وأظهرت وجود تركزاً في أعداد جرائم السرقات في أحياء دون غيرها.

وهدفت دراسة (الدوسري، 1995) الموسومة بـ "التوزيع المكاني للجريمة في مدينة جدة: دراسة جغرافية" إلى تتبع التوزيع المكاني للجريمة داخل النطاقات الأمنية الثمانية في المدينة. وأظهرت النتائج أن معظم الجناة هم من الذكور المتزوجين من غير السعوديين، والذين يزورون المملكة لأول مرة، ومن ذوي التعليم الابتدائي، والدخل المتدني، وممن يقيمون في مساكن شعبية، وتتراوح أعمارهم بين 26 و40 سنة.

وسعت الدراسة التي أنجزها (الخريف،1999) بعنوان "الجريمة في المدن السعودية" إلى تحديد أنماط التباين المكاني بين المدن السعودية في أعداد الجريمة ومعدلاتها وخصائصها. بالإضافة إلى التباين بين المدن في خصائص الجناة والمجني عليهم. ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن الجريمة في المدن أكثر منها في الأرياف، وخاصة في المدن الكبرى. وأظهرت أيضاً وجود علاقة بين حجم المدينة ونوع الجريمة، إضافة إلى وجود تباين بين المدن السعودية من حيث معدلات الجريمة حسب نوع الجريمة.

وحاول (المطرفي، 2005) من خلال دراسة بعنوان "جغرافية السرقة في مدينة مكة المكرمة" تحديد الأنماط المكانية والزمانية لجريمة السرقة في مدينة مكة المكرمة. والكشف عن العلاقة بين خصائص الجريمة والجناة والتوزيع المكاني لجرائم السرقة في المدينة. وتمكنت الدراسة من تحديد النقاط الساخنة، والأوقات اليومية والشهرية والسنوية لارتكاب جريمة السرقة. والتي يمكن من خلالها وضع استراتيجيات للحد من الجريمة.

ب. الدراسات الأجنبية

أثبتت دراسة سبلمان (Spelman, 1992) الموسومة بـ "الوظيفة الجرمية للأماكن العامة"، أن مكالمات الاستغاثة للشرطة أوضحت أن معدلات الجريمة في الأماكن الساخنة Hot spots (المدارس الثانوية، مشاريع الإسكان، محطات القطار، والمنتزهات) في بوسطن بقيت تقريباً ثابتة، وأن التغير فيها قد يكون فقط بمحض الصدفة.

وحاولت كيفوركيان (Kevorkian, 1995) ومن خلال دراستها الموسومة بـ "الخوف من الجريمة في الحي الأرمني من القدس: الصفات الطبيعية والاجتماعية" قياس الفرق في حجم الخوف من الجريمة بين من يعيشون في الحي المغلق المحاط بالأسوار، وبين من يعيشون في المناطق المفتوحة. ووجدت أن % 32.8 ممن يعيشون في البيئة المغلقة داخل الأسوار لا يشعرون بالخوف، بينما أظهر كل المبحوثين في البيئة المفتوحة خارج حدود السور شعورهم بالخوف. وأفاد ثلثي المبحوثين القاطنين في البيئة المفتوحة خارج السور أنهم تعرضوا لشكل من أشكال الجريمة. كما أظهرت النتائج أن 73.9% من القاطنين خارج حدود السور في البيئة المفتوحة لديهم صورة سلبية عن البيئة التي يعيشون فيها، مقارنة مع 5% ممن يعيشون داخل السور.

وهدفت دراسة ريزنبوم وباول (Rosenbaum and Paul, 1996) والمعنونه بـ "الجرمية في الفراغ والجريمة: تحليل حياة الجناة والبيئة الدقيقة للجريمة" إلى دراسة أثر تغيير مكان السكن على معدلات الجريمة. حيث لوحظ ارتباط عدد الجرائم بتكرار تغيير العناوين ونقل المساكن. واستخدمت الدراسة تقنية كارتوغرافيه لتمثيل حياة الجاني بالاعتماد على مصادر مختلفة. وخلصت الدراسة إلى وضع البيانات في رسومات وخرائط تمكّن المطلع عليها من استخلاص نتائج عن أسباب الجريمة بصورة أفضل من استخدام الإحصاء والطريقة الكمية.

منهجية الدراسة وأدواتها وإجراءاتها

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي في الإجابة عن أسئلتها. كما استخدمت الطريقة الكمية والكارتوغرافية في تحليل البيانات واستخلاص النتائج. وقد اعتمدت الدراسة على بيانات تم جمعها من خلال استبانه وزعت على نزلاء سجن مدينة حائل عام 2007م، وعددهم 78. إضافة إلى البيانات التي تم استخلاصها من سجلات سجن المدينة عن حالات السرقة عام 1997، والخاصة بنزلاء ذات السجن في ذلك العام. كما استمدت الدراسة بياناتها المكانية من مجموعة من الخرائط الورقية والرقمية الصادرة عن بلدية المدينة، والمتعلقة بحدود المدينة وتقسيماتها الإدارية، وتطورها العمراني عبر الوقت. وقد تم تحديث هذه البيانات من خلال الاستعانة ببرنامج

Google Earth Pro الذي أخذت منه مرئية فضائية لنفس منطقة الدراسة، وأجري عليها التعديلات اللازمة لملائمة إحداثياتها مع الخرائط الرقمية والورقية.

وقد تم توقيع أماكن حدوث جرائم السرقة التقريبية بالاعتماد على البيانات الواردة في الاستبيان وسجلات سجن مدينة حائل. وباستخدام جهاز "نظام التوقيع العالمي" Global Positioning System (GPS)، تم تحديد إحداثيات أماكن وقوع الجريمة في عامي1997، 2007، ومكان سكن الجاني عام 2007 من خلال العمل الميداني. وتم توقيع هذه النقاط على الخرائط الرقمية لمدينة حائل، بعد تحويل نظام الإحداثيات لهذه النقاط باستخدام برنامج ArcGIS. كما تم الحصول على البيانات المتعلقة بجرائم السرقة الخاصة بعام 1997م من وزارة الداخلية، وإدارة الشرطة، والأمن الجنائي، والسجن العام في مدينة حائل.

وقد استخدمت برمجيات نظم المعلومات الجغرافية ArcGIS V.9.1 لتحويل الخرائط الورقية الخاصة بمدينة حائل إلى خرائط رقمية. حيث استخدمت هذه الخرائط كأساس لتوقيع أماكن ارتكاب جرائم السرقة وأماكن سكن الجناة، وتمثيل الكثافات السكانية في أحياء المدينة، والربط بينها. فضلا عن إجراء تحليل كارتوغرافي عليها، وتمثيل نتائج التحليل الإحصائي. كما استخدمت تلك الخرائط في تحديد نمط التوزيع الجغرافي لجرائم السرقة، وشكل توزيعها على مساحة اللاندسكيب الذي تتكون منه مدينة حائل.

ولتحقيق ذلك تم القيام بما يلي:

1. الحصول على مرئية فضائية لمنطقة الدراسة من برنامج .Google Earth Pro لاستخدامها كأساس في تحويل الظواهر إلى بيانات رقمية. وتحويلها إلى خرائط خطية باستخدام برنامج .Arc GIS v 9.1

2. إجراء عملية تحويل للإحداثيات المحلية للخريطة الرقمية المستخلصة من المرئية الفضائية إلى إحداثيات عالمية حقيقية تستند إلى خطوط الطول ودوائر العرض. وهي العملية المسماة بـ (Registration) في نظم المعلومات الجغرافية. وذلك من خلال الاستعانة بصورة فضائية مصححة لمنطقة الدراسة من قسم نظم المعلومات الجغرافية في منطقة حائل. حيث استخدمت تلك الصورة المصححة في تحديد النقاط المرجعية (Tics) اللازمة لتحويل الإحداثيات المحلية إلى عالمية. ثم أجريت عملية تحويل الإحداثيات العالمية إلى المسقط الجغرافي المناسب، حيث تم استخدام إحداثيات نظام الإسقاط (UTM Zone 37)، وذلك باستخدام برنامج تحليل المرئيات الفضائية Envi 4.2.

3. الحصول على ملفات شكلية (Shape files) للظواهر الرئيسة في منطقة الدراسة مثل الطرق، والمناطق السكنية، والأحياء من بلدية حائل، وتوقيعها على خريطة منطقة الدراسة. وإجراء المعالجة اللازمة لهذه الأشكال وترقيم الأجزاء الناقصة منها بالاستعانة بالمرئية الفضائية.

4. الحصول على الأماكن الحقيقية لمواقع ارتكاب جرائم السرقة، وأماكن سكن الجناة في المدينة من سجلات مصلحة السجون بالنسبة للبيانات الخاصة بجنايات السرقة التي تم ارتكابها عام 1997م، ومن خلال الاستبانه التي تم توزيعها على الجناة في سجن حائل بالنسبة لعام 2007م. وقد تم تحديد الإحداثيات الحقيقية لهذه المواقع من خلال المسح الميداني وباستخدام جهاز التوقيع العالمي (GPS)، الذي أمكن من خلاله رصد إحداثيات هذه المواقع بصورة تقريبية، ونقلها إلى برنامج نظام المعلومات الجغرافي Arc GIS.

5. استخدام ملحق البرنامج الخاص بالتحليل المكاني Spatial Analysis في برنامج نظام المعلومات الجغرافي Arc GIS، الذي يستند إلى نماذج رياضية محدًدة، لتحديد نمط توزيع أماكن ارتكاب جرائم السرقة وأماكن سكن الجناة، وعلاقتها مع بعضها. والعلاقة المكانية بين أماكن ارتكاب جرائم السرقة واتجاهاتها في عامي 1997م و2007م.

6. استخدام برنامج Arc GIS لرسم وإنتاج الخرائط والأشكال الخاصة بالدراسة، وتخزين الخرائط على شكل طبقات جغرافية، لتسهيل التعامل معها وعرضها وتحليلها.

كما استخدم معامل ارتباط بيرسون Person Correlation لقياس قوة العلاقة بين عدد الجرائم والكثافة السكانية والمسافة وعدد مرات حدوث الجريمة ضمن الأحياء في المدينة.

نتائج التحليل الكارتوغرافي والإحصائي

يتضمن هذا الجزء النتائج التي توصلت إليها الدراسة خاصة فيما يتعلق بتحليل العلاقات المكانية Spatial Analysis للأبعاد المكانية لجرائم السرقة التي اُرتكبت في مدينة حائل عامي 1997م و2007م، ونمط توزيعها على اللاندسكيب، ومدى ارتباطها بعدد من المتغيرات الأخرى وهي:

1. أماكن سكن الجناة.
2. المسافة التي تفصلها عن بعضها (مركزها المتوسط) وعن الوسط التجاري للمدينة.
3. الكثافات السكانية في الأحياء، والخصائص الاجتماعية والاقتصادية.
4. الاتجاه الجغرافي لنمط توزيع الجريمة وأماكن سكن الجناة.

أولا. نمط توزيع جرائم السرقة، وأماكن سكن الجناة

يهتم الجغرافي بالكشف عن نمط التوزيع الجغرافي للظاهرة موضوع الدراسة، للتعرف على المتغيرات المؤثرة في تشكيل ذلك النمط. ويحسب تحليل صلة الجوار Nearest neighbor analysis متوسط المسافة بين كل مكان جغرافي للسرقة (إحداثياته الجغرافية)، أو مكان سكن الجاني، وجارها الأقرب. ثم يتم حساب متوسط كل هذه المسافات، ولذلك سميت Average Nearest Neighbor Distance.

فإذا كان المتوسط المحسوب أقل من المتوسط المتوقع لمثل هذا العدد من المواقع على نفس المساحة الجغرافية (وهو التوزيع العشوائي)، فإن نمط توزيع الظاهرة يكون متجمعا أو متكتلا Clustered. أما إذا كانت المسافة المحسوبة أكبر من المسافة المتوقعة لتوزيع عشوائي محتمل، فإن التوزيع الجغرافي لأماكن توزيع الجرائم، أو مكان سكن الجناة فإن التوزيع يكون مشتتا Dispersed.

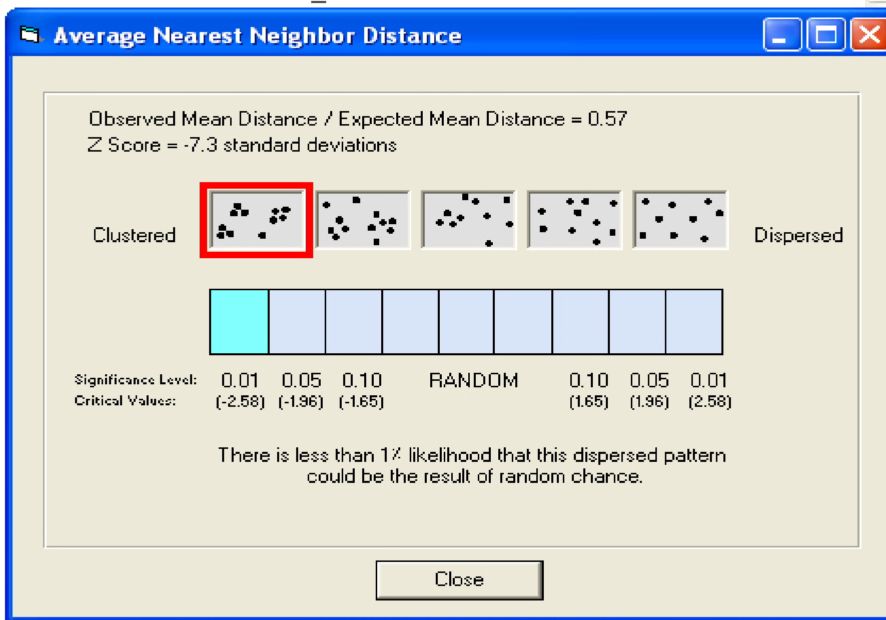
ولذلك فإن القرينة Index يتم التعبير عنها كنسبة Ratio بين المسافة الملاحظة أو المحسوبة، مقسومة على المسافة المتوقعة. وتعتمد المسافة المتوقعة على توزيع عشوائي افتراضي بعدد مماثل من النقاط موزعا على نفس المساحة الجغرافية. وإذا كانت القرينة أقل من (1) صحيح، فإن التوزيع الجغرافي لأماكن ارتكاب جريمة السرقة أو أماكن سكن الجناة يكون متجمعا. أما إذا كانت القرينة أكبر من (1) صحيح، فإن التوزيع يكون مشتتا.

وعند تطبيق هذه التقنية على أماكن حدوث الجريمة وأماكن سكن الجناة في مدينة حائل، والتي تم توقيع إحداثياتها باستخدام نظام التوقيع العالمي GPS، ظهرت النتائج التالية:

أ- نمط توزيع جنايات السرقة في مدينة حائل عام 1997م

أظهر تحليل صلة الجوار في الشكل رقم (4) أن نمط توزيع جرائم السرقة في مدينة حائل كان نمطا متجمعا أو متكتلا Clustered، بدلالة معنوية تزيد عن 99%. أي أن هناك احتمال لا يزيد عن 1% بأن هذا التوزيع المتكتل سببه الصدفة. حيث كانت قيمة Z تعادل − 7.3 انحرافا معياريا.

وكما أسلفنا فإن قرينة نمط التوزيع الناتج عن تقسيم متوسط المسافة المحسوبة بين مواقع الجريمة والمسافة المتوقعة لمثل هذا النوع من العدد من الجرائم على نفس المساحة من الأرض هي 0.57، وهي بالطبع أقل من (1) صحيح. وبالتالي فإن توزيعها متكتلا بمستوى دلالة عالي جدا.



شكل رقم (4): نمط التوزيع الجغرافي لمواقع ارتكاب جريمة السرقة في مدينة حائل عام 1997م

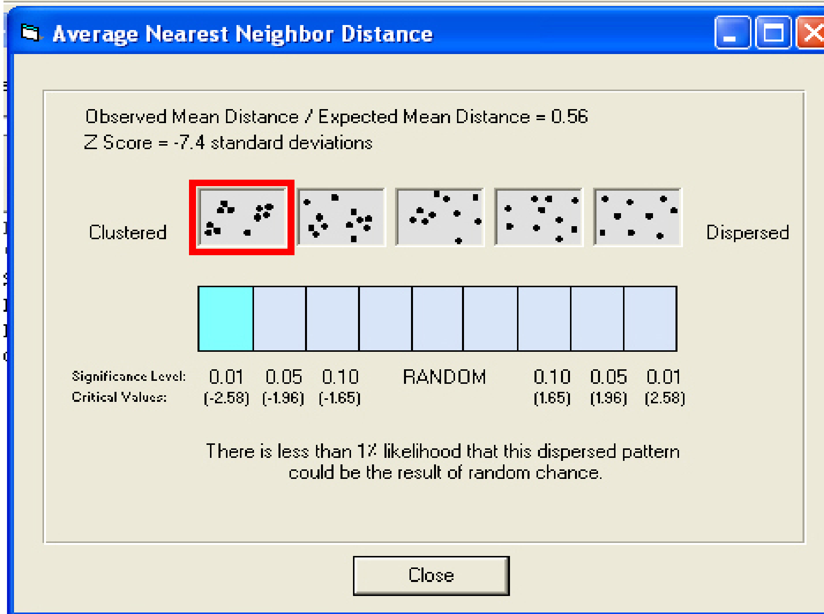
ب- نمط توزيع جنايات السرقة في مدينة حائل عام 2007م

يظهر الشكل رقم (5) نمط توزيع مواقع جنايات السرقة على أحياء مدينة حائل. حيث تشابهت نتائج تحليل صلة الجوار لأماكن حدوث السرقة عام 2007م مع تلك التي حدثت عام 1997م، من حيث كونها متكتلة أو متجمعة جغرافيا Clustered.

فقد كانت القرينة الناجمة عن المتوسط المحسوب مقسوما على المتوسط المتوقع 0.56، وهي بالطبع أقل من (1) صحيح. وعليه فيمكننا القول أن نمط توزيع جرائم السرقة في مدينة حائل عام 2007م كان متكتلا بمستوى ثقة عالي يزيد عن 99%، وبدلالة إحصائية تقل عن 0.01. حيث ارتفعت قيمة Z لتصل إلى – 7.4 انحرافا معياريا.

ج- نمط توزيع مساكن الجناة في مدينة حائل عام 2007م

وعند إجراء تحليل صلة الجوار على النقاط التي تمثل الإحداثيات الجغرافية لأماكن سكن الجناة (النزلاء لسجن حائل عام 2007م)، أظهر التحليل أنها هي أيضا تتوزع بصورة متجمعة على اللاندسكيب الذي تتكون منه مدينة حائل. حيث بلغت قرينة متوسط مسافة الجار الأقرب الناتجة عن قسمة المتوسط المحسوب على المتوسط المتوقع 0.56، وأن قيمة Z تعادل -7.3، كما يظهر في الشكل رقم (6).

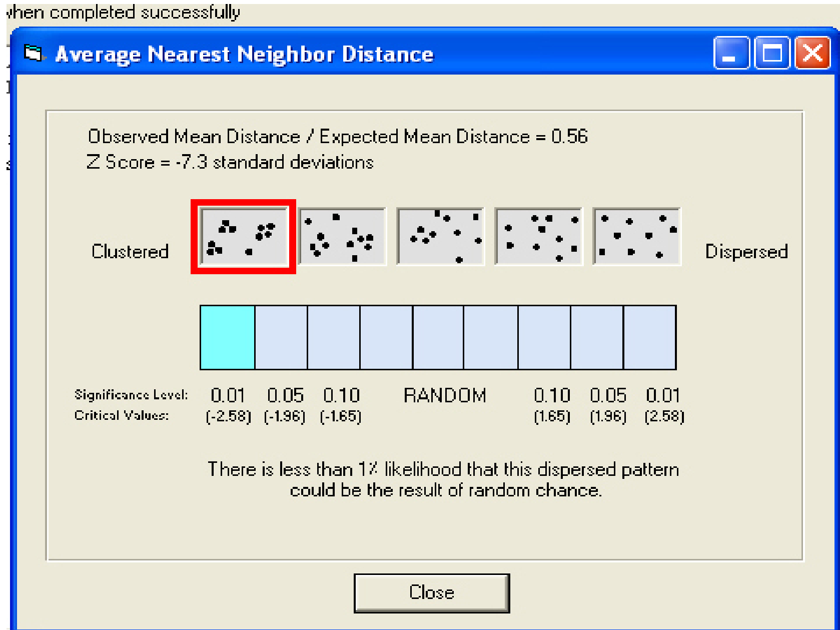


شكل رقم (5): نمط التوزيع الجغرافي لمواقع ارتكاب جنايات السرقة في مدينة حائل عام 2007م

وتقع أعلى نسبة من مواقع حدوث السرقات في أحياء المدينة الغربية كحي المتنزه الغربي والعزيزية والوسيطاء وصبابة. والتي ضمت نحو 45% من مجمل جنايات السرقة. تلتها أحياء المتنزه الشرقي والمطار والنقرة والسويفلة.

ويعود سبب خلو الأحياء الهامشية من جرائم السرقة خلوها من الاستخدامات التجارية التي تسمح للجناة بالتجول في هذه الأحياء والكشف عن أهداف سهلة ومحتملة للسرقة. فضلا عن كون هذه الأحياء حديثة النشأة، وانخفاض نسبة المعمور منها كما يظهر في الشكل رقم (6).

واحتوت أحياء الوسيطاء والمطار على نحو 30% من مجمل مساكن الجناة في مدينة حائل. وضمت أحياء المتنزه الشرقي والغربي وصبابة على نحو 36% من مجمل مساكن الجناة. وبذلك نجد أن 66% من مجمل مساكن الجناة وقعت في ستة أحياء من أصل 26 حي هي مجموع أحياء مدينة حائل. ويمكن تفسير ذلك في ارتفاع الكثافة السكانية في الأحياء الواقعة وسط المدينة، وتخللها في الأحياء الهامشية الجديدة. ناهيك عن التوسع الكبير في حجم الامتداد العمراني للمدينة في مراحل تطورها الأخيرة.



شكل رقم (6): نمط التوزيع الجغرافي لمواقع مساكن الجناة في مدينة حائل عام 2007م

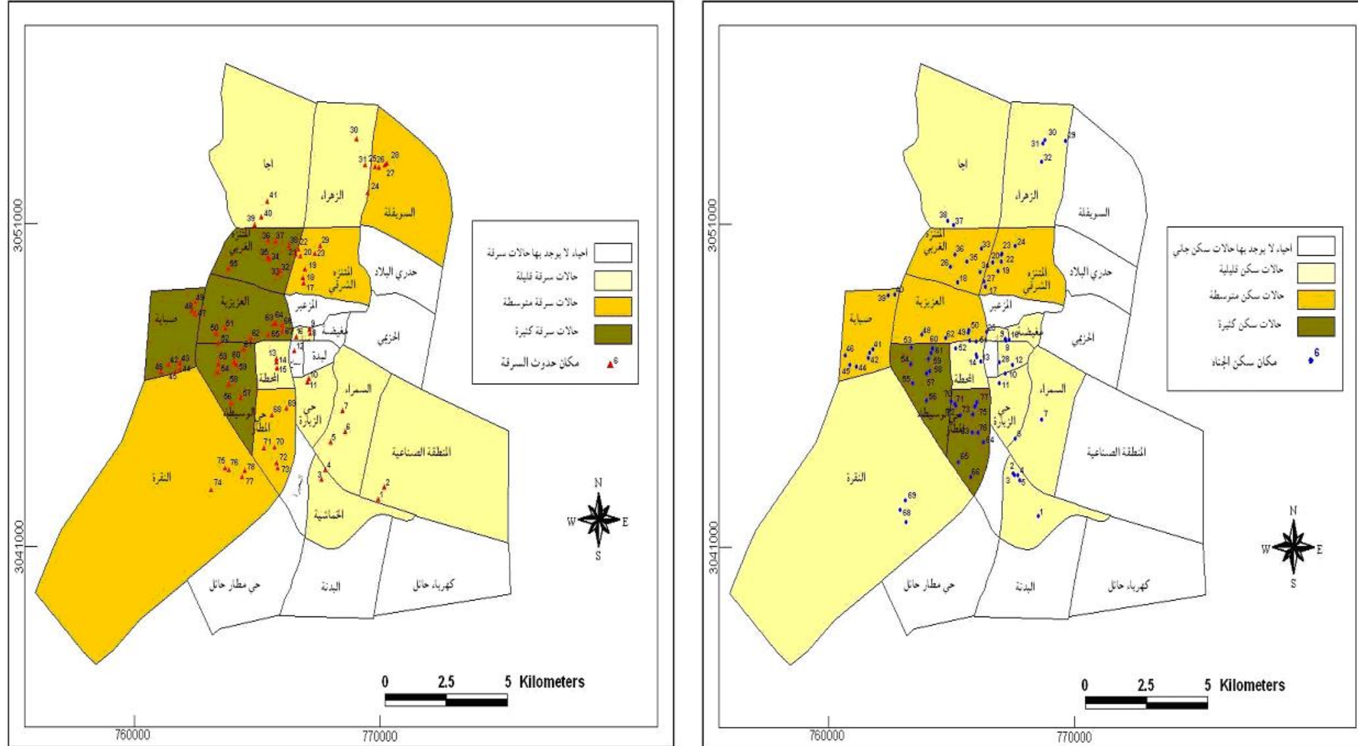
ثانيا. العلاقة بين مواقع ارتكاب جرائم السرقة، وأماكن سكن الجناة عام 2007م

يظهر الشكل رقم (7) تشتت جغرافي أكبر لأماكن حدوث جنايات السرقة، مقارنة مع أماكن سكن الجناة. الأمر الذي يعكس تركّز مساكن الجناة في الأحياء القريبة من القلب التجاري للمدينة، وهي الأحياء الأكثر شعبية في مغيضة ولبدة والعزيزية والوسيطاء والمتنزه الشرقي والغربي. بينما نجد السرقات تتشتت وتمتد على مساحة أوسع من اللاندسكيب الذي يشكل أرض المدينة. حيث بدأ ظهور السرقات في الأحياء الهامشية للمدينة كالسويفله والنقرة، وذلك نتيجة طبيعية لبحث الجناة عن أهداف جديدة في الأحياء الجديدة. وتحتوي الأحياء الجديدة على منازل أصحاب الدخل العالي، التي أصبحت بدورها عرضة لجرائم السرقة. في حين بقيت مساكن الجناة في الأحياء الشعبية القديمة التي تتوسط المدينة.

وقد استخدمت الخرائط الرقمية التي تم توقيع إحداثيات أماكن السرقة ومساكن الجناة عليها في أحياء مدينة حائل، لتحديد عدد جنايات السرقة وأماكن سكن الجناة في كافة أحياء المدينة. كما تم تحديد عدد السرقات التي تمت في نفس الحي الذي يسكن فيه الجناة. ويظهر الجدول رقم (2) هذه المصفوفة، والتي استخدمت في إجراء معامل ارتباط بين أحياء حدوث السرقات وأحياء سكن الجناة.

جدول رقم (2): أعداد السرقات، وأماكن سكن الجناة في الأحياء، وأعدادها في نفس الحي الذي يسكنه الجاني للعام 2007م

الرقم	الحي	عدد السرقات في الحي	عدد مساكن الجناة في الحي	عدد السرقات التي ارتكبها الجناة في نفس الحي الذي يسكنونه	الرقم	الحي	عدد السرقات في الحي	عدد مساكن الجناة في الحي السرقة	عدد السرقات التي ارتكبها الجناة في نفس الحي الذي يسكنونه
1	السويفلة	4	0	0	15	المحطة	1	0	0
2	الزهراء	2	4	1	16	الوسيطاء	3	4	1
3	آجا	3	2	0	17	المنطقة الصناعية	8	10	4
4	حدري البلاد	0	0	0	18	السمراء	2	0	0
5	المتنزه الشرقي	7	8	2	19	زباره	4	2	2
6	المتنزه الغربي	7	6	0	20	المطار	2	2	0
7	الحزيمي	0	0	0	21	الخماشية	6	13	3
8	مغيضة	0	1	0	22	البحيرة	3	5	1
9	المزعبر	0	0	0	23	النقرة	0	0	0
10	برزان	3	2	1	24	كهرباء حائل	5	3	1
11	العزيزية	9	7	1	25	البدنه	0	0	0
12	صبابة	8	7	3	26	مطار حائل	0	0	0
13	لبده	0	2	0			0	0	0
14	سماح	1	0	0					



شكل رقم (7): نمط التوزيع الجغرافي لمواقع ارتكاب جرائم السرقة وأماكن سكن الجناة في مدينة حائل عام 2007م

وقد أظهرت نتائج تحليل معامل ارتباط بيرسون Person Correlation في الجدول رقم (3)، وجود علاقة قوية بين مكان سكن الجاني المتغير رقم 1 (*VAR1*) (وهو عدد السرقات في كل حي من أحياء حائل) ومكان ارتكاب الجريمة المتغير رقم 2 (*VAR2*) وهو عدد السرقات التي ارتكبها الجناة في نفس الحي حسب الجدول السابق. حيث بلغت قيمة معامل الارتباط 0.793، وهي قيمة داله إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01.

جدول رقم (3): نتائج تحليل ارتباط بيرسون بين مواقع ارتكاب الجناة وأماكن سكن الجناة

VAR2	VAR1		
0.793	***1***	*Pearson Correlation* *معامل الارتباط*	***VAR1***
.00**	**.**	*Sig. (2-tailed)*	***VAR2***

** Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

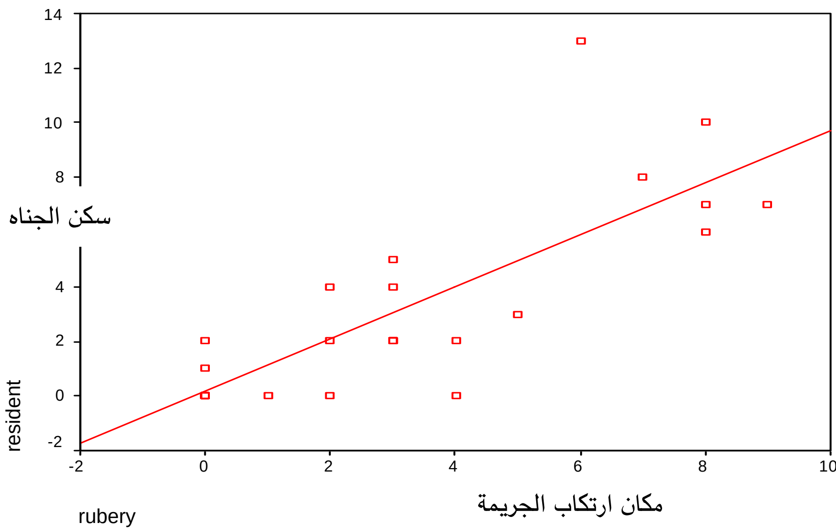
وفي قراءة متأنية للخريطة الرقمية، تم حساب عدد حالات السرقة التي ارتكبت في نفس الحي الذي يقطنه الجناة، وتلك التي ارتكبت في أحياء ملاصقة للحي الذي يسكنه هؤلاء الجناة. والغاية من ذلك هي الكشف وبصورة حسابية بسيطة عن مدى تأثير سهولة الوصول للهدف (مكان السرقة) على ارتكاب الجاني لجنايته. حيث أظهر الأدب المكتوب في هذا المجال أثر البعد الجغرافي، وسهولة وصول الجاني لهدفه على اختيار الهدف.

ويظهر الجدول رقم (4) أن 56% من حالات السرقة ارتكبت في نفس الحي الذي يقطنه الجناة. وأن 25% منها، حدثت في أحياء مجاورة جغرافيا للحي الذي يقطنه الجاني. وهذا يعني أن أكثر من 80% من مجمل حالات السرقة تتأثر بسهولة وصول الجاني لهدفه. مما يعني أن سهولة الوصول للهدف وقربه من مكان سكن الجاني كان أحد أهم المتغيرات المؤثرة في اختيار ذلك الهدف. ويعود ذلك لسببين: يتعلق الأول بمعرفة الجاني للمكان بحكم قربه من مكان سكنه، ونتيجة للأنشطة الروتينية التي يقوم بها. ويرتبط الثاني بسهولة وسرعة عودته لمكان سكنه بعد ارتكاب الجريمة.

جدول رقم (4): الارتباط الجغرافي بين مكان حدوث الجريمة ومكان سكن الجاني لجرائم عام 2007م

حالة الحي	عدد الحالات	النسبة المئوية
عدد حالات السرقة الواقعة ضمن الحي نفسه	44	% 56
عدد حالات السرقة الواقعة ضمن الحي المجاور	19	% 25
عدد حالات السرقة الواقعة ضمن أحياء غير ملاصقة	15	19%

ويظهر الشكل رقم (8) خط الانحدار للعلاقة بين متغير مكان سكان الجناة، ومكان ارتكاب جرائم السرقة. فيظهر الشكل أن حي العزيزية قد استحوذ على 9 حالات سرقة، وهو أعلى عدد السرقات، في حين استحوذ حي الخماشية على أعلى عدد من مساكن السرقة وهو 13 مسكن. ويظهر الشكل توزيع قريب لحالات السرقة من خط تطابق أماكن سكن الجناة مع أماكن ارتكاب جرائم السرقة. مما يعني وجود ارتباط ملحوظ وظاهر بينها.



شكل رقم (8): خط الانحدار للعلاقة بين مكان سكن الجناة ومكان ارتكاب جرائم السرقة

ويظهر الجدول السابق رقم (4)، تركّز حالات السرقة في المناطق والأحياء الأقرب إلى وسط المدينة والقلب التجاري فيها. وهي أحياء قديمة لا تبعد كثيرا عن المركز التجاري للمدينة. ويعكس هذا التوزيع الصفات الاجتماعية والاقتصادية لسكان الأحياء. حيث يقطن السكان من الطبقة العاملة الأقل دخلا في الأحياء الأقرب لمركز المدينة بينما يسكن أصحاب الدخل المرتفع في الضواحي والأحياء الجديدة في المدينة. ومن هنا نلاحظ تعرض هذه الأحياء للسرقات، وقلة نسبة سكن الجناة فيها.

وبشكل ملحوظ يظهر توزيع متقارب للظاهرتين، يبرهن عليه تجمّع نحو 60% من مجمل حوادث السرقة ومساكن الجناة في سبعة أحياء من أصل 26 حيا هي: برزان، المحطة، المزعبر، سماح، لبدة، العزيزية، والمحطة.

وللكشف عن طبيعة وقوة الارتباط بين أماكن وقوع جرائم السرقة وأماكن سكن الجناة تم:

1. قياس المسافات بين مكان كل سرقة ومكان سكن الجاني الذي قام بارتكاب جناية السرقة نفسها لجميع حالات السرقة التي ارتكبت في عام 2007م. كما يظهر الجدول رقم (5).
2. تجميع المسافات في مجموعتين من الفئات هي:

جدول رقم (5): المسافات بين أماكن حدوث السرقة وأماكن سكن مرتكبي الجنايات

الحالات	المسافة (م)	الحالات	المسافة (م)	الحالات	المسافة (م)
1-1	2109	27-27	6902	53-53	588
2-2	3685	28-28	6660	54-54	313
3-3	188	29-29	9870	55-55	3870
4-4	320	30-30	240	56-56	200
5-5	1897	31-31	938	57-57	886
6-6	1757	32-32	5153	58-58	250
7-7	404	33-33	911	59-59	217
8-8	208	34-34	792	60-60	341
9-9	302	35-35	302	61-61	217
10-10	255	36-36	591	62-62	0
11-11	192	37-37	890	63-63	3362
12-12	1439	38-38	1710	64-64	3760
13-13	516	39-39	3814	65-65	3955
14-14	420	40-40	4029	66-66	4722
15-15	672	41-41	6936	67-67	6782
16-16	813	42-42	592	68-68	4020
17-17	778	43-43	427	69-69	4212
18-18	1980	44-44	760	70-70	1656
19-19	180	45-45	1120	71-71	1486
20-20	358	46-46	1037	72-72	1972
21-21	537	47-47	3390	73-73	1758
22-22	782	48-48	2130	74-74	3919
23-23	302	49-49	5120	75-75	3582
24-24	3301	50-50	2570	76-76	3979
25-25	6507	51-51	2957	77-77	3561
26-26	7501	52-52	2642	78-78	2049

المصدر: من عمل الباحثين استناداً للخرائط الرقمية

أ. فئات يفصل بين كل منها 1000م، بحيث يتم حساب عدد حالات السرقة التي تفصل أماكن حدوثها عن أماكن سكن الجناة 1000م. (جدول رقم 6)

ب. فئات يفصل بين كل منها 500م،، بحيث يتم حساب عدد حالات السرقة التي تفصل أماكن حدوثها عن أماكن سكن الجناة 500م. (جدول رقم 7)

جدول رقم (6): عدد ونسب حالات السرقة التي تقع ضمن مسافات فواصلها 1000م، بين أماكن حدوث جنايات السرقة وأماكن سكن الجناة

المسافة	عدد الحالات	النسبة المئوية		المسافة	عدد الحالات	النسبة المئوية
999-0	36	46.4		5999-5000	2	2.6
1999-1000	11	14.1		6999-6000	5	6.4
2999-2000	6	7.7		7999-7000	1	1.3
3999-3000	12	15.4		8999-8000	0	0
4999-4000	4	5.1		9999-9000	1	1.3

المصدر: من عمل الباحثين استناداً للخرائط الرقمية

جدول رقم (7): عدد ونسب حالات السرقة التي تقع ضمن مسافات فواصلها 500م، بين أماكن حدوث جنايات السرقة وأماكن سكن الجناة

المسافة	عدد الحالات	النسبة المئوية		المسافة	عدد الحالات	النسبة المئوية
0- 499	22	28.2		5499-5000	2	2.6
999-500	15	19.2		5999-5500	0	0
1499-1000	3	3.8		6499-6000	0	0
1999-1500	7	9		6999-6500	5	6.4
2499-2000	3	3.8		7499-7000	0	0
2999-2500	3	3.8		7999-7500	1	1.3
3499-3000	3	3.8		8499-8000	0	0
3999-3500	9	11.5		8999-8500	0	0
4499-4000	3	3.8		9499-9000	0	0
4999-4500	1	1.3		9999-9500	1	1.3

المصدر: من عمل الباحثين استناداً للخرائط الرقمية

3. أجري معامل ارتباط بيرسون بين متغير المسافة وعدد مرات حدوثها على مسافات 1000م، فبلغ -0.753، عند مستوى دلالة 0.05. في حين بلغ معامل الارتباط على مسافة 500م -

0.688. وفي كلتا الحالتين أظهرت النتائج وجود ارتباط سالب وقوي نسبيا بين أماكن وقوع الجرائم وأماكن سكن الجناة، أي أنه كلما زادت المسافة بينها قل الارتباط. النتيجة التي تتوافق مع نتائج الدراسات الأجنبية التي تعكس ارتباط قوي بين موقع سكن الجاني ومسرح الجريمة.

ثالثا. تشتت حالات الجريمة ومساكن الجناة حول مركزها المتوسط

1. تشتت حالات الجريمة

تحسب تقنية المسافة المعيارية Standard Distance مدى تراص مواقع حدوث جرائم السرقة، ومساكن الجناة في توزيعها على المساحة الجغرافية التي تشكّل لاندسكيب مدينة حائل. والمسافة المعيارية هي قيمة مطلقة تمثل مدى تشتت الجريمة حول مركزها Mean Center. وبما أن القيمة تمثل مسافة، فإنه يمكن قياس مدى تراص أماكن حدوث جرائم السرقة أو مساكن الجناة حول مركزها من خلال رسم دائرة حول المركز، نصف قطرها هو تلك القيمة المحسوبة.

والمركز المتوسط Mean Center هو أحد أدوات ملحق التحليل المكاني لبرنامج نظم المعلومات (Spatial Statistical Tool Box)، يتم من خلاله حساب متوسط كل إحداثيات (x,y) مواقع السرقة (أو مساكن الجناة) الداخلة في التحليل وعددها 78، على مساحة مدينة حائل. وهذه التقنية مفيدة في مقارنة توزيع أماكن ارتكاب الجريمة ومكان سكن الجناة. فضلا عن فائدتها في تحديد مدى التحول في مركز الجريمة بين عامي 1997 و2007م.

ويظهر في الشكل رقم (9) المراكز المتوسطة لأماكن ارتكاب جرائم السرقة، ومساكن الجناة في مدينة حائل في العام 2007م.

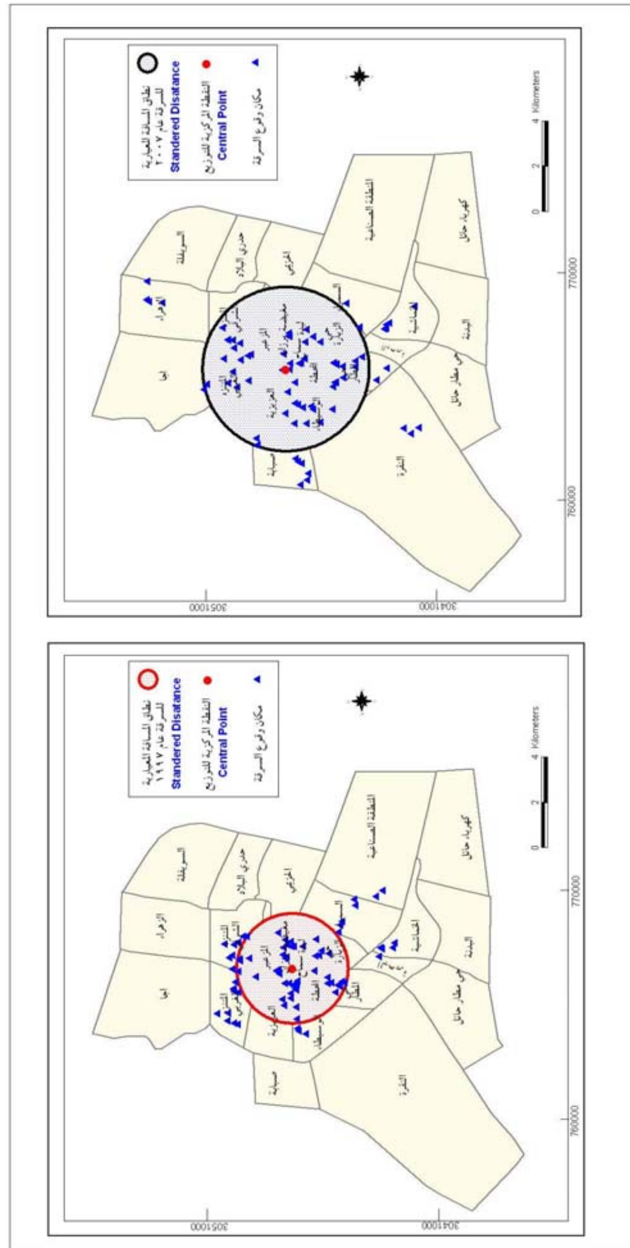
ويلاحظ مدى اقتراب هذه النقاط من بعضها البعض. حيث بلغت المسافة بين المركز المتوسط لأماكن حدوث السرقة، والمركز المتوسط لمساكن الجناة نحو 522م. وقربهما من مركز المدينة الذي يمثل قلبها الحيوي.

ويستفاد من هذه التقنية في تطوير استراتيجيات رجال الأمن في محاربة الجريمة. فإذا أظهرت المسافة المعيارية تجمّع مواقع ارتكاب جريمة السرقة في منطقة محصورة ومتراصة، فإنه يمكن لرجال الأمن تطوير إستراتيجية واحدة لمحاربة الجريمة في هذه المنطقة الضيقة كإقامة دوريات ثابتة في المنطقة أو الحي الذي تتجّمع فيه. إما إذا كانت الجرائم مشتتة في مواقع جغرافية متباعدة، فإنه يمكن تطوير استراتيجيات متباينة تتناسب مع ظروف هذه الأحياء أو المناطق ومنها تسيير دوريات متحركة لمحاربة الجريمة مثلا.

شكل رقم (9): المراكز المتوسطة لمواقع حدوث جنايات السرقة، وسكن الجناة، والمركز التجاري لمدينة حائل عام 2007م

وقد بلغ طول نصف قطر الدائرة التي تمثل المسافة المعيارية بالنسبة لمواقع جرائم السرقة عام 2007م نحو 3610 أمتار، احتوت على 51 حالة سرقة من أصل 78 هي مجموع حالات السرقة في هذه الدراسة، والتي تشكّل نحو 65.3% من مجموع حالات السرقة. وقد تركز معظم هذه الحالات في أحياء: المزعبر، برزان، مغيضة، سماح، لبدة، العزيزية، المحطة، المنتزه الغربي، والمنتزه الشرقي، المطار، والزبارة.

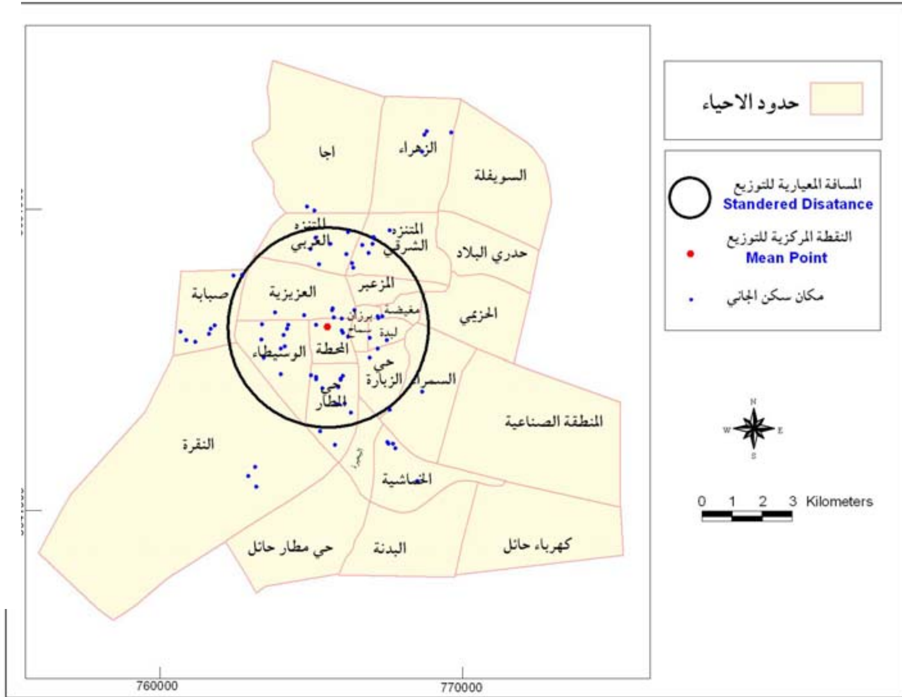
كما تم رسم دائرة تمثل المسافة المعيارية للمواقع الجغرافية لجرائم السرقة التي ارتكبت عام 1997م، فبلغ نصف قطر هذه الدائرة نحو 2402 مترا. ويعكس ذلك صغر حجمها مقارنة مع المسافة المعيارية لجرائم عام 2007م. والتي زاد نصف قطرها بسبب التطور العمراني لمدينة حائل وظهور أحياء شكّلت أهدافا جديدة للجريمة وبلغ عدد الجرائم ضمن حدود هذه الدائرة أو المسافة المعيارية 48 حالة، تمثل نحو 61.53% من مجمل جرائم السرقة التي حدثت في عام 1997م. (شكل رقم 10)



شكل ( ) المسافة المعيارية لتوزيع حالات السرقة في مدينة حائل عامي ١٩٩٧ و ٢٠٠٧م

2. تشتت مساكن الجناة

وبالمثل فقد تم رسم دائرة نصف قطرها المسافة المعيارية لمساكن الجناة، فبلغ نصف الدائرة في هذه الحالة نحو 3313م، واحتوت على 49 مسكنا من أصل 78، وبنسبة 62% مجمل مساكن الجناة في مجتمع الدراسة، كما يظهر الشكل رقم (11).



شكل رقم (11): المسافة المعيارية لتوزيع أماكن سكن الجناة في مدينة حائل عام 2007م

رابعا. اتجاه التوزيع الجغرافي لأماكن ارتكاب جرائم السرقة وأماكن سكن الجناة

لتحديد اتجاه انتشار جريمة السرقة وأماكن سكن الجناة على سطح اللاندسكيب Directional Distribution في مدينة حائل، تم استخدام تقنية الانحراف المعياري البيضاوي Standard Deviational Ellipse في الملحق المكاني لنظم المعلومات الجغرافية. وتحدد هذه التقنية اتجاه انتشار جرائم السرقة من خلال قياس الانحراف المعياري في الاتجاه (X)، والانحراف المعياري في الاتجاه (Y)، بصورة منفصلة عن بعضها البعض. حيث تم تحديد محاور الشكل البيضاوي من خلال حساب الانحراف المعياري لإحداثيات (X)، والانحراف المعياري لإحداثيات (Y) عن المركز المتوسط.

ولأن ذلك يحدًد لنا شكل الامتداد الجغرافي للظاهرة على صفحة اللاندسكيب، فإن الشكل الناتج هو بالضرورة شكل بيضاوي. (إحداثيات جريمة السرقة، وإحداثيات مساكن الجناة). ويحدد اتجاه رسم الشكل البيضاوي شكل انتشار المواقع الجغرافية لظاهرة السرقة أو أماكن سكن الجناة. والمركز المتوسط Mean Center هو مركز الشكل البيضاوي لكل النقاط. ولكل شكل بيضاوي محوران: احدهما طويل، والآخر قصير، كما أن له اتجاه معين، يحدًد انتشار الظاهرة.

ويمكنًنا البرنامج من تحديد عدد الانحرافات المعيارية التي يمكن تمثيلها. غير أن البرنامج يقوم في العادة برسم انحراف معياري واحد، ذلك أن التوزيع العشوائي للظاهرة يظهر انحرافا معياريا واحدا، يغطي نحو 60% من جميع النقاط التي تمثل جريمة السرقة أو أماكن سكن الجناة. بينما تغطي ثلاث انحرافات معيارية عن الوسط نحو 99% من مواقع حدوث جنايات السرقة، أو أماكن سكن الجناة.

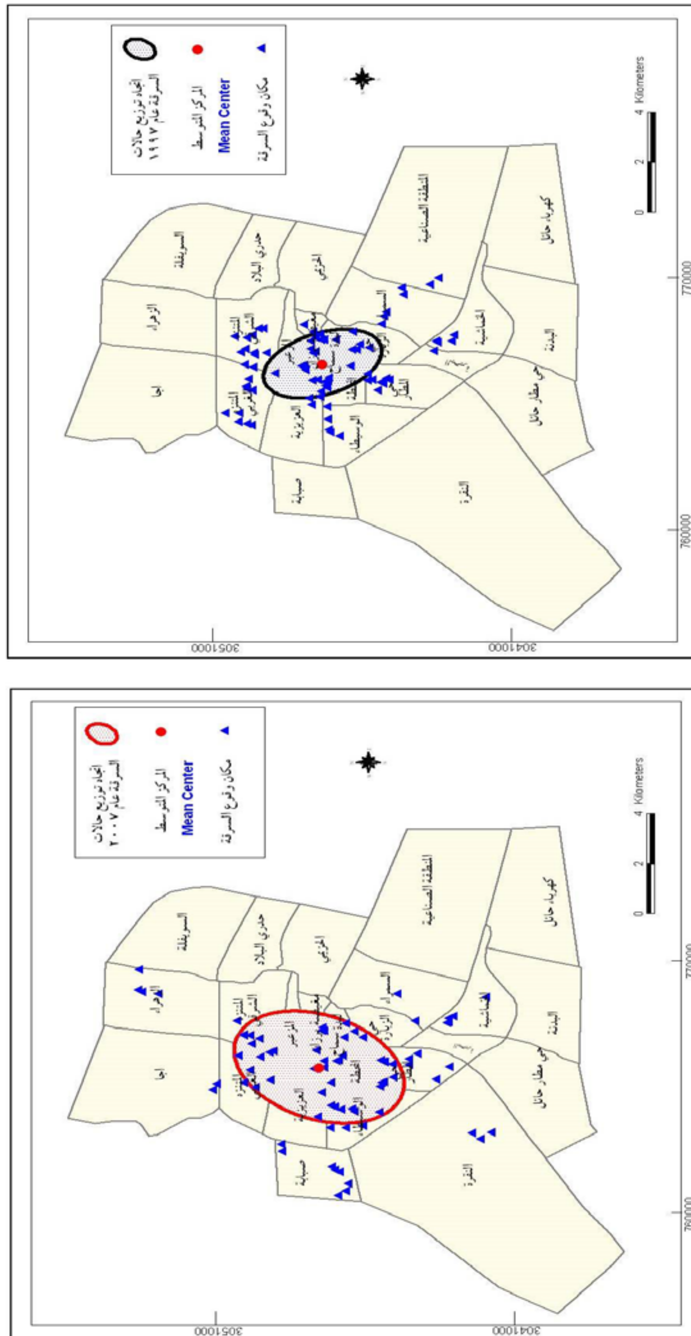
وتفيد هذه التقنية في تحديد طبيعة العلاقة بين نوع الجريمة وكيفية ارتباطها مع الظواهر الجغرافية الطبيعية أو البشرية. كامتداد نوع من الجرائم على طول طريق سريع، أو سكة حديد. أو توافقها مع شكل الامتداد الجغرافي لمجموعة عرقية أو لغوية.

ويظهر الشكل رقم (12) الاتجاه العام لتوزيع أماكن وقوع الجريمة في عامي 1997م و2007م. حيث يظهر الشكل الاختلافات التالية:

1. صغر حجم الشكل البيضاوي لجرائم عام 1997م، مقارنة مع الشكل الذي يمثل جرائم عام 2007م، بسبب صغر الامتداد الجغرافي للمدينة عام 1997م، وبالتالي انخفاض عدد الجرائم مقارنة بعام 2007م.
2. التباين الكبير في اتجاه الجرائم بين عامي 1997م و2007م، حيث كان اتجاه الجرائم عام 1997م نحو الشمال الغربي، مقارنة باتجاهه نحو الشمال الشرقي في عام 2007م.

ويتماشى ذلك مع الامتداد العمراني للمدينة، حيث تقف سلسلة جبال أجا في الشمال الغربي، التي حالت دون الامتداد العمراني بهذا الاتجاه.

ويتفق الشكلان في كونهما يتمحوران حول القلب الحيوي للمدينة بالقرب من المركز المتوسط، بين حيي برزان وسماح. وهو يغطي معظم مساحة أحياء لبدة والمحطة والمزعبر في عام 1997م. ويتسع نحو الشمال والجنوب ليغطي معظم أحياء العزيزية والوسيطاء ومغيضة في عام 2007م.


اتجاه توزيع حالات السرقة عام ١٩٩٧
المركز المتوسط
Mean Center
مكان وقوع السرقة
4 Kilometers
770000
760000
3051000
3041000
اتجاه توزيع حالات السرقة عام ٢٠٠٧
المركز المتوسط
Mean Center
مكان وقوع السرقة
4 Kilometers
770000
760000
3051000
3041000

خامسا. البعد الجغرافي لمواقع جنايات السرقة وأماكن سكن الجناة عن قلب المدينة

أظهرت العديد من الدراسات الأجنبية التي تم الإشارة إليها في الدراسات السابقة، وجود علاقة ارتباط إيجابية بين مركز المدينة أو قلب المدينة التجاري، والموقع المتوسط لجنايات السرقة وأماكن سكن الجناة. وللتحقق من تلك الفرضية تم تحديد مركز المدينة كنقطة على الخريطة بناءا على خبرات الباحثين الميدانية. ورسمت نطاقات دائرية حول ذلك المركز كما يظهر الشكل رقم (13)، وجعلت المسافة التي تفصل النطاقات عن بعضها 1كم.

1. نطاقات توزيع حالات السرقة حول المركز المتوسط ومركز المدينة

ومن أجل حساب معامل الارتباط بين مكان وقوع الجريمة والمركز المتوسط لتوزيعها، تم قياس المسافات بين حالات وقوع السرقة والمركز المتوسط لتوزيعها، ووضعها في مصفوفة. وبسبب صعوبة حساب معامل الارتباط بين كل حالة سرقة والمركز المتوسط، تم تصنيف حالات السرقة إلى سبع نطاقات، قطر كل منها 1000م. وضعت في المصفوفة الظاهرة في الجدول رقم (8). وتم حساب معامل الارتباط بين عدد تكرارات كل فئة والمركز المتوسط. وقد بلغ معامل الارتباط بين مكان حدوث السرقة والمركز المتوسط 0.965.

جدول رقم (8): المسافات وعدد حالات السرقة في النطاقات الدائرية

رقم النطاق	المسافة	عدد الحالات	النسبة المئوية
1	1000	11	%14
2	2000	12	%15
3	3000	23	%29
4	4000	10	%13
5	5000	13	%17
6	6000	2	%3
7	7000	7	%9

وحسبت نسبة حالات السرقة في كل نطاق من النطاقات Zones اعتمادا على عددها الإجمالي بواسطة برنامج ArcGIS، وتم تثبيتها على الخريطة كما هو واضح في الشكل رقم (13). ويظهر الشكل المذكور أن النطاق الثالث الذي يبعد عن المركز المتوسط بين 2000 – 3000م، حظي بأعلى نسبة من عدد السرقات. حيث وقع فيه نحو 29% من مجمل حالات السرقة في المدينة. بينما وقعت أدنى نسبة من السرقات في النطاق السادس الذي يبعد عن مركز المدينة نحو 6كم. ويلاحظ تكدس معدلات الجريمة في المنطقة المجاورة لقلب المدينة. بينما تقل

معدلات جريمة السرقة بالاتجاه نحو الأطراف، حيث تناقصت معدلات السرقة لتصل إلى 3% في النطاق قبل الأخير. ولعل سبب ذلك يكمن إلى حد ما في حداثة نشوء الأحياء في الأطراف، وإلى وجود الأحياء الأرقى اجتماعيا واقتصاديا في الأطراف. وعدم وجود فرص للجناة للقيام بأنشطة روتينية في هذه الأحياء، كونها تقع جغرافيا خارج نطاق البيئة المألوفةللجاني. ومع أن التناقص ليس خطيا، غير أن التناقص كان واضحا بالابتعاد عن المركز.



شكل رقم 13: نطاقات توزيع جنايات السرقة في مدينة حائل عام 1997م

2. نطاقات توزيع مساكن الجناة حول المركز المتوسط ومركز المدينة

ومن أجل حساب معامل الارتباط بين مكان وقوع سكن الجاني والمركز المتوسط لتوزيعها، تم رسم سبع نطاقات حول المركز المتوسط قطر كل منها 1000م. كما تم عد مساكن الجناة في كل نطاق ووضعت في مصفوفة، كما في الجدول (9). حيث بلغ معامل الارتباط بين تكرارات مكان سكن الجناة والمركز المتوسط 0.987.

جدول رقم (9): عدد مساكن الجناة ونسبها المئوية في النطاقات المختلفة حول المركز المتوسط

رقم النطاق	المسافة	عدد الحالات	النسبة المئوية
1	1000	10	%13
2	2000	21	%27
3	3000	16	%20
4	4000	15	%19
5	5000	8	%11
6	6000	4	%5
7	7000	1	%1
8	8000	3	%4

ويظهر الشكل رقم (14) نطاقات توزيعها على فترات تراوحت مسافتها 1كم أيضا. ويظهر التشابه الكبير بين نمط توزيع جرائم السرقة على النطاقات مع نمط توزيع مساكن الجناة. فقد حظي النطاق الثاني المجاور مباشرة لنطاق مركز لمدينة، بأعلى نسبة من مساكن الجناة، حيث احتوى على 26% من مجمل مساكن الجناة، مقابل 15% من مجموع السرقات. في حين احتوى النطاق السابع على 1% من مجموع مساكن الجناة، وهي أقل نسبة. ويظهر الشكل أيضا أن نحو 50% من مجموع مساكن الجناة يقطنون في النطاقين الثاني والثالث من مركز المدينة. وهي النطاقات التي تمتد بين 0.5-3كم من قلب المدينة المركزي.

خامسا. العلاقة بين التوزيع الجغرافي للسكان وتوزيع حالات السرقة، وأماكن سكن الجناة

تتأثر الكثافة السكانية في مدينة حائل مع مساحات الأحياء فيها. والحقيقة أن مساحات الأحياء القديمة في المدينة هي أصغر بكثير من مساحات الأحياء الحديثة، كما تظهر خريطة المدينة. ويظهر الجدول رقم (10) مساحات الأحياء التي تتكون منها مدينة حائل وعدد سكانها والكثافات السكانية فيها.

ويظهر من الجدول أن مجموعة من الأحياء التي تقع في قلب المدينة وهي أحياء: برزان، المحطة، والمطار هي أكثر أحياء المدينة كثافة بالسكان، حيث تزيد فيها الكثافة السكانية عن 6000 نسمة/كم2. تلتها مباشرة أحياء العزيزية، الوسيطاء، المتنزه الشرقي، ولبدة، والتي تراوحت الكثافة السكانية فيها بين 4500-6000 نسمة/كم2 كما يظهر الشكل رقم (15).

شكل رقم 14: نطاقات توزيع جنايات السرقة في مدينة حائل عام 2007م

وبصورة جلية يظهر أن الأحياء الأعلى كثافة، هي تلك التي تقع في وسط المدينة، في حين تتناقص الكثافة السكانية في الأحياء الهامشية الحديثة. والتي تتراوح الكثافة السكانية فيها بين 1500 -4499 نسمة/كم2. أو تقل عن 1500 نسمة/كم2 كما هو الحال في حي البحيرة.

ويظهر الشكل الذي يمثل عدد حالات السرقة في أحياء المدينة ارتباطا كبيرا بين الكثافة السكانية وعدد حالات السرقة. حيث احتوت الأحياء ذات الكثافة السكانية العالية السابقة الذكر على نحو 42% من مجمل حالات السرقة. وضمت الأحياء التي تراوحت كثافة السكان فيها بين 3000-4499/كم2 (وهي أحياء: السمراء، الخماسية، المزعبر، مغيضه، وسماح) على نحو 10% من مجمل حوادث السرقة.

وهذا يعني أن 14 حيا هي نصف عدد أحياء المدينة تقريبا لا تزيد مساحتها عن 25% من مساحة المدينة، يسكنها نحو 281,783 نسمة أو 91% من إجمالي سكان مدينة حائل. في حين تحتوي ال 12 حي الباقية والتي تشكل مساحتها نحو 75% من مساحة المدينة، على 9% فقط من مجموع السكان. وهذا ما يفسر وبصورة جلية سبب تركز جرائم السرقة ومساكن الجناة في أحياء وسط المدينة.

جدول رقم (10): مساحات الأحياء في مدينة حائل وأعداد السكان والكثافة السكانية فيها

الرقم	الحي	المساحة	السكان	الكثافة	الرقم	الحي	المساحة	السكان	الكثافة
1	المنتزه الشرقي	6275	28261	4.503745	14	الوسيطاء	5345	30587	5.722544
2	المزعبر	2094	5439	2.597421	15	العزيزية	6491	38336	5.906024
3	مغيضة	1017	1621	1.593904	16	المنتزه الغربي	5378	4540	0.84418
4	برزان	373	2563	6.871314	17	آجا	16259	3241	0.199336
5	لبدة	1143	6422	5.618548	18	الزهراء	9389	1279	0.136223
6	سماح	603	2026	3.359867	19	السويفلة	11272	191	0.016945
7	الزباره	3109	12147	3.907044	20	حدري البلاد	5362	159	0.029653
8	السمراء	7797	18281	2.34462	21	الحزيمي	7122	12	0.001685
9	المنطقة الصناعية	21204	4448	0.209772	22	كهرباء حائل	12403	596	0.048053
10	الخماشية	5197	13269	2.553204	23	البدنه	9179	859	0.093583
11	البحيره	2322	1494	0.643411	24	مطار حائل	11143	20	0.001795
12	المطار	9595	27370	2.852527	25	النقره	45356	8156	0.179822
13	المحطة	2094	15461	7.383477	26	صبابه	5416	4732	0.873708
المصدر: النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة حائل، 2005م									

الخاتمة والتوصيات

أظهرت الدراسة أن نمط توزيع جنايات السرقة في عامي 1997 م و2007 م كان نمطاً متجمعاً. وأن هناك تركزاً لهذه الجنايات ولمساكن الجناة، في الأحياء القريبة من القلب التجاري للمدينة. وأظهر التحليل وجود علاقة قوية بين مكان سكن الجاني ومكان ارتكاب جريمة السرقة. حيث وقعت 56% من حالات السرقة ضمن الحي الذي يقطنه الجاني، بينما وقعت 25% من حالات السرقة ضمن الحي المجاور، و19% ضمن أحياء البعيدة.

وأظهرت النتائج وجود تباين كبير في اتجاه انتشار جنايات السرقة بين عامي 1997م و2007م. حيث كان اتجاه الجرائم في عام 1997م نحو الشمال الغربي، مقارنة باتجاهها نحو الشمال الشرقي في عام 2007م، الأمر الذي يتماشى مع نمط الامتداد العمراني للمدينة.

كما أظهرت النتائج وجود علاقة بين التوزيع الجغرافي للسكان وتوزيع حالات السرقة. فاحتوت الأحياء ذات الكثافة السكانية العالية القريبة من وسط المدينة، بأعلى نسبة من حالات السرقة، في الوقت الذي تتناقص فيه الكثافة في الأحياء الهامشية الحديثة.

وتوصي الدراسة بضرورة أتباع استراتيجيات حماية مكثفة في المناطق الأقرب للقلب الحيوي للمدينة. ولا شك أن التحول في اتجاه الانتشار العمراني هو الذي أدى إلى التبدل في اتجاه انتشار الجريمة، الأمر الذي يعكس ضرورة الاهتمام بالتوزيع الجغرافي للمراكز الأمنية بما يتناسب مع التحول. بحيث يمكن زيادة عددها في المناطق الشمالية الغربية. وكذا في المناطق التي ترتفع فيها الكثافات السكانية.

A GIS-Based Pattern Analysis of the Distribution of Robbery Crime in the City of Hail\Saudi Arabia

Qasem AL Dweikat, *Department of Geography,Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Kalied Hamad Al Fiesal, *Researcher in Geography, Hail, Saudi Arabia.*

Abstract

Crime is a social phenomenon that geography seeks to investigate in terms of its variables, size, directions, forms and distribution. Geographic analysis assumes certain spatial patterns of crimes that are affected by the location and its characteristics. The cartographic approach is among oldest methodologies used to study crimes. This study

used Geographic Information Systems (GIS); a developed cartographic technique suited to represent and analyze spatial pattern of crimes. Global Positioning System (GPS) is also used to localize robbery cases at Ḥail as well as their patterns of distribution, directions, relation with demographic densities, urban expansion, and residence of offenders and the nature and use of the surrounding landscape.

The study has concluded that spatial pattern of robbery crimes at Ḥail was a cluster one in 1997 and 2007. Cartographic and statistical analyses have shown a strong relationship between the crime scene and offenders' residences. It has also been shown that there is a strong relation between the mean centers of the robbery and offenders' residences at one hand, and the city center (CBD) on the other hand. Locational analysis revealed that the co-ordinates of the robbery crime sites and the offenders' residences, have changed between 1997 and 2007, from the northwest to the northeast. The direction itself is affected by the location and direction of the mountain *Ajja* at the northwest of the city

قدم البحث للنشر في 2009/7/29 وقبل في 2009/11/26

المراجع العربية

الأصم، عبد الحافظ أحمد (1991). **الجريمة في السودان: دراسة لبعض جوانبها المكانية،** المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

آل حسين، زيد محمد (1987). **سرقة السيارات والأساليب الفنية لمكافحتها في مدينة الرياض،** رسالة ماجستير غير منشورة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

الأمن العام(2007)، **شرطة منطقة حائل،** قسم الأمن الجنائي، شعبة الإحصاء والدراسات، المملكة العربية السعودية.

الخريف، رشود محمد (1999). **الجريمة في المدن السعودية: دراسة في جغرافية الجريمة،** مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض.

الخليفة، عبدالله حسين (1993). **المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض،** مركز ابحاث مكافحة الجريمة، الرياض.

الدوسري، إبراهيم صالح (1995). **التوزيع المكاني للجريمة في مدينة جدة وخصائص الجناة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية: دراسة جغرافية،** مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض.

زعزوع، ليلى صالح (1987). **الأنماط المكانية لجرائم السرقات في مدينة جدة:دراسة تطبيقية في الجغرافيا الاجتماعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز.

السبعاوي، محمد نور (1995) الإسهامات الكرتوجرافية وطرق القياس الإحصائي والكمي لظاهرة الجريمة، بحث مقدم في **الندوة العلمية عن جغرافية الجريمة في جامعة المنيا**، مصر، 28 سبتمبر 1995.

الشريف، عبدالرحمن صادق (2005). **جغرافية المملكة العربية السعودية**، مكتبة العبيكان، الرياض.

العمر، مضر خليل (2000). **جغرافية المشكلات الاجتماعية**، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الأردن.

مرشان، سعيد ناصر (1991). **الانماط المكانية لجريمة السرقة في مدينة الرياض: دراسة في جغرافية الجريمة**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

مصلحة الإحصاءات العامة (2005). **النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة حائل**، الرياض.

المطرفي، محمد سليم (1993). **جغرافية السرقة في مدينة مكة المكرمة**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

المهيرات، بركات النمر (2001). **جغرافية الجريمة.علم الإجرام الكارتوغرافي: دراسة تطبيقية للجوانب المكانية لظاهرة الجريمة في المملكة الأردنية الهاشمية**، دار مجدلاوي للنشر، عمان.

وزارة الداخلية ، الأعوام (1997 -2007).،**الكتاب الإحصائي السنوي** "بيانات غير منشورة "

الوليعي، عبدالله ناصر(1993). **السرقة في مدينة الرياض**، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض.

المراجع الأجنبية

Brantingham, P.L. and Brantingham, P.J. (1981). *Environment Criminology*, Beverly Hills. CA. Sage

Block, Richard L. (1997). "*Space, Place and Crime: Hot Spot Areas and Hot Places of Liquor-Related Crime"*. In John E. Eack and David Weisbrurd, (eds) Crime and Place, Crime Prevention Studies, Vol. 4, Criminal Justice Press, Monsey, NY and The Police Executive Research Forum, Washington, D.C,pp 145-183

Buerger, Michael, Ellen G. Cohn and Anthony J. Petrosino. (1995). *"Defining the "Hot Spots of Crime": Operationalizing Theoretical Concepts for Field Research"***.** In John E. Eack and David Weisbrurd, (eds) Crime and Place, Crime Prevention Studies, Vol. 4, Criminal Justice Press, Monsey, NY and The Police Executive Research Forum, Washington, D.C,,pp 237-257

Eck Jhon E.and David Weisburd. (1995). *"Crime Places in Crime Theory"*. In John E. Eack and David Weisbrurd, (eds) Crime and Place, Crime Prevention Studies, Vol. 4, Criminal Justice Press, Monsey, NY and The Police Executive Research Forum, Washington, D.C, pp 1-34.

Ecklom, P. (1987). *Preventing Robberies at Sub-Post Office: An Evaluation of a Security Initiative Home office Crime Prevention Unit*, Paper No. 9, London, UK, Her Majesty's Stationary Office.

Felson, Marcus. (1995). *"Those Who Discourage Crime"*. In John E. Eack and David Weisbrurd, (eds) Crime and Place, Crime Prevention Studies, Vol. 4, Criminal Justice Press, Monsey, NY and The Police Executive Research Forum, Washington, D.C,pp 53-66

Harries, K.D. (1974). *The geography of crime and justice*. New York, NY: McGraw Hill.

Herbert, David. (1982). *"The Geography Of Urban Crime"*. Longman, London.

Kevorkian, Nadera Shalhoud. (1995). *"Fear Of Crime in the Armenian Quarter of Jerusalem: physical and Social Correlations"*. In John E. Eack and David Weisbrurd, (eds) Crime and Place, Crime Prevention Studies, Vol. 4, Criminal Justice Press, Monsey, NY and The Police Executive Research Forum, Washington, D.C, pp 185-197.

Newman, R. (1972). *Defensible Space: Crime Prevention Through Urban Design*, NY, Macmillan.

Rengert, G.F. (1980). Spatial Aspects of Criminal Behavior" In Georges Abeyte and K. D. (eds), *Crime: A Spatial Perspective*, NY, Columbia University Press.

Rengert G.F. and Wasilchick. (1990). *Space, Time and Crime: Ethnographic Insight into Residential Burglary*, Washington D. C., Office of Justice Programs, National Institute of Justice, US Department of Justice.

Rosenbaum, Dennis P. and Paul J. Lavrakas "Self-Reports About Place: The application of Survey and Interview Methods to the Study of Small Areas", In John E. Eack and David Weisbrurd, (eds) *Crime and Place*, Crime Prevention Studies, Vol. 4, Criminal Justice Press, Monsey, NY and The Police Executive Research Forum, Washington, D.C, pp 285-314.

Spelman, W. (1992). *"Criminal Careers of Public Places"*, Final Report to the US National Institute of Justice, Austin, TX, School Of Public Affairs, Univ. of Texas at Austin.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب   المجلد 7 العدد 3، 2010، ص ص 629 - 658

الهاتف الجوّال: أهميته واستخداماته في جامعة قطر
(دراسة ميدانية)

محمد القضاه *

ملخص

تعد هذه الدراسة الأولى من نوعها التي تتناول الهاتف الجوّال واستخداماته من قبل فئة الشباب في المنطقة العربية، وتحديداً في دولة قطر. وتسعى الدراسة إلى الوصول إلى عدد من الأهداف كمعرفة الأسباب التي تدفع هذه الفئة من الشباب إلى اقتناء الهاتف الجوال ومعرفة مدى الاستفادة من مزاياه. وقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج التي تدل على انتشاره بين طلبة جامعة قطر. وقد تبين أن نسبة عالية منهم تبلغ (41 %) تمتلك اكثر من جهاز، وتستخدمه لأغراض مختلفة كاستخدامه منبهاً لإيقاظهم بالدرجة الأولى، ووسيلةً لابقاء ذويهم على علم بأماكن تواجدهم، إضافة إلى استخدامه لتبادل التهاني في المناسبات المختلفة. كما وتمخضت الدراسة عن نتائج أخرى، منها عدم رضا ما نسبته (71.8 %) من طلبة الجامعة عن اسعار أجهزة الجوّال والخدمات التي تقدمها الشركة المعنية بذلك.

مقدمة

يعد الجوال أو المحمول أو الهاتف المتحرك النقال علامة من العلامات المميزة لعصرنا الحاضر. تعود جذور الاستخدام لهذا الهاتف إلى الأمور العسكرية، حيث خصصت وزارة الدفاع الأمريكية أموالاً ضخمة لتطويره. تشير الدراسات إلى أن في البلدان المصنعة ما يقارب (75%) من المواطنين يمتلكون هاتفاً جوالا[1].

يعتمد الجوال كأحد أشكال الاتصال على الاتصال اللاسلكي عن طريق أبراج البث الموزعة. وشهدت صناعات الجوال قفزات خيالية في مجال التحديث لهذا الجهاز، فمن مجرد وسيلة اتصال صوتية أصبح يستخدم كجهاز كمبيوتر واستقبال للبريد السمع بصري وجهازاً لتصفح الانترنت ومشاهدة التلفاز وبأسعار تنافسية.

تتنامى ظاهرة استخدام الجوال على الصعيدين العربي والعالمي، ويعزى ذلك إلى جملة من العوامل التي تتعلق بالبيئة والجوال معاً" فهو يربط الفرد بشبكات كثيرة، ويخزن مختلف

* كلية الإعلام، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

المعلومات ويقدم الكثير من أنواع التسلية، وتحول إلى أكثر الكمبيوترات شخصية لأصحابها"[2].
وجعل الجوال العالم أكثر قرباً وصغراً من الصحن اللاقط وأكثر حداثة من الشبكة العنكبوتية؛ فدخل الانترنت والتلفزيون، وسيحظى المشاهدون في المنطقة العربية ولأول مرة بتقنية جديدة تسمح لهم بمتابعة برامجهم التلفزيونية الخاصة ومسلسلاتهم المفضلة عبر الهواتف الجوالة.[3]

إضافة إلى دخول الجوال على البث التلفزيوني الأرضي والفضائي فإن المجال متاح للمشتركين لمشاهدة قنوات التلفزيون السلكية (الكيبل) الخاصة بهم على هواتفهم النقالة"[4].

لقد دخل الجوال الى عالم الاقتصاد، وخاصة في مجال البورصات، "حيث ساهم ظهور شركات الاتصالات الجوالة في تنشيط البورصات في العالم العربي. وقد مثلت تلك الشركات في بعض الأسواق ما يصل إلى (30%) من البورصة"[5].

كما وأصبح للهاتف الجوال دور في الحروب والكوارث، كأداةٍ رئيسةٍ في نقل المعلومات والأخبار؛ ففي العراق ساهمت الهواتف الجوالة في إنقاذ أرواح بعض العراقيين، واستخدمتْ بنسبة (95%) من حامليه للاطمئنان على سلامة من يحبون[6].

ولكن هناك سلبيات كثيرة ناتجة عن استخدامات الجوال انه يستخدم في الاعتداء على خصوصية الآخرين وبناء علاقات غير مشروعة بين الشباب.[7]

إن عدد مالكي الهاتف الجوال يزداد في المنطقة العربية، ففي الأردن يوجد ما يزيد عن نحو مليون و(400) ألف مشترك، بينما يتعدى عدد مالكيه في المملكة العربية السعودية سبعة ملايين مشترك.

ويعتبر عدد مالكي الهواتف الجوالة في البلدان العربية غير النفطية قليلاً جدا بالنسبة إلى عدد السكان، حيث لا يتجاوز عدد المشتركين في خدمة الجوال في اليمن (2.5) مليون، يشكلون (10%) من إجمالي عدد السكان (13). بينما يبلغ عدد مالكي الجوال في سوريا مليون و(250) ألف جوال، اي ما نسبته (6%) من إجمالي عدد السكان[8]

أما فيما يتعلق بدولة قطر فقد تعاظم دور الجوال في خدمة المواطنين القطريين، ويعود ذلك إلى ارتفاع الدخل الوطني، الذي يعد من أعلى (3) مداخيل عالمية، فقد وصل عدد الجوال إلى أرقام عالية، وازدادت قاعدة العملاء الذين يستخدمون الهواتف المتنقلة بطريقة الاشتراك، أو ببطاقات مسبقة الدفع، ليصل إلى (490) ألفاً عام 2004م أي بزيادة نسبتها (30%) خلال 2004.[9]

الدراسات السابقة

يعد الهاتف الجوال ظاهرةً جديدة تستحق الدراسة. وقد حاول الباحث العثور على دراسات ميدانية حول هذا الموضوع، إلا انه لم يعثر إلا على عدد قليل من الدراسات المتعلقة بهذه الدراسة، وقد وجد الباحث أنّ هذه الظاهرة تحظى باهتمام عدد كبير جداً من الصحفيين، ومن هنا جاء اهتمامه بما ورد من مقالات في الصحف حول هذا الموضوع، مع إدراكه أن الصحف والمجلات لا يُعتد بها كثيراً في مجال البحوث العلمية، وقد دفعته ندرة الدراسات العلمية إلى توجيه اهتمامه النسبي بما كتبته بعض الصحف عن الهاتف الجوال. ومن الدراسات المهمة التي تناولت هذه الظاهرة ما يلي:

1- دراسة كنث يونغ، وهي بعنوان **Effects of Culture on Cellular.Phone Adoption: The case of Taiwan**[10]. وقد استخدمت الدراسة أسلوب المسح الميداني في جمع المعلومات بواسطة استبانه، وقد تم توزيع الاستبيانات على مشتركي الجوال في مدينة كوشونغ، في دولة تايوان، تم تطبيقها على (3) مراكز بيع موزعة في الأجزاء الوسطى والجنوبية والشمالية للمدينة، وعلى عينة قوامها (582) مفردة.

وقد شكل الذكور في الدراسة المشار إليها ما نسبته (57.4%)، وشكلتْ الإناث ما نسبته (42.6%) من العينة ذات الاختلافات في الأعمار والتعليم والمهن، والحالات الاجتماعية، والمستويات الإقتصادية المختلفة[11].

خرجت النتائج أن استخدامات الجوال كانت كما يلي: متوسط المشتركين في الخدمة الهاتفية العامة (4)، والاتصال مع الآخرين (91)، وكأداة للضغط (24)، ولاختيار الملابس (5).[12]

كما دلت النتائج على أن ما متوسطه (4.6) من أفراد العينة أشاروا إلى أن الجوال يخدمهم في مجال الاتصالات الهاتفية و*Back light* (4.73) ولإغراض الاستماع للموسيقى (4.11) وللصور باختلاف أنواعها (3.98) وللبريد الصوتي (3.93). كما دلت النتائج على أن (4.39) من العينة يمتلكون الأجهزة الحديثة.[13]

تشير الدراسات والإحصائيات إلى أن امتلاك الجوال تغير بطريقة دراماتيكية؛ ففي عام 1999 م كانت فنلندا الدولة الأولى عالمياً بامتلاك الجوال، وبنسبة (66.70%) من السكان، وتلتها النرويج وبنسبة (61.75%)، والسويد وبنسبة (57.88%)، وهونغ كونغ (57.71%)، وايطاليا (59.30%)، وتايوان (52.24%).[14]

وتشير الدراسة المنشورة في (23.) *PC Magazine,2000* إلى أن (40%) من الشباب الأمريكي ممن تقع اعمارهم بين (18-24) سنة يستخدمون الجوال، مقابل (48%) من أفراد العينة استخدموا الجوال، في حين انخفضت النسبة إلى (19%) للفئة العمرية 65 سنة فما فوق. إلا أن هذه الأرقام تغيرت بصورة غير متوقعة، حيث أن النسب اقتربت من (100%) لفئات الشباب.

2- دراسة لورن نيرغراد، وهي بعنوان: **"الجوال لا صلة له بالسرطان"** [15] وتم إجراؤها على (420) ألف نرويجي يمتلكون الجوال منذ فترة طويلة تزيد عن عشر سنوات، وأجريت هذه الدراسة بالتعاون مع مركز السرطان النرويجي، حيث دلت النتائج عن أن مالكي الجوال لا تزيد نسب إصابتهم عن غيرهم ممن لا يمتلكونه. كما أشارت الدراسة إلى عدم وجود علاقة بين استخدام الهاتف الجوال والإصابة بمرض السرطان.

3- دراسة ايفانز بوغى[16] حول التلفون والصحة. وتشير الدراسة إلى ان للجوّال صلة بسرطان الدماغ.

4- وهناك دراسات أخرى أشارت إلى تأثير الجوال على جسم الإنسان ككل، وليس على الدماغ فقط، ففي دراسة تحت عنوان الجوال والجهاز التناسلي للرجل، أشارت الدراسة التي أجريت على عينة قوامها (221) رجلا وعلى مدى (13) شهرا قورن خلالها عدد الحيوانات المنوية لدى من يكثرون استخدام الهواتف المحمولة بمثيلتها عند من لا يستخدمونها. فقد دلت الدراسة أن من يستخدمون الهواتف المحمولة بكثرة ويحملونها معظم الوقت قل عدد حيواناتهم المنوية بنحو (30%)[17].

5- من الدراسات أيضا دراسة محادين[18] المعنونة بـ "اثر الثقافة على العلاقات داخل الأسرة في المجتمع الأردني – الهاتف الخلوي أنموذجا"، وعلى عينة قوامها 2643 من جميع أرباب الأسر القاطنة في مركز لواء القصبة "أشارت النتائج على إجماع أفراد العينة وبدرجة مرتفعة وبمتوسط حسابي (3.53) على ان الخلوي يعطيهم خصوصية واضحة في حرية الإجابة من عدمها للرد على المتصلين زماناً ومكاناً"[19]. أشارت الدراسة أيضا إلى عدد من النتائج من أهمها النظرة الاستقرائية السلبية إزاء الأفراد الذين لا يحملون خلوي مقارنة بغيرهم ممن يقتنونه، خصوصاً وأن اقتناء اغلب أفراد العينة للخلوي جاء نتيجة لتقليدهم لأخريين سبقوهم باقتنائه وبمتوسط (3.89).[20]

6- من الدراسات أيضا دراسة رزوق[21] المعنونة بـ "اثر التكنولوجيا الحديثة للاتصال على التمثلات الثقافية والاجتماعية للطالب الجامعي"، خلصت الدراسة ان استعمال الشباب الجامعي للتكنولوجيات الحديثة كان له الأثر الكبير على تصوراته وتمثيلا ته الثقافية والاجتماعية. بحيث تغيرت النظرة عنده نحو المحتويات الإعلامية والاتصالية ان لم نقل تطورت بحيث برز النفور من الوسائل التقليدية ومحتوياتها والاتجاه نحو الحديثة التي تتميز بالسرعة والإثارة[22].

كما ظهر عدد من المقالات المهمة حول الجوال وخطورته مثل المقال المعنون بـ "مفاعل نووي صغير" الجوال. وقد أشارت تلك المقالات إلى عدد من المعطيات المهمة حول الجوال، فقد حذر مخترع رقائق الهاتف المحمول عالم الكيمياء الألماني فرايدلهايم فولنورست من مخاطر ترك الجوال مفتوحاً في غرف النوم على الدماغ البشري، حيث أشارت النتائج إلى ان الجوال يسبب حالة من الأرق والقلق وانعدام النوم وتلف في الدماغ مما يؤدي على المدى الطويل إلى تدمير جهاز المناعة في الجسم البشري[23]. ويتابع العالم الألماني الإشارة إلى مخاطر الجوال فيقول: كما أن الترددات الكهرومغناطيسية الناتجة من الجوال أقوى من الأشعة السينية التي تخترق كافة أعضاء الجسم والمعروفة بأشعة اكس[24].

ويشير فولنورست إلى أن إشعاعات الهاتف المحمول تضرب خلايا المخ بحوالي (215) مرة كل ثانية، مما ينجم عنه ارتفاع نسبة التحول السرطاني بالجسم (4%) عن المعدل الطبيعي[25].

7- دراسة ام تي سي بعنوان "الاتصالات الجوالة لغة واحدة وثقافات متعددة[26]. وقد أُجريت الدراسة بمناسبة انعقاد مؤتمر *GSM3* في برشلونة في شهر شباط من عام 2006، وجاء في الدراسة أن قطاع الاتصالات الجوالة في المنطقة قد أوجد مئات الآلاف من فرص العمل الجديدة ليس في القطاع نفسه فحسب، بل وفي قطاعات أخرى كذلك، وساهم في دعم النمو الاقتصادي وتعزيز التآلف والأمن الاجتماعي[27].

وتشير الدراسة المذكورة أعلاه إلى ازدياد معدل استخدام الهواتف الجوالة في العالم العربي ازدياداً ملموساً خلال الخمس سنوات الماضية، إذ ازداد عدد المشتركين عن (75) مليون مشترك يستخدمون خدمات تقدمها (38) شركة وإلى حجم الأثر الاجتماعي الذي يتركه الهاتف الجوال على جيل الشباب في العالم العربي، وبالذات في الانتشار الواسع لتبادل رسائل الجوال القصيرة واستخدامها للتصويت في البرامج الموجهة للشباب، مثل النسخ العربية من برامج "ستار أكاديمي" و"سوبر ستار" الأمر الذي ساهم في تحقيق مداخيل كبيرة للشركات المستفيدة.

كما دلت النتائج في الدراسة المشار إليها التي أجريت على 619 شخصا في عدد من الدول العربية،على ظهور تفاوتٍ بين مواطني هذه الدول في طريقة الاعتماد على الهاتف الجوال،ففي حين قال المغاربة أنهم يستخدمون الهاتف الجوال في الغالب الاتصال بأقاربهم، في حين قال 65% من السعوديين أنهم يتصلون بأصدقائهم أكثر، و38% من اللبنانيين بأنهم يتصلون بأصدقائهم وصديقاتهم أكثر من أي احد أخر[(28)].

8- من الدراسات ايضاً دراسة *Bittman, Michael 2009* حول الجوال ومدى ارتباطه بضغط الوقت وضغط العمل في استراليا.

هدفت الدراسة تقييم مدى العلاقة بين استخدام الجوال وزيادة ضغط الوقت وزيادة جهود العمل، وكيفية استخدام الاستراليين للجوال في مكان العمل. دلت النتائج إلى ان استخدام الجوال في مكان العمل لا يزيد من الشعور لدى مستخدميه بضغط الوقت، ولكن استخدامه له علاقة بضغط العمل لديهم، إضافة على انه يوفر وقت الناس ويزيد من عملية التفاعل الاجتماعي بينهم[(29)]

علاقة البحث بنظرية ترتيب الأولويات (وضع الأجندة)

تحظى ظاهرة الهاتف الجوال باهتمام الناس من كافة الاعمار والفئات الاجتماعية، وذلك بسبب الخدمات التي يمكن تقديمها باستخدامه. ونظراً للتطور المستمر في صناعة هذا الجهاز والاعلان عن المزايا التي يتمتع بها، فإن الناس وحسب نظرية ترتيب الأولويات (وضع الأجندة)، اصبحوا اكثر اهتماماً بهذه السلعة المهمة التي أصبحت جزءاً من أجندتهم لأهميته في حياتهم اليومية. وهذا يدل على أن لدى الناس حاجات واهتمامات، وربما تحيزات لشركةٍ مصنعةٍ دون غيرها، ممّا يجعل للهاتف النقّال بوجه عام دوراً مهماً في وضع أجندتهم.

كما أن استمرار الناس في الاقبال على اقتناء هذا الهاتف يزيد من قدراتهم على تكوين الاراء المتعلقة بالخدمات التي يستفيدون منها من خلال استخدامه. يضاف الى ذلك دور وسائل الاعلام في نشر وبث الاعلانات التجارية حول الهاتف الجوّال ممّا يضاعف من زيادة الاهتمام به، وبخاصةٍ من قبل جيل الشباب الميال دائماً إلى اقتناء كل جديد في مجال الهواتف النقّالة.

ويمكن القول إن ذلك يؤدي إلى ما يشبه السيطرة على أفراد هذا الجيل، الأمر الذي يجعل موضوع الهاتف الجوال ضمن أولياتهم في الوقت الرهن، ويجعلهم تواقين إلى معرفة كل جديد في عالم الهاتف الجوال نظراً لأهميته والمتعة باستخدامه. ولقد تمكنت بعض الشركات المنتجة أن تجعل منتوجها يقع ضمن الأوليات المهمة للشباب ومن ضمنهم طلبة جامعة قطر، وقد وجد الباحث رغبة شديدة لديهم في ابداء آرائهم حول هذا الجهاز واستخداماته.

وحسب نظرية الأوليات فإن المتلقي لا يعتمد على ما تحتوي عليها الاعلانات التجارية التي يتم نشرها وبثها بوسائل الاعلام الجماهيري المختلفة، بل إنّ لخبرته الشخصية والظروف المحيطة به وتأثير الجماعة والبيئة عليه دوراً بارزاً في تحديد أوليات اهتمامه بموضوع الهاتف الجوال عن طريق التركيز المتواصل للإعلانات التجارية عليه. والمتلقي يرتب اهتماماته وفق اهتمام وسائل الاعلام بهذا الموضوع الذي يلقى اهتماماً كبيراً منها، مما يؤدي بالتالي إلى زيادة اهتمامه بهذه السلعة اكثر من غيرها. وحسب نظرية وضع الأجندة فإن "وسائل الاتصال عندما تهتم اكثر بالموضوع (أ) مقارنةً بالموضوع (ب) فإن الفرد يهتم اكثر بالموضوع (أ) مقارنة بالموضوع (ب)".

علاقة الدراسة بنظرية الاستخدامات والاشباعات

انطلاقا من الأهمية والدور الذي يلعبه الجوال في حياة الأفراد حاضراً ومستقبلا ونظراً لوجود فروق فردية، وتباين اجتماعي على إدراك السلوك المرتبط بوسائل الإعلام[30] جاءت هذه الدراسة،التي تبحث في أسباب امتلاك الجوال وانتشاره لدى الشباب الجامعي في جامعة قطر، ومن هنا فان البحث في أنواع الاحتياجات التي يحققها استخدام وسائل الإعلام والنتائج التي تترتب على ذلك[31] كما أن الدراسة تبحث في استخدامات المبحوثين للجوال من خلال منظور الاستخدامات، وبما أن الفرد يختار وبوعي الوسائط التي يرغب في التعرف عليها، ونوع المضمون الذي يلبي حاجاته النفسية والاجتماعية[32] فان هذه الدراسة تعتمد على نظرية الاستخدامات والاشباعات، التي تهدف إلى السعي لاكتشاف كيفية الاستخدام للوسيط، وكيفية إشباع حاجات الفرد وتوقعاته[33] وذلك من خلال أسئلة الدراسة الموضحة في التساؤلات،كما تهدف إلى شرح دوافع التعرض للجوال والنتائج المتخصصة عن ذلك، والتأكيد على نتائج استخدامه كوسيط اتصالي.

العناصر التي تشكل منظور الاستخدامات والاشباعات والتي تبدأ من تولد حاجات بيولوجية نفسية واجتماعية لدى الإنسان، وتتفاعل هذه الحاجات مع الخصائص الفردية والإطار الاجتماعي المحيط بالفرد.وينتج عن ذلك مشكلات فردية تختلف في حدتها،وحلول محتملة تلك المشكلات،وبالتالي تتولد الدوافع لحل المشكلات وإشباع الحاجات[34].

مشكلة الدراسة

حرص الباحث على تحديد الدراسة بدقة،فقد قام باستطلاع آراء مجموعة من طلاب وطالبات جامعة قطر بلغ عددهم (24) فرداً، وقد اسفر الاستطلاع عن عدد من النتائج أدت الى تحديد المشكلة بانتشار الهاتف الجوّال بسرعةٍ بينهم، ويتعاظم دوره في حياتهم، حيث أصبح

مصدراً لتبادل المعلومات والخدمات المختلفة المفيدة، علاوة على ظهور استخدامات غير أخلاقية تتعلق بالصور الاباحية الثابتة والمتحركة.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها الدراسة الأولى التي قد أجريت في المنطقة العربية حول الهاتف الجوال واستخداماته خاصة وأنها تستطلع آراء جيل الشباب من الطلبة في جامعة قطر حول هذه الظاهرة، ومعرفة وجهات نظرهم من تلك الاستخدامات، ومدى انعكاساتها عن المجتمع القطري بوجهٍ عام. من جهة وندرة الدراسات العلمية في المكتبة العربية عامة وللمكتبة القطرية خاصة للموضوعات المرتبة بالجوال من جهة ثانية، وإمكانية توظيف نتائج هذه الدراسة من قبل المؤسسات التي تقوم على رعاية وتقديم خدمات الجوال من جهة ثالثة.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى:

- معرفة مدى اهتمام طلبة جامعة قطر، بجهاز الهاتف الجوال، ومعرفة الاسباب التي تدفعهم الى اقتنائه.
- معرفة مدى رضا الشباب القطري عن الخدمات والاسعار الخاصة بالهاتف الجوال في دولة قطر. وعلاقة ذلك بالمهن التي يمارسها آباء أفراد العيّنة.
- معرفة مدى الاستفادة من مزايا الهاتف الجوّال.
- معرفة العلاقة بين الجنس ومجالات استخدام الهاتف الجوّال.
- معرفة علاقة الخصائص الفنية للهاتف الجوال المستخدم بإقدام طلبة جامعة قطر على اقتنائه.

منهج الدراسة وأداتها

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية *(Descriptive Studies)* التي تبحث عن أوصاف دقيقة للظاهرة موضوع الدراسة بواسطة الاجابة عن عدد من الاسئلة التي تدور حول الوضع الحالي للظاهرة، والنتائج المتوقعة من دراستها.[35]

تساؤلات الدراسة

- هل تمتلك غالبية طلبة جامعة قطر أجهزة هواتف جوالة متطورة، بسبب ضرورتها في تسيير أمورهم في الحياة؟
- هل تستخدم غالبية أفراد العينة يستخدمون الهاتف الجوال في الإرسال والاستقبال، بهدف اعلام الاهل بأماكن تواجدهم أو لإرسال التهاني في المناسبات المختلفة؟
- هل ترى غالبية افراد العينة في الهاتف الجوال عنصراً مهماً في زيارة الترابط الأسري، وسيطاً للتعارف وتعزيز العلاقات بين الناس؟
- هل تستخدم نسبة ضئيلة من أفراد العينة الهاتف الجوّال في مجالات لا أخلاقية؟
- هل تستخدم نسبة كبيرة من أفراد العينة الهاتف الجوّال للترفيه عن النفس وبخاصة في مجال تبادل النغمات والأغاني المختلفة؟
- هل ترى نسبة كبيرة من أفراد العيّنة ارتفاعاً بالأسعار التي لا تتناسب مع الخدمات التي تقدمها شركة كيوتل للإتصالات في قطر؟

وانطلاقاً من مضمون تلك الاسئلة فإن الدراسة تركز على معرفة الحقائق المتعلقة بانتشار ظاهرة الهاتف النقال في دولة قطر. وقد استخدم الباحث الاستبانة أداةً للدراسة كوسيلة "لجمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها أو إصدار تعميمات بشأنها".[36]

الاجراءات المنهجية للدراسة

أ. مجتمع الدراسة وعينتها:

يتكون مجتمع الدراسة من طلاب وطالبات جامعة قطر. وقد اختار الباحث عينة الدراسة التي تكونت من (250) فرداً من مختلف كليات الجامعة، تشكل ما نسبته (3%) من مجموع الطلبة فيها من الجنسين، وقد استبعد 23 استبانه لعدم صلاحيتها للتحليل الإحصائي.

ب. منهج الدراسة:

استخدم الباحث العيّنة العشوائية البسيطة (أسلوب القرعة) لاختيار أفراد العينة بعد أن تم الحصول على أسمائهم من دائرة القبول والتسجيل. وهذا الأسلوب يمنح كل فرد من أفراد المجتمع الأصلي فرصة للظهور في العينة. وقد تم توزيع نسخ الاستبانة على أفراد العيّنة في الفصل الدراسي الثاني 2009/2008

ج. أداة الدراسة:

استخدم الباحث الاستبانة كأداة رئيسية لجمع المعلومات من أفراد العينة لأنها تحقق قدراً من الموضوعية العلمية بعيداً عن التحيز.

وقد عرض الباحث أداة الدراسة على اثنين من زملائه من ذوي الاختصاص لإبداء آرائهم وملاحظاتهم عليها، بهدف الاستنارة بها للحكم على مدى شمولية وصحة العبارات المستخدمة فيها. وقد وضع الباحث الاستبانة في صورتها النهائية بعد ذلك. وأجرى اختباراً قبلياً لها، حيث قام بتوزيعها على (24) طالباً وطالبة بالتساوي من جامعة قطر للإجابة عن أسئلتها لمعرفة مدى فهم العناصر المكوّنة منها. وأظهرت النتائج أن الطلبة الذين استطلعت آراؤهم قد فهموا العبارات الواردة في الاستبانة ومدلولاتها بصورة وافية.

ثم أعاد الباحث توزيع الاستبانة على عيّنة مماثلة للعينة الأولى المكونة من (24) طالباً وطالبة، وبعد تحليل النتائج مع أحد زملائه وجد أنها مطابقة للنتائج التي توصل إليها سابقاً.

وتكونت الاستبانة من ستة محاور هي:

المحور الأول: ويشتمل على معلومات عامة عن المبحوث، كالجنس والجنسية والعمر ومهنة الوالدين ومستوى تعليمهما، ودخل الأسرة، وترتيب المبحوث فيها.

المحور الثاني: ويشتمل على ملكية الجوال وخصائصه، وأسباب ملكيته ومقارنتها بملكية الملابس والكتاب.

المحور الثالث: ويشتمل على استخدام الجوال في عدة مجالات، ودرجة تفضيل مجال على آخر، وذلك من خلال الرسائل النصية والمزودة بالرسوم وغيرها من الأمور.

المحور الرابع: ويشتمل على تأثيرات الاستخدام في عدد من الجوانب السلوكية.

المحور الخامس: ويتضمن الاشتراك ونفقات الاستخدام، ومدى الرضا عن الأسعار والخدمات.

المحور السادس: ويشتمل على معرفة سبل تطوير الجوال في دولة قطر.

تحليل نتائج الدراسة ومناقشتها

جدول رقم (1): توزيع أفراد العينة حسب الخصائص الديمغرافية

الخصائص	المتغير	عدد	%
الجنس	ذكر	104	45.8
	أنثى	123	54.2
	المجموع	227	%100
الجنسية	قطري	179	78.9
	جنسيات أخرى	48	21.1
	المجموع	227	% 100
العمر	20 فما دون	63	27.8
	25-21	141	62.1
	30-26	15	6.6
	35-31	8	3.5
	المجموع	227	%100
مهنة الأب	أعمال حرة	87	37,9
	قطاع عام	119	52.4
	قطاع خاص	21	9.7
	المجموع	227	%100
مهنة الأم	قطاع خاص	14	6.2
	قطاع عام	44	19.4
	ربة بيت	163	71.8
	لم يحدد	6	2,6
	المجموع	227	%100
مستوى تعليم الأب	ثانوي	107	47.1
	بكالوريوس	69	30.4
	ماجستير	17	7.5
	دكتوراه	9	4
	لم يحدد	25	11
	المجموع	227	%100

الخصائص	المتغير	عدد	%
ترتيبك بالأسرة	البكر	60	26.4
	الثاني	52	22.9
	الثالث	39	17.2
	الرابع	60	26.4
	لم يحدد	16	7,1
	المجموع	227	%100
دخل الأسرة الشهري	10 آلاف فما دون	80	35.2
	10001 -15000	47	20.7
	15001-20000	46	20.3
	20001 فأكثر	43	18.9
	لم يحدد	11	4,9
	المجموع	227	%100

تشير النتائج في الجدول رقم (1) إلى أن الإناث يشكلن ما نسبته (54.8 %) وهي نسبة طبيعية، حيث أن الإناث يشكلن ما نسبته(60 %) من المجموع العام لطلبة الجامعة، أما القطريين فشكلوا ما نسبته (78.9%)، وشكلت الفئة العمرية (21-25) النسبة العظمى، التي بلغت (63.1%) من مجموع العينة، وجاءت مهنة القطاع العام للأب بالمرتبة الأولى بنسبة (52.4%) وجاءت مهنة الأم كربة بيت في المرتبة الأولى بنسبة (71.8%) وهي نسبة عالية جداً وتعود لأسباب اجتماعية داخل المجتمع القطري، ويلاحظ من الجدول السابق أن النسبة العالية لتعليم الأب ثانوي جاءت بنسبة (47.1%)، في حين أن نسبة الحاصلين على الدكتوراه لم يتجاوز الـ (4%) فقط، وأما الدخل الشهري للأسرة (10000 فما دون) جاء بالمرتبة الأولى.

أولاً: مدى حجم ملكية الجوال لدى أفراد العينة.

جدول رقم (2): توزيع أفراد العينة حسب عدد الهواتف الجوالة التي يمتلكونها

الملكية / المتغير	عدد	%
جهاز واحد	132	58.1
اثنان	77	33.9
ثلاث	18	7.9

يتضح من الجدول رقم (2) أن النسبة العالية من العينة تمتلك جهاز جوال واحد بنسبة (58.1%)، وأن ما نسبته (33.9%) منهم يمتلك جهازين، مقابل نسبة (7.9%) يمتلك افرادها (3) أجهزة، وهي نسبة ستتضاعف مستقبلا على الرغم من أن العينة هم طلبة جامعة وهذا دليل على الرفاهية الاقتصادية التي يعيشها المواطنون القطريون.

ثانياً: الخصائص الفنية للجوال.

جدول رقم (3): توزيع أفراد العينة حسب وجهات نظر أفراد العينة حول خصائص الهاتف الجوّال

المتغير / الخصائص	نعم عدد	نعم %	لا عدد	لا %
جوالي حديث	199	87.7	26	11.5
جوالي غالي الثمن	163	71.8	58	25.6
مزود بكاميرا ثابتة	198	87.2	25	11
مزود بكاميرا فيديو	188	82.8	36	15.9
استخدم سماعة الأذن	87	38.3	135	59.5

يتضح من الجدول رقم (3) أن الجوال الحديث احتل المرتبة الأولى، حيث بلغت (87.7%)، في حين جاءت بالمرتبة الثانية الجوال المزود بكاميرا ثابتة، حيث بلغت نسبتها (87.2%)، إلا أن الغالبية العظمى لا تستخدم سماعة الأذن، تبين أن فقط (38.3%) يستعملون السماعة. دلت النتائج أن الغالبية العظمى تمتلك جوال حديث ومزود بخصائص مميزة ويعود ذلك إلى الطفرة الاقتصادية من جهة ورخص الأسعار لأجهزة الجوال من جهة أخرى.

السؤال الثالث:ما أسباب امتلاك الجوال؟

جدول رقم (4): توزيع أفراد العينة حسب الأسباب الكامنة وراء امتلاك الجوال وضرورته كمطلب اجتماعي ومقارنة ذلك بعدد من الخيارات.

المتغير / أسباب امتلاك الجوال وضرورته	نعم عدد	نعم %	لا عدد	لا %
ضرورة خضوع الجوال للرقابة العامة	115	50.7	108	47.6
الإيمان بضرورة الجوال في الحياة	222	97.8	5	2.2
الامتلاك للجوال بناء على حاجة ماسة لي وللأسرة	222	97.8	5	2.2
امتلاك الجوال كمطلب اجتماعي	186	81.9	39	17.2
امتلاك الجوال كنوع من المباهاة	35	15.4	192	84.6
التخير من الجوال وشراء ملابس ضرورية واختيار الجوال	70	30.8	156	68.7
التخير بين الكتاب والجوال واختيار الجوال	147	64.8	79	34.8

دلت النتائج كما يتضح من الجدول رقم (4) أن الغالبية العظمى من العينة تؤمن بضرورة الجوال في الحياة، وان امتلاكه جاء بناء على حاجة ماسة لمالكه ولأسرته، حيث أشار (222) فرداً، وبنسبته (97.8 %) إلى ذلك. في حين رفضت الغالبية بان إمتلاك الجوال جاء كنوع من المباهاة، وتبلغ نسبة أفرادها (84.6%) ذلك، مقابل (15.4%) يستخدمونه للمباهاة. ويتضح من النتائج أن الغالبية تفضل الجوال على الكتاب، فقد أشار (64.8%) بأنهم لو خيروا بين الكتاب والجوال فأنهم سيختارون الجوال، في حين الغالبية رفضت المقارنة بين الملابس والجوال، فقد اختار (156) فرداً، وبنسبة (68.7%) الملابس على الجوال.

السؤال الرابع:ما حجم الرسائل المرسلة والمستقبلة يوميا؟

جدول رقم (5): توزيع أفراد العينة حسب عدد الرسائل المستقبلة والمرسلة يوميا.

المتغير / الرسائل المبعوثة والمستقبلة	اقل من 3 رسائل		3-5 رسائل		6-9 رسائل		10 فأكثر	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
الرسائل المبعوثة يوميا	83	36.6	86	37.9	26	11.5	32	14.1
الرسائل المستقبلة يوميا	84	37	73	32.2	36	15.9	34	15

دلت النتائج كما يتضح من الجدول رقم (5) على أن متوسط عدد الرسائل المرسلة يصل من 3 إلى 5 رسائل يوميا وتبلغ نسبة من يمثل ذلك (37.9%) من المبحوثين، في حين جاءت بالمرتبة الأولى يلي ذلك ما نسبته (37%) وبمعدل أقل من ثلاث رسائل يومياً، في حين ان 10 رسائل فأكثر جاءت بالمرتبة الأخيرة لعدد الرسائل المستقبلة يوميا، وبنسبة (15%) وجاءت الرسائل المرسلة بالمرتبة الأخيرة تحت متغير 6-9 رسائل.

السؤال الخامس: ما مجالات استخدام الجوال؟

جدول رقم (6): توزيع أفراد العينة حسب مجال استخدام الجوال.

المتغير / المجالات	كبيرة جدا		كبيرة		متوسط		ضعيف		لا اعرف	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
1- معرفة أخبار الأصدقاء	109	48	58	25.6	50	22	10	4.4	-----	
2- كوسيط اتصالي مع العالم	92	40.5	47	20.7	55	24.2	27	11.9	6	2.6
3- للدردشة مع الأصدقاء	56	24.7	54	23.8	62	27.3	48	21.1	7	3.1
4- للاستفسار ومتابعة الواجبات المدرسية	68	30	66	29.1	61	26.9	30	13.2	2	0.9

5- للإطلاع على أخر الأخبار المختلفة	11.5 26	20.3 46	29.1 66	31.3 71	7.9 18
6- بيع وشراء الأسهم	17.2 39	4.8 11	7.9 18	34.8 79	35.2 80
7- للجانب غير الأخلاقي	3.1 7	1.8 4	7.5 17	32.6 74	55.1 125
8- للمعاكسة	4.4 10	3.5 8	7 16	31.3 71	53.7 122
9- اختيار الملابس	4.4 10	4.4 10	14.5 33	40.1 91	36.3 83
10-لإبقاء الأهل على معرفة أين أنا	72.7 165	15.4 35	9.3 21	1.8 4	0.9 2
11- للاطمئنان على الأصدقاء والأهل	64.3 146	23.8 54	10.1 23	1.8 4	--------
12-للمشاركة في البرامج التلفزيونية	2.6 6	2.6 6	11.5 26	42.3 96	41 93
13- للدردشة التلفزيونية	2.6 6	1.3 3	7.5 17	41 93	47.6 108
14- للانترنت	8.4 19	7.5 17	15 34	38.3 87	30.8 70
15- لمعرفة أخبار الموضة	4.4 10	3.5 8	11.5 26	41.4 94	39.2 89
16- للتوقيت	60.4 137	17.6 40	10.6 24	9.7 22	1.8 4
17- للتصوير	22 50	18.5 42	30.8 70	22 50	6.2 14
18- لتحديد وقت الصلاة	39.2 89	19.4 44	22.9 52	12.3 28	6.2 14
19- استقبال النكت والمزاح	17.2 39	18.9 43	26 59	27.3 62	10.6 24
20- للأبراج والطالع	1.8 4	2.6 6	11.9 27	35.7 81	47.6 104
21- للألعاب والشطرنج	5.7 13	7.5 17	22 50	34.4 78	30.4 69
22- لمتابعة فريقي الرياضي	5.7 13	4.8 11	10.1 23	38.3 87	41 93
23- لاستخدامات طبية	4.4 10	4.8 11	8.4 19	42.7 97	39.6 90
24- تبادل التهاني في مناسبات العيد والفرح	71.4 162	15 34	8.4 19	4.8 11	0.4 1
25- كمنبه ساعة	77.5 176	15 34	2.6 6	3.1 7	1.8 4
26- حالة الطقس	6.2 14	4 9	9.3 21	42.7 97	37.9 86

دلت النتائج كما يتضح من الجدول رقم (6) أن الاستخدام الأكثر وتحت متغير (كبيرة جدا)، جاء بالمرتبة الأولى كمنبه ساعة وبنسبة (77.5%)، في حين جاءت استخدامات الجوال في مجال تبادل التهاني في مناسبات العيد والفرح بنسبة (71.4%)، في حين جاء بالمرتبة الثالثة استخدام الجوال لإبقاء الأهل على معرفة بمكان وجود الطالب او الطالبة. وبنسبة (64.3%)، في حين

وتحت المتغير نفسه وفي المرتبة الأخيرة للأبراج والطالع وبنسبة (1.8%)، في حين جاء الاستخدام للجوال للاستفسار ومتابعة الواجبات الجامعية وتحت متغير كبير وبنسبة (29.1%)وفي المرتبة الأخيرة وتحت المتغير نفسه الاستخدام للجوانب غير الأخلاقية وبنسبة (1.8%)، وتحت متغير (ضعيفة) جاء في المرتبة الأولى حالة الطقس، و(لاستخدامات طبية) وبنسبة (42.7%).

يتضح من النتائج أن للجوال استخدامات خدماتية معينة،في حين جاءت الاستخدامات للجوال في مجال الانترنت والإطلاع على أخر الأخبار وغيرها من الاستخدامات الضرورية بنسب ضعيفة.

السؤال السادس: ما التأثيرات للجوال في جوانب حياتية مختلفة؟

جدول رقم (7): توزيع أفراد العينة حسب تأثيرات الجوال في جوانب استخداماته المختلفة.

المتغير / التأثيرات السلوكية	كبيرة جدا	كبيرة	متوسطة	ضعيفة
زيادة الترابط الأسري	54.2 123	30.8 70	11.9 27	2.6 6
زيادة الأعباء المالية للأسرة	23.8 54	23.3 53	29.5 67	23.3 53
زيادة المصروفات	25.1 57	28.2 64	28.2 64	18.5 42
الانشغال عن المحيطين	12.3 28	20.3 46	33 75	34.4 78
العزلة	4 9	11.5 26	26.4 60	58.1 132
قضاء وقت أكثر مع الجوال	11.5 26	16.3 37	26.4 60	45.8 104
الانفتاح على المجتمع	17.2 39	30.8 70	32.6 74	18.5 42
لمصادقة الجنس الأخر	11 25	7.5 17	12.3 28	68.7 156
الاعتداد بالنفس والثقة	17.2 39	19.4 44	33.5 76	26.6 65
يؤثر على قيادتي للسيارة	24.4 55	14.1 32	17.6 40	43.2 98
تشتت الانتباه	22 50	21.1 48	31.7 72	24.2 55
العادات السلوكية	10.1 23	15.4 35	27.3 62	46.7 106

دلت النتائج كما يتضح من الجدول رقم 7 أن زيادة الترابط الأسري جاءت بالمرتبة الأولى تحت متغير كبيرة جدا وبنسبة (54.2%) وبالمرتبة الثانية جاءت زيادة المصروفات وبنسبة (25.1%)(تدني النسبة يعود إلى زيادة الدخل للقطريين،حيث يعد الدخل الوطني القطري من أعلى الدخول العالمية)، كما دلت النتائج على أن مصادقة الجنس الأخر جاءت بالمرتبة الأولى تحت متغير ضعيفة (هذا أيضا متصل مع طبيعة المجتمع القطري المحافظ،وهي دليل ايجابي).

السؤال السابع: ما حجم الاشتراك والنفقات للجوال؟

جدول رقم (8): يبين حجم الاشتراك بالجوال والبطاقة المدفوعة والمصروفات

المتغير / الجوانب المتعلقة بسبل الاستخدام	نعم		لا	
	عدد	%	عدد	%
الاشتراك الشهري بالجوال	126	55.5	100	44.1
استخدام البطاقة المدفوعة مسبقا	135	59.5	92	40.5
حجم النفقات الشهرية				
100 ريال فاقل	38	16.7		
101-200 ريال	49	21.6		
201-300 ريال	28	12.3		
301-500 ريال	50	22		
501 فأكثر	61	26.9		

تشير النتائج في الجدول رقم (8) إلى أن (55,5%) من المبحوثين مشتركون بالجوال، أما حجم النفقات فقد بينت النتائج أن الشريحة الكبرى تصرف أكثر من (501) ريال فأكثر وبنسبة (26%) وفي المرتبة الثانية الفئة ذات المصروف بـ (301-500) ريال،حيث بلغت النسبة (22%). وهذا دليل على حجم النفقات للعينة، وهذا أمر متصل مع الدخل العالي للعينة، وللمجتمع القطري بشكل عام.

السؤال الثامن: ما مدى الاستفادة من خصائص الجوال في مجالات تعليمية سياحية مختلفة؟

جدول رقم (9): توزيع أفراد العينة حسب مدى الاستفادة من خصائص الجوال في عدد من المجالات

المتغير / المجالات	كبيرة جدا	كبيرة	متوسطة	ضعيفة
الأمور التعليمية	13.2 30	16.3 37	34.8 79	35.2 80
الترويج السياحي	12.3 28	13.7 31	32.2 73	41.4 94
إعلان تجاري	11.9 27	12.8 29	32.6 74	42.7 97
تعارف وتعزيز للعلاقات	32.2 73	24.7 56	21.1 48	21.6 49

يتضح من النتائج رقم 9 أن الغالبية العظمى تعتمد على خصائص الجوال في مجال التعارف وتعزيز للعلاقات تحت متغير (كبيرة جدا) و(كبيرة) وبنسبة (32.2%) و(24.7%) في حين أن الإعلان التجاري احتل المرتبة الأخيرة تحت المتغير (كبيرة جدا) و(كبيرة) وبنسب (11.9%) و(12.8%) وهي نسب ضعيفة وهذا دليل على عدم دخول الجوال في المجالات التعليمية والإعلانية والترويج السياحي.

السؤال التاسع: ما مدى التفضيل لاستعمالات خصائص الجوال في الرسائل؟

جدول رقم (10): توزيع أفراد العينة حسب مدى تفضيل استخدامات الجوال

المتغير / مجالات التفضيل	نعم		لا	
	عدد	%	عدد	%
استخدام الرسائل النصية على المكالمات للجوال	132	58.1	95	41.9
استخدام الصور والرسومات مع الرسائل النصية	79	34.8	148	65.2
استخدام الرسائل الصوتية	46	20.3	180	79.3

دلت النتائج في الجدول رقم 10 أن مجالات التفضيل كان باستخدام الرسائل النصية على المكالمات للجوال وبنسبة (58,1%)في حين رفض ذلك ما نسبته (41,9%)، كما أن الغالبية العظمى رفضت خاصية استخدام الرسائل الصوتية، حيث رفضت بنسبة(79,3%) وهي نسبة عالية ويرجع ذلك إلى أن الشعب القطري شعب محافظ.

السؤال العاشر: ما مدى الرضا عن الخدمات والأسعار للجوال في دولة قطر؟

جدول رقم (11): توزيع أفراد العينة حسب مدى الرضا عن خدمات الجوال واستخداماته في دولة قطر

المتغير / الرضا عن الخدمات والأسعار	مناسبة جدا	مناسبة	غير مناسبة	لا اعرف
الأسعار (كيوتيل)	3.5 8	21.1 48	71.8 163	3.5 8
خدمات (كيوتيل)	8.8 20	45.4 103	41.4 94	4.4 10

دلت النتائج كما يتضح من الجدول رقم (11) أن الغالبية العظمى غير راضية عن أسعار كيوتيل،حيث اعتبر (71,8%) من المبحوثين أنها أسعار غير مناسبة في حين أن (45,4%)

اعتبروها خدمات مناسبة، واعتبر (41,4%) منهم أن الخدمات غير مناسبة، وهي نسب عالية جدا حول الأسعار والخدمات، وعلى كيوتيل أن تأخذ بها بعين الاعتبار.

السؤال الحادي عشر: ما مدى الاستفادة من البلوتوث في عدد من المجالات؟

جدول رقم (12): توزيع أفراد العينة مدى الاستفادة من البلوتوث في مجالات مختلفة

المتغير / الاستخدامات	كبيرة جدا	كبيرة	متوسطة	ضعيفة
تبادل الرسائل النصية	35.7 81	21.6 49	27.3 62	15.4 35
تبادل النغمات والأغاني	54.2 123	19.4 44	14.5 33	11.9 27
تبادل الصور	52.4 119	20.7 47	16.3 37	10.6 24
تبادل لقطات الفيديو	48.5 110	15.4 35	18.1 41	18.1 41
تبادل أرقام التلفونات	30.8 70	10.6 24	18.9 43	39.6 90

تدل النتائج كما يتضح في الجدول رقم (12) أن غالبية أفراد العينة يستفيدون من البلوتوث بالدرجة الأولى في مجال تبادل الأغاني تحت متغير (كبيرة جدا) وبنسبة (54,2%) وتبادل الرسائل النصية بالدرجة الأولى تحت متغير (كبيرة) وبنسبة (21,6%)، في حين جاءت تحت متغير (ضعيفة) بالدرجة الأولى تبادل أرقام التلفونات وبنسبة (39,6%).

السؤال الثاني عشر: ما العلاقة بين الجنس ومجالات استخدام الجوال؟

جدول رقم (13): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين الجنس ومجالات استخدام الجوال

المتغير / المجالات للاستخدام	الجنس		مستوى الدلالة
	المتوسطات	الانحراف المعياري	
معرفة أخبار الأصدقاء	4.1718	.92243	.069
كوسيط اتصالي مع العالم	3.8458	1.15904	.061
للدردشة مع الأصدقاء	3.4581	1.16428	.071
للاستفسار ومتابعة الواجبات المدرسية	3.7401	1.5525	.059
للإطلاع على أخر الأخبار المختلفة	2.9604	1.13793	.071
بيع وشراء الأسهم	2.3392	1.43730	.001
للجانب غير الأخلاقي	1.6520	.922532	.000

المجالات للاستخدام / المتغير	الجنس		مستوى الدلالة
	المتوسطات	الانحراف المعياري	
للمعاكسة	1.75357	1.03936	.000
اختيار الملابس	2.000	1.04331	.093
لإبقاء الأهل على معرفة أين أنا	4.5727	.80251	.002
للاطمئنان على الأصدقاء والأهل	4.5066	.74886	.067
للمشاركة في البرامج التلفزيونية	1.8370	.91924	.060
للدردشة التلفزيونية	1.7048	.87042	.073
للانترنت	2.2423	1.20778	.064
لمعرفة أخر أخبار الموضة	1.9251	1.02129	.064
للتوقيت	4.2511	1.09441	.041
للتصوير	3.50110	3.63897	.025
لتحديد وقت الصلاة	3.7313	1.26667	.056
استقبال النكت والمزاح	3.0485	1.25590	.044
للأبراج والطالع	1.8767	2.13747	.063
للألعاب...الشطرنج	2.2379	1.13503	.010
لمتابعة فريقي الرياضي	1.9604	1.10638	.000
لاستخدامات طبية	1.9163	1.3353	.006
تبادل التهاني في مناسبات العيد والأفراح	4.5198	.87406	.050
كمنبه ساعة	4.6344	82722	.032
حالة الطقس	1.9780	1.09077	.100

دلت النتائج كما يتضح في الجدول رقم (13) عن وجود علاقة بين الجنس واستخدامات الجوال في مجالات متعددة منها: بيع وشراء الأسهم وهي ذات دلالة إحصائية (اقل من 0.05) وللجانب غير الأخلاقي (اقل من 0,05) وللمعاكسة (اقل من 0.05) ولإبقاء الأهل على معرفة مكان المبحوث (اقل من 0.05) وللتوقيت (اقل من 0.05) وللتصوير (اقل من 0.05)، واستقبال النكت والمزاح (اقل من 0.05) ولألعاب الشطرنج (اقل من 0.05) ولاستخدامات طبية (اقل من 0,05)، وكمنبه ساعة(اقل من 0.05).

السؤال الثالث عشر: ما العلاقة بين الجنس والعمر واستخدامات الجوال؟

جدول رقم (14): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين الجنس والعمر واستخدام الجوال في الجانب غير الأخلاقي وفي الدردشة التلفزيونية

جانب الاستخدام / المتغير	الجانب غير الأخلاقي	للدردشة التلفزيونية	مستوى الدلالة
الجنس ذكر المتوسطات	1.9423	1.8173	.000
الانحراف المعياري	1.10451	92184	
أنثى المتوسطات	1.4065	1.6098	.073
الانحراف المعياري	.65082	.81617	
العمر 20 فما دون المتوسطات	1.4286	1.6508	
الانحراف المعياري	.68895	.95307	.580
21-25 المتوسطات	1.6508	1.6383	
الانحراف المعياري	94826	.71989	
26-30 المتوسطات	2.0667	2.200	
الانحراف المعياري	1.16292	1.26491	.013
31-35 المتوسطات	1.8750	2.3750	
الانحراف المعياري	1.35620	1.30247	

وتدل النتائج كما يتضح من الجدول رقم (14) أن هناك علاقة بين الجنس والجانب غير الأخلاقي لاستخدام الجوال، حيث تبين أن متوسطات الذكور أعلى من الإناث وهي ذات دلالة إحصائية على مستوى (اقل من 005.)، في حين دلت النتائج على عدم وجود علاقة بين الذكور

والإناث في مجال الاستخدام المتعلق بالدردشة للتلفزيون.كما يتضح من الجدول أعلاه عن وجود علاقة بين العمر والدردشة للتلفزيون، حيث دلت النتائج على وجود اختلاف بين الأعمار من 20 سنة فما دون و21-25 والأعمار 26-30 و31-35 وهي ذات دلالة إحصائية على مستوى اقل من 005.

السؤال الرابع عشر: ما العلاقة بين الجنسية والرضا عن الأسعار والخدمات للجوال في قطر؟

جدول رقم (15): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين جنسية المستخدم ورضاه عن الأسعار والخدمات التي يقدمها الجوال في دولة قطر

الجنسية / الرضا عن الأسعار والخدمات	قطري		غير قطري		قيمة ف	مستوى الدلالة
	المتوسطات	الانحراف المعياري	المتوسطات	الانحراف المعياري		
الرضا عن الأسعار	2.2402	.55420	2.60340	.69847	.108	.743
الرضا عن الخدمات	2.2708	.64378	2.5208	.77156	.505	.478

وتشير النتائج في الجدول رقم (15) إلى عدم وجودٍ للعلاقة بين الجنسية ومدى الرضا عن الأسعار والخدمات للجوال، حيث تقاربت المتوسطات بين القطريين وغير القطرين.

السؤال الخامس عشر: ما العلاقة بين مهنة الأب ومدى الرضا عن الأسعار والخدمات في قطر؟

جدول رقم (16): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين مهنة والد المستخدم ومدى رضاه عن الأسعار والخدمات في دولة قطر

مهنة الأب / الخدمات	أعمال حرة		قطاع عام		قطاع خاص		قيمة ف	م. الدلالة
	المتوسطات	الانحراف	المتوسطات	الانحراف	المتوسطات	الانحراف		
الرضا عن الأسعار	2.2308	.60136	2.2101	.50210	2.4545	.80043	1.710	.183
الرضا عن الخدمات	2.6282	70451	2.5126	.71147	2.7727	.75162	1.514	.222

وتدل النتائج كما يتضح من الجدول رقم (16) على عدم وجود علاقة بين مهنة الأب ومدى الرضا عن الأسعار وخدمات الجوال في قطر.

السؤال السادس عشر: ما العلاقة بين ترتيب المبحوث بالأسرة وعدد الرسائل المرسلة والمستقبلة يوميا؟

جدول رقم (17): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين ترتيب المبحوث بالأسرة وعدد الرسائل المرسلة والمستقبلة.

الرسائل المرسلة والمستقبلة ترتيب المبحوث بالأسرة	الرسائل المرسلة		م. الدلالة	الرسائل المستقبلة		قيمة ف	م. الدلالة
	المتوسطات	الانحراف المعياري		المتوسطات	الانحراف المعياري		
البكر	2.1000	1.1008	.976	2.1167	1.10610	.709	.548
الثاني	2.0577	.99830		2.0385	1.08396		
الثالث	1.7692	.99830		1.8974	.94018		
الرابع	2.0667	1.0062		2.2000	1.02180		

وتبين النتائج في الجدول رقم (17) أنه لا علاقة بين ترتيب المبحوث وعدد الرسائل المرسلة والمستقبلة.

وتظهر النتائج في الجدول رقم (18) (الصفحة التالية) أنه لا علاقة بين مستوى تعليم الأب وتأثيرات استخدام الجوال إلاّ في قضاء وقت أكثر مع الجوال،حيث بلغت المتوسطات في مستوى ثانوي 1.8037،في حين جاء تحت مستوى بكالوريوس 2.2029 وفي ماجستير 2.1176 وتحت مستوى دكتوراه 2.4444 وهي ذات دلالة إحصائية على مستوى اقل من 05. كما جاءت العلاقة في الاعتداد بالنفس وهي ذات دلالة إحصائية تحت مستوى اقل من 05.

السؤال السابع عشر: ما العلاقة بين مستوى التعليم للأب والتأثيرات من استخدامات الجوال؟

جدول رقم (18): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين مستوى تعليم والد المستخدم والتأثيرات الناجمة عن استخدامات الجوال

مستوى تعليم الأب / التأثيرات	ثانوي		بكالوريوس		ماجستير		دكتوراة		قيمة ف	م. الدلالة
	متوسطات	الانحراف	متوسطات	الانحراف	متوسطات	الانحراف	متوسطات	الانحراف		
زيادة الترابط الأسري	3.3458	.85895	3.3478	.80121	3.6471	.49259	3.4444	.80238	.745	.527
زيادة الأعباء المالية للأسرة	2.4673	1.09301	2.5797	1.06282	2.5294	1.17886	2.4444	.88192	.164	.921
زيادة المصروفات	2.6168	1.06969	2.7246	1.05557	2.6471	.99632	2.5556	.88192	.175	.913
الانشغال عن المحيطين	2.1121	1.06689	2.2029	.97889	2.2941	1.15999	1.7778	83333	.601	.615
العزلة	1.6636	.88960	1.6957	.82790	1.5882	87026	1.2222	.44996	.858	.464
قضاء وقت أكثر مع الجوال	1.8037	.97554	2.2029	1.07894	2.1176	1.11144	2.4444	1.33333	2.766	.043
الانفتاح على المجتمع	2.5888	1.04569	2.4638	1.000849	2.4706	71743.	2.6667	1.00000	.289	.833
لمصادقة الجنس الأخر	1.7383	1.11876	1.5441	96867.	1.5294	94324	2.0000	1.11803	.864	.461
الاعتداد بالنفس والثقة	2.2897	1.03713	2.2647	1.14106	1.8824	1.05409	3.1111	1.05408	2.572	.055
يؤثر على قيادتي للسيارة	2.3364	1.30271	2.2059	1.15331	1.7059	1.04670	2.4444	1.42400	1.366	.254
تشتت الانتباه	2.5140	1.14401	2.4412	1.02771	2.3529	93148.	2.1111	.92796	.464	.708
العادات السلوكية	1.8598	1.04112	1.9412	.97556	1.8824	99262.	2.1111	92796	.227	.878

السؤال الثامن عشر: ما العلاقة بين الجنس والاستخدام الغير أخلاقي والدردشة؟

جدول رقم (19): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين الجنس واستخدامات الجوال في المجالات غير الأخلاقية والدردشة

الجنس / المتغير / الجوانب للاستخدام	ذكور: المتوسطات	ذكور: الانحراف المعياري	إناث: المتوسطات	إناث: الانحراف المعياري	قيمة ف	م. الدلالة
1-الجانب الغير أخلاقي	1.9423	1.10451	1.4065	.65082	20.527	.000
2-الدردشة	1.8173	.92184	1.6098	.81617	3.236	.073

يتضح من الجدول رقم (19) أن هناك علاقة بين الجنس والاستخدام غير الأخلاقي للجوال، فقد جاءت المتوسطات للذكور أكثر من الإناث، حيث بلغت للذكور 1.9423 والإناث 1.4065 وبلغت قيمة ف 20.527 وهي ذات دلالة على مستوى اقل من 5.،.، في حين أن لا علاقة بين الجنس والاستخدام للجوال في مجال الدردشة.

السؤال التاسع عشر: ما العلاقة بين الجنس وضرورة خضوع الجوال للرقابة العامة؟

جدول رقم (20): توزيع أفراد العينة حسب العلاقة بين الجنس وضرورة خضوع الجوال للرقابة العامة.

الجنس / المتغير / الرقابة	ذكور: المتوسطات	ذكور: الانحراف المعياري	إناث: المتوسطات	إناث: الانحراف المعياري	قيمة ف	م.الدلالة
ضرورة خضوع الجوال للرقابة العامة	1.5096	50233	1.5210	50167	.096	.757

دلت النتائج كما يتضح من الجدول أعلاه أن لا علاقة بين الذكور والإناث وضرورة خضوع الجوال للرقابة العامة، فقد تقاربت المتوسطات للذكور والإناث.

النتائج والتوصيات:

(أ) توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

- تبين ان غالبية أفراد العينة تمتلك أكثر من جهاز وبنسبة (41%)،ومعظمها أجهزة حديثة غالية الثمن، على الرغم من أن أفراد العينة هم طلبة جامعة وأجهزتهم مزودة بكاميرا 87.2% وكاميرا فيديو بنسبة بلغت (82.8%).
- تؤمن الغالبية المطلقة للعينة بضرورة الجوال في الحياة بنسبة (97.8%) وبان امتلاكه جاء بناء على حاجة ماسة جاءت بنسبة (97.8%).
- تقوم غالبية أفراد العينة بارسال الرسائل القصيرة للآخرين واستقبالها منهم أيضاً.
- جاء استخدام الجوال كمنبه ساعة بالمرتبة الأولى وبنسبة (77.5%) بينما جاء إبقاء الأهل على معرفة بمكان الطالب وبنسبة (72.7%) بالمرتبة الثانية وجاء تبادل التهاني في مناسبات العيد والأفراح وبنسبة (71.4%) تحت متغير كبير جدا في مجالات الاستخدام للجوال.
- يعتبر نسبة (82 %) من العينة الجوال عنصرا مهما في زيادة الترابط الأسري.
- يصرف أكثر من (26.9%) من عينة الدراسة من حاملي الجوال ما يزيد عن 501 ريال شهريا فأكثر.
- ترى نسبة (57%) من العينة أنّ الجوال وسيط تعارف وتعزيز للعلاقات.
- تبين ان نسبة (71.8 %) من أفراد العينة غير راضين عن أسعار كيوتيل، في حين تبيّن ما نسبته (41.4%) من عينة الدراسة غير راضين عن الخدمات التي تقدمها هذه الشركة.
- يستفيد ما نسبته (73.6 %) من العينة، وتحت متغير (كبير جدا) و(كبيرة) من البلوتوث في مجال تبادل النغمات والأغاني.
- تبين وجود بعض العلاقات بين الجنسين كما تبين أن هنالك مجالات أخرى لاستخدام الجوال في المجالات غير الأخلاقية والمعاكسة وبيع أسهم، في حين تقاربت الآراء بين الجنسين في المجالات المختلفة.

ب. التوصيات:

- ضرورة تعزيز الاستفادة من الهاتف الجوال في المجالات المهمة في حياة الإنسان، كالمجالات الثقافية والعلمية.
- العمل على إيجاد شركات منافسة لتقديم خدماتها للزبائن بطريقة جيدة ومختلفة في مجالات الأسعار والخدمات.
- العمل على زيادة التوعية من خلال برامج ثقافية وندوات ومؤتمرات.
- العمل على دراسة ظاهرة الهاتف الجوال في الندوات وورش العمل والمؤتمرات العلمية.

Mobile Phones: Important and Uses

Mohamed Qudah, *Faculty of Mass Communication, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study is considered to be the first of its kind at Qatar university which is concerned with mobile phone and their usage by young people in the region and Qatar university.

This study has a number of aims such as finding out the reasons behind or finding out the motives which encourage young people to buy and own these mobiles. It also aims to discover to what extant young people do benefit from the different characteristics of these mobiles.

A number of conclusions where reached by this study amongst them: they are widely used by young people in Qatar university. It also appeared that a high as (41%) percentage of them own more than mobile phone, and is used for different purpose such as using it as an alarm machine to wake them up, and it used to keep them connected with their families, it also used to exchange congratulations during different occasions.

It also reached a number of conclusions such as dissatisfaction of (71.8%) of university student about the prices of mobile phone devices and the services provided by the company concerned to .

قدم البحث للنشر في 2009/8/5 وقبل في 2010/6/2

الهوامش:

1- **المتوسط**، العدد 155، الأربعاء 28 ابريل 2010.

2- **الشرق الأوسط**، عدد 10219، 20 نوفمبر 2006، الجوال الآن أكثر من مجرد هاتف.

3- **العرب الدولية**، عدد 10217، أول تقنية تتيح مشاهدة مسلسلات عبر الهاتف الجوال في الإمارات، 18 تشرين ثاني 2006.

4- **السي ان ان**، علوم وتكنولوجيا، قنوات الكايبل على الجوال قريبا، 17 تشرين ثاني 2006.

5- الهاتف الجوال صاحب فضل على العالم العربي، **تقرير MTC**، 23 فبراير 2006، الكويت.

6- الهاتف الجوال صاحب فضل على العالم العربي، مرجع سابق.

7- WWW. Mohammad Ibahrine, Lecture in International Politics, University of Hamburg, Mobile Communication and Sociopolitical Change in The Arab World. Accessed to 9/5/2010.

8- **الشرق الأوسط**، عدد 9713، 2 تموز 2005.

9- **كيوتل: نضع المعايير**، التقرير السنوي 2004، الدوحة 2005، ص27.

10- Effects of Culture on Cellular Phone Adoption: the case of Taiwan, 2003 *AJEMC, Annual Conference*, BY Dr. Kenneth C.C.Young. Department of Communication. The University of Texas.p.5.

11- Ibid, pp.15-17.

12- Ibid, pp. 20-21.

13- مرجع سابق

14- http://www.dgbas.gov.tw - Directorate General of Telecommunications. 1999. Annual Report 1999-Growth of Cellular Phone Service in the Roc.

15- Disputes Cell Phone-cancer Link, National Cancer Institute, Dec.2000.

16- C. Evans, Pughe, 2003, Phone and health – *IEE Review*. May 2003.Vol.49, Issue 5.

17- *www.arabiclub.Net*

18- محادين، حسين طه، اثر الثقافة على العلاقات داخل الأسرة في المجتمع الأردني – الهاتف الخلوي انموذجاً، **المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية**، المجلد 1، العدد 1، 2008.

19- المرجع السابق، ص86.

20- المرجع السابق، ص86.

21- بن رزوق، جمال، اثر التكنولوجيات الحديثة للاتصال على التمثيلات الثقافية والاجتماعية للطالب الجامعي، **مؤتمر "الشباب والميديا"**، تونس، 2010.

22- المرجع السابق.

23- **الشرق الأوسط التجارية**، 25 آذار 2007 م. *www.mtctelecom.com*

24- مرجع سابق

25- مرجع سابق

26- مفاعل نووي صغير الجوال،20-3-2007 م. *www.arabiclub.net*

27- مرجع سابق

28- مرجع سابق

29- Bittman, Michael, 2009, The cell phone, Constant Connection and Time Scarcity in Australia, *Social and- icators Research*, vol. 93, Issue1, pp 229 – 233.

30- حسن مكاوي، ليلى السيد، 2000، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، ص 239.

31- مرجع سابق ص 240.

32- مرجع سابق ص 240 .

33- مرجع سابق ص 241.

34- Rosengren . K.E., 1974, *Uses and Gratifications*. A paradign outlined in J.G. Blumber & E. Katz .The uses of Mass Communication: Current perspectives on Gratifications Research Beverly-Hills.CA.

35- صابر، فاطمة عوض، خفاجة، ميرفت علي، **أسس ومبادئ البحث العلمي**، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 2002

36- عمر، احمد مصطفى، **البحث الإعلامي، مفهومه وإجراءاته ومناهجه**، الكتاب الأول، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1992.

Table of Contents

Articles in Arabic

- One copy of the issue in which the manuscript is published well be sent free of charge to the sole or principal author of the published manuscript.

- Manuscripts should be addressed to:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in –Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111
Fax. 00962 2 7211137
E-mail:saufa@yu.edu.jo
Website :http://saufa.yu.edu.jo

Documentation

References in the text are serially numbered between brackets ( ) .

References at the end of the article shall be as follows in case the source or reference work is a book:

The author's full name: source or reference work , part, number, publisher, place of publication , year, page(s).

e.g. Dayf, Shawqi : *The First Abbasid Period* ,Dar al- Maarif , Egypt,1966,.24.

In case where a periodical or a journal is consulted , referral thereto shall be as follows :

The author's full name, source or reference work, *name of periodical or journal*, volume number, year, page.

e.g. Sa'aydan , Ahmad Saleem :" On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal,* Volume I .No 2 July 1978,p.101.

References should be listed in the bibliography at the end of the manuscript in alphabetical order of authors' surname, beginning with Arabic references, then foreign ones.

Subscription Information

Annual subscription rates in Jordan: individuals (JD 3.00), institutions (JD 5.00); outside Jordan: individuals (US $ 7.00), institutions (US $ 10.00) or equivalent.

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Association of Arab Universities Journal for Arts (*AARUJA*) is a biannual refereed academic journal published by the Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of the Association of Arab Universities.

Notes to Contributors

Language

AARUJA's Articles are published in Arabic together with their abstracts in English. Manuscript, however, may be published in any other printable language.

Rules Regulating the Journal

- Manuscripts should be submitted in Arabic together with an English abstract. However, submission in either English ,French, or any other printable foreign language, with an Arabic abstract, is subject to approval by the Editorial Board
- *AARUJA* publishes genuinely original articles characterized by clear academic methodology, comprehensiveness, and thorough investigation; where exact referencing is made to sources and reference works, and the article has not been previously published anywhere else. A specialized criticism or review of an academic work published in the Arab world or abroad as well as reports on specialized Arab or inter- national symposiums and conferences may be published. Manuscripts accepted for publication in *AARUJA* are approved for academic promotion
- *AARUJA* publishes academic articles in the fields of arts, languages, social and human sciences, social service, journalism and mass communication
- Manuscripts should be computer-typed and double spaced. Four copies are to be submitted together with a floppy disk congruent with IBM (Ms Word)
- Manuscripts including figures, drawings, tables and appendixes shall not exceed thirty pages
- Manuscripts submitted for publication in *AARUJA* shall be sent, if initially accepted, to at least two specialist referees, who are chosen with absolute confidentiality by the Editor –in –Chief
- *AARUJA* reserves its right to ask the author to omit, reformulate, or reword his/her manuscript or any part thereof in a manner that conforms to the publication policy
- Copyright pertinent to the manuscript accepted for publication shall be transferred to *AARUJA.*
- *AARUJA* does not pay remuneration for the articles published therein

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq

ISSN 1818-9849



Association of Arab Universities



The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities Members of AARU

Vol. 7 **No. 3** **1432/2010**